

مَدِينَة

الشيخ محمد الحضر حسين

في مواجهة الانحرافات العقديّة والفكرية

تأليف

و محمد بن ابراهيم احمد

للمجلد الثاني

دار ابن خزيمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ح محمد بن إبراهيم الحمد ، ١٤٣٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحمد، محمد إبراهيم

منهج الشيخ محمد الخضر حسين في مواجهة الانحرافات

العقدية والفكرية . / محمد إبراهيم الحمد - الرياض، ١٤٣٥ هـ

١٠٤٤ ص ، ١٧ X ٢٤ سم

ردمك ٩٧٨-٦٠٣-٠١-٦٢٥١-٢

١- حسين، محمد الخضر، ت١٣٧٧هـ - أ- العنوان

١٤٣٥/٨٥٦١

ديوي ٩٢٢،١

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٨٥٦١

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠١-٦٢٥١-٢

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

دار ابن خزيمة

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

المنزل - شارع الاحساء - غرب حديقة الحيوان

هاتف: ٤٢٣٠٢٨٨ - ٤٢٦٩٩٣٢ - فاكس: ٤٧٦٠٧٩٥

الباب الرابع: مواجهات الشيخ محمد الخضر للفرق والدعاوى

الضالة، والانحرافات العقيدية

وفيه فصلان:

الفصل الأول: مواجهات الشيخ الخضر للفرق

والدعاوى الضالة في عصره

الفصل الثاني: مواجهات الشيخ الخضر

للانحرافات العقيدية

الفصل الأول : مواجهات الشيخ محمد الغضنفر للفرق والدعاوى الضالة في عصره
وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: مواجهته لفرقتي البابية والبهائية

المبحث الثاني: مواجهته لفرقة القاديانية

المبحث الثالث: مواجهته للتنصير

المبحث الرابع: مواجهته للروحانية الحديثة (دعوى

تحضير الأرواح)

المبحث الأول: مواجهته لفرقتي البابية والبهائية

مدخل: نبذة عن البابية والبهائية

أولاً: البابية

١. تعريفها وسبب تسميتها: البابية فرقة ضالة، ونحلة كافرة انبثقت من الشيعة الاثني عشرية، وظهرت في القرن الثالث عشر الهجري في إيران على يد رجلٍ شيعي يدعى: الميرزا علي محمد الشيرازي الذي ظهر بفكرة الباب إلى المهدي المنتظر. وسميت البابية بهذا الاسم نسبة إلى زعيمها الأول الذي لقب نفسه بالباب: أي الباب إلى المهدي المنتظر المزعوم عند الشيعة الذين يزعمون أن المهدي دخل في الغيبة، وأن الطريق إليه إنما يكون عن طريق الأبواب؛ فصار كثير من يؤمن بهذه الفكرة يدّعي أنه الباب.

ومن هؤلاء: هذا الشيرازي الذي ادعى ذلك، فنسبت إليه هذه الفرقة^(١).

٢. الظروف التي نشأت فيها البابية: ظهرت البابية في وسط شيعي اثني عشري يعتقد أن الإمام الثاني عشر من أئمتهم -وهو محمد الحسن العسكري- قد اختفى من القرن الثالث الهجري، ولا يزال حياً إلى اليوم، وهو المهدي المنتظر^(٢). وكانوا يعتقدون أن له غيبة صغرى يقوم فيها السفراء والوكلاء بدور الوساطة بينه وبين أتباعه، وهؤلاء يسمون: الأبواب.

وعندما طالت غيبته قالوا: إنه دخل في الغيبة الكبرى في سرداب سامراء إلى اليوم. والشيعة هؤلاء ينتظرون عودته، وخروجه كل يوم، ويشتد تطلّعهم إليه كلما

١ - انظر عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ص ٢٠٢، والموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة د.ناصر العقل، ود. ناصر القفاري، دار الصميعي، ط ١، ١٤١٣هـ، ص ١٥٦.

٢ - انظر البابية عرض ونقد إحسان إلهي ظهير إدارة ترجمان السنة، باكستان، لاهور، ط ٣، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص ٤٥، وعقيدة ختم النبوة ص ٢٠٢.

حل بهم كرب، أو نزلت بهم شدة^(١).

وقد كانت الشيعة في القرن الثالث عشر الهجري تعاني شدة الحكام، وبلغ ترقيهم لظهور المهدي المُخَلَّص منتهاه، وأصبح ادعاء المهديّة آنذاك سهلاً ميسوراً، ولا يحتاج من يرشح نفسه لذلك إلا إلى شيء من التمويه، والتليس؛ ليقنعهم بصدق دعواه. ومجرد إلقاء نظرة فيما كانوا يرددونه من أدعية يتبين مدى استعدادهم النفسي لمتابعة أي دعوة تخرج فيهم باسم المهدي؛ فمن أدعيتهم في ذلك: «اللهم طال الانتظار، وسمت بنا الفجار».

وقولهم: «اللهم اكشف هذه الغمة عن هذه الأمة، وعجل ظهوره، وإنهم يرونه بعيداً، ونراه قريباً برحمتك يا أرحم الراحمين».

إلى غير ذلك مما يصور مدى ما تعانيه الشيعة من شدة الانتظار في ذلك الزمان^(٢). يضاف إلى ذلك ما قام به رجلان من قادة الفرقة الشيعية المسماة: الشيخية، وهما الشيخ أحمد الأحسائي، والسيد كاظم الرشتي.

وهذان الرجلان مشكوك في تاريخهما؛ فلقد قاما بتهيج أشواق الناس -من خلال دروسهما- إلى ظهور المهدي، بل قد صرح الرشتي أنه موجود بين أهل عصره، بل بين تلاميذه، فكان يردد في دروسه دائماً هذه العبارة: «إن الموعد يعيش بين هؤلاء القوم، وإن ميعاد ظهوره قد قرب، فهَيِّئُوا الطريق له، وطهروا أنفسكم حتى تروا جماله، ولا يظهر لكم جماله إلا بعد أن أفارق هذا العالم؛ فعليكم بعد فراقني أن تقوموا على طلبه، ولا تستريحوا لحظة واحدة حتى تجدوه»^(٣).

ففي مثل هذه البيئة نشأت البابية خصوصاً بعدما مُهِّدَت الطريق لتلك الدعوى.

١ - انظر عقيدة ختم النبوة ص ٢٠٢.

٢ - انظر التشيع والشيعة لأحمد الكسروي تحقيق د. ناصر القفاري، ود. سلمان العودة ص ١٨، وعقيدة ختم النبوة ص ٢٠٢-٢٠٣.

٣ - انظر عقيدة ختم النبوة ص ٢٠٢ - ٢٠٣، والبهاية لإحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط ٣، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م، ص ٤٧.

ويضاف إلى ذلك ما قام به المستعمرون الذين يحرسون -كعادتهم- على تبني مثل هذه الحركات، والفرق الضالة التي تخدم مصالحهم، وتفرّق كلمة المسلمين -كما سيأتي في الفقرة التالية-.

٣. ظهور الباب: في تلك البلاد التي تعج بالفتن، وتميد بالاضطرابات ولد محمد علي بن محمد رضا الشيرازي بمدينة شيراز جنوب إيران في أول المحرم عام ١٢٣٥ في أصح الأقوال.

وقد توفي والده وهو صغير، فكفله خاله الميرزا علي الشيرازي، ولما بلغ السادسة من عمره عهد به إلى الشيخ عابد أحد تلامذة السيد كاظم الرشتي. وفي طفولته تحصل على التعليم العادي للأطفال، وكان عزوفاً عن الدرس غير أنه أطاع خاله في ذلك، فتعلم شيئاً من العربية، والنحو الفارسي، كما برع في الخط، فكان أعجوبة زمانه في حسن الخط وسرعته. ولما رأى خاله قلة رغبته في التعليم أخذه معه إلى التجارة حتى بلغ السابعة عشرة من عمره.

وفي تلك الأثناء اتصل به أحد تلامذة الرشتي الغالين في حبه، وتعاليمه وهو السيد جواد الكربلائي، وبدأ يلقي على مسامعه أفكار الشيخية -الرشتي والأحسائي- عن الغائب المنتظر المزعوم، ويوهمه بأنه يظهر في سيماء ومجابه، وأنه هو ذلك الموعود؛ فتأثر ذلك الغلام، وترك التجارة، وأكبَّ على كتب التصوف والرياضات الروحية؛ فاشتغل بفن تسخير روحانيات الكواكب، وأجهد نفسه بضروب من العبادات، والرياضات النفسية التي أثرت على قواه الجسمية والعقلية. ولما بلغ العشرين توجه إلى كربلاء، واستقر في النجف، وتلمذ على كاظم الرشتي الذي كان يشعره بأنه هو المنتظر؛ لما رأى فيه من التقشف، والاعتكاف^(١).

وقد كان في مجالس الرشتي جاسوس روسي اسمه: (كنياز دالغوركي) المتظاهر باسم الشيخ: (عيسى اللنكراني).

وكان هذا الجاسوس يبحث عن عميل يجد فيه ضالته في التفرقة بين المسلمين؛ فكان هذا الغلام هو الحائز على مراده.

وقد نشر هذا الجاسوس مذكراته باسم (مذكرات دالغوركي) في مجلة (الشرق) الروسية عام ١٩٢٤هـ بعد زوال القيصرية، فذكر فيها تلك الحوادث بالتفصيل. فكل هذه العوامل مجتمعة آلت بهذا الغلام إلى القيام بدعاواه الباطلة من ادعاء البابية والوسيلة إلى الإمام الخرافي المنتظر، وادعاء أنه عينه الإمام المنتظر، ثم تجاوز ذلك فادعى النبوة، وأن له كتاباً أفضل من القرآن اسمه (البيان) إلى أن تطور به الأمر، فادعى أن الإله قد حل فيه^(١).

أما نهايته فكانت في صبيحة الاثنين السابع والعشرين من شعبان سنة ١٢٦٦هـ بعد أن استتيب، ثم رجع إلى دعواه؛ حيث قتل في ميدان عسكري فسيح في إيران قد اكتظ بجمع غفيرة من الناس في مشهد يطول الحديث في تفصيله^(٢).

٤. عقيدة البابية: يدينون بعقائد باطلة، وأهمها على سبيل الإجمال: القول بنسخ الشريعة الإسلامية، والقول بالحلول والاتحاد، والتأويل الباطني، وإنكار جميع أمور الآخرة.

كما أن لهم قبلة، وصلاة، وزكاة، وحجاً، وشهوراً غير ما هو معروف عند المسلمين^(٣).

فهذه خلاصة موجزة عن هذه الفرقة الضالة.

١ - انظر حقيقة البابية والبهائية د. محسن عبد الحميد ص ٣٩-٤٤، وعقيدة ختم النبوة ص ٢٠٣-٢٠٤، والبابية عرض ونقد ص ٤٩-٥٦.

٢ - انظر البابية عرض ونقد ص ٩٢-٩٦، والمذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها د. عبد الرحمن عميرة، دار اللواء، ط ٥، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص ٢٤٤-٢٤٥.

٣ - انظر البابية عرض ونقد ص ١٩٥-٢٠٠ و ٢١٩ و ٢٢٢ و ٢٢٤، وعقيدة ختم النبوة ص ٢٠٨ و ٢١١.

ثانياً: البهائية

١- تعريفها: البهائية: هي البابية السابقة، غير أنها انتقلت إلى مرحلة جديدة بعد مقتل زعيم البابية، فقامت البهائية على أنقاضها على يد حسين علي المازندراني الملقب بـ: البهاء.

وقد أراد المستعمرون من خلالها إكمال فصول المسرحية التي بدأت مع البابية^(١).
 ٢. حياة مؤسسها: ولد مؤسس البهائية سنة ١٢٣٣هـ في أسرة شيعية كانت لها علاقات وطيدة مع السفارة الروسية بطهران.
 وقد تلقى منذ الصغر العلوم الشيعية والصوفية، وكان مطلعاً على كتب الباطنية، وقدامى الفلاسفة.
 وعندما ادعى محمد علي الشيرازي المهدي مال إليه بإرشاد من الملا عبدالكريم القزويني.

وقد بدأ بنشر تعاليم أستاذه في طهران.
 وكان يتبعُ لتمكين شخصيته طرقاً عديدة، فتارة يتستر بالتيق، وتارة بالزهد، وتارة باصطناع الهيبة والعظمة وذلك بعدم السماح بالدخول عليه إلا لأشخاص معدودين إلى غير ذلك مما كان يسلكه.

أما ثقافته فهي خليط من البرهمية، والبوذية، والكنفوشيوسية، والصوفية، والشيعية، والباطنية، والنصرانية، والإسلامية.
 وأكثر ما أثر به من تلك الثقافات: الثقافة الصوفية.

وكان موالياً للدول الاستعمارية -بريطانيا وروسيا- وكان بينه وبين اليهود تعاون.
 وكان يلقب بالبهاء، وإليه نسبت البهائية^(٢).

٣. مراحل دعوة البهاء: مرت دعوته بثلاث مراحل؛ كما حدث مع سلفه

١ - انظر عقيدة ختم النبوة ص ٢٢٢ .

٢ - انظر حقيقة البابية والبهائية ص ١٠٥، والبهائية نقد وتحليل ص ٨ .

الباب، غير أنه لم يدعِ البابية، وإنما ادعى أنه المسيح عيسى -عليه السلام- ثم ادعى النبوة، ثم الربوبية والألوهية^(١).

٤. تعليمات البهائية: هي مجموعة تعليمات لا تربطها فكرة موحدة؛ بل هي أخلاط من الأقوال، ومن ديانات ومذاهب شتى.

وهي تقارب تعليمات البابية إلى حد بعيد.

ومن أهم تعليماتها التي تنادي بها: وحدة الأديان، ووحدة الأوطان، ووحدة اللغة، والسلام العالمي، ومساواة الرجال بالنساء.

وهي دعاوى متأثرة بالصوفية، والماسونية، وغيرهما^(٢).

٥. عقائدهم: يعتقدون أن البهاء قد حلت فيه الألوهية، ويقولون بالتأويل الباطني، وبأن البهاء هو قبلتهم أينما توجه.

ولهم صلوات، وصوم، وزكاة، وحج، وطهارة غير ما هو معروف عند المسلمين.

وأما أمور الآخرة فيؤولونها شأنهم في ذلك شأن غلاة الباطنية، ولهم عقائد أخرى، كتحريم الجهاد، القول بالتناسخ، والحلول، والاتحاد، وغير ذلك^(٣).

٦. كتبهم: للبهائيين كتب أشهرها الإيقان والأقدس، وهي محشوة بالكذب، والجهل، والتناقض، وسوء العقائد، وضعف التركيب، وكثرة الأخطاء الفاحشة^(٤).

١ - انظر عقيدة ختم النبوة ص ٢٢٣، والبهائيون مضللون، هاشم عقيل عزوز، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ٤١-٥٢، و ٥٣-٨١.

٢ - انظر حقيقة البابية والبهائية ص ١٥٠-١٦٥، والبهائية نقد وتحليل ص ٩٣-١١٤، والبهائية من الدعوات الضالة لأنور الجندي ص ١١، وهذه هي الصوفية لعبدالرحمن الوكيل ص ٩٣، والصوفية في نظر الإسلام لعاطف الزين ص ٤٧٣.

٣ - انظر البهائية لعبدالله الحموي ص ٣٢-٣٨، والبهائية لأنور الجندي ص ١٨-٢٣، وحقيقة البابية والبهائية ص ١٢٧، والبهائية عرض ونقد ص ١٥٠ و ١٥٧-١٦٢.

٤ - انظر البهائية لمح الدين الخطيب، المكتب الإسلامي، ١٤١٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٢٧، وحقيقة البابية والبهائية ص ١١٩، وعقيدة ختم النبوة ص ٢٢٧.

٧. حكم البهائية: أفتى المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي المنعقد من ١٠-١٧ شعبان ١٣٩٨ هـ بفتوى تبين أن البهائية دين جديد مخترع قام على أساس البابية، وأنهما خارجتان عن شريعة الإسلام، وأن اعتناقهما كفر بواح^(١). فهذه بُدِّ عن البابية والبهائية اللتين كان للشيخ الخضر معهما مواجهات، ومواقف كما سيتبين فيما يلي:

مواجهة الشيخ الخضر للبابية والبهائية

لقد كانت البهائية في عصر الشيخ الخضر قائمةً على أشدها، وكان الدعاة إليها يحرصون على نشرها في أوساط العامة والشباب. وكان الشيخ الخضر يَرُقُب هذا الوضع، وتَرَدُّ إليه الأسئلة، والاستفتاءات في هذا الشأن؛ فكان يجيب عما يَرُدُّ إليه من أسئلة، وكان يبين حقيقة البابية والبهائية، ومصادِرهما وجذورهما التاريخيّة، ويحذر من الدخول في تلك الدعوة، ويقرر أن هاتين النحلّتين خارجتان عن الإسلام. وأجلى جهوده في ذلك الشأن رسالته الموسومة (البابية والبهائية) والتي نشرت في كتاب (رسائل الإصلاح) الطبعة الأولى منه. ثم أحققها الأستاذ علي الرضا الحسيني بموسوعة الأعمال الكاملة، وأدجها مع القاديانية في رسالة واحدة تحت عنوان (القاديانية والبابية والبهائية)^(٢). كما أن له كلاماً متفرقاً في تضاعيف كتبه وردوده وعلى وجه الخصوص ما يتعلق منها بالقرآن وتأويله، كما في كتابه (بلاغة القرآن) الذي سيأتي إحالة إليه في هذا البحث. وفيما يلي إيضاح لجهوده، ومنهجه في مواجهته البابية والبهائية وذلك من خلال المطالبين التاليين:

١ - قرارات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي من دورته الأولى حتى الثامنة ص ٤٠، وانظر مجلة البحوث الفقهيّة المعاصرة عدد ١١ ص ١٧١-١٧٢.
٢ - انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٩/٤٤٧٤-٤٤٩٤.

المطلب الأول: تعريفه بهم، وبأصولهم

أولاً: يقرر أن البهائية نسبة إلى بهاء الله، لُقّب به ميرزا حسين علي، وهو الزعيم الثاني للمذهب التي تتولاه الطائفة المسماة بالبهائية. وأنها تسمى -أيضاً- البائية، نسبة إلى الباب، وهو لقب ميرزا علي محمد الذي ابتدع هذه النحلة.

ويذكر نبذة عن الباب علي محمد، فيتحدث عن نشأته، وتعلمه، وأنه لما بلغ الخامسة والعشرين ادعى المهديّة، فصار له أتباع، فعقد له بعض الولاة مجالس للمناظرة، فرأى بعضهم ما في أقواله من غواية وخروج عن الدين، فأفتى بكفره. ورأى آخرون ما فيها من لغو، وسخافة، فنسبوه إلى الجنون، واختلال الفكر. ويوضح الشيخ الخضر أن الباب اعتقل، وأن الحكومة الإيرانية في عهد الملك ناصر الدين شاه ساقته إلى تبريز.

وأنه قد ثارت بين أشياعه وبين المسلمين فتن، وحروب سفكت فيها الدماء، وكان عاقبته أن أعدمته الحكومة في تبريز صلباً عام ١٢٦٥هـ^(١).

ثانياً: يقرر الشيخ الخضر أنه بعد قتل الباب وقعت فترة كان أتباعه فيها على اختلاف في شأن من ينوب عنه، وأنه قد قامت منهم محاولات لاغتيال الملك ناصر الدين؛ انتقاماً لزعيمهم، فخاب سعيهم، وأخذت الحكومة تتقصى أثر البايين، وتسوق زعماءهم إلى مجالس التحقيق، وأن الميرزا حسين علي الذي لقبوه بعد بـ: بهاء الله من شيعة الباب، ودعاة نخلته، وأنه قد قبض عليه، وسجن في طهران بضعة أشهر، ثم أبعده إلى بغداد سنة ١٢٦٩هـ.

وهناك اجتمعوا حوله، فقام يدعو إلى نفسه، ويزعم أنه هو المزعوم الموعود به، الذي أخبر عنه الباب؛ فقبل دعوته أكثر البايين، وتسموا حينئذ بالبهائيين. وممن رفض دعوته أخوه يحيى الملقب بـ: صبح أزل.

ويقرر الشيخ أن الحكومة العثمانية أمرت بإبعاد الفريقين من (أدرنه) فنفت الميرزا يحيى وأتباعه إلى قبرص، ونفت البهاء وأتباعه إلى عكة بفلسطين، فبقي البهاء بعكة إلى أن هلك عام ١٣٠٩هـ، فتولى رئاسة الطائفة ابن عباس الذي لقبوه ب: عبدالبهاء. وأن عبدالبهاء هذا أخذ يدعو إلى المذهب، ويتصرف فيه كما يشاء؛ فلم يرض عن صنيعه هذا أصحاب البهاء؛ فانشقوا عنه، والتفوا حول أخيه الميرزا عليه، وألفوا كتباً بالفارسية والعربية، وطبعوها في الهند يطعنون بها في سيرة عباس، ويصفونه بالمروق من دين البهاء^(١).

ثالثاً: إثباته علاقة البابية والبهاية بالباطنية: فالشيخ يقرر أن «ليست البهاية بالنحلة المحدثه التي لم يتقدم لها في النحل المارقة من الإسلام ما يشابهها، أو تتخذها أصلاً تبني عليه مزاعمها، وإنما هي وليدة من ولائد الباطنية، تغذت من ديانات وآراء فلسفية ونزعات سياسية، ثم اخترعت لنفسها صوراً من الباطل، وخرجت تزعم أنها وحي سماوي»^(٢).

ثم يسوق بِسْمِ اللَّهِ نبذة في مذهب الباطنية، فيقرر أن دعوتها تقوم على إبطال الشريعة الإسلامية، وأن أصل نشأتها بتأويل الشرائع على وجوه تعود إلى قواعد أسلافهم، وأنهم رأوا أن لا سبيل إلى دفع المسلمين بالسيف؛ لغلبتهم، ولكن بالاحتيال عليهم بتأويل الشرائع إلى ما يعود إلى قواعدهم؛ فيستدرجوا بذلك الصنيع الضعفاء منهم بما يوجب اضطرابهم واختلافهم.

ثم يقرر الخطة التي رسموها للتمكين للمذهب الباطني، ويذكر صنيع علماء الإسلام في التصدي لهم كأبي حامد الغزالي في كتابه المسمى (حجة الحق) الذي ألفه بالفارسية، وكتاب (فضائح الباطنية).

وكذلك أبو بكر بن العربي في كتابه (القواصم والعواصم) وابن تيمية في رده

١ - انظر المرجع السابق ص ٦٩-٧٠.

٢ - المرجع السابق ص ٧١.

على بعض فرقهم^(١) .^(٢)

وبعد أن عرّف بالباطنية، وقرأ بعض كتب البائية والبهائية «وجد روح الباطنية حلت في جسم ميرزا علي، وميرزا حسن علي؛ فخرجت باسم البائية والبهائية»^(٣).
ثم شرع ﷺ في عقد مقارنة بين الباطنية من جهة، وبين البائية والبهائية من جهة أخرى.

ومن أقواله التي قرر فيها أوجه الشبه بين هؤلاء وهؤلاء ما يلي:

١. قوله: «الباطنية يستدلون بكلام النبوة، ويحرفون كلم القرآن والحديث عن مواضعه؛ كما فسروا حج البيت العتيق بزيارة شيوخهم، والبائية أو البهائية يستدلون بالقرآن والحديث، ويذهبون في تأويلهما إلى مثل هذا الهذيان نفسه.

ولميرزا علي المسمى بـ (الباب) تفسير لسورة يوسف مشى فيه على هذا النمط، فقال في قوله -تعالى-: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ يوسف: ٤: (المراد من يوسف: حسين بن علي، والمراد بالشمس: فاطمة، والقمر: محمد، وبالنجوم: أئمة الحق، فهم الذين سيكون على يوسف سجداً!)^(٤).

وساق بعد ذلك عدة أمثلة على نحو هذا التأويل الباطني الباطل، ثم قال بعد ذلك: «لهج البائية والبهائية مقننين أثر إخوانهم الباطنية بهذا النوع من التأويل؛ ليدخلوا منه إلى العبث في تفسير القرآن والحديث، وصرّفهما عما يراد بهما من حكمة وهداية»^(٥).

٢. قوله عن أبي الفضل الجردفاني أحد دعاة البهائية: «يزعم هذا الإيراني أن

١ - كما في كثير من كتبه، ومنها: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد، تحقيق د. موسى بن سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢ - انظر المرجع السابق ص ٧١-٧٢.

٣ - المرجع السابق ص ٧٤، وانظر تأكيد كلامه، وتفصيل ذلك في: البهائية تاريخها، وعقيدتها، وصلتها بالباطنية الصهيونية، للشيخ عبدالرحمن الوكيل، مطبعة المدني، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

٤ - المرجع السابق ص ٧٤.

٥ - المرجع السابق ص ٧٥.

الرسول ينطق ببعض المبادئ العلمية مجازة لقومه، وهي في الواقع غير صحيحة. وهذه جهالة غيبية، وجراءة غوي، والرسول -عليه الصلاة والسلام- وإن لم يُبعث لتقرير المسائل العلمية التي تدركها عقول البشرية بسهولة، أو بعد جهد؛ كالطبيعيات والرياضيات لا يتحدث عن شيء منها حديث من يصدق بها إلا أن تكون صواباً، ودعوى أن لها رموزاً إنما اخترعها الإيراني وأمثاله؛ ليستروا بها وجه جحودهم، والبرقع الشفاف لا يحجب ما وراءه»^(١).

٣. قوله مبيناً أن الباطنية الذي استقى منهم البهائية قد استقوا من اليهود من قبل: «ولم يكن تأويل البهائية وأسلافهم الباطنية لنصوص الشريعة على هذا الوجه الناقض لأصولها بشيء ابتدعه من أنفسهم ابتداءً، وإنما هو صنع عملوا فيه على شاكلة طائفة من فلاسفة اليهود من قبل؛ فإننا نقرأ في ترجمة (فيلون) الفيلسوف اليهودي المولود ما بين عشرين وثلاثين قبل ميلاد المسيح أنه ألف كتاباً في تأويل التوراة ذاهباً إلى أن كثيراً مما فيها رموز إلى أشياء غير ظاهرة.

ويقول الكاتبون في تاريخ الفلسفة: إن هذا التأويل الرمزي كان موجوداً معروفاً عند أدباء اليهود بالإسكندرية قبل زمان (فيلون) ويذكرون أمثلة تأويلهم أنهم فسروا آدم بالعقل، والجنة برياسة النفس وإبراهيم بالفضيلة الناتجة من العلم، وإسحاق عندهم هو الفضيلة الغريزية، ويعقوب هو الفضيلة الحاصلة من التمرين، إلى أمثال هذا من التأويل الذي لا يحوم عليه إلا الجاحدون المراؤون، ولا يقبله منهم إلا قوم هم عن مواقع الحكمة ودلائل الحق غافلون»^(٢).

٤. قوله مبيناً وجه الشبه بينهما في ادعاء النبوة: «في الباطنية من يدعي أنه نبي، أو يعتقد في آخر أنه نبي يوحى إليه، وميرزا علي الملقب (بالباب) يدعي أنه رسول من الله؛ ووضع كتاباً ادعى أن ما فيه شريعة منزلة، وسماه: (البيان) وقال في رسالة

١ - المرجع السابق ص ٧٧ .

٢ - المرجع السابق ص ٧٧-٧٨ .

بعث بها إلى الشيخ محمود الألوسي صاحب التفسير المشهور المسمى: (روح المعاني) يدعوه فيها إلى مذهبه: (إنني أنا عبد الله قد بعثني الله بالهدى من عنده).
وسمى في هذه الرسالة مذهبه: دين الله، فقال: (ومن لم يدخل في دين الله، مثله كمثل الذين لم يدخلوا في الإسلام!)»^(١).

٥. قوله -أيضاً- في ذكر بعض أوجه الشبه: «ومن الباطنية من منع العوام من مدارس العلوم، والخواص من النظر في الكتب المتقدمة؛ حتى يبقوا في عماية، وهو الحسن بن محمد الصباح.

ونجد ميرزا علي المسمى: الباب قد حرم في كتابه (البيان) التعلم، وقراءة كتب غير كتبه؛ فكان كل من يؤمن بالباب يحرق القرآن الكريم وما وقع في يده من كتب العلم. ولكن الميرزا حسين المسمى: (بهاء الله) أدرك ما في هذا التحجير من خطأ مكشوف، وأنه مما يصرف عنهم ذوي العقول النابهة، فأتى في كتابه الذي سماه: (الأقدس) بما ينسخه، فقال: (قد عفا الله عنكم ما نزل في (البيان) من محو الكتب، وأذناكم بأن تقرؤوا من العلوم ما ينفعكم)»^(٢).

٦. قوله مبيناً وجه الشبه بينهما في مسألة الحلول: «في الباطنية من يدعي حلول الإله في بعض الأشخاص -كما قال القرامطة بالهية محمد بن إسماعيل بن جعفر- وهذه الدعوى -أعني دعوى الحلول- تظهر في بعض مقالات البهائية»^(٣).

ثم ضرب لهذا أمثلة، ومنها قوله: «قال عباس الملقب بـ: (عبد البهاء) (وقد أخبرنا بهاء الله بأن مجيء رب الجنود، والأب الأزلي، ومخلص العالم الذي لا بد منه في آخر الزمان، كما أنذر جميع الأنبياء، عبارة عن تجليه في الهيكل البشري، كما تجلى في هيكل عيسى الناصري، إلا أن تجليه في هذه المرة أتم وأكمل وأبهى،

١ - المرجع السابق ص ٧٨-٧٩.

٢ - المرجع السابق ص ٨٠.

٣ - المرجع السابق ص ٨٠.

فيعسى وغيره من الأنبياء هيؤوا الأفتدة والقلوب لاستعداد هذا التجلي الأعظم). يريد بهذا: أن الله تجلى فيه بأعظم من تجليه في أجسام الأنبياء على ما يزعم»^(١).
٧. قوله في معرض رده على الدمهوري: «وها هي تلك الفرقة البهائية قامت منذ عهد غير بعيد تتبع خطأ الباطنية: تجهد نفسها إجهادهم، وتهذي في تأويل كتاب الله هذيانهم.

وقد تسنى لها أن تستهوي بعض النفوس الغافلة أيام كان دعواتها يراؤون الناس، ويضعون على ألسنتهم مسحة من الدين الحنيف.

أما اليوم، فقد غرهم الغرور، فأعلنوا نحلتهم، وجعلوا الناس على بينة من باطن أمرهم، فما لهم بعد هذه العلانية إلا أن يُنقض بناؤهم، ويحذر المسلمون أينما كانوا حبايل دعواتهم»^(٢).

رابعا: يرى أن البهائية أخلاط من عدة مذاهب: حيث قرر -كما مضى- وجه مشابتهم للباطنية، ويقول في موضع آخر مبيّنا وجه مشابتهم للفلاسفة: «وقلّد البهائية الفلاسفة فيما يدعونه من قديم العالم، ففي كتاب (بهاء الله والعصر الجديد): (علم بهاء الله أن الكون بلا مبدأ زمني، فهو صادر أبدي من العلة الأولى، وكان الخلق دائما مع خالقه، وهو دائما معهم)»^(٣).

وقال في خاتمة حديث عن أصل مذهبهم: «وملخص القول في البابية والبهائية: أنه مذهب مصنوع من ديانات ونحل وآراء فلسفية، قال صاحب كتاب (مفتاح باب الأبواب) يصف البايين: (لهم دين خاص مزيج من أخلاط الديانات البوذية، والبرهمية الوثنية، والزرادشتية، واليهودية، والمسيحية، والإسلامية، ومن اعتقادات الصوفية، والباطنية)»^(٤).

١ - المرجع السابق ص ٨٠ .

٢ - بلاغة القرآن ص ١٤٤ .

٣ - المرجع السابق ص ٨١ .

٤ - المرجع السابق ص ٨٢ .

إلى أن قال: «وما زالت البهائية مذهباً قائماً على أطلال الباطنية يحمل في سريره القصد إلى هدم الإسلام بمعول التأويل، ودعوى الرسالة والوحي بشريعة ناسخة لأحكامه، حتى جاء عباس عبد البهاء إلى هذا المذهب المصنوع، وأراد أن يكسوه ثوباً جديداً؛ فخلطه بآراء التقطها مما يتحدث به بعض الناس على أنها من مقتضيات المدنية، أو مما اكتشفه العلم حديثاً، نحو: التساوي بين الرجال والنساء^(١) في التعليم، ونزع السلاح، واتفاق الأمم على لغة واحدة^(٢) تدرس في العالم كله، وتأسيس محكمة عمومية تحل مشاكل الأمم، وأن الإنسان تدرج بالارتقاء من أبسط الأنواع حتى وصل إلى شكله الحالي (نظرية داروين) ولهجوا بعد هذا بكلمة نشر السلام العام^(٣)، ونبذ التعصبات الدينية^(٤)»^(٥).

-
- ١ - تريد من هذه الدعوة السير على طريق البابية التي خلصت إلى الإباحية المطلقة، وتحطيم البقية الباقية من الأخلاق. انظر البهائية نقد وتحليل إحسان إلهي ظهير ص ٩٣-١١٤ .
 - ٢ - يعنون بها: الدعوة إلى وحدة اللغة التي تؤدي بزعمهم- إلى التفاهم المشترك، وقد ربطوها بمجيء طاغوتهم الميرزا حسين، وقالوا: تتحقق ببركة ظهوره.
 - ولا أحد يشك ببطلان هذه الفكرة؛ فوحدة اللغة ليست هي التي تجمع الناس أو تفرقهم. انظر المرجع السابق وحقيقة البابية والبهائية ص ١٥٠-١٦٥، والبهائية من الدعوات الضالة لأنور الجندي ص ١١ .
 - ٣ - ويهدفون من وراء ذلك إلى تعطيل فريضة الجهاد، وإلى الذل للمستعمر. انظر المرجع السابق .
 - ٤ - ويهدفون من خلالها إلى وحدة الأديان المعروفة عند الصوفية، وعند الماسونية، وهي الدعوة إلى دين واحد، وهو دين الحب على حد زعمهم. انظر المرجع السابق، وهذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل ص ٩٦ .
 - ٥ - القاديانية والبابية والبهائية ص ٨٢-٨٣ .

المطلب الثاني: دراسته لتعاليمهم، وعقائدهم، وعدائهم للمسلمين

أولاً: تطرقه لمزاعمهم في نسخ شريعة الإسلام: يقول ﷺ في ذلك: «يدعي الباب الرسالة، ويزعم أن شريعته ناسخة للشريعة الإسلامية؛ فابتدع لأتباعه أحكاماً خالف بها أحكام الإسلام وقواعده»^(١).

ثم يشرع بعد ذلك في ذكر أمثلة على ذلك بالصوم، والصلاة، والقبلة، والحج، فيذكر ما قرره الباب لأتباعه في الصوم، فيقول: «فجعل الصوم تسعة عشر يوماً من شروق الشمس إلى غروبها.

وعين لهذه الأيام وقت الاعتدال الربيعي؛ بحيث يكون عيد الفطر عندهم يوم النيروز على الدوام، وفي كتابه (البيان): (أيام معدودات، وقد جعلنا النيروز عيداً لكم بعد إكمالها)»^(٢).

وقال عن صلاتهم: «وجعل ميرزا حسين الملقب بهاء الله الصلاة تسع ركعات في اليوم واللييلة، وكان عبد الله بن الخراب الكندي الذي اعتقد إلهيته كثيراً من أشباه الناس قد جعلها تسع عشرة صلاة في اليوم واللييلة»^(٣).

وقال عن قبلتهم: «وقبله البهائيين في صلاتهم التوجه أين يكون ميرزا حسين المسمى: بهاء الله، فإنه يقول لهم: (إذا أردتم الصلاة، فولوا وجوهكم شطري الأقدس!)».

وقال ابنه عباس: (يلزمننا التوجه إلى مركز معلوم، وهو مظهر الله).

ومظهر الله في زعمهم هو هذا المسمى: بهاء الله»^(٤).

وقال عن حجهم: «أما الحج فقد أبطله البهاء، وأوصى بهدم بيت الله الحرام عند ظهور رجل مقتدر من أشياعه»^(٥).

١ - المرجع السابق ص ٧٩.

٢ - المرجع السابق ص ٧٩.

٣ - المرجع السابق ص ٧٩.

٤ - المرجع السابق ص ٧٩.

٥ - المرجع السابق ص ٧٩.

ثانياً: تعرضه لاعتقادهم في الحشر، والجنة، والنار: فقد سئل عن ذلك سؤالاً، فأجاب بقوله: «لا يؤمن البهائيون بالبعث، ولا بالجنة والنار، ويفسرون يوم الجزاء ويوم القيامة بمجيء ميرزا حسين الملقب بهاء الله، قال في كتاب (بهاء الله والعصر الجديد): (وطبقاً للتفسير البهائية يكون مجيء كل مظهر إلهي عبارة عن يوم الجزاء، إلا أن مجيء المظهر الأعظم بهاء الله هو يوم الجزاء الأعظم للدورة الدنيوية التي نعيش فيها).

وقال: (ليس يوم القيامة أحد الأيام العادية، بل هو يوم يتدئ بظهور المظهر، ويبقى ببقاء الدورة العالمية).

هذا ما يفسرون به يوم الجزاء ويوم القيامة، ويفسرون الجنة بالحياة الروحانية، والنار بالموت الروحاني، قال في هذا الكتاب: (إن الجنة والنار في الكتب المقدسة حقائق مرموزة) فعندهما -أي: البهاء وابنه عباس- الجنة هي حالة الكمال، والنار حالة النقص، فالجنة هي الحياة الروحانية، والنار هي الموت الروحاني»^(١).

ثم بين بعد ذلك أن هذا الاعتقاد هو اعتقاد الباطنية، وذلك من خلال نقله كلاماً في هذا السياق لأبي حامد الغزالي مفاده أن الباطنية يرون أن كل ما ورد من الظواهر من التكليف، والحشر، والأمور الإلهية فكلها أمثلة ورموز إلى بواطن^(٢).

ثالثاً: تعرضه لاعتقادهم بنبوته محمد ﷺ: حيث سئل عن ذلك فأجاب بقوله: «مخالفة البهائيين لما جاء به رسول الله ﷺ من معتقدات وأحكام، وتهجمهم على تأويل القرآن والحديث بمثل ما نقلناه عن زعمائهم - شاهد على أن قلوبهم جاحدة لرسالته، وإذا تحدثوا عنه في بعض كتبهم متظاهرين بتصديق نبوته فما هم إلا كسائر الأفراد أو الطوائف الذين يعملون لهدم الإسلام تحت ستار»^(٣).

ثم ساق أقوالاً لزعيمهم الأول يدعي فيها أنه أفضل من رسول الله ﷺ.

١ - المرجع السابق ص ٨٤-٨٥.

٢ - المرجع السابق ص ٨٥.

٣ - المرجع السابق ص ٨٥.

قال الشيخ الخضر: «ومن خبال زعيمهم الأول: دعواه في تفسيره لسورة يوسف أنه أفضل من رسول الله ﷺ وعلل هذا الكلام بما لا يفهمه إلا من يفهم لغة المبرسمين^(١)؛ إذ قال: (لأن مقامه (الباب) هو مقام النقطة، ومقام النبي ﷺ مقام الألف).

وقال: (كما أن محمداً أفضل من عيسى، فكتابه (البيان) أفضل من القرآن).

وقال: (إن أمر الله في حقي أعجب من أمر محمد رسول الله من قبل لو أنتم فيه تتفكرون!!)^(٢).

ثم عقب الشيخ الخضر على هذا الهراء بقوله: «ولسنا في حاجة إلى الرد عليه في دعوى أنه أفضل من رسول الله ﷺ ولا في دعوى أن كتابه (البيان) أفضل من القرآن؛ فعامة المسلمين كخاصتهم يعلمون أن هذه الدعوى من صنف الدعاوي التي تنادي على نفسها بالزور والبهذيان.

وأولو العقول من غير المسلمين يعرفون عظمة محمد بن عبد الله ﷺ، وما بثه في العالم من إصلاح؛ فمن يدّعي أنه مثل محمد، أو أنه أتى بكتاب يحاكي القرآن - كان في حاجة إلى علاج يعيد عليه شيئاً من رشده، ويجعله على بصيرة من نفسه»^(٣).

رابعاً: بيانه عداؤهم للإسلام والمسلمين: قال ﷺ في معرض حديثه عن البهائية: قارنا بين أمرهم بأمر الباطنية من ناحية العداوة للمسلمين: «يذكر الشيخ ابن تيمية: أن الباطنية (هم دائماً مع كل عدو للمسلمين).

وقال: (إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام، وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك الإسلام إلا بمعاونتهم)^(٤).

ثم عقب ذلك بقوله: «وكذا نجد في البابية تحيزاً إلى أعداء المسلمين، وانظروا إلى

١ - المبرسمون: جمع مبرّسَم، وهو من أصابه البرسام، وهو التهاب في الغشاء المحيط بالرئة. يعني: كأنه أصيب بمرض أوجب له الاختلاط. انظر المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، قام بإخراج هذه الطبعة د. إبراهيم أنيس زملاؤه، عني بها عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، مطابع قطر الوطنية على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر ٤٩/١.

٢ - القاديانية والبهائية ص ٨٥-٨٦.

٣ - المرجع السابق ص ٨٦.

٤ - المرجع السابق ص ٨٣-٨٤، وانظر منهاج السنة لابن تيمية ٤/٥٩٢-٥٩٣ و٦/٦٤ و٣٧٤.

عباس عبد البهاء كيف يتحيز إلى اليهود، ويبشر بأن فلسطين ستصير وطناً لهم. فقال: (سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة، وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة). وقال: (تأتي طوائف اليهود إلى الأرض المقدسة، ويزدادون تدريجاً إلى أن تصير جميعاً وطناً لهم).

فالبهائية شأنهم شأن الباطنية في بغض الإسلام، وموالاته خصومه، ولنا الأمل الوثيق في أن العرب وسائر المسلمين من ورائهم سيقفون في وجه الاستعمار الصهيوني، والدعاية البهائية التي تظاهرها وتسعدها، حتى تبقى فلسطين وطناً عربياً إسلامياً، على الرغم من عبد البهاء والبهائيين»^(١).

خامساً: تحذيره منهم وبيانه الواجب نحوهم: فقد كان الشيخ الخضر شديد التحذير من هذه الطائفة، شديد الحرص على بيان خطرهما على الإسلام والمسلمين. ومن ذلك ما جاء في مقال له عنوانه (العلماء والإصلاح) متحدثاً عن واجب أهل العلم تجاه المبادئ والأفكار الهدامة، وبيان سبب ضعف شأن الإسلام في النفوس: «ينظر أهل العلم بعين الاحتراس إلى كل من يدعو إلى مذهب باسم الدين، ويتخذون الوسائل إلى الاطلاع على حقيقة قصده.

ومن أسباب وهن جبل الإسلام، وتقطع أوصاله: مذاهب يتدعها ملاحدة يمكرون، أو جهال لا يفقهون»^(٢).

ثم يعرج على مذهب البهائية فيقول: «أفلم يكن المذهب البهائي يعمل لهدم قواعد الإسلام، واستهواء أبنائه من خلف ستار؟! وقد أحس بعض أتباعه اليوم بقوة، فصاروا يخطبون على منابر النوادي، ويجهرون بشيء من مزاعمه، وعرف بعض خصوم الإسلام قصدهم، فقاموا يشدون أزرهم، ويرددون الثناء على مذهبهم.

١ - القاديانية والبهائية ص ٨٤.

٢ - رسائل الإصلاح ص ١١٧.

نحن نعلم أن في كل أمة فئة يفتحون صدورهم لقبول كل دعوة توافق أهواءهم، أو تأتيهم في طلاء يلائم أذواقهم».

إلى أن يقول: «ولكن نهوض العلماء بعزم وحكمة إن لم يسحق آراء هذه الفئة سحفاً فإنه يكشف عما فيها من سوء؛ فلا يسكن إليها إلا من هم إلى الحيوان الأعجم أقرب منهم إلى الإنسان.

يرقب أهل العلم كل حركة تقوم بها جماعة من الأمة، فينقدونها بالنظر الخالص، ويصدعون فيها بآرائهم مدعومة بالأدلة المقنعة، ولا تعد هذه المراقبة وهذا النقد خارجين عن خطة العالم الإسلامي، بل هما واجبان في عنقه، كواجب التعليم والإفتاء»^(١).

وعندما سئل عن الواجب عمله لإحباط مساعي البهائين حتى لا يقع أحد في شركهم أجاب إجابة بيّن من خلالها أثر التعليم الديني، وأنه لو كان ملزماً ما بلغ هؤلاء ما بلغوا، قال: «لو كان التعليم الديني في الشعوب الإسلامية إلزامياً ومقرراً في جميع مدارسها لم يجد أشباه الباطنية إلى إزاحة قلب الفتى المسلم طريقاً.

وترك كثير من أبنائنا لا يعرفون من الإسلام إلا أسماء، أو لا يلقنون إلا مبادئ مقطوعة عن حججها العقلية أو النقلية - قد يسرّ لأمثال البهائية أن ينصبوا حباثلهم بين المسلمين، ويصطادوا من النفوس الجاهلة قليلاً أو كثيراً»^(٢).

ثم أبان عن الأمور التي ساعدت على نشر البهائية فقال: «ولا ننسى أن الذي ساعد البهائية على أن تستهوي فريقاً من المسلمين تظاهرها بأنها فرقة إسلامية، واحتجابها بالقرآن والحديث، وكتّمها بعض معتقداتها المنكرة على البداة، وعدم انتشار كتبها؛ فكثير من أهل العلم لم تصل إليهم كتب هذه الطائفة حتى يستبينوا منها حقيقة نحلّتهم، ويجذروا الناس من الوقوع في شركهم.

١ - المرجع السابق ص ١١٧-١١٨.

٢ - القاديانية والبهائية ص ٨٧-٨٨.

أما اليوم، فقد أخذهم الغرور، وصاروا يذيعون شيئاً من أسرار نخلتهم على المنابر وعلى صفحات الجرائد، ويتحدثون عنها في مؤلفات تطبع وتعرض على الناس في المكاتب، فهي بما تحمله من مقالات ملفقة ودعاوي غير معقولة قد بحثت عن حثفها بظلفها»^(١).

ثم بين أن تلك الترهات لا تنطلي على من عنده أدنى بصيرة، وأن أهل العلم سيقفون لهؤلاء بالمرصاد، فقال: «فلا نخشى على من له نباهة أو فطرة سليمة أن يعتقد بنبوّة ميرزا حسين، أو عباس عبد البهاء، ولا نخشى على من وصل إلى نفسه أثر من هداية الإسلام أن يتبدل بها مزاعم أبي الفضل الإيراني. وإذا جاز أن يكون في طبقة العامة أو أشباههم من لا يتنبه لما في البهائية من كيد للإسلام، وإغواء عن شريعته الغراء، فإن العلماء والوعاظ -أينما كانوا- سيكشفون للناس عن بطانة هذا المذهب؛ ليحترسوا من دعايته، ويحذروا أن يمسه شيء من نزعاته»^(٢).

إلى أن قال: «وقد علم طائفة من دعاة الإباحية والخروج على الدين ما ينطوي عليه هذا المذهب من مناوأة للدين الحق، فقاموا يظاهرونه في النوادي والصحف، ويزينونه في أعين الناس؛ ظناً منهم أن علماء الإسلام ما زالوا عن سريرة هذا المذهب غافلين»^(٣).
فهذه أهم معالم مواجهته للبايية والبهائية، وأنت ترى أنه لم يُعَنَّ كثيراً في تنفيذ شبههم؛ لأنه يرى أن تلك الدعاوى لا تحتاج إلى جهد كبير لتنفيذها بقدر ما تحتاج إلى عرضها، وبيان حقيقتها؛ فإذا حصل ذلك كان داعياً لردّها؛ لأنها تنادي بنفسها على فسادها.

١ - المرجع السابق ص ٨٨.

٢ - المرجع السابق ص ٨٨.

٣ - المرجع السابق ص ٨٨.

المبحث الثاني: مواجهته لفرقة القاديانية

مدخل: نبذة في القاديانية

١. تعريفها وسبب تسميتها: هي فرقة كافرة، ونحلة هدامة ظهرت في أوائل القرن الرابع عشر الهجري في قاديان من أرض الهند على يد رجلٍ اسمه: ميرزا غلام أحمد القادياني، وقد اتخذت الإسلام شعاراً لستر أغراضها الخبيثة، وعقائدها الفاسدة^(١). وسموا بذلك نسبة إلى بلدٍ منْ ظهرت على يديه، ويسمون -أيضاً- الأحمديّة.
 ٢. نشأتها: نشأت على عين الاستعمار الإنجليزي الذي كان يحْتَلُّ الهند، ويريد التمكين لنفسه فيها، ووأد كلَّ حركة جهادية تقاومه؛ حيث وجد ضالته في شخص القادياني المضطرب الأفكار والعقيدة، الطامح إلى تأسيس ديانة جديدة، وتكوين مجد وتاريخ له؛ فاتخذوه وكيلاً لهم يعمل لمصلحتهم بين المسلمين^(٢).
 ٣. أسباب قيامها: أ. طبيعة بلاد الهند التي يحيم عليها الجهل، والفقر، والخرافة، وكثرة الأديان. ب. احتضان الإنجليز لها. ج. شخصية القادياني الشاذة.
 ٤. حياة مؤسسها: القادياني فارسي الأصل؛ حيث رحل أبأؤه إلى منطقة البنجاب من أرض الهند، وبنوا بها قرية سموها: إسلام بور، وتعرف الآن ب: قاديان. وقد ولد عام ١٢٥٦هـ، ودرس في صغره عدة علوم منها: الصرف، والنحو، وبعض الكتب العربية، والفارسية، والطب، والعرافة، ولكنه لم يفلح في دراسة علوم الشريعة.
- وكان بعض أساتذته أفيونيين وحشاشين كما ذكر ابنه وخليفته في خطابه المنشور في جريدة الفضل ٥/فبراير ١٩٢٩م.

١ - انظر القاديانية لإحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط١٦، ١٤٠٤هـ -

١٩٨٣م ص ١-١٨، وعقيدة ختم النبوة ص ٢١٢، والمذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص ٢٧٥.

٢ - انظر القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام لأبي الحسن الندوي ص ٥.

ودرس الكتب البدائية في الإنجليزية في سيا لكوت. وقد بدأ حياته في التقشف والزهادة، وعندما تبوأ الزعامة الدينية اتسع له العيش، وأغدقت عليه الأموال؛ فصار يعيش في بذخ ونعيم وطيش^(١). ولم تكن شخصية القادياني لتؤهله لقيادة أقل الجماعات الدينية لما كان عليه من بذاءة اللسان، وسوء الأخلاق، والبلادة، والجبن - كما يقول مترجموه^(٢).

٥. دعاواه: تدرج القادياني في دعوته؛ حيث بدأ دعوته محامياً عن الإسلام، راداً على النصارى، والهندوس، ثم تطورت به الحال إلى ادعاء النبوة والرسالة، وآل به الأمر إلى ادعاء الألوهية.

وقد اضطرت أحواله وأقواله في ذلك؛ فادعى أنه مجدد، ومحدّث، ومهدي. وادعى أنه عيسى بن مريم - عليه السلام - وأنه ظلُّ محمد ﷺ بل ادعى أنه خير منه. وادعى - كذلك - أنه آدم، وإبراهيم، وأخيراً ظهر برؤيا رأى فيها نفسه كأنه الله - عز وجل - فأعاد خلق السماء والأرض^(٣).

٦. نهايته: عندما ادعى تلك الدعاوى الباطلة وقف له الغيورون من العلماء، وعلى رأسهم شيخ العلماء ثناء الله الأمر تسري؛ حيث جرى بينه وبين القادياني مناظرات ومناقشات، فكان الانتصار حليف الشيخ ثناء الله.

وكتب المتنبي الدجال في ٥ / إبريل ١٩٠٧م يستفتح، ويدعو الله أن يقبض الكذاب في حياة صاحبه، ويسلط عليه مثل داء الطاعون يكون فيه حتفه^(٤).

«و فعلاً قبلت دعوته هذه، وقضى بينه وبين ثناء الله بالحق، وبعد ثلاثة عشر شهراً وعشرة أيام بالضبط جاء قضاء الله وقدره بصورة بشعة كان يتمناها للشيخ الجليل ثناء الله»^(٥).

١ - انظر القاديانية لظهير ص ١٢٤-١٢٨، وعقيدة ختم النبوة ص ٢٤٢-٢٤٦.

٢ - انظر القاديانية لظهير ص ١٢٩.

٣ - انظر عقيدة ختم النبوة ص ١٤٦.

٤ - الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٤٨.

٥ - القاديانية لظهير ص ١٥٧.

- وهكذا وافاه الأجل في العاشرة والنصف صباحاً بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٠٨ م. وبقي الشيخ ثناء الله حياً بعد موت القادياني قريباً من أربعين سنة^(١).
٧. عقائد القاديانية: يدين القاديانيون بعقائد كثيرة باطلة، ومنها: اعتقادهم أن الله يصوم، ويصلي، ويصحو، ويصيب، ويخطئ، ولا يؤمنون بعقيدة ختم النبوة، ويرون أن القادياني أفضل من جميع الأنبياء والرسل، وأن جبريل كان ينزل على القادياني، وأنهم أصحاب دين مستقل، وأن قاديان أفضل من مكة والمدينة. ويعتقدون أن الحج المفروض هو الحضور في المؤتمر السنوي في القاديان، ويرون الولاء المطلق للاستعمار الإنجليزي، ويحرمون الجهاد ضد الإنجليز. ويعتقدون أن كتابهم منزل، واسمه (الكتاب المبين) وهو غير القرآن^(٢).
٨. انتشارهم: ينتشرون في الهند، والباكستان، وقليل منهم في فلسطين، والعالم العبري، ولهم مراكز في أمريكا، وأوروبا، وأفريقيا، وبعض دول الخليج^(٣).

مواجهة الشيخ الخضر للقاديانية

لقد عاصر الشيخ الخضر نشأة القاديانية، وبداية اشتداد عودها، وتغلغلها في كثير من البلاد؛ فكان له موقف مناهض لتلك النحلة، كما كان له منهج في مواجهتها، وكشف زيفها، والتحذير منها، بحجج قوية، وبراهين ساطعة؛ فكان له الأثر البالغ في صد تلك العادية عن بلاد الإسلام.

وأبرز تلك الجهود التي قام بها حيال هذه الطائفة تأليفه رسالة عنوانها: (طائفة القاديانية).

وقد نشرت في رسالة خاصة مطبوعة عام ١٣٥١هـ، في المكتبة السلفية، ثم طبعت للمرة الثانية ضمن رسائل الإصلاح ١٠٧/٢-١٢٥.

١- انظر المرجع السابق ص ١٥٩.

٢- انظر القاديانية لظهير ص ٣٤-٤٨، و٩٤-١٢٣، وعقيدة ختم النبوة ص ٢٥١-٢٥٥، والموجز ص ١٥١-١٥٢.

٣- انظر الموسوعة الميسرة ص ٣٩١، والموجز ص ١٤٨، وقلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها د. محمد

عبدالقادر هنادي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، ص ١٠٢-١٠٣.

ثم طبعت ضمن موسوعة الأعمال الكاملة، حيث ضُمَّت إليها رسالته (البابية والبهائية) فصارتا في كتاب واحد وذلك في ٩/٧٠٤٤-٤٤٩٦ بعنوان (القاديانية والبابية والبهائية).

وجاءت (القاديانية) في ٩/١١٠٤٤-٤٤٧٣ .

وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ضمن العرض لمؤلفات الشيخ الخضر في الباب الأول، وكذلك عند الحديث عن أساليبه المنهجية في الرد على المخالفين.

كما أن للشيخ الخضر كلاماً متفرقاً غير ما جاء في الرسالة المذكورة؛ حيث يأتي ذِكْرُ للقاديانية في معرض الرد على بعض الكتاب المتأثرين بها^(١)، أو عند العرض لمؤلفاته^(٢)، أو في بعض المناسبات كما في حفل تكريم المتبرئين من القاديانية^(٣).

وفيما يلي إيضاح لأهم المعالم التي سار عليها في مواجهته لتلك الطائفة الضالة: أولاً: تقريره خطورة ادعاء النبوة: وذلك في مواضع عدة من كتبه، وقد مر شيء من ذلك في الأبواب السالفة.

يقول في مقدمة بحثه: (القاديانية): «وقد دلنا التاريخ الصادق أن الدين الحنيف يُتلى في كل عصر بنفوس نزاعة إلى الغواية، فتنكب عن الحقائق، وتمشي في تحريف كلمه مكبة على وجهها.

وليس هذا الإغواء بمقصود على من يدعون التفقه في الدين ولم يتفقهوا؛ ككثير من زعماء الفرق المنحرفة عن الرشد، بل يتعداهم إلى فئة تسول لهم نفوسهم ادعاء أنهم مهبط الوحي، وأنهم يتلقون ما يقولونه بأفواههم من الله -تعالى- بدون وسيلة كتابه الحكيم، وحديث رسوله الكريم»^(٤).

١ - انظر بلاغة القرآن ص ٢٠٢ و ٢٦٨ .

٢ - انظر كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين ص ٢٠٤ .

٣ - انظر الهداية الإسلامية ص ٢٣٦-٢٣٨ .

٤ - القاديانية والبابية والبهائية ص ٧-٨ .

إلى أن قال: «ومن مدّعي النبوة مَنْ يذهب فينقطع دابره؛ كالحارث بن سعيد الذي ظهر في أيام عبد الملك بن مروان، واغتربه خلق حتى وقع في يد عبد الملك فقتله، ولم يبق له في الأرض أثر، وكإسحاق الأخرس الذي ظهر في خلافة السفّاح، واتبعه طوائف، وقتل فانقطعت فتنته.

ومن مدعي النبوة من يبقى لدعوته أثر بعد موته، ومن هذا الصنف غلام أحمد مبتدع النحلة القاديانية»^(١).

ثانياً: بيانه الدافع له على التأليف في القاديانية: قال ﷺ في مقدمة رسالته (القاديانية): «كثيراً ما وردتنا رسائل من البلاد العربية وغيرها - كأمریکا - يسأل كاتبوها عن أصل هذه النحلة، ومبلغ صلتها بالإسلام، وبالأحرى: بعد أن ظهر المقال الذي كشفنا فيه الغطاء عن النحلة البهائية، ونشرناه في الجزء الخامس من المجلد الأول من مجلة (نور الإسلام).

ووردتنا رسائل أخرى مطوية على ما يصرح به دعاة هذه النحلة من الآراء، ويقترح مرسلوها نقد هذه الآراء، وتحذير المسلمين من الوقوع في مهالكها. ولم نشأ التعرض للكتابة في شأنها قبل اليوم؛ إذ لم يكن لدينا من كتب أصحابها ما نطلع به على أساسها، ونعرف منه حال واضعها»^(٢).

إلى أن قال بعد أن اطلع على كتب القاديانية -كعادته في ألا يكتب إلا عن بينة-: «وقد انساق إلينا اليوم من كتب مبتدعها غلام أحمد وبعض دعاياتها ما جعلنا على بينة من أمرها.

وها نحن أولاء نضع أمام حضرات القراء فصولاً فيما تقوم عليه هذه النحلة من المزاعم الخاطئة، ونلقي عليهم كلمات في نشأة واضعها؛ ليكونوا على بصيرة من أنها دعوى زائغة، ولا يغيب عنهم أن دعاياتها الذين يجوسون خلال ديار الإسلام

١ - المرجع السابق ص ٨ .

٢ - المرجع السابق ص ٨ .

إنما يشيرون في نفوس شبابنا فتنة، والفتنة أشد من القتل»^(١).

ثالثاً: إثباته أن القاديانية وليدة الباطنية: حالها كحال البابية والبهائية، وسائر النحل التي تسلك ذلك المسلك الضال المنحرف عن سواء السبيل^(٢).
يقول ﷺ: «نحن نعلم أن القاديانية كالبهائية، فرع من تلك الشجرة الخبيثة؛ أعني: نزعة الباطنية، والباطنية -أيها السادة- نَحْلَةٌ، بل مكيدة يَبْتِها طائفة من الجوس؛ ليأخذوا -في زعمهم- بثأر الجوسية من الإسلام.

ومن درس تاريخ الباطنية، وجد مبادئها تتمثل في النحلتين القاديانية والبهائية في أجلى صورة، ومن مبادئها: أن يتظاهر زعماءؤها بالدعوة إلى الإسلام، وهم يعملون في الخفاء لتقويض أركانه، ولا يبوحون بما في صدورهم إلا لمن استدرجوه حتى وقع في حبالتهم، وأصبحت نفسه قريبة من نفوسهم، وكذلك يفعل دعاة هاتين النحلتين الخاسرتين»^(٣).

رابعاً: تعرضه لدراسة مؤسس القاديانية: وهو غلام أحمد القادياني؛ حيث تعرض الشيخ الخضر لبيان أصله، وولادته، ونشأته، وادعائه الوحي.
وأنه يزعم نزول الوحي عليه، ويسوق بعض كلام القادياني في ذلك كقوله: «هذا هو الكتاب الذي ألهمت حصّة منه من رب العباد يوم عيد الأعياد».
وقوله: «بل هي حقائق أوحيت إلي من رب الكائنات».

وقوله: «وقد أوحى إلي من ربي قبل أن ينزل الطاعون أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا»^(٤).

يقول الشيخ الخضر معلقاً على هذا الكلام: «ولم يدع أحد من الصحابة، ولا من السلف الصالح أنه يأتيه الوحي من الله، ولو اقتصر غلام أحمد على دعوى

١ - المرجع السابق ص ٨-٩ .

٢ - انظر بلاغة القرآن ص ٢٦٨ .

٣ - الهداية الإسلامية ص ٢٣٧ .

٤ - القاديانية والبابية والبهائية ص ١٥ .

الوحي لقلنا: لعله يريد من الوحي: الإلهام؛ كما قال -تعالى-: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبَالِ يَوْمًا﴾ النحل: ٦٨ .

ويبقى النظر فيما زعم من الإلهام؛ فإن كان موافقاً لنصوص الدين أو أصوله، سكتنا عنه، وإن كان مخالفاً لشيء منه رددناه عليه.

ولكنه يصرح في كتبه بأنه نبي ورسول، قال في الخطبة الإلهامية: (أرأيتم إن كنت من عند الله، ثم كذبتُموني، فما بالكم أيها المكذبون).

وقال: (إنكم ترون كيف تنصر الناس، وارتدوا من دين الله؛ ثم تقولون: ما جاء مرسل من عند الله، مالكم كيف تحكمون).

وقال: (فأنعم الله على هذه -يعني: أمة الإسلام- بإرسال مثل عيسى، وهل ينكر بعده إلا العمون).

وقال: (وكان عيسى علماً لبني إسرائيل، وأنا علم لكم أيها المفرطون!)»^(١).
كما تعرض الشيخ لادعاء القادياني للنبوّة والرسالة وأنه لم يبال بالقرآن والسنة وإجماع الأمة؛ ففي هذه الأصول الثلاثة حجج على أن المصطفى -صلوات الله عليه- هو آخر النبيين.

ثم يسوق الشيخ الأدلة من القرآن، ويوجه القراءات في قوله -تعالى-: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ الأحزاب: ٤٠ .
يقول ﷺ: «فعلى قراءة ﴿خَاتِمٌ﴾ بكسر التاء، يكون وصفاً له -عليه الصلاة والسلام- بأنه ختم الأنبياء؛ أي: لا ينال أحد بعده مقام النبوة، فمن ادعاها، فقد ادعى ما ليس له به من سلطان.

وقراءة (خاتم) بفتح التاء ترجع إلى هذا المعنى؛ فإن الخاتم -بالفتح- كالخاتم -بالكسر- يستعمل بمعنى: الآخر، ذكر هذا علماء اللغة، وجرى عليه المفسرون

المحققون، وجاءت السنة الصحيحة مبينة لهذا المعنى»^(١).

ثم يسوق الأحاديث من السنة الصحيحة الدالة على ذلك، ويورد أقوال المفسرين في تفسير الآية، ثم يقول بعد ذلك: «وما كان لمسلم أن يؤول القرآن والسنة الصحيحة تأويلَ مَنْ لا ينصح لله ورسوله؛ ليجيب داعية هوى في نفسه. وانظروا إلى غلام أحمد وطائفته كيف تحبطوا في تأويل: ﴿وَحَاتَمَ التَّيِّعِينَ﴾ وما بينها من الأحاديث المحكمة، ولا داعي لهم إلى هذا التخبط، إلا أن رجلاً من (قاديان) استحب الهوى على الهدى؛ فادعى أنه نبي مرسل، وملاً فمه باللغو وقول الزور، والتملق لغير المسلمين»^(٢).

ثم ينتقل الشيخ إلى وجه من وجوه تأويل القادياني فيقول: «ومن وجوه تأويله حمله لحديث: «لا نبي بعدي»^(٣) على معنى أنه لا يأتي بعده نبي من غير أمته»^(٤). ثم يبطل الشيخ هذا الكلام، ويرد البضاعة -على عادته- إلى أهلها، فيقول: «هذا الوجه اختلسه من متبئ آخر يقال له: إسحاق الأخرس، ظهر في أيام السفاح؛ فإنه زعم أن ملكين جاءاه، وبشراه بالنبوة، فقال لهما: وكيف ذلك وقد أخبر الله -تعالى- عن سيدنا محمد أنه خاتم النبيين؟ فقالا له: صدقت، ولكن الله أراد بذلك أنه خاتم النبيين الذين هم على غير ملته وشريعته»^(٥).

وهكذا يورد الشيخ شبه القادياني في ادعاء النبوة والوحي، وينقضها بالنقل والعقل. خامساً: تكذيبه لدعاوى القادياني في زعمه أن له آيات تدل على صدقه؛ ومن ذلك قول غلام أحمد في الخطبة الإلهامية: «وإن تعدوا دلائل صدقي لا تحصوها»^(٦).

١ - المرجع السابق ص ١٦ .

٢ - المرجع السابق ص ١٧ .

٣ - أخرجه أحمد (٢٢٤٤٨) والحاكم ٤/٤٩٦ .

٤ - القاديانية والبابية والبهائية ص ١٧ .

٥ - المرجع السابق ص ١٧-١٨ .

٦ - المرجع السابق ص ٢١ .

يقول الشيخ الخضر معقّباً على هذا الادعاء: «ولم تقف على شيء من هذه الدلائل إلا ما يشابه براءته من قضايا القذف التي كانت تقام عليه، أو نجاته من أذى العامة حيث يكون محاطاً بالشرطي، محروساً من الحكومة بقوة الحديد، وأراد أن يجعل دليل صدق رواج دعوتِهِ عند طائفة الغافلين عن سبيل الحق، فقال في الخطبة الإلهامية: (ولو كان هذا الأمر والشأن من عند غير الله لمزق كل ممزق، وجمع علينا لعنة الأرض والسماء، ولأفاز الله أعدائي بكل ما يريدون)»^(١).

إلى أن قال الشيخ: «وقد لقي كثير من الدعاوى المزورة مثلما لقيت دعوتَهُ أفراداً ضربت في نفوسهم الجهالة، فلا يقدرّون مقام النبوة والرسالة، ولا يفرقون بين من يدعيها حقاً، ومن يدعيها وهو لا يرجو الله وقاراً.

ولو كان رواج الآراء بين طائفة من البشر دليلاً على أنها حق لكانت البهائية من المذاهب الرشيدة، والقاديانيون يعدونها كما يعدها المسلمون نخلة غاوية.

وإن للباطل لصولة، حتى إذا أخذ أهل العلم بيد الحق، وأحكموا أساليب الدفاع عنه تضاعل الباطل؛ فإما أن ينقطع أثره، وإما أن يبقى شعار فئة كان لله في إثارها الظلام على النور حكمة بالغة»^(٢).

سادساً: إنكاره على القادياني غروره وتفضيله نفسه على رسل الله: قال الشيخ الخضر: «ملك غلام أحمد الغرور والتعاضم؛ فانهال يحشو لنفسه من الإطراء ما شاء، ومما أورده في كتاب الاستفتاء على أنه خطاب له من الله - تعالى -: (أنت مني بمنزلة توحيدني وتفريدي، أنت مني بمنزلة عرشي، أنت مني بمنزلة ولدي).

وقال في مقال له ورد في كتاب (أحمد رسول العالم الموعود): (فالواقع أن الله التقدير قد أبلغني أن مسيح السلالة الإسلامية أعظم من مسيح السلالة الموسوية)، ويعني بمسيح السلالة الإسلامية: نفسه؛ فغلام أحمد يزعم أنه أفضل من عيسى

١ - المرجع السابق ص ٢١.

٢ - المرجع السابق ص ٢١-٢٢.

-عليه السلام-

ومما ادعى أن الله خاطبه به: (إني خلقتك من جوهر عيسى، وإنك وعيسى من جوهر واحد، وكشيء واحد)»^(١).

وهكذا يواصل الشيخ إيراد أقوال القادياني من هذا القبيل.

سابعاً: إثباته أن القادياني يُكفّر من لا يؤمن برسالته: فيقرر أن غلام أحمد يجعل المسلمين الذين لا يقبلون دعوته كفاراً.

وأنه مثل نفسه بالمسيح، ومثل المسلمين باليهود الذين ازدروا دعوة المسيح.

إلى أن يقول الشيخ الخضر: «وفي نشرتهم (شرائط الدخول في الأحمديّة) التصريح بأن المسلمين الذين يكذبون غلام أحمد أحط درجة من المنافقين.

وفي نص عبارتهم: (وكذلك لا يجوز لأحمدي أن يصلي على غير أحمدي؛ فكأنه بفعله يشفع إلى الله لمن أصر على مخالفة المسيح وإنكاره، ومات عليه.

مع أن الله يمنع أن يصلي على المنافقين؛ فكيف على من كفر بمأمور من الله؟).

وقد يصف غلام أحمد المسلمين بأنهم أعداء لأهل مذهبه؛ كما قال في مقال يخاطب فيه أتباعه: (فاذكروا دائماً أن الحكومة الإنكليزية هي رحمة وبركة لكم؛ فهي الدرع التي تقيكم.

إن الإنكليز خير ألف مرة من المسلمين الذين هم أعداؤكم!)»^(٢).

إلى أن يقول الشيخ الخضر في نهاية هذا المبحث: «ويرى (رسول آخر الزمان) غلام أحمد بعده من المسلمين نعمة تستحق الشكر.

كتب الدكتور زكي كرام من (برلين) إلى جريدة (حضر موت) بجاوة مقالاً تحدث فيه عن القاديانية في برلين، ونشرته في العدد الصادر يوم السبت ٨ المحرم سنة ١٣٥١، ومما قال في هذا المقال: إنه زار هو والأمير شكيب أرسلان إمام الجامع

١ - المرجع السابق ص ٢٣-٢٤.

٢ - المرجع السابق ص ٢٥.

الذي بنته هذه الطائفة ببرلين؛ فأطلعهم الإمام على كتاب لغلام أحمد نفسه، فنقل منه الأمير جملاً، ومن هذه الجمل: أنه -أي: غلام أحمد- (يحمد الله حيث ولد تحت راية إنكليزية وبعيداً من المسلمين!)^(١).

ثامناً: بيانه أن القاديانية فرقتان: يقول ﷺ في ذلك: «كانت القاديانية في أيام غلام أحمد وأيام خليفته نور الدين مذهباً واحداً؛ غير أنهم في آخر حياة نور الدين ابتدأ شيء من الاختلاف يدب فيما بينهم، وعندما مات نور الدين، انقسموا إلى شعبتين: شعبة (قاديان) ورئيس هذه الشعبة محمود بن غلام أحمد، وشعبة (لاهور) وزعيمها محمد علي مترجم القرآن إلى اللغة الإنكليزية.

أما شعبة (قاديان) فأساس عقيدتها أن غلام أحمد نبي مرسل، وأما شعبة (لاهور) فظاهر مذهبها: أنها لا تثبت النبوة لغلام أحمد، ولكن كتب غلام أحمد مملوءة بادعاء النبوة والرسالة، فماذا يصنعون؟.

ولشعبة (لاهور) ضلالة يبثونها في كتبهم: هي إنكار أن يكون المسيح -عليه السلام- ولد من غير أب؛ وزعيم هذه الشعبة محمد علي يصرح بأن عيسى -عليه السلام- ابن يوسف النجار.

ويحاول تحريف بعض الآيات لتوافق هذه العقيدة^(٢).

تاسعاً: تفنيده، ونقضه شبه القاديانية: فزيادة على ما ذكر آنفاً مما قام به الشيخ الخضر من إيراد لمزاعم القاديانية، ودحض تلك المزاعم قام -كذلك- بتضمين كتابه عنهم بمبحثين مهمين أحدهما عنوانه: (تفنيد مذهب القاديانية) والآخر (نقض شبه القاديانية).

وفي هذين المبحثين تفصيل لخصية مدعي النبوة^(٣)، وتبيان شافٍ لانقطاع النبوة

١ - المرجع السابق ص ٢٦.

٢ - المرجع السابق ص ٢٦-٢٧.

٣ - المرجع السابق ص ٢٩-٣٦.

بعد رسول الله ﷺ^(١)، ودفع لشبهة يتشبه بها القاديانية^(٢)، وإبطال لدعوى غلام أحمد أنه أفضل من عيسى - عليه السلام -^(٣)، ورد عليه في تكفيرهم لمن عصمهم الله من اتباعه^(٤)، وبيان لتزوير داعية القاديانية^(٥)، وبحث في اقتراح غلام أحمد على علماء الهند أن يتركوه عشر سنين^(٦).

إلى غير ذلك مما أورده في بحثه المانع المحكم المتمتع بالأدلة والبراهين^(٧).

عاشراً: إيجابه مقاومة القاديانية، والتحذير من دعايتهم: فهو يرى أن للقاديانية حركة نشيطة في الدعوة إلى نخلتهم، وأن خطورة تلك الدعوى تكمن في أنهم يقيمونها على شيء من تعاليم الإسلام، وأنهم يدعون أن غلام أحمد مصلح ومجدد لا نبي؛ لذا التبس أمرهم على كثير من الناس، وربما أثنوا عليها، وعاتبوا من يكتب في تحذير المسلمين من أباطيلها^(٨).

إلى أن يقول الشيخ الخضر مبيناً خطر القاديانية في بث دعايتها بين المسلمين: «ولو اقتصرنا هذه الطائفة على نشر دعوتها بين قوم غير مسلمين لحفّ علينا خطرنا، وآثرنا الاشتغال بمجاهدة غيرها من المضللين والملحدّين. ولكنهم طمعوا في أخذ الشعوب التي تدرس القرآن والسنة، وتستضيء بهدائيتها، وراموا صرفها إلى الاعتقاد برسالة غلام أحمد وما يتبعها من ضلالات، فبعثوا بدعاتهم إلى سورية وفلسطين ومصر، وجدة والعراق، وغيرها من البلاد الإسلامية.

١ - المرجع السابق ص ٣٧-٣٩.

٢ - المرجع السابق ص ٣٩-٤٦.

٣ - المرجع السابق ص ٤٧-٤٨.

٤ - المرجع السابق ص ٤٨-٥٠.

٥ - المرجع السابق ص ٥٠-٥١.

٦ - المرجع السابق ص ٥١-٥٣.

٧ - انظر المرجع السابق ص ٥٣-٦٧.

٨ - انظر المرجع السابق ص ٢٧-٢٨.

وقد وجدت دعايتهم -على ما فيها من سخف- أحداثاً فرط أولياؤهم في تربيتهم على أدب الدين، فقبلوها غروراً^(١).

إلى أن يقول: «يذكر القاديانيون: أن لهم دعاة في الصين والهند، والعجم والعراق، وجدة وسورية وفلسطين ومصر.

وقرأنا في كتاب لهم مطبوع سنة ١٩٣٢: أن داعيتهم في مصر الشيخ محمود أحمد في شارع كذا، وقد رأيتهم علماء الهند كيف قاوموا هذه الفئة، وما زالوا يقاومونها. ومن وصلتنا آثارهم في مقاومتها: علماء سورية؛ فقد كتبوا الرسائل في الرد عليها، وإيقاظ المسلمين لما يبثونه من آراء تقوض بناء العقيدة، وآراء تربى نفوس النشء على الرضا بالاستكانة والانقياد لكل يد تقبض على زمامهم انقياد الأعمى»^(٢).

ويختتم الشيخ كلامه في التحذير منهم، ووجوب مقاومتهم قائلاً: «وها نحن أولاء قد كتبنا هذا المقال؛ ليحذر مسلمو مصر وغيرها من الأقطار الإسلامية فتنة هذه الطائفة حذرهم من فتنة الطائفة البهائية، ولنا الأمل في علمائنا ووعاظنا أن يقعدوا للدعاة هاتين الطائفتين كل مرصد، ويعالجوا كل قلب اعتل بشيء من وساوسهما: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا﴾ العنكبوت: ٦٩»^(٣).

حادي عشر: احتفاؤه بالتائبين المتبرئين من القاديانية: فالشيخ رحمته الله لما كتب ما كتب، ونشر ما نشر في التحذير من تلك الطائفة الخارجة عن الإسلام، وبيّن ما هم عليه من الفساد والضلال البعيد - لقيت كتاباته قبولاً، واهتماماً، وتبصراً بهذه الطائفة؛ فسارع بعض من اغترب هذه الطائفة ودخل في قبيلها إلى النزوع عنها، والبراءة منها. وكان من جهد الشيخ في مواجهة القاديانية احتفاؤها بالمتبرئين منها.

١ - انظر المرجع السابق ص ٢٨.

٢ - انظر المرجع السابق ص ٢٨.

٣ - انظر المرجع السابق ص ٢٨.

ومن الأمثلة على ذلك: ما جاء في احتفال أقامته جمعية الهداية الإسلامية مساء الخميس ١٩/ شعبان عام ١٣٥٣هـ تكريماً لإعلان رئيس طائفة القاديانية في مصر والأذكياء البررة من أصحابه براءتهم من هذه النحلة.

وقد ألقى الشيخ الخضر كلمة بهذه المناسبة أبدى فيها سعادته الغامرة، وتهنئته لهؤلاء الذين «استكشفوا دخيلة النحلة القاديانية، ثم عادوا إلى وطنهم الذي هو الإسلام، وقلوبهم تتلأأ إيماناً خالصاً»^(١).

ومما قاله بهذه المناسبة - أيضاً -: «وقد كان في اتصال هؤلاء الإخوان بتلك النحلة الزائفة، وإعلان براءتهم منها على رؤوس الأشهاد فائدتان عظيمتان:

أما الأولى: ففائدة علمية؛ فإنهم اطلعوا على سريرة ذلك المذهب المنافق، وتركوه على بينة من أمره، ومن طريقهم اطلعنا على كتب ومقالات لغلام أحمد كانت عوناً لنا على سعة العلم بزيفه وسخف عقله، وقوة على نقض ما يورده هو وأتباعه من شبه وأباطيل.

وأما الثانية: فـخُلُقِيَّة؛ فإن حضرات الإخوان عندما وقفوا على فساد تلك النحلة، وخرجوا على الدين الحنيف حملتهم فضيلة الإنصاف والرجوع إلى الحق على أن يعودوا إلى صفوف المسلمين، ويجاهدوا في سبيل الرشد مع المجاهدين.

وقليل من الناس من يرجع إلى الحق بعد الابتعاد منه، وقليل من الناس من يعلن براءته من مذهب اتصل به، واستبان أنه مذهب غير رشيد»^(٢).

إلى أن قال: «ليث أولئك المضلون في غير بلاد الإسلام ما شأؤوا من سموم قاتلة، وحرام على مصر وغير مصر من بلاد الإسلام أن يتخذ فيها أذناب غلام أحمد، وأذناب عباس البهائي سوقاً ينادون فيه على بضائعهم الموبئة.

ولا لوم على من يتصل بطائفة يزعمون أنهم دعاة إصلاح، حتى إذا وقف على خفي أمرهم، وضاق صدره من ظلمات إلحادهم صرف وجهه عن

١ - الهداية الإسلامية ص ٢٣٦.

٢ - المرجع السابق ص ٢٣٦-٢٣٧.

وجوهمهم، وحذر الناس من الاتصال بهم، والإصغاء إلى هذيانهم. وإنما اللوم، بل غضب الله على من لم يسئل يده من أيديهم، ويرضى أن يكون من عمّار مجالسهم، ومكثري سوادهم»^(١).

ثم ختم كلمته بقوله: «وأعود فأقول: إن حضرات إخواننا المحتفل بهم، قد خدموا بهذه البراءة الدين الإسلامي أجلّ خدمة، ورفعوا صرح فضيلة قلّ مَنْ يفي بحقها، وهي فضيلة الرجوع إلى الحق؛ فإذا احتفلنا بتكريمهم فإنما نحتفل بتكريم جنود الحق، وأنصار الفضيلة، وتكريم الله لهم في هذه الحياة، وتلك الحياة خير وأبقى»^(٢).

وإلى هنا ينتهي هذا المبحث الذي دار حول مواجهة الشيخ الخضر لفرقة القاديانية.

١ - المرجع السابق ص ٢٣٧.

٢ - المرجع السابق ص ٢٣٧-٢٣٨.

المبحث الثالث: مواجهته للتنصير

مدخل: نبذة في التنصير

١- التنصير: ويقال له التبشير: هو حركة دينية سياسية استعمارية، بدأت في الظهور إثر إخفاق الحروب الصليبية؛ بُغية نشر النصرانية بين دول العالم الثالث، وبين المسلمين بخاصة؛ رغبةً في إدخالها النصرانية، وإحكام السيطرة عليها.^(١)

٢- أهداف المنصرين: يمكن إجمالها في الآتي:

- أ- إدخال من استطاعوا من المسلمين في النصرانية.
- ب- رد المسلمين عن دينهم.
- ج- إفساد أخلاق المسلمين وعقولهم.
- د- الحد من انتشار الإسلام.
- هـ- تشتيت المسلمين، وتفريق كلمتهم.
- و- استهلاك جهود العلماء والدعاة في مقاومة التنصير.
- ز- السعي في إبعاد قادة المسلمين الأقوياء عن الحكم.^(٢)

٣- أساليب المنصرين: أساليبهم كثيرة جداً، منها:

- أ- فتح المحاضن والمدارس، والكليات والجامعات في أنحاء العالم الإسلامي.
- ب- الاهتمام بالريف الإسلامي.
- ج- التركيز على إفساد المرأة، والتربية، والتعليم، والإعلام.
- د- تشجيع حركة الفن.
- هـ- مراقبة العالم الإسلامي، والتجسس عليه.
- و- التنصير الفردي والجماعي.
- ز- العمل تحت غطاء الخدمات الاجتماعية والتطوعية، والطبية.
- ح- إثارة الشبه حول دين الإسلام. ط- إنشاء الكنائس.^(٣)

١ - انظر الموسوعة الميسرة ص ١٥٩.

٢ - انظر العلمانية نشأتها، وتطورها، وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة د. سفر الحوالي، الدار السلفية للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م ص ٥٥٦، وقادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله لجلال العالم ص ٧٤-٧٥.

٣ - انظر العلمانية ص ٥٥٦، وماذا يجب أن يعرف المسلم من حقائق عن النصرانية لإبراهيم الجبهان ص ٢٤، وانظر تفصيل الحديث عن التنصير في كتاب: (التبشير والاستعمار في البلاد العربية) د. مصطفى خالد و د. عمر فروخ، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ١٩٨٢ م.

مواجهة الشيخ الخضر للتنصير

لقد عاصر الشيخ الخضر التنصير إبان توهُّجه، ونشاطه في مصر، وأنحاء العالم الإسلامي.

وكان الشيخ رحمته الله يرقب ذلك الوضع الخطير، ويرى ما يقوم به المنصرون من أعمال وجهود جبارة في سبيل التنصير؛ فكان له من جراء ذلك مواقف، ومواجهات.

وقد مرت الإشارة إلى شيء من ذلك في فصول ماضية.

والحديث ههنا بيان لتلك الجهود، ومنهجه فيها.

وهذه الجهود تكاد تنحصر في ناحيتين وما يندرج تحتها، وهما:

الناحية الأولى: المواجهة العامة للتنصير.

الناحية الثانية: المواجهة الخاصة للمدارس الأجنبية التي ينشؤها المنصرون،

وسيتضح ذلك من خلال المطلبين التاليين.

المطلب الأول: مواجهته العامة للتنصير

لقد كان الشيخ الخضر رحمته الله معنياً بشأن التنصير - كما مر - شديد التحذير منه. وكان من جهوده العامة في ذلك ما يلي:

أولاً: مواجهة التنصير عن طريق الجمعيات، والمجلات: وقد مرت الإشارة العامة إلى ذلك؛ فقد كان من أعظم أهداف تلك الجمعيات والمجلات التي أسسها أو شارك في تأسيسها - مقاومة التنصير، وكشف مخططاته. ولقد كان لجمعية الهداية ومجلتها - على وجه الخصوص - جهد جبار في هذا الشأن. وليست هي الجهد الوحيد للشيخ في الجمعيات والمؤسسات، بل إن غالبها يسير على هذا النهج.

ومن الأمثلة على ذلك ما كانت عليه مجلة (نور الإسلام) التي رأس الشيخ تحريرها؛ فقد تعرضت إلى فضح أنشطة التنصير في العالم الإسلامي، وكشفت مخططاته الرامية لهدم الإسلام، وإزالته من قلوب المسلمين بشتى الوسائل الخبيثة؛ فنقلت مجلة (نور الإسلام) عن مجلة (العالم الإسلامي) التي يحررها القس زويمر^(١) مخططات التنصير تحت غطاء المستشفيات، والمدارس، والأعمال الخيرية. وكذلك قامت المجلة بعرض الشبهات التي يقذفها المنصرون، والمستشرقون في مؤلفاتهم إلى المسلمين البسطاء؛ بغية زعزعة الدين في قلوبهم؛ فتولت المجلة الرد على هذه الشبهات بأساليب منهجية علمية.^(٢)

١ - هو: س. م. زويمر، مستشرق، مبشر، اشتهر بعدائه الشديد للإسلام، مؤسس مجلة (العالم الإسلامي) الأمريكية التبشيرية، مؤلف كتاب (الإسلام تحد لعقيدة) صدر سنة ١٩٠٨م، وناشر كتاب (الإسلام) وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري سنة ١٩١١م بلكنهو في الهند، وتقديراً لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وقفاً باسمه على دراسته اللاهوت، وإعداد المبشرين. انظر الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم د. مصطفى السباعي، دار الوراق، الرياض، والمكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٤١-٤٢.

٢ - انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص ٩٦.

ثانياً: إطلاقه النداءات المخذرة من جهود المنصرين: ومن ذلك ما جاء في مقال له بعنوان (نداء إلى كل مسلم يحب العمل في سبيل الله) حيث يقول في صدر ذلك المقال: «لقد انكشف الغطاء عما كان مستوراً من خفايا المدارس التي تديرها جمعيات التبشير، وما لهذه الجمعيات من ملاحئ ومستشفيات، وثبت للجمهور أن ما ارتكبه هؤلاء المصللون في بناتنا وأبنائنا مخالف للقوانين والمروءات وأصول الديانات، فضلاً عن إهانتهم الأمة؛ بتحاملهم على دينها، واستخفافهم بقرارات الحكومة، ومحاولتهم مخالفة النظام. وقد رأى المسلمون بعيونهم، ولسوا بأيديهم الخطر المحقق من إدخال أبناء المسلمين وبناتهم مدارس هؤلاء المعتدين على الإسلام، ومن تردد الرجال والنساء على مستشفياتهم وملاجئهم»^(١).

ثالثاً: مواجهة التنصير عن طريق تأليف الكتب في السيرة النبوية: وذلك بأسلوب ميسر يناسب العصر، ويلائم عوام الناس. وكان من أهدافه التي يرمي إليها في ذلك الصدد إرضاء نهم القارئ وتزويده بمادة تجمع بين المتعة والفائدة والإيمان، وتشغله عما يبثه المنصرون من شبهات حول الإسلام ونبيه - عليه الصلاة والسلام -.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في مقدمة كتابه: (محمد رسول الله وخاتم النبيين) حيث قال: «فقد كثرت ما وقع في أيدينا من صحف يضعها أولئك الذين يسمون أنفسهم (المبشرين) ويتعرضون فيها لدين الإسلام بكلمات خبيثات يبتغون بها إخراج أبنائنا وبناتنا من نور الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال. ما أراه في تلك الصحف من زور وبهتان، ثم ما أذاعته الصحف السيارة في العهد القريب من قصص محاولة تلك الطائفة لتنصير بعض الفتيان أو الفتيات - قد دعيتني إلى تحرير رسالة في سيرة رسول الإسلام ﷺ ودلائل نبوته السنية»^(٢).

١ - هدى ونور ص ٩٤.

٢ - محمد رسول الله وخاتم النبيين ص ٥.

إلى أن قال: «وإنما القصد من تأليف هذه الرسالة أن أصوغ من تلك السيرة، ودلائل النبوة المحمدية فصولاً وجيزة، ثم أعرضها عليك في صفحات يمكنك أن تأتي عليها في زمن قليل». ^(١)

المطلب الثاني: مواجهته للمدارس الأجنبية

والمقصود بتلك المدارس: ما أنشأه النصارى في بلاد الإسلام؛ لتعليم أبناء المسلمين؛ من أجل تحقيق المآرب التي يسعى إليها المنصرون. فلقد كان للشيخ الخضر في ذلك الشأن إسهامات عظيمة، وجهود جبارة، حيث واجه ذلك المد، وتصدى له بكل ما أوتي من وسائل. وقد مرت الإشارة العابرة إلى ذلك في المطلب الماضي. وفيما يلي إبراز لأهم المعالم في مواجهاته للمدارس الأجنبية. أولاً: تحذيره من المدارس الأجنبية: وبيانه أنها من أعظم الوسائل التي ساعدت على تفشي زيغ العقيدة.

يقول ﷺ في مقالة له عنوانها: (التعليم الديني في مدارس الحكومة): «لم يَتَفَشَّ زَيْغُ الْعَقِيدَةِ فِيمَا سَلَفَ تَفَشِّيَهُ الْيَوْمَ؛ لِأَنَّ وَسَائِلَ سَاعَدَتْ عَلَيَّ سِرْيَانَ وَبَائِهِ لَمْ تَوْجَدْ قَبْلَ، وَأَمَهَاتُ هَذِهِ الْوَسَائِلِ ثَلَاثَةٌ أُمُورٌ»^(١).

ثم يذكر على رأسها المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين، فيقول: «أحدها: هذه المدارس التي يفتحها الأجانب في أوطاننا باسم العلم، ويغفل بعض المسلمين عن سريرتها؛ فتأخذهم بمظاهرها؛ حتى يسلموا أطفالهم - وهم على الفطرة - إلى من يصبغ هذه الفطرة بسواد، وينزع منها روح الأدب الذي يجعلهم أولياء لعشيرتهم، نصحاء لأمتهم»^(٢).

ويقول في موضع آخر في مقال له عنوانه: (الانحراف عن الدين: علله - آثاره - دواؤه) محذراً من تلك المدارس، مبيناً آثارها الخطيرة، وعواقبها الوخيمة: «ومن الذي لا يعلم أن معاهد تقام في أوطاننا باسم العلم، أو العطف على الإنسانية؟»

١ - الدعوة إلى الإصلاح ص ٩١.

٢ - المرجع السابق ص ٩١-٩٢.

والغاية منها: صدفُ النفوس عن صراط الله السوي؛ دل على هذا كتبٌ يدرسونها في هذه المعاهد، وهي - كما قرأنا نبذاً منها - محشوةٌ بالطعن في الإسلام، والخط من شأن الرسول الأعظم ﷺ». ^(١)

ثم يستشهد على ما قاله بكلام للقس المنصر زويمر، فيقول: «وهذا القس «زويمر» نفسه ينبهنا على أن المدارس التي يقوم بها جماعات التبشير إنما تُجعل وسيلة إلى تحويل المسلمين عن دينهم القويم، فقال في مقال تحت عنوان: (حركة التبشير في العالم الإسلامي) بعد أن ذكر ما يعترضهم من المصاعب في داخل أفريقيا: ومن استطاع التغلب على هذه الصعوبة بالالتجاء إلى الوسائل المعروفة؛ كالمتاجرة مع الأهالي، وفتح المدارس لأبنائهم، وما مائل ذلك». ^(٢)

ويعلق الشيخ الخضر على هذا الكلام قائلاً: «وقد رأينا لهذه المدارس التي تفتح في سورية ومصر وغيرها من البلاد آثاراً مخزنة.

فكم من فتى مسلم بعث به إليها، فتخرج منها وهو يحمل من التنكر لقومه وشريعتهم مثل ما يحمله خصومهم المحاريون.

ثم إن بعض الناشئين في مهد إسلامي قد أصيبوا بما يشوه فطرهم، وأرادوا ألا يكون هذا التشويه مقصوراً على أنفسهم، فاجتهدوا في أن ينقلب الناس منقلبهم، ويعملوا على شاكلتهم؛ فكان لهم في الاستخفاف بالعقائد الصحيحة والشريعة الحكيمة حركات طائشة.

ولولا هداية القرآن، ووقوف فريق من أهل العلم في وجوههم لاستدرجوا خلقاً كثيراً». ^(٣)

ثانياً: نصحه لأولياء الأمور بالألا يلحقوا أبناءهم بتلك المدارس: فقد تكررت نداءاته في ذلك الشأن، ومن ذلك قوله في مقالة عنوانها: (أبناء المسلمين في مدارس

١ - رسائل الإصلاح ص ١٨١.

٢ - المرجع السابق ص ١٨١.

٣ - المرجع السابق ص ١٨١-١٨٢.

التبشير): «من الذي يستطيع أن يهني لولده عيشاً راضياً، وينبته نباتاً حسناً، فينشأ سليم القلب، طاهر اللسان، صديقاً لأسرته، عاملاً على إعلاء شأن أمته.

ولكنه يأبى أن يفعل هذا الذي ينصح به لولده، ويجني ثمار الحمد من عواقبه، فيعمد إليه وهو صافي الفطرة، فيلقيه في بيئة يتولاه فيها من لا يرقبون إلا ولا ذمة، فلا يزالون يلقتونه زيفاً، ويذرون في نفسه شراً، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً»^(١).

وبعد أن أثار ذلك التساؤل أجاب عنه بقوله: «ذلك مثل المسلم الذي يهبه الله ولداً ليسلك به في هداية، ويعدّه لأن يكون عضواً يرتاح لسعادة قومه، ويتألم لشقائهم، فإذا هو يبعث به إلى مدارس أسست لمحاربة الدين الحنيف، ولقتل العاطفة القومية، وهي المدارس التي تنشئها في بلادنا الجمعيات التي يقال لها: (جمعيات التبشير)»^(٢). وقال في مقالة: (الانحراف عن الدين): «وحقاً على من يبغى السعادة لابنه، أو لقرب وكل إليه أمره ألا يُلقى به إلا حيث يأمن على إيمانه وطهارته نفسه، ولا يذهب به الطمع في متاع الدنيا إلى الاستهانة بأمر العقيدة؛ فإنها الأساس الذي تقوم عليه الحياة الطيبة، والشرف الأصيل»^(٣).

ثالثاً: إنكاره على من يلحق أولاده بالمدارس الأجنبية: يقول ﷺ في مقال: (أبناء المسلمين والتبشير): «إن الذي يقذف بولده بين جدران هذه المدارس لا تكون جريمته من جريمة أولئك الذين كانوا يقتلون أولادهم خشية إملاق ببعيد؛ ألم يقم الدليل إثر الدليل على أن القائمين فيها بأمر التعليم يلقتون أبناء المسلمين معتقدات ديانة غير إسلامية، ويحملونهم على تقاليدها، ويتعرضون للطنع في شريعة الإسلام بطرق شأنها أن تؤثر على الأطفال ومن هم بمنزلة الأطفال في عدم معرفتهم بحقائق الدين معرفة تقيهم من شر ذلك الإغواء؟!»^(٤).

١ - الهداية الإسلامية ص ١٧٧.

٢ - المرجع السابق ص ١٧٧.

٣ - رسائل الإصلاح ص ١٨٤.

٤ - الهداية الإسلامية ص ١٧٨.

ويواصل الشيخ إنكاره على من يلحقون أولادهم بتلك المدارس فيقول: «ليس ذلك الذي يزوج بابنه في مدارس التبشير بالذي يقتل نفساً واحدة، ولكنه يقتل خلقاً كثيراً، ويجني بعد هذا على الأمة بأجمعها.

ولا أقول هذا مبالغاً؛ فقد يصير هذا الولد أستاذاً من بعد، ويفسد على طائفة عظيمة من أبناء المسلمين أمر دينهم ووطنيتهم، كما أفسد عليه أولئك القسس أمر دينه ووطنيته.

وقد أرتنا الليالي أن من المتخرجين في هذه المدارس مَنْ يملك سلطة على قوم مسلمين، فيجدون فيه من الغلظة^(١) والمكر وعدم احترام الشريعة ما لا يجدونه في الناشئ على غير الإسلام»^(٢).

إلى أن يقول مبيناً مقدار الخسارة التي تكون من جراء إلحاق الأولاد بتلك المدارس: «قد ينال الطالب في هذه المدارس علماً، وليس هذا العلم في جانب ما يخسره من دينه، وما يفوته من الإخلاص لأُمته - بالشيء الذي يُثقلُ وَزَنُهُ، ولكنها الأهواء تأخذ القلوب؛ فتبعث الرجل على أن يأخذ بيد ابنه وهو كالمَلِكِ طهراً وطيبة، ويقوده إلى حيث يشهد ازدياد قوم، والطعن في الحنيفية السمحة؛ فلا يلبث أن ينقلب ذلك الطهر رجساً، وذلك الطيب خبثاً، وتكون العاقبة ما نسمعه عن كثير من المتخرجين في هذه المدارس وما نرى»^(٣).

ويقول في مقاله: (إلى كل مسلم يحب العمل في سبيل الله): «إن المبشرين لم يأخذوا أبناء المسلمين وبناتهم بالقوة من بيوت آبائهم، وإنما الذي قذف بهؤلاء البنات والأبناء إلى هذه المدارس هم آبأؤهم، وولادة أمورهم؛ فجنّوا بذلك على الوطن، وعلى الدين، وعلى رجال المستقبل، وأمّهات المستقبل أعظمَ جناية»^(٤).

١ - هكذا في طبعة الموسوعة ص ١٧٨، والصواب: (والغلظة...) كما في الهداية الإسلامية ص ١٥١، طبعة

علي الرضا، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

٢ - المرجع السابق ص ١٧٨.

٣ - المرجع السابق ص ١٧٨.

٤ - هدى ونور ص ٩٤-٩٥.

رابعاً: سوقه الشواهد والقصاص على الآثار الوخيمة لتلك المدارس: يقول ﷺ في ذلك: «عرفت أيام كنت في دمشق أن ذا منصبٍ في العسكرية رفيع جاء بابنه الصبي إلى الأستاذ صاحب مدرسة التهذيب الإسلامي، وذكر له أنه كان أدخل ابنه هذا في مدرسة من المدارس الأجنبية، فأزاغوا عقيدته، وبلغ به الحال أن صار يدعوني وأمه إلى النصرانية، ثم رغب إلى الأستاذ وهو مملوء حزناً وندماً أن يعالج قلب هذا الغلام، ويعرض عليه محاسن الإسلام لعله يزكى»^(١).

ويواصل ذكر الأمثلة والشواهد على الآثار السيئة لتلك المدارس، فيقول: «وقد عرف القراء اليوم نبأ ذلك القسيس الذي صدرت صحف هذا الشهر - شهر الصيام - طافحة بإنكار ما قاله وهو في درس يلقيه بإحدى هذه المدارس طعناً في الإسلام، ملأ فمه بالطعن في الدين القيم دون أن يحترم شعور بعض أبناء المسلمين الذين سيقوا إلى الجلوس بين يديه.

وقد حملت الغيرة أحد الطلاب الذين لا تزال فيهم بقية من إيمان على أن أنكر قوله، وفضح أمره، وإن في ذلك لعبرة لقوم يؤمنون»^(٢).

ثم يعلق الشيخ على الكلام السابق فيقول: «ونحن لا نكثر من الإنكار على ذلك القسيس، ولا على القائمين بشؤون هذه المدارس؛ فإنهم يقضون حاجة في نفوسهم، أو ينفذون خطة رُسمت لهم.

وإنما نوجه إنكارنا، بل موعظتنا إلى إخواننا المسلمين الذين يقذفون أبناءهم في بيئة لا يخرجون منها إلا وقد غشي نفوسهم ضلال من فوقه ضلال ومن فوقه لوثة أخلاق حقيرة: ظلمات بعضها فوق بعض، وظلمات الآخرة أشد وأبقى»^(٣).

خامساً: حثه على إخراج من التحق بتلك المدارس: فكما كان يوجه الإنكار، والنداء، والتحذير من هذه المدارس، والالتحاق بها - فكذلك كان يفعل في سبيل إنقاذ من التحق بتلك المدارس من أبناء المسلمين.

١ - الهداية الإسلامية ص ١٧٨-١٧٩.

٢ - المرجع السابق ص ١٧٩.

٣ - المرجع السابق ص ١٧٩.

ومن ذلك قوله في مقاله: (إلى كل مسلم يجب العمل في سبيل الله): «إن (جمعية الهداية الإسلامية) توجه هذا النداء إلى كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بأن يعمل ما استطاع لإنقاذ هذه الضحايا من هذه الأماكن الخطرة؛ فمن وصل إليه هذا النداء من المسلمين والمسلمات، وله ابن أو بنت، أو قريب أو قريبة، في أية مدرسة غير إسلامية - يجب عليه أن يبادر في الحال إلى إنقاذه منها، لاسيما والسنة الدراسية انتهت، فيجب أن لا يتجدد دخول تلميذ مسلم أو تلميذة مسلمة مدرسة غير إسلامية بعد الآن، مهما كانت الحال».^(١)

ويواصل كلامه قائلاً: «وكل من يصل إليه هذا النداء من المسلمين والمسلمات، وهو يعلم أن لصديقه أو جاره، أو زميله أو مواطنه ولداً أو بنتاً في مدرسة غير إسلامية - عليه أن يبذل ما استطاع من قوة لحمل هؤلاء على إخراج أولادهم وبناتهم من ذلك الوسط الذي رأى الناس جميعاً شدة ضرره وخطره».^(٢)

بل إنه يعدُّ التواصي بذلك من الجهاد، فيقول: «لا ريب أن المسلمين في ألم عظيم من الإهانات الواقعة على الإسلام في جهات كثيرة، وكل مسلم يسأل عن العمل الذي يستطيع أن يقوم به؛ فجمعية الهداية الإسلامية توجه نظر كل من يقع نظره على هذا النداء من المسلمين إلى هذا النوع من أنواع الجهاد، وتؤكد لهم أن العمل فيه له عند الله ثواب العباد».^(٣)

ثم يختم كلامه مستنهضاً الهمم بقوله: «أيها المسلمون! يجب أن لا تبدأ السنة الدراسية الجديدة وفي مدارس المبشرين مسلم أو مسلمة، وإذا مضى سنتان أو

١ - هدى ونور ص ٩٥.

٢ - المرجع السابق ص ٩٥.

٣ - المرجع السابق ص ٩٥.

ثلاث على مدارسهم، وليس فيها مسلم - فإنها ستقفل من نفسها، وتستريح الأمة منها.

هذا ميدان من ميادين العمل، والله يحب العاملين»^(١).
فهذه هي أهم معالم جهوده وطريقته في مواجهة التنصير.

المبحث الرابع: مواجهته للروحية الحديثة (دعوى تحضير الأرواح)

تمهيد: مفهوم الروحية الحديثة

لقد كان للدعوة إلى استحضار الأرواح التي يسميها أصحابها (الروحية الحديثة) رواجٌ في القرن الرابع عشر الهجري الماضي. وأصحابها يدعون استحضار أرواح الموتى؛ فيزعمون أنهم «يستحضرون روح المسلم، وروح النصراني، وروح اليهودي، وروح البوذي، وغير أولئك وهؤلاء من أهل الجاهلية على تباين نحلهم من مختلف بقاع الأرض، ويزعمون أنهم يعيشون في سعادة وهناء».^(١)

يقول الدكتور محمد محمد حسين^(٢) رحمته الله معلقاً على الكلام الماضي: «ومعنى ذلك أن السعادة والهناء لا تتوقف على الدين الذي يختاره الناس لأنفسهم في حياتهم الأرضية، وذلك يؤدي إلى الاستخفاف بالأديان كلها، وإلى تكوين مفاهيم دينية جديدة».^(٣)

ثم يقول مبيناً من يقف وراء هذه الدعوة: «إن الذي يقف وراء هذه الدعوة هي الصهيونية العالمية الهدامة بكل أجهزتها، وفي مقدمتها الماسونية التي تعمل لكي تتمكن من استخدام بلهاء المسلمين والنصارى وغيرهم من أهل النحل على اختلافها؛ لخدمة أهدافها تحت ستار الإنسانية التي تجمعهم جميعاً، ولكي تحو من وجه الأرض كلَّ عصبية؛ فلا تبقى إلا عصبية اليهود لدينهم وقوميتهم».

١ - الروحية الحديثة دعوة هدامة - تحضير الأرواح وصلته بالصهيونية العالمية، د. محمد محمد حسين، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م، ص ٦.

٢ - الدكتور محمد محمد حسين من أخبر الناس بتلك الدعوة، حيث كان من المخدوعين بها، ثم تبين له فيما بعد زيفها وعوارها وبطلانها؛ فكتب كتابه (الروحية الحديثة) تبياناً لضلالة تلك الدعوة، وتحذيراً من مسلكها؛ فكان أحسن ما ألف في بابها؛ حيث فصل القول في إبطال تلك الدعوة بالنقل والعقل.

٣ - الروحية الحديثة ص ٦-٧.

وعند ذلك يصبح العالم بأسره أمام اليهود قطيعاً من الأغنام لا تجمعهم جامعة، ولا تربطه رابطة يسوقونه إلى حيث يريدون»^(١).

هذا وقد تطرق الدكتور محمد محمد حسين لهذه الدعوة بكلام يطول من حيث إبطالها، وذكُر أبرز دعائها، وما مر به من تجارب داخل أروقتها، وما تنطوي تلك الدعوة عليه من المكر والخديعة.

كما تطرق بالأدلة لعلاقة تلك الدعوة بالصهيونية العالمية، ومدى مطابقة مزاعم الروحيين لعقائد اليهود إلى غير ذلك مما تطرق له في هذا الباب.

والروحية بهذا الاعتبار مذهب مقابل للمادية؛ فالروحية تفسر الوجود بالروح أو العقل؛ فترى أن أساس هذا الوجود الذي يعمل وراء الظواهر المحسوسة هو روح لا مادة لها.

فما هي الأشياء -على هذا المذهب- ليست هي القوة المادية، بل هي روح تشعر بنفسها، وتحس بشخصيتها؛ ذلك لأنه ليس في استطاعتنا أن ندرك حقائق الأشياء بجواسنا، بل بعقولنا المجردة، فكان لا بد -إذاً- أن تكون الأشياء المدركة بالعقل المجرد شيئاً روحياً مجرداً.

والروحية دائماً تأتي بعد المادية، وهي نتيجة عكسية للمادية؛ لأن العقل يتجه بطبيعته إلى المحسوس أولاً، لكنه سرعان ما يتجاوز ذلك إلى البحث فيما وراءه؛ لكشف المجهول من أسراره^(٢).

والروحية الحديثة هي امتداد للروحية القديمة التي تعني البعد عن ملذات الحياة؛ رغبة في السمو، والترقي، والبعد عن الشهوات والنزعات.

١ - المرجع السابق ص ٧.

٢ - انظر بحث: الروحية تعريفها - نشأتها - وسائلها - نقدها، لسعيد بن أحمد الأفندي في مجلة الدراسات الإسلامية في جامعة الملك سعود، دورية علمية محكمة، المجلد الخامس والعشرون، العدد الأول، فبراير ٢٠١٣ - ربيع الأول ١٤٣٤هـ، ص ٧٥-٧٨، وهو بحث قيم تكلم على هذه الدعوى مبيناً نشأتها، وصورها، وأهدافها، ونقدها.

وترجع جذور هذه الروحية إلى عقيدة (النيرفانا) عند البوذيين التي تقوم على التخلص من الألم في هذه الحياة بسلوك طريق المعرفة، والبعد عن الرغبات والملذات، وتعذيب النفس الذي قد يصل إلى الموت في سبيل الوصول إلى مرحلة النيرفانا التي تعني الوصول إلى السعادة القصوى^(١).

وإذا نظرنا في تاريخ الفكر الفلسفي اليوناني وجدنا أن الفلسفة اليونانية ابتدأت بالنظرة المادية الطبيعية عند الطبيعيين الأوائل، إلى أن ظهر سقراط فجاء بالاتجاه العقلي من خلال نظرية المدركات الكلية التي طورها أفلاطون عندما جاء بنظرية (المثُل).

وفي العصر الوسيط كانت الغلبة للدين المسيحي، فظهرت الروحية عندهم في الرهبانية، التي تنبذ الزينة، وتأمّر بالابتعاد عن الشهوات.

والروحية القديمة ما تزال حتى الآن وسيلة للدجل والاحتيال تحت اسم العلوم الروحية، والتنويم المغناطيسي، ومناجاة الأرواح؛ لاكتساب الأموال^(٢). فكل ذلك كان إرهاباً للروحية الحديثة التي مضى الحديث عنها، وسيأتي مزيد بيان لها.

مواجهة الشيخ الخضر لهذه الدعوة

يعد الشيخ الخضر من أوائل من تعرض لهذه الدعوة الخطيرة، حيث سبق الدكتور محمد محمد حسين إلى بيان بطلانها، والتحذير منها، وذلك من خلال بحث له عنوانه (استحضار الأرواح) ويمكن إجمال مواجهته، وآرائه، ودراسته لهذه الدعوة من خلال ما يلي:

أولاً: يرى الشيخ الخضر أن هذه الدعوة داخلية في قبيل الشعوذة: يقول ﷺ في ذلك: «سأل سائل عن استحضر أرواح الموتى بأنفسها هل هو واقع أو شعوذة ممن يدعي إحضارها؟

١ - انظر الفلسفات الهندية علي زيغور، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٣م، ص ٢٠٦-٢٠٧.

٢ - انظر بحث الروحية الحديثة في مجلة الدراسات الإسلامية في جامعة الملك سعود ص ٧٨-٨٠.

فقلت: كانت دعوى استحضار الأرواح تُذكر، ولا نعطي لها بالاً؛ لأن اعتقادنا أن كل مسلم يعتقد أنها شعوذة لا أكثر ولا أقل؛ لأنها من المسائل التي لا تصدق فيها التجارب، ولا تتحقق فيها الأدلة المنطقية»^(١).

ثانياً: أبان الشيخ أن هذه الدعوة محل إنكار حتى عند غير المسلمين: يقول في ذلك: «ولما كنت بألمانيا سمعت -أيضاً- أن أناساً من أوروبا وأمريكا يدعون أنهم يستحضرون أرواح الموتى، ويُخبرونهم عن حالهم، وبعض ما يقع لهم في الحياة، فأقول: إن هذه الواقعة باطلة بنفسها.

واجتمعت بقسيس في بلد (لنداو) من ألمانيا، وسألته: هل حضر جلسة من جلسات هؤلاء الذين يدعون استحضار الأرواح؟ قال القسيس: هذه دعوى باطلة، والعلماء ينكرون ذلك»^(٢).

ولما جاء الشيخ إلى مصر - كما يقول - وجد هذه المسألة دائرة في المجالس؛ فبعض الناس يصدق بها، وبعضهم يتوقف فيها، وأكثرهم ينكرون ذلك. قال: «فقلت: حيث ظهرت المسألة في أوروبا وأمريكا ننظر أقوال كبار علمائهم أولاً، ثم نقرر ما يقوم عليه الدليل من الشرع الحنيف، ولا يهمننا كثيراً أو قليلاً اتفاقهم على استحضار الأرواح، واختلافهم في ذلك، وإنما نريد أن نعلم: ما رأيهم في هذا الادعاء؟»^(٣).

ثالثاً: يستشهد على بطلان هذه الدعوة بأقوال بعض المنكرين لها: ومن هؤلاء الدكتور يعقوب صروف صاحب (المقتطف).

يقول الشيخ الخضر: «وجدنا الدكتور يعقوب صروف ينكر استحضار أرواح الموتى، ونقل في مجلة (المقتطف) عن مجلات أوروبا وأمريكا إنكار كثير من علمائهم الذين حضروا جلسة استحضار الأرواح، وصرحوا بأنها شعوذة وخداع.

١ - دراسات في الشريعة الإسلامية ص ٨٢.

٢ - المرجع السابق ص ٨٢.

٣ - المرجع السابق ص ٨٢-٨٣.

قال: ويدل على هذا: أن أشهر الذين كانوا يدعون مناجاة الأرواح اعترفوا آخراً أنهم كانوا يستعملون الحيل والخداع للناس. والأرواح التي يزعم مستحضرها أنها أرواح الموتى لا تفعل إلا أسخف الأعمال وأحقرها؛ فلا تكتشف سراً في كشفه فائدة لأحد، ولا تنبئ بأمر من الأنبياء به نفعاً ما»^(١).

ويعلق الشيخ على كلام صروف مؤيداً، فيقول: «وصدق الدكتور صروف، فقد دلت المشاهدات الطويلة على أنه ليس في زعم استحضار الأرواح من فائدة دنيوية أو أخروية، سوى تسلية النفوس الفارغة من الأعمال؛ بإراءتها الباطل في ثوب الحق كبقية المظاهر السحرية»^(٢).

ويواصل إيراده لكلام صروف، فيقول: «ثم قال: وإن الذين يصدقون بمناجاة الأرواح، ويمارسون ذلك تضعف قواهم العصبية رويداً رويداً، وينتهي أمرهم إلى الجنون.

وهذا أمر معلوم يدل على أن أعصابهم كانت ضعيفة من أصلها، أو مائلة إلى الضعف، ومن كانت أعصابه كذلك لا يُركن إلى أحكامه وتصورات»^(٣).

وتعرض إلى العلماء الذين يصدقون بهذه الشعوذة، وقال: إن العلماء المنجربين أشد انخداعاً من غيرهم، حتى قال أحد المشعوذين: إن العالم الذي يجلس حيث يجلس، ويلتفت حيث تقول له أين يلتفت هو الرجل الذي تجوز عليه حيل الشعوذة، ويرى ويصدق ما لا يراه ولا يصدق تلامذة المدارس»^(٤).

إلى أن يقول: «وقد جرب بعض المحاكم في إنجلترا استحضار الأرواح في قضية قتل، فلم تحصل منه نتيجة، ولم يروها من الطرق المثيرة للشبهة حتى يعتبر في تقرير الجنايات»^(٥).

١ - ٢ - ٣ - ٤ - المرجع السابق ص ٨٣.

٥ - المرجع السابق ص ٨٤.

وذكر الشيخ الخضر من جملة من أنكرها الشاعر أحمد شوقي، وأورد أبياته التي يقول فيها:

لا تسمعن لعصبة الأرواح ما قالوا بباطل علمهم وكذابه
الروح للرحمن جلّ جلاله هي من ضنائن علمه وغيابه^(١)
غلبوا على أعصابهم فتوهموا أوهام مغلوب على أعصابه^(٢)

رابعاً: إيراده أقوال بعض من يثبتون صحة تلك الدعوة: حيث ذكر من هؤلاء الأستاذ محمد فريد وجدي، يقول الشيخ في ذلك: «وطالعت (دائرة المعارف) للأستاذ فريد وجدي، فوجدته أثبت صحة استحضار الأرواح؛ استدلالاً بما وقع فيه بعض علماء أوروبا من تصديق مدعي استحضارها».^(٣)

ثم يعلق الشيخ الخضر على ذلك بقوله: «ولا شأن له إلا أن نقل عنهم ما يقولون. وتابعه بعض الشيوخ هنا، وأسرع إلى متابعتة حيث وجد فيه شاهداً على الماديين، والماديون يسهل الرد عليهم بغير استحضار الأرواح».^(٤)

ثم يذكر الشيخ من هؤلاء المغترين بتلك الدعوة الشيخ المراغي، يقول الشيخ الخضر في ذلك: «وقال الشيخ المراغي في تقرير كتاب الدكتور هيكل: (من الفوائد التي أتى بها الابتكار الحديث: استحضار الأرواح)».^(٥)

١ - معنى قوله: من ضنائن: أي خصائص علمه مما اختص به الله نفسه؛ فلا يعلم به سواه، ومعنى قوله: غيابه: غيبه - عز وجل -.

٢ - انظر الشوقيات ديوان أحمد شوقي دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١١، ١٤٠٦-١٩٨٦م ٨٦/١.

٣ - دراسات في الشريعة الإسلامية ص ٨٤، وله - أي محمد فريد وجدي - كلام أطول من ذلك نشره في عدد فبراير ١٩٢٠م من مجلة (المقتطف) تحت عنوان: (إثبات الروح بالمباحث النفسية) انظر الروحية الحديثة ص ٦٠.

٤ - المرجع السابق ص ٨٤.

٥ - المرجع السابق ص ٨٤.

ويعلق الشيخ الخضر على هذا الكلام، منكرًا هذه الدعوى، ومعتذرًا للشيخ المراغي فيقول: «والأستاذ المراغي أخذ أقوال من شهدوا بأن المسألة صدق، ولم يُوجّه نظره إلى بحث المسألة باعتناء»^(١).

ثم ذكر الشيخ أنه قد: «قام أحد الكاتبين في مصر، فترجم كتاباً لأحد الأوروبيين في تصديق ما قاله بعض مدعي استحضار الأرواح، وزاد عليه الكاتب في مقدمته ذكر بعض من ادعى أنهم حضروا لديه في حجرة استحضار الأرواح، منهم: عباس البهائي، فقال: (قد تجسدت روح الزعيم الديني الفارسي عبد البهاء غير مرة، وكان يسلم علي بالعربية أولاً، ثم تكلم بالإنجليزية تكلم العالم المطلع).

ولسنا بصدد الكلام على اعتقاد الكاتب الذي ذكر زعيم البهائية بما شاء»^(٢). ويواصل الشيخ الخضر كلامه عن ذلك الكاتب، فيقول: «وذكر ممن استحضر أرواحهم في جلسة واحدة جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، وويصا واصف، وطنطاوي جوهرى، ومصطفى كامل.

ونقل الكاتب نحو الصحيفة والنصف من رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، ومضمونها: أن الروح غير البدن، وأن كلاً منهما مستقل»^(٣).

ويعلق الشيخ الخضر على هذا النقل فيقول: «وهذا النقل لا يفيد؛ فإن تغاير البدن والروح هو الذي ذهب إليه المحققون من علماء الإسلام.

ونحن لا نتكلم على تغاير البدن والروح، وإنما نتكلم على استحضار الروح بعد الموت»^(٤).

١ - المرجع السابق ص ٨٤.

٢ - المرجع السابق ص ٨٤-٨٥.

٣ - المرجع السابق ص ٨٥.

٤ - المرجع السابق ص ٨٥.

ويواصل الشيخ الخضر حديثه عن ذلك الكاتب فيقول: «وذكر الكاتب مستدلاً على استحضر الأرواح بما كتبه الشيخ المراغي في تقرّيب كتاب الدكتور هيكل، وبيناً وجه تقصيره في بحث المسألة.

كما ذكر الكاتب شعر شوقي في تكذيب من يزعم استحضر الأرواح، وادعى أن روح شوقي اتصلت به في عالم الروح، ورجعت عما سبق لها من الإنكار عليه.^(١) وقال الكاتب: (لا ينكر استحضر الأرواح إلا البله من المتدينين والملاحدة). قال هذا، ولم يقدّم دليلاً على استحضر الأرواح يقنع الأذكياء من المتدينين.^(٢) خامساً: إثباته بطلان تلك الدعوى: فبعد أن بين بعض أقوال المنكرين والمثبتين لها - قرر بطلانها، وذكر وجوهاً عدة في ذلك.

يقول ﷺ في هذا: «ونحن لا نؤمن باستحضر أرواح الموتى؛ لوجوه غير الوجوه التي نقلناها من مقال الدكتور صروف.

منها: أن الشريعة الحكيمة نصت على أن من مات ذهب روحه إلى عالم الآخرة، ولا يعلم ما يقع في عالم الآخرة إلا الله، أو من ارتضى من رسول، قال -تعالى-: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٥١﴾ إِلَّا مَن آرَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴿٥٢﴾﴾ الجن: ٢٦-٢٧. وإذا علم غير الرسول من الغيب فيالهام من الله في المنام، أو بصفاء البصيرة، وكلاهما يعطي ظناً قوياً، لا في قوة ما يُطلعُ الله عليه من ارتضى من رسول. والله أعلم وأحكم من أن يُطلع على غيبه شخصاً يعدُّ حُجْرَةً يتسلى فيها الناس بالحديث مع الموتى.

١ - يعني الأبيات الثلاثة التي وردت قبل قليل، ويبدو أن أبيات شوقي الماضية أصابهم في مقتل، فكانوا يدعون رجوعه عنها - كما مر - ويدعون أن روحه تأتيمهم، وتلمي عليهم شعراً: يقول الدكتور محمد محمد حسين في بحثه المانع (الروحية الحديثة): «إن مجلة المصور في عددها ١٧٧٦ في ١١/٤/١٣٧٨ هـ، ٢٤/أكتوبر ١٩٥٨ م ص ٤٩ نشرت تحت عنوان (بديعة وروح شوقي) حيث أوردت قصة زعمت فيها راويتها المدعوة بديعة حرم الدكتور سلامة ميخائيل أن روح شوقي تلمي عليها شعراً من نظمه بعد أن قال -فيما تدعي-: «إني مشفق على العالم العربي اليوم؛ لذلك أود أن أغذيه من العالم الذي أعيش فيه».

وعرضت نموذجاً سخيفاً تافهاً من هذا الشعر قالت: إن عندها من أمثاله ثلاثة آلاف بيت قررت أن تطبعها في ديوانه. الروحية الحديثة ص ٢٠.

٢ - دراسات في الشريعة الإسلامية ص ٨٥-٨٦.

ومنها: أن الكتاب نصَّ على أن الناس منهم سعيد وغير سعيد، وقد جعل الله لروح كل واحد منهم حالاً خاصة، ومدَّعي استحضر أرواح الموتى يزعم أنه جمع بين أرواح مختلفة الأحوال، دون أن يفرق بين مَنْ يُعرف بالعقيدة السليمة، ومن يعرف بالجحود.

ومنها: أن الدين الحنيف صرح بأن الجان والشياطين أحياء كائنون، قال -تعالى-:

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ الجن: ٦.

وقال -تعالى-: ﴿إِنَّكُمْ بَرَنَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ، مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ الأعراف: ٢٧.

وقد قامت الدلائل الواضحة من الشريعة على أن الجان والشياطين يتصورون بصورة الأدميين صوتاً وشكلاً^(١).

ثم يختم بحجته بقوله: «فعلى فرض أن يسمع مستحضر الأرواح صوت الميت، أو يرى شبحه، هل يستطيع أن يقيم لنا الدليل على أنه سمع صوت الميت، أو رأى شبحه، لا صوت الروح العابثة مثلت صوته أو شبحه، وأخبرت ببعض ما تعرفه من أحواله؟!»

فإن لم يستطع ذلك فلتتمسك بالحقائق التي قام عليها الدليل من الشريعة الإسلامية^(٢).

فهذا هو أهم ما واجه به الشيخ الخضر دعوى تحضير الأرواح^(٣).

١ - المرجع السابق ص ٨٦-٨٧.

٢ - المرجع السابق ص ٨٧.

٣ - انظر في تفصيل الحديث عن الروحية الحديثة إلى كتاب (الروحية الحديثة) د. محمد محمد حسين، وإلى بحث: (الروحية: تعريفها - نشأتها - وسائلها - نفعها) لسعيد بن أحمد الأفندي حيث تعرض لنشأة الروحية الحديثة، ولأهم الجمعيات الروحية، ووسائلها كالتنويم المغناطيسي، والمباحث النفسية، كما تكلم على أثر الروحية الحديثة ونفوذها.

وخلص إلى نتيجة مفادها أن الروحية دعوة هدامة، مبنية على الشعوذة، وعلى ادعاء إمكانية الاتصال بالموتى بأساليب علمية؛ بغية التبشير بدين جديد، والتشكيك في الأديان والعقائد، وبخاصة في نفوس المسلمين.

الفصل الثاني : مواجهات الشيخ محمد الخضر للانحرافات العقديّة

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول: موقفه من الفلسفة

المبحث الثاني: موقفه من التصوف

المبحث الثالث: موقفه من التشيع

المبحث الرابع: مواجهته للشرك والبدع

المبحث الخامس: مواجهته للإلحاد

المبحث الأول: موقفه من الفلسفة

مدخل: نبذة في الفلسفة

١- مفهوم الفلسفة: الفلسفة كلمة مُعَرَّبَةٌ عن اليونانية؛ فهي - في أصلها الوضعي - مركبة من كلمتين يونانيتين: فيلو أو فيلا: ومعناها: المحبة والإيثار. وسوفيس أو سوفيا: ومعناها: الحكمة.

فمعنى كلمة الفلسفة - في الأصل - : محبة الحكمة، أو إيثار الحكمة. وتعني - كذلك - حب الاستطلاع، وتعني كل جهد علمي.

ثم مر مصطلح الفلسفة بأطوار كثيرة؛ فصار مفهومها يختلف باختلاف الأطوار، واختلاف الفلاسفة الذين وضعوا لها حدوداً وتعريفات.^(١)

فمن تعريفاتها: أ- البحث عن الحقيقة ب- حب المعرفة ج- وعرفها الكندي بقوله: هي علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان د- وعرفها الفارابي بقوله: إنها العلم بالموجودات بما هي موجودة ه- وعرفها - أيضاً - بأنها: علم بمقدار الطاقة الإنسانية.

و- وعرفها ابن سينا بقوله: الحكمة: استكمال النفس بتصور الأمور، والتصديق بالحقائق النظرية والعلمية على قدر الطاقة الإنسانية.

ثم صارت الفلسفة تطلق على آراء محددة، ونظرات خاصة للكون، والوحي، والنبوت، والإلهيات، ونحو ذلك.

١ - انظر المدرسة الفلسفية في الإسلام بين المشائية والإشراقية، أ.د. محمد إبراهيم الفيومي، ضمن أبحاث ندوة (نحو فلسفة إسلامية معاصرة) (ب.ت) ص ٧٥.

وصارت تعنى بالعقل، وتقدمه على النقل.^(١)

٢- نشأة الفلسفة: نشأت - كما مر - في بلاد اليونان، وأصبحت مقترنة بها على الرغم من وجود الفلسفات في الحضارات المصرية، والهندية، والفارسية القديمة، وما ذلك إلا لاهتمام فلاسفة اليونان بنقلها من تراث الشعوب الوثنية، وبقايا الديانات السماوية؛ فجاءت فلسفتهم خليطاً من نزعات شتى.^(٢)

٣- تاريخ الفلسفة: ظهرت في ملطية على يد طاليس في القرن السادس قبل الميلاد، ثم جاءت فلسفة الطبيعيين فكانت مستوعبة ميادين المعرفة البشرية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، متجهة نحو العالم الخارجي: نشأة الكون، وتفسير الطبيعة. ثم جاء السوفسطائيون؛ فاحترفوا الجدل والخطابة، ثم تطرقت النزعة الشككية إلى الفلسفة؛ فشاع القول بالنسبية.

ثم جاء سقراط، فأحدث ثورة كبرى؛ حيث وجّه الدراسات الفلسفية وجهة جديدة تبحث في الإنسان، وحوّل الفلسفة إلى دراسة الأخلاق والسياسة، واهتم بالمدرجات العقلية، والعمل على إقامة العلم على أساس متين، واصطُح على تسمية منهجه في التعلم بمنهج التحكم والتوليد الذي تفرع عنه المنهج الجدلي عند أفلاطون، والتحليلي عند أرسطو.

ثم جاء أفلاطون؛ فسار على منهج أستاذه سقراط؛ فجعل معرفة الذات نقطة البداية في كل بحث فلسفي، لكنه لم يلبث أن أرجع الفلسفة إلى طابعها العام في استيعاب موضوعات الطبيعة، واكتسبت الفلسفة عنده صبغة ميتافيزيقية^(٣).

١ - انظر المرجع السابق ص ١٢٤-١٢٦.

٢ - انظر المرجع السابق ص ٧٥ و١٤١ و١٥١ و١٥٢.

٣ - انظر مشكلة الفلسفة د. زكريا إبراهيم، الناشر مكتبة مصر، ص ١٩-٢٣.

ثم جاء أرسطو فظلت فلسفته تشير إلى ضروب البحث العلمي، وقَسَم العلوم إلى نظرية، وعلمية، وفنية.

واتبع الأسلوب العلمي الذي يبدأ بتحديد بحثه، ثم يستعرض شتى الآراء التي أدلى بها سابقوه في هذا الموضوع؛ لكي يتناولها بالتحليل والنقد.

وصار من جاء بعد هؤلاء يتعاور الفلسفة بالتطوير، والنقد؛ كما هي الحال عند الرواقين، والأبيقوريين إلى أن اختلطت الفلسفة بالروح الشرقية؛ فامتزج العلم بالأساطير، واختلط الفكر بالتصوف.

ثم جاء فلاسفة العصور الوسطى من مسلمين ونصارى، فصرفوا جهدهم إلى التوفيق بين الفلسفة والعقيدة أو بين العقل والنقل؛ فصارت السمة آنذاك توفيقية تليفقية.

ثم ظهرت الفلسفة المدرسية التي أخذت الكثير من مذاهب اليونان والرومان، وآباء الكنيسة^(١).

إلى أن جاءت الفلسفة الحديثة التي اتسمت بالنقد، والنظر العقلي، والاهتمام بالتجربة، وألا يتوصل إلى المعرفة إلا عن طريق الشك، واشتمالها على قواعد ديكارث الأربعة: اليقين، والتحليل، والتركيب، والتحقق.

ثم جاء فلاسفة القرن الثامن عشر، فحاولوا فصل الفلسفة عن سائر العلوم؛ فانفصل علم الطبيعة عن الفلسفة على يد جاليلو، وعلم الكيمياء على يد لافوازيين، وأصبح علم الفلسفة مستقلاً عند لوك، وهيوم ولوندياك.

ثم ظهرت الفلسفة الماركسية؛ فصار المهّم عند ماركس وأتباعه مثل: إنجلز ولينين وستالين ليس وضع نظرية فلسفية لتفسير الوجود، بل العمل على فهم التاريخ، ومعرفة القوانين التي يخضع لها تطور البشرية.

وجاء القرن العشرين، فتعددت الاتجاهات الفلسفية فيه، واختلفت وجهات نظر المفكرين نحو العلاقة بين الفلسفة والعلم، فزخر ذلك القرن بالكثير من التغيرات، وظهور العديد من الفلسفات وعلى رأسها البراجماتية، وجاء إنتاج كثير من الفلاسفة حاملاً طابع التخصص، حافلاً بالمصطلحات الجديدة، والمفاهيم الغامضة خصوصاً لدى بعض أصحاب فلسفة الوجود. وفي هذا القرن تقارب المفكرون من بعض عن طريق المؤتمرات الفلسفية، والتبادل الثقافي، والعلاقات بين الجامعات.^(١)

٤- دخول الفلسفة بلاد الإسلام: دخلت الفلسفة بلاد الإسلام في القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي وذلك في عهد الخليفة العباسي المأمون. ولقد سبق العربُ فلاسفةَ الغربِ بالاتصال بالفلسفة اليونانية؛ إذ إنها لم تصل إلى الغرب إلا في القرنين الميلاديين الثاني عشر والثالث عشر معتمدين على ما خلفه الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام الذين تخصصوا في دراستها أوفي نقلها من النص السرياني، أو اليوناني إلى اللسان العربي، ثم نقلت إلى لسان الغرب.

٥- أشهر الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام: يوسف بن يعقوب بن إسحاق المشهور بالكندي، ويطلق عليه فيلسوف العرب، وأبو نصر محمد بن محمد ابن أوزلغ بن طرخان المعروف بالفارابي، وأبو علي الحسين بن عبدالله بن علي بن سينا المعروف بابن سينا الملقب بالشيخ الرئيس.

فهؤلاء أشهر الفلاسفة الإسلاميين في المشرق.^(٢)

١ - انظر المرجع السابق ص ٢٧، وانظر تفصيل ذلك في الفلسفة المعاصرة في أوربا لبوشنسكي ترجمة د. عزت قرني وقصة الفلسفة اليونانية لأحمد أمين، ود. زكي نجيب محمود.

٢ - انظر تفصيل ذلك في: المدرسة الفلسفية في الإسلام ص ٨٤-٨٥ و ١٠١-١١٠، وباعت النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي - نقد لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات د. محمد خليل هراس ص ٣٩-٤٠، وانظر مقدمة د. البير نصري نادر على كتاب فصل المقال لابن رشد ص ١١، والعقل والنقل عند ابن رشد، د. محمد أمان الجامي ٩-١٠.

وابن طفيل، وابن باجة، وابن رشد وهؤلاء أشهر الفلاسفة الإسلاميين في بلاد المغرب.

٦- موضوعات الفلسفة، وأقسام الفلاسفة والفلسفة: تكاد موضوعات الفلسفة

تنحصر في:

أ- العلوم الإلهية ب- العلوم الطبيعية ج- العلوم الرياضية د- العلوم المنطقية.

أما أقسام الفلاسفة: فمنهم الطبيعيون، أو الطبائعيون، ومنهم الإلهيون، ومنهم

الرياضيون.

وأما أقسام الفلسفة فتختلف بحسب موضوعاتها، ويمكن أن تنقسم إلى:

أ- الفلسفة الحسية: وهي التي تتحصل بالحواس، وموضوعها عالم الطبيعة.

ب- الفلسفة النظرية العقلية: وهي التي تتم بالاستدلال البرهاني، أو النظر

الاستنباطي، وتسمى هذه الفلسفة: الفلسفة المشائية.^(١)

ج- الفلسفة الإشراقية: من الإشراق، أي إشراق النفس، واستعدادها.

وهذه تنال بالحدس والإلهام، وموضوعها: العلوم الإلهية.

٧- مواقف علماء الإسلام من الفلسفة: لقد تصدى كثير من علماء الإسلام

للفلسفة، وأحاطوا بها خبراً، وبيّنوا ما فيها من حق وباطل؛ فالعلماء الذين

يستضيئون بحكمة الإسلام شأنهم أن يبحثوا ما تحتويه علوم الفلسفة، ويزنوه بمعيار

الشرع، فيقروا ما قام الدليل على صدقه، ويطرحوا ما كان زعماً باطلاً، أو افتراضاً

لا يتكئ على حجة.

ويأتي على رأس هؤلاء العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية؛ فإنه رحمته الله قد ألمّ

بالفلسفة، وكانت دراسته لها دراسة واعية، متأنية، فكانت دراسة مقارنة، وتحليل،

ونقد، دراسة تقوم على العدل، والتثبت، والتروي.

١ - نسبة إلى رائدها أرسطو الذي كان يعلم تلاميذه وهو يمشي؛ تعظيماً لشأن الفلسفة.

يقول د. محمد خليل هراس رحمته الله في ذلك الشأن: «قرأ الفلاسفة، ووقف على وقائعها، وكان يعرف الفلسفة اليونانية القديمة؛ بدليل ما ينقله من آراء أفلاطون، وأرسطو، ومقارنته بينهما، وكذلك قرأ المنطق الأرسطي، ونقدَه رغم انتفاعه به كثيراً في مناقشته للفرق المختلفة.

أما دراسته للفلسفة الإسلامية فكانت دراسة استيعاب وتمحيص تدل على عمق وبعد نظر؛ فقد قرأ كل ما كتبه فلاسفة الإسلام، ولا سيما كتب ابن سينا، وابن رشد. وكان كثيراً ما يستعين بآراء هذا الأخير في نقده لمدرسة الفارابي، وابن سينا، ومناقشة المتكلمين.

وكان على علم تام بمناهج هؤلاء الفلاسفة الإسلاميين، وما حاولوه من التوفيق بين الدين والفلسفة»^(١).

والذي يميز ابن تيمية في دراسته للفلسفة أنها دراسة الناقد البصير، يقول الدكتور الهراس في ذلك: «لم تكن تلك الدراسة الواسعة التي قام بها ابن تيمية لمذاهب المتكلمين والفلاسفة لرغبة منه في الوصول إلى الحقيقة، أو لكي يتلمس عندها الهدى والشفاء، كما فعل الغزالي مثلاً حينما طوّف بين المذاهب المختلفة حتى ارتقى أخيراً في أحضان التصوف معتقداً أنه الطريق الموصل إلى الله -تعالى- كما حكى هو عن نفسه في المنقذ من الضلال.

ولكن ابن تيمية إنما درس هذه المذاهب تلك الدراسة المتقنة فيما نعتقد لكي يتمكن من نقدها نقداً علمياً نزيهاً بعيداً عن شوائب الطعن، فقد كان يعتقد كما اعتقد الغزالي قبله أن نقد المذهب قبل الوقوف على حقيقته خبطٌ في ظلام»^(٢).

(١) باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص ٢٧ .

(٢) باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص ٣١ .

ثم إن ابن تيمية رحمه الله كان يرى أن أعظم ما يستفاد من أقوال المخالفين في أقوالهم الباطلة - هو بيان قول الطائفة الأخرى، فيعرف الباحث والطالب فساد تلك الأقوال، ويكون ذلك داعياً له إلى طلب الحق^(١).

ولم يكن ابن تيمية ليرى غضاضة من الإفادة ممن سبقه في نقد الفلسفة، ولا أن يخالف من أفاد منهم في جوانب من تقدم لها؛ لذا يلاحظ أنه قد تأثر كثيراً بالغزالي في نقده للفلسفة، كما تأثر بابن رشد في نقده للغزالي وللمتكلمين غير أن أسلوبه في النقد كان أحدهم من أسلوبهما.

كما أن نقده كان شاملاً لجميع المخالفين، بل تعدى نقده إلى بعض من يُخطؤون في نقد الفلسفة أو الفلاسفة، كما في صنيعه مع الغزالي. ويلحظ في نقده للفرق المخالفة أنه كان - كثيراً - يستخدم أساليب منطقية في غاية الهدوء والاعتزان.

وتراه - أحياناً - يشتد في نقده، ويقوى في رده حسب ما يستدعيه المقام.^(٢) فهذه نبذة عامة عن الفلسفة، وأشهر الفلاسفة.

(١) انظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ٢٩/٣، وبعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص ٣٣.

(٢) انظر باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص ٣٣-٣٤.

موقف الشيخ الخضر من الفلسفة

لقد كان للشيخ محمد الخضر حسين موقف من الفلسفة، وبعض قضاياها، وأشهر رجالاتها، وما جرى مجرى ذلك؛ حيث إنه قد درس الفلسفة أيام الطلب في الزيتونة، ووقف على كثير من مباحثها، وكتبها، وشخصياتها في القديم والحديث، وما كتب حولها من أبحاث.

كما أنه قد كتب في موضوعات عدة من الفلسفة، وأبان عن رأيه في كثير من قضاياها.

وكتاباتة فيها تختلف من موضوع لآخر؛ فتارة يكتب عن شيء من ذلك ابتداءً، وتارة يمر به عرضاً في غضون ردوده وأبحاثه.

وسيتضح من خلال المطالب الثلاثة التالية معالم موقفه من الفلسفة.

المطلب الأول: بيانه لموقف الإسلام من الفلسفة

تعرض الشيخ الخضر لبيان موقف الإسلام من الفلسفة في عدد من مباحثه، وردوده، وأوضح ما في ذلك ثلاثة مواضع من آثاره، وهي:

١- بحثه المعنون بـ: (الإسلام والفلسفة) الذي نشره في مجلة (البدن) الجزء السادس والسابع في العدد الأول من المجلد الثاني عشر الصادر في منتصف رجب ١٣٤٠. (١)

٢- بحثه المسمى - أيضاً - (الإسلام والفلسفة) وهو قريب جداً من المبحث الماضي، وقد جاء ضمن رده على كتاب (الإسلام وأصول الحكم) تعليقاً على قول علي عبدالرازق: «بل رضوا بأن يمزجوا لهم علوم دينهم بما في فلسفة اليونان من خير وشر، وإيمان وكفر». (٢)

فعقب عليه الشيخ الخضر بكلام مأخوذ في مجمله من البحث الآنف. (٣)

٣- (الدين والفلسفة والمعجزات) وهو بحث منشور في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء الخامس من المجلد السادس. (٤)

ولقد تعرض في هذه المباحث إلى جملة من القضايا التي بين من خلالها موقف الإسلام من الفلسفة.

وفيما يلي بيان لأبرز المعالم التي وردت في تلك المباحث:

(١) انظر هدى ونور ص ٦٤.

(٢) الإسلام وأصول الحكم ص ٥٩.

(٣) انظر نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ٧٤-٧٦.

(٤) انظر الهداية الإسلامية ص ٨٦-٨٩.

أولاً: بيانه مبدأ نشأة الفلسفة، ومفهومها، وتطورها: حيث أبان أن الإنسان سار: « في حياته على ما أودع الله في فطرته من القوة الناطقة، وذهب يفكر في حقائق الموجودات، ويكشف عن وجه تباينها في الطبائع، واختلافها في الآثار، ولم يزل يرفع الحجاب عن مخبأتها، ويقف على أسرارها، إلى أن أخذ يرسم لها حدوداً، ويقرر لها قوانين وسناً.

وهذا هو العهد الذي يعده المؤرخ مبدأً لنشأة الفلسفة، وأول حلقة في سلسلة أدوارها»^(١).

ثم يتطرق بعد ذلك إلى مفهوم الفلسفة، فيعرفها كما عرفها الفلاسفة الإسلاميون كالكندي، والفارابي، وابن سينا؛ حيث يخرج من تلك التعريفات بتعريف واحد يبين من خلاله معناها ومدارها فيقول: «الفلسفة: العلم بحقائق الموجودات وأحوالها على ما هي عليها بقدر ما تسع الطاقة البشرية.

ومدارها على النظر فيما وراء الطبيعة، ثم الرياضيات، والطبيعات، والكيمياء، وعلم التكوين وعلم النفس، وعلم النظام والاجتماع»^(٢).

ثم يوضح بعد ذلك بداية ازدهار الفلسفة؛ وتطورها، ودخولها بلاد الإسلام فيقول: «خفقت ريح الفلسفة في بعض البلاد الشرقية؛ كمصر، والهند، وجالت في أندية اليونان أمداً بعيداً، وما برحت تنتشر من أفواه الأساتيد، وتُلْتَقَط من صحائف المؤلفين، إلى أن طلع كوكب الهدي الإسلامي، وتدفتت أشعته على

(١) انظر هدى ونور ص ٦٤.

(٢) المرجع السابق ص ٦٤.

البصائر النقية، وما لبثت الفلسفة أن التقت بذلك التعليم السماوي، والتحقت بالعلوم الخادمة له في تأييد قواعد السياسة ونظام الاجتماع»^(١).

ثانياً: يرى أن الإسلام لا يعارض بعض قضايا الفلسفة: فتراه يقول: «لا يذهب إلى أن الإسلام يتجافى عن الفلسفة سوى رجلٍ التقم ثدي الفلسفة، وشب في أطواقها، ولم ينظر في حقائق هذا الدين على بصيرة وروية، أو مُسلمٍ لم يَخْضُ في غمار المباحث الفلسفية، وحسب أن جملتها قضايا باطلة أو لاغية، ولاسيما حيث لا يترامى إليه من أبوابها سوى نبذة من الآراء المنكرة على البديهة، أو يصغي إلى استدلالات بعض المتفلسفة الذين ينزعون إلى المقدمات الوهمية، ويتشبثون بخيوط واهية من ضروب التمثيل»^(٢).

ثم يوضح أن في الفلسفة قضايا تثق بها العقول الراجحة، وتنهض بجانبها الأدلة القاطعة، وأن ما كان على هذا النحو من القضايا الفلسفية فإنه لا يصادم نصوص الدين من الكتاب والسنة.

ويرى أن الذي «لا يلتقي مع هذه النصوص إنما هو بعض آراء لم تقم على مشاهدة بينة، أو نظير راسخ»^(٣).

ويوضح أنه «قد ضاعت في شعاب هذا النوع قلوب من استخفهم الحرص على أن يلقبوا بالفلاسفة، وتحيلوا أن هذا اللقب لا يحزره إلا من آمن بكل ما بين دفتي فلسفة (أرسطو) أو (ديكارت) فتطوح بهم التقليد الجامد إلى القدرح في

(١) انظر هدى ونور ص ٦٤، وانظر نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ٧٥.

(٢) انظر هدى ونور ص ٦٥.

(٣) انظر المرجع السابق ص ٦٥، ونقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ٧٥.

نصوص الشريعة، أو التعسف في تأويلها، إلى أن اقتحموا لذلك وجوهاً تخرج بها عن قانون الفصاحة وحسن البيان»^(١).

ثالثاً: يرى أن علماء الإسلام بحثوا في الفلسفة، ووزنوها بميزان الشرع: يقول ﷺ في ذلك: «خرجت الفلسفة على علماء الإسلام، وقد اعتادت أنظارهم التقلب في مسالك الاجتهاد، وتمحيص ما يقع إليها من الآراء، فبسطوا إليها أيديهم، وفتحوا لها صدورهم، ولكنهم لم يرفعوها إلى المقام الذي يمنعهم من مناقشتها، وتقويم المعوج من مقالاتها؛ كما صنع (الغزالي)، و(الرازي)، وكثير من علماء الكلام»^(٢).

ثم يثني بعد ذلك على صنيع علماء الإسلام إزاء الفلسفة، وينعى على مَنْ وثقوا بالفلسفة ثقةً مطلقة، ولم يميزوا بين صحيحها من زيوفها، فيقول: «ماذا يكون مبلغ أولئك الأعلام من الحكمة لو لم يزنوا قضايا الفلسفة بميزان العقل، ويميزوا بين ما ينسب على علم أصيل، وما يأخذ زخرف الحق من الشبه الكاذبة، فتعلقوا فيمن تعلق بمذهب (دارون) في أصل الأنواع، أو (سبينوزا) في وحدة الوجود، وقَدِمُوا إلى بعض النصوص التي يرونها مخالفة لهاتين النظريتين، فتأولوها على غير ما يفهم من مساقها، حتى إذا انكشف السراب الذي خادع (دارون)، و(سبينوزا) وانقلبت دعاويهما إلى أساطير ملفقة- عادوا إلى ما أبرموه في تأويل تلك النصوص، فنقضوه بأيديهم.

وكذلك يفعل من يستهويه كل ناعق في واد، ويفتنه قولٌ يخرج في صبغة جديدة»^(٣).

(١) هدى ونور ص ٦٥-٦٦.

(٢) هدى ونور ص ٦٦، ونقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ٧٥-٧٦.

(٣) هدى ونور ص ٦٦.

رابعاً: إثباته ما يوجد في بعض آراء الفلاسفة والفلاسفة من تناقض: يقول في ذلك: «كم يوماً قال أدعياء الفلسفة - وهم يتلقفون بعض آرائها على غير بينة -: (قد ثبت كذا فناً).

حتى إذا كنت الأملعي الذي لا يضع بجانب معلوماته قضية غير مقرونة بحجة، وناقشتهم الحساب في طريق ثبوتها، لم يكن منهم سوى أن يقولوا: هذا رأي الفيلسوف فلان، وقد أصبح من النظريات المعقود عليها بالخصائص. ثم لا تلبث بعيداً حتى يحدثوك بأن فيلسوفاً آخر قد كشف الغطاء عن وجه فسادها، ورشقها بنظرة المتهمك بها؛ فوعدت إلى حضيض الآراء المنادي عليها بالسفه والضلال»^(١).

خامساً: يرى أن توضع الفلسفة في إطارها الصحيح: فيقرر أنه ليس ممن يستخف بشأن الفلسفة، أو يرى التردد على أبوابها، والتوغل في مناكبها في غير جدوى.

ولكنه ينصح - كما يقول - «للعالم المسلم أن يجعل الكتاب العزيز والسنة الثابتة بالمكانة العليا، ولا يعدل في تفسيرهما عما ينساق إليه الذهن ويقتضيه الظاهر من اللفظ، إلا أن يمانعه المحسوس، أو تجاذبه نظرية ثبتت بأدلة لا تخالجهاربية»^(٢).
سادساً: إنكاره على من يتخذ الفلسفة مطية للطعن في الدين: فيقرر أن سوق الفلسفة لما نفقت مد إليها بعض القاصرين أيديهم، واتخذوا منها ظهيراً لآراء سخيفة، أو شبه على الدين يوردونها.

(١) المرجع السابق ص ٦٦-٦٧.

(٢) المرجع السابق ص ٦٧.

وأن ذلك مما دعا بعض أولي العلم إلى التصدي لنقض تلك الآراء، ومطاردة هاتيك الشبه.

وأن أولي العلم اضطروا - والحالة هذه - إلى استعمال السلاح الفلسفي الذي هاجموهم به، ولم يباليوا أن يمزجوا عقائدهم الصحيحة بالفلسفة اليونانية ما داموا يحملون في أناملهم أقبلاً ما تفرق بين خير الفلسفة وشرها، وإيمانها وكفرها.^(١)

سابعاً: يقرر أن الدين حاكم على الفلسفة: وأنهما «إذا تواردا على أمر، ونظرا إلى غاية - سارت الفلسفة في أثر الشريعة؛ فإن حادت عن سبيلها عرفنا أنها فلسفة زائفة، وآراء سخيصة، ونقد الأفكار الثاقبة من ورائها محيطة». ^(٢)

ثامناً: تعرضه لموقف الفلسفة من المعجزات: وذلك في بحثه (الدين والفلسفة والمعجزات).

حيث استهله في كون الإنسان يبحث عن حقائق الكائنات، ويتعرف أحوالها، ويتدبر وجوه اختلافها، وما ينتهي إليه نظره ليرسم له حدوداً، أو يصيغه في صورة قانون، وذلك ما يسمى علماً أو فلسفة.

ثم تكلم على اختلاف العقول، وتفاوتها، وقصورها مهما بلغت من العبقريّة. وينتقل بعد ذلك إلى بيان أن الدين وضع إلهي يراد به هداية الإنسان إلى السيرة المرضية في الدنيا، والفوز بالسعادة في الأخرى.

وأن الدين يصل إلى الناس على أيدي بشر أمثالهم، ولكن الله اصطفاهم، وزكّى أنفسهم، وأنار بصائرهم؛ فكانوا مستعدين لتلقي الوحي.^(٣)

(١) انظر نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ٧٦.

(٢) هدى ونور ص ٦٨.

(٣) انظر الهداية الإسلامية ص ٨٦-٨٧.

وأن أولئك البشر المصطفين هم الرسل - عليهم السلام - .
وأن حكمة الله قضت أن تكون رسالاتهم مؤيدة بالآيات البينات؛ لتتم الحجة،
وتنجح معها الدعوة.

ثم يبين أنه إنما يقصد بحديثه عن الدين: دين الإسلام، ومسايرته للعلم
الصحيح، وأنه في استطاعتنا - كما يقول - أن نقيم على ذلك الحجة، وندفع حوله
كل شبهة.^(١)

ثم يخلص من ذلك إلى الحديث عن الفلسفة والمعجزات، فيقول: «نجد فيمن
يمشون في الفلسفة على غير سبيل طائفةً يعتقدون أن الكائنات مرتبطة في نفسها
بأسباب معينة يترتب عليها أثرها حتماً، ولا يمكن انقطاع هذه الأسباب عن
آثارها المعروفة بحال.

وهذه العقيدة يحملها الطبيعي البحث، ولا تستقر في نفس تؤمن بأن جميع
الكائنات تستند إلى مبدع حكيم، فعّال لما يريد».^(٢)

إلى أن يقول: «وإذا أخذت في مناظرة صاحب هذه الدعوى، لم يقل في
الاستدلال عليها أكثر من أنه لم يشهد الأسباب منفردة عن مسبباتها، ولا المسببات
قائمة بدون أسبابها.

وبهذه الشبهة ينكر أن يكون إبراهيم - عليه السلام - ألقى في النار ولم تحرقه،
وينكر أن عيسى - عليه السلام - ولد من غير أب، وينكر أن تكون عصا موسى -
عليه السلام - قد انقلبت ثعباناً، إلى ما يماثل هذا من الآيات البينات».^(٣)

(١) انظر المرجع السابق ص ٨٧.

(٢) المرجع السابق ص ٨٧-٨٨.

(٣) المرجع السابق ص ٨٨.

ثم يبطل دعوى إنكار المعجزات بقوله: «ومن الواضح أن دعواهم باطلة، وشبهتهم داحضة، ولا سبيل لهم إلى إثبات أن تخلف المسببات عن أسبابها المعروفة عادة من قبيل المحال؛ فإن عدم مشاهدة انقطاع المسببات عما عرف من أسبابها لا يستلزم ارتباطهما في نفس الأمر ارتباطاً يحيل العقل انفكاكه.

أليس من الممكن أن يجعل القادر الحكيم للأمر سبباً آخر، أو يحدث مانعاً يبطل به تأثير السبب المعروف؟

ومن هنا صح الاعتقاد بالمعجزات التي دلت النصوص المحكمات على وقوعها»^(١).

ثم يواصل إيراد الحجج على إمكان وقوع المعجزات، وأن ورود ما هو موضع الغرابة سائغ في الدين، بل هو محقق، وأن كثيراً من شؤون اليوم الآخر داخل في هذا القبيل.^(٢)

ويختم كلامه في هذا بقوله: «وقد أظهر العلم الحديث من غرائب المخترعات ما لو وُصِفَ لقصير النظر من قبل لأنكر متخيلاً أنه من قبيل المستحيل».^(٣)

فهذا هو خلاصة ما توصل إليه من موقف الإسلام من الفلسفة، وسيأتي في المطالب التالية مزيد بيان لذلك.

(١) المرجع السابق ص ٨٨.

(٢) المرجع السابق ص ٨٨-٨٩.

(٣) المرجع السابق ص ٨٩.

المطلب الثاني: تعرضه لبعض آراء الفلاسفة

تعرض الشيخ الخضر رحمته الله لبعض آراء الفلاسفة في القديم والحديث، سواء من فلاسفة اليونان القدماء، أو من فلاسفة الإسلام، أو من الفلاسفة الغربيين؛ حيث انتقد كثيراً من آرائهم، وبين منهج بعضهم وطريقته في البحث.

وفيما يلي إيضاح لأهم المعالم في ذلك السياق:

أولاً: نُقدُّه بعض الآراء لقدماء الفلاسفة: ففي بحث كتبه في مجلة (السعادة العظمى) في عددها الصادر في غرة رمضان ١٣٢٢ هـ عنوانه (الديانة والحربة المطلقة) تعرض لنقد بعض الآراء لأكابر الفلاسفة اليونان القدماء.

فبعد أن قرر أن البشر لا يمكن أن يشرعوا للناس ما يحفظ حقوقهم كاملة، وأنهم مهما اتسعت مداركهم لا يمكنهم الإحاطة بمطالب الحياة الاجتماعية، والتوصل إلى كل ما يحتاجه الإنسان في وجوده المدني.

وأن السياسة العادلة لا تأخذ منتهى غايتها إلا باستناد أحكامها إلى من أحاط بكل شيء علماً، وأنك لو اطلعت على التواريخ العتيقة والحديثة، ودرستها درساً مدققاً لمُلتَ يقيناً مع إيمانك بذلك الحق الذي هو أوضح من محيا النهار، ولا يرتاب فيه إلا ذو بصيرة غشيها غبار الغباوة؛ فلم تنعكس عليها أشعة الحقائق في مرآتها.^(١)

بعد أن قرر ذلك التفت إلى بعض آراء فلاسفة اليونان في التشريع، وبين ما فيها من خلل، ونقص، وعوار؛ فتعرض أولاً للفيلسوف: (سولون) وما جاء

(١) انظر السعادة العظمى ص ٩٧-٩٨.

عنه من آراء في ذلك الشأن فقال: «فكر (سولون) متشرع أثينا ليسنَّ في قومه قانوناً يقشع عنهم ظلمات ما هم فيه من البغي، ويحول بينهم وبين كل جنائية، فخطر على باله أن يقرع أسماعهم بروعة القانون، فشدد عليهم إصرَّ العقوبة بتقريره القتل جزاء لكل جريمة صغيرة كانت أو كبيرة»^(١).

ثم أوضح وجه الخلل في هذا الرأي، فقال: «خفي على هذا الفيلسوف أنَّ جعل القتل عقوبة ولو على الكذبة الواحدة - فضلاً عما فيه من الإفراط في الحكومة والنقص من الأنفس - هو من الانحرافات المفضية إلى قتل الهمم، وغمس القلوب في صبغة الجبن والخوف.

ولن تفلح أمة كُسيّت بكسوة الفرع والذلة أبداً»^(٢).

ثم انتقل ثانياً إلى رأي أفلاطون في ذلك، فقال: «وأخذت (أفلاطون) وريث (سقراط) الرأفة بقومه من أن تتسرب إليهم العدوى بالأخلاق الفاسدة من الأجانب؛ فقرر أن تغلق أبواب بلاده أمامهم، ولم يُحسن السياسة في ذلك لجملة أسباب، منها أن الأمة إنما تحفظ استقلالها الذاتي بالتيقظ لنوايا الأمم الأخرى، والتخرص على حركاتها الخفية.

ومثل ذلك لا يحصل إلا بمدخلتهم وتبادل المعلومات معهم»^(٣).

ثم بين وجه الخلل في ذلك الرأي، فقال: «ومن جملة غلطات هذا الفيلسوف أنه عمد إلى القطب الذي تدور عليه ترقيات الشعب وهي (التجارة)

(١) المرجع السابق ص ٩٨.

(٢) المرجع السابق ص ٩٨.

(٣) المرجع السابق ص ٩٨-٩٩.

فمقها بعين الاحتقار، لَمَّا دار في حسابانه أنها من المهن الحسيسة؛ فقرر في قانونه أن يعاقب كل يوناني تطمح نفسه إلى استدارة دولابها»^(١).

ثم عرج ثالثاً على رأي أرسطو ويبيّن عواره، وفي ذلك يقول: «وظنَّ (أرسطو) أبو الفلسفة أن جميع الحرف والصنائع من الدنيا السافلة؛ فقرر في شريعته أن يعامل كل من يتعاطاها بجرمانه من الحقوق الوطنية.

فمثل هاته القوانين لو تمسكت بها أمة ولو بضعة أيام لسقطت في دركات الشقاوة السفلى»^(٢).

ثانياً: تعرضه لمنهج ابن سينا في البحث: وذلك في مقال له في مجلة (الهداية الإسلامية) عنوانه (منهج ابن سينا في البحث).

حيث افتتح ذلك المقال بقوله: «يرتفع شأن طالب العلم، ويكون أرسخ قدماً في فهم الحقائق، متى أخذ نفسه بأدبين اثنين:

أحدهما: أن لا يعجل إلى قبول ما يتلقاه من طريق الرواية إلا أن يثق بصحتها، ولا إلى تقليد ما يقف عليه من رأي إلا أن تؤيده الحجة.

ثانيهما: أن لا يعجل إلى إنكار ما لم يستبن له أمره، بل يدعه إلى جانب الإمكان إلى أن يقوم له شاهد بامتناع وقوعه»^(٣).

وقال بعد ذلك: «وقد نبه على هذين الأدبين الفيلسوف ابن سينا في كتاب (الإشارات)، فقال: إياك أن يكونَ تَكْيُسُكُ وَتَبَرُّزُكَ عن العامة هو أن تبرأ منكراً لكل شيء؛ فذلك طيش وعجز.

(١) المرجع السابق ص ٩٩.

(٢) المرجع السابق ص ٩٩.

(٣) الهداية الإسلامية ص ١٧٦.

وليس الخُرْقُ في تكذيبك ما لم تستبن جليته دون الخرق في تصديقك بما لم تقم بين يديك بينته.

بل عليك الاعتصام بحبل التوقف، وإن أزعجك استنكار ما توَعَّاه سمعك، ما لم يبرهن استحالته لك، والصواب: أن تسرح أمثال ذلك إلى بقعة الإمكان ما لم يردك عنها قائم البرهان.

واعلم أن في الطبيعة عجائب، والقوى العالية الفعالة، والقوى السافلة المنفصلة اجتماعات على غرائب^(١).

ثم يعقب الشيخ الخضر على كلام ابن سينا فيقول: «يريك ابن سينا أن من الحمق إنكار الشيء الذي لم ينكشف لك وجه الحق منه.

وليس هذا الحمق بأشد من حمق الذي يصدق بما لم تقم عليه بينة؛ إذا يجب عليك أن تزن ما يرد عليك من رواية أو رأي، فتضع هذا بمكان القبول، وتقابل ذلك بالرفض، وتطرح الآخر إلى جانب الإمكان؛ لعله يعود إليك محمولاً على عاتق الحجة^(٢).

ويواصل تعليقه على كلام ابن سينا، فيقول: «أما انصرافك عن الأشياء التي لم تستبن جليتها انصراف المنكر لها - فإنه يجعل بينك وبين كثير من الحقائق حجاباً مستوراً، فيخف في العلم وزنك، ويطيش في البحث رأيك، فتفسد أكثر مما تصلح، وتضل أكثر مما ترشُد.

وما أنت بأقل شراً ممن ينحط في هوى كل ناعق، وكلاكما عضو معتل يبعث من دمه الفاسد إلى جسد الأمة ما ينهك قوته، ويذهب ببهائه^(٣).

(١) الهداية الإسلامية ص ١٧٦.

(٢) الهداية الإسلامية ص ١٧٦-١٧٧.

(٣) الهداية الإسلامية ص ١٧٧.

ثالثاً: تطرقه للفلسفة عند علماء الأندلس : ففي محاضرة له نشرت في رسالة عام ١٣٤٧هـ عنوانها (علماء الإسلام في الأندلس) تطرق فيما تطرق له لعلماء الأندلس والفلسفة؛ حيث أشار في ذلك البحث إلى أن الدين الحنيف يتقبل علوم الأرض وعلوم السماء على تباين أسمائها، واختلاف موضوعاتها، وحصل من جراء ذلك أن كان علماء الأندلس ممن بحثوا في الفلسفة، وأضافوها إلى ما عندهم من فقه أو حديث.

وأشار إلى أن الأمير عبدالرحمن الأوسط يجمع بين علوم الشريعة والفلسفة، وأنه أول من درس الفلسفة من أمراء الأندلس، وتظاهر بها. وأن أبا عبيدة بن أحمد - الذي يقولون: إنه أول من اشتهر بعلم الأوائل - صاحب فقه وحديث.

وأن أبا الوليد بن هشام من حفاظ الحديث، ويصفه مؤرخو الأندلس بأنه أعلم الناس بالهندسة، وآراء الحكماء.

ثم أشار إلى كبار فلاسفة الأندلس أبي بكر بن طفيل، وأبي الوليد بن رشد، وأنهما من رجال الدين، وأنهما يريان أن الفلسفة الصادقة لا تناقض الشريعة بحال.^(١)

وقال بعد ذلك: «وأما ما أصاب الفلسفة وبعض الفلاسفة من مقت أو أذى - فتبعته ترجع إلى استبداد بعض الأمراء، أو جهالة بعض السوقة، أو حماقة بعض المتممين إلى الفلسفة؛ حيث يطيشون من بعض طرقها المظلمة إلى تحبب في القول وزندقة، ويحاولون إغواء النفوس الزاكية، وإلقاءها في تهتك وتحاذل وشقاء».^(٢)

(١) انظر محاضرات إسلامية ص ٧١.

(٢) المرجع السابق ص ٧١-٧٢.

ثم ختم بحثه ببيان أن «الذين يستضيئون بحكمة الإسلام شأنهم أن يبحثوا ما تحويه علوم الفلسفة، ويزنوه بقانون المنطق الصحيح، فيقرّوا ما قام الدليل على صدقه، ويطرحوا ما كان زعماً باطلاً، أو افتراضاً لا يتكئ على حجة.

وفي علماء الأندلس من استضأوا بحكمة الإسلام، وخاضوا غمار الفلسفة على بصيرة، فكانوا المثل القيم يشهد بأن الفلسفة التي هي بنت الحجة، لا تتعاصى أن تجتمع مع مبادئ الإسلام في نفس واحدة»^(١).

رابعاً: بحثه في آراء الفلاسفة في السعادة: وذلك في محاضراته (السعادة عند بعض علماء الإسلام) التي ألقاها في نادي جمعية الشبان المسلمين في صفر سنة ١٣٤٧هـ ونشرت في رُسَيْلَة عام ١٣٤٨هـ، وقد استهلها في تناول بعض الآراء الفلسفية القديمة؛ لينبه -كما يقول- على صلة الفلسفة العربية بالفلسفة اليونانية، وليبين كيف أخذ فلاسفة العرب في شرح السعادة بالتي هي أقوم وأهدى.^(٢)

ثم شرع في بيان الآراء الفلسفية اليونانية في السعادة، وقدم لذلك بيان اختلاف نظرة الناس للسعادة ومذاهبهم فيها، وبين بعد ذلك: الفرق بين الآراء العامية للسعادة والآراء الفلسفية، فأوضح «أن الآراء العامية تنشأ عن إحساس خاص في أحوال خاصة؛ فالرجل الذي يبدو له أن السعادة في الغنى، أو في صحة البدن - مثلاً - إنما حدث له هذا الرأي من ألم الفقر، أو شدة المرض.

ومن الجائز أن ينتقل إلى يسار أو صحة؛ فيتغير رأيه في السعادة، ويذهب في تصورهما إلى شيء آخر أصبح يحس بشدة حاجته إليه؛ كصلاح حال الولد، أو الزوجة، أو الأصدقاء»^(٣).

(١) المرجع السابق ص ٧٢.

(٢) انظر محاضرات إسلامية ص ٧٧-٧٨.

(٣) المرجع السابق ص ٧٨.

ثم أبان بعد ذلك أن المذاهب الفلسفية إنما تتكئ على النظر والاستدلال. وساق جملة من آراء فلاسفة اليونان في ذلك، ومنها:

١- رأي (أويدوكس) الذي يرى «أن اللذة هي الخير الأعلى، ويذهب في الاستدلال على هذا إلى أنه يرى جميع الكائنات ترغب في اللذة، وتسعى لها، سواء أكانت هذه الكائنات عاقلة، أم غير عاقلة، وما كان محط الرغبة من جميع الكائنات يجب أن يكون هو الخير الأعلى».^(١)

ويعلق الشيخ الخضر على هذا الرأي بقوله: «فهذا الاستدلال من (أويدوكس) يكفي لأن يعدّ رأيه في اللذة مذهباً فلسفياً.

ولنا بعد هذا أن نقده، ونستبين ما يحمله من غلط وفساد»^(٢).

ثم يورد رأي أرسطو في هذا المذهب فيقول: «تصدى (أرسطو) لنقض هذا المذهب في بحث اللذة من كتاب (الأخلاق) ومن ذا يقبل أن تكون اللذة الحسية الخير الأعلى في هذه الحياة، إلا من يريد أن يفرق بين حياة الإنسان وحياة غيره من الحيوان؟»^(٣).

٢- مذهب القائلين بازدراء اللذة، وأن السعادة كلها في قوى النفس التي هي الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة.

يقول الشيخ الخضر عن هؤلاء إنهم: «قالوا: إن هذه الفضائل كافية في تحقيق السعادة، ولا يُحتاج معها إلى ما هو خارج عن النفس من نحو الصحة، والثروة، والرياسة»^(٤).

(١) المرجع السابق ص ٧٨.

(٢) المرجع السابق ص ٧٨.

(٣) المرجع السابق ص ٧٩.

(٤) المرجع السابق ص ٧٩.

ثم ذكر أن «من أصحاب هذا المذهب: بقراط، وأفلاطون، وفيثاغورس، وسقراط، فالفضيلة والسعادة في رأي هؤلاء مترادفتان، توجد إحداهما أينما وجدت الأخرى»^(١).

٣- رأي من يرون أن كمال السعادة باقتران سعادة النفس بسعادة البدن: كالصحة، وسلامة الأعضاء، وبالخيريات الخارجة عن البدن كالثروة والرياسة.

وبعد أن أورد الشيخ الخضر هذا الرأي قال: «وقد نحا (أرسطو) في كتاب (الأخلاق) هذا النحو، فصرح بأن السعادة هي الخير الأعلى، ولم يجعلها - مع هذا - مقصورة على كمال النفس، بل جعل الفضائل النفسية الركن الأعلى للسعادة، وأضاف إليها أشياء أخرى جعلها من متماتها؛ كصحة البدن، وسعة الرزق، والنفوذ السياسي، وشرف المنبت، ووسامة الحيا، وحسن السمعة، وأطال حساب هذه المتممات حتى قال: وربما لا يستطيع القول على إنسان: إنه سعيد، إذا كان له أولاد أو أصدقاء ذوو أخلاق سيئة، أو إذا فقد من كان له من أولاد أو أصدقاء»^(٢).

وبعد أن ساق الشيخ الخضر هذه الآراء الثلاثة أورد «رأي الارتيابيين الذين يجعلون السعادة في الخلو من الألم، ويقولون: من يبغي السعادة يسعى إلى أن يكون هادئ البال، مرتاح الضمير.

وهذه الراحة تتحقق - فيما يزعمون - حيث يقف الرجل بين اليقينيين والفسطائيين؛ فلا يقطع في الأحكام بإثبات مثلما يفعل اليقينيون، ولا يقطع فيها بنفي مثلما يفعل الفسطائيون؛ فالذي لا يعتمد في حكمه على سلب أو إيجاب هو البالغ منتهى السعادة»^(٣).

(١) المرجع السابق ص ٧٩.

(٢) المرجع السابق ص ٨٠.

(٣) المرجع السابق ص ٨٠.

ثم بين بعد ذلك أنه لم يذهب أحد من فلاسفة الإسلام - فيما يعلم - إلى أن السعادة في اللذة المحسوسة، وأنه من البديهي ألا يكون في فلاسفة الإسلام من يذهب إلى أن السعادة هي الخلو من الألم على النحو الذي يصوره الارتيازيون. إنما تدور آراؤهم في السعادة حول الفضائل النفسية وحدها، أو هذه الفضائل مضافة إليها الخيرات البدنية والخارجية.^(١)

وبعد أن أورد الشيخ آراء فلاسفة اليونان في السعادة انتقل إلى آراء فلاسفة الإسلام في السعادة، فخصّ منهم رأي أبي نصر الفارابي، ورأي أحمد بن مسكويه؛ فإنهما - كما يقول - قد خاضا في هذا الموضوع على طريقة واسعة؛ فبدأ برأي الفارابي؛ فقال: «يذهب أبو نصر الفارابي إلى أن السعادة هي غاية ما يتشوقه كل إنسان، وأنها أكمل ما يؤثر ويسعى إليها من الخيرات، وذكر في تفصيل هذا: أن الخيرات التي يؤثرها الناس، ويتوجهون إليها برغباتهم ومسايعهم ثلاثة أنواع».^(٢)

ثم ذكر هذه الأنواع وهي ما يؤثر لتتال به غاية أخرى؛ كالثروة، أو ما من شأنه أن يؤثر لذاته، وقد يقصد منه غاية أخرى؛ كالرياسة، وبين - أي الفارابي - أن هذين النوعين ليسا من السعادة، ولا السعادة منهما.

ثم يذكر الثالث وهو ما شأنه أن يؤثر لذاته، ولا يقصد في وقت من الأوقات؛ لتتال به غاية أخرى، وما هو إلا الخلق الجميل، وقوة الذهن. ويقول في هذا: «وهذا هو أكمل الخيرات، وهذا ما يسمى سعادة».^(٣)

(١) انظر المرجع السابق ص ٨٠-٨١.

(٢) المرجع السابق ص ٨١.

(٣) المرجع السابق ص ٨١.

ويعلق الشيخ الخضر على رأي الفارابي قائلاً: «فالخلق الجميل وقوة الذهن عند الفارابي هي المسميان بالسعادة، ولم يلتفت إلى ما زاد عليهما من الخيرات البدنية أو الخارجية، فيجعل له مدخلاً في السعادة؛ كما صنع أرسطو في كتاب (الأخلاق). ويعتمد الفارابي في اختيار هذا المذهب إلى أن سعادة الإنسان يجب أن تكون في مزاياه التي تكسبه الجودة والكمال في أفعاله.

والخلقُ الجميل، وجودة التمييز هما اللذان يكسبان أفعالنا جودة وكمالاً»^(١).
ثم يورد بعد ذلك مقارنة بين رأيي الفارابي وأرسطو في السعادة، ثم يعرج بعد ذلك على رأي ابن مسكويه فيذكر أن له كتاباً في السعادة، وأنه قد قال فيه: «إن الغايات التي يتوجه إليها الناس ترجع إلى قسمين:

أولهما: ما يشترك فيه الناس والحيوان؛ كالمأكل والمشرب ونحوهما مما يسميه الناس لذيقاً، وهذا مما يظنه أكثر الناس سعادة، وليس الأمر كما يظنون، فإن ما كان مشتركاً بيننا وبين البهائم ليس من شأنه أن يكون كمالاً لنا من حيث إننا أناس، فلا يدخل في باب سعادتنا.

ثانيهما: ما يختص به الإنسان، ولا يشاركه فيه غيره من الحيوان، وهو الأفعال الفاضلة، والخلق الجميل، وقوة الذهن، ولهذه الأمور الثلاثة تتحقق السعادة»^(٢).
ثم يوضح الشيخ الخضر أن رأي ابن مسكويه في أصله لا يختلف عن مذهب الفارابي في أن مصدر السعادة: الفضائل النفسية، وأن السعادة عندهما: مما يدخل في استطاعة الإنسان، وأن ابن مسكويه يقرر - أيضاً - أن للسعادة معنى خاصاً وهو ما يختص به كل

(١) المرجع السابق ص ٨١-٨٢.

(٢) المرجع السابق ص ٨٢-٨٣.

صاحب علم أو صناعة؛ فسعادة الطبيب في معرفة العلل ومعالجتها بالأدواء النافعة، وسعادة القاضي في فصل القضايا على وجه العدل والإنصاف وهكذا...^(١)

وينهي الشيخ الخضر كلامه عن ابن مسكويه موضحاً أن له في كتابه (الأخلاق) رأياً يميل به إلى مذهب أرسطو « فإنه - بعد أن ذكر آراء الفلاسفة في السعادة - قصد إلى بيان ما يختاره في حقيقتها، فقال: إن الإنسان ذو فضيلة روحية، وفضيلة جسمية، ومادام الإنسان إنساناً لا تتم له السعادة إلا بتحصيل الفضيلتين كليهما، ولا تحصل له الفضيلتان على التمام إلا بالأشياء النافعة في الوصول إلى الحكمة الأبدية».^(٢)

ثم يختم الشيخ الخضر بحثه ببيان رأيه نفسه في السعادة فيقول: «وإذا قصرنا الخير الأعلى على كمال النفس الذي يحتوي معرفة الله، والأعمال الفاضلة فلا بأس في أن تكون السعادة في هذا الكمال، ثم في الخيرات التي هي بمنزلة الوسائل إلى ما هو الخير الأعلى، ولا بأس في أن يكون الناس في السعادة على مراتب متفاوتة، أو أن يكون الإنسان وافي الحظ في السعادة في حال قليل الحظ منها في حال؛ فيستقيم لنا إذاً أن نقول: السعادة حالة الإنسان الموافقة لإرادته وآماله المنبعثة في حدود الفضيلة».^(٣)

خامساً: تعرضه لمناهج بعض الفلاسفة المحدثين: كديكارت، وسبنوزا، وغيرهم ممن مر ذكرهم في الفصول الماضية خصوصاً عند الحديث عن أساليبه في الرد على المخالفين، حيث تعرض لمناهج هؤلاء خصوصاً ديكارت، حيث بين وجه الصواب والخطأ في منهجه.

(١) المرجع السابق ص ٨٣.

(٢) المرجع السابق ص ٨٤.

(٣) المرجع السابق ص ٨٤.

المطلب الثالث: تعرضه لصلة الفلسفة بالتصوف والباطنية والشعر أولاً: بيانه صلة الفلسفة بالتصوف: سيأتي الحديث عن التصوف في المبحث الثاني. والمقصود ههنا بمبحث الشيخ الخضر لصلة الفلسفة بالتصوف؛ فالتصوف - كما هو معلوم - بحر لا ساحل له، وقد مر بمراحل، وتطورات، وهو مدارس شتى. ومن مراحل وتطورات ومدارسه التي مر بها: التصوف الفلسفي؛ الذي بدأ في القرن الثاني الهجري إبان الدولة العباسية؛ بسبب اختلاط العرب مع غيرهم، وازدهار حركة الترجمة، وانتشار الفلسفات المتنوعة؛ فسرت تلك الآثار إلى التصوف، واختلط التصوف بالفلسفة اليونانية على وجه الخصوص؛ فظهرت نظريات الفيض، والإشراق، والحلول؛ فابتعد التصوف عن معايير العقل والوحي. واجتمع إلى ذلك في كثير من الأحيان وعند كثير من المنتسبين إلى التصوف ما كان موجوداً عند الطبقة التي خلطت الزهد بعبارات باطنية، فانتقل الزهد من الممارسة العملية إلى التأمل التجريدي، والكلام النظري، ومن البدع العملية إلى البدع العلمية التي تطوح بها التصوف بعيداً عن هدي الإسلام^(١).

والشيخ الخضر تطرق للعلاقة بين الفلسفة والتصوف في غضون بحث له بعنوان (التصوف) وذلك في فقرة من ذلك البحث تحت عنوان (صلة التصوف بالفلسفة). حيث بين تحت هذا العنوان أن «الصوفية المستقيمين الذين لم يدرسوا الفلسفة إنما يتكلمون بما يقتبسونه من حكمة الشريعة، أو بما يجيئهم من طريق الإلهام والوجدان بعد عرضه على أصول الدين»^(٢).

١ - سيأتي بيان ذلك ومراجعته في المبحث الآتي.

٢ - انظر الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ٢٣٩.

ثم أوضح بعد ذلك « أن من درسوا الفلسفة، ثم تكلموا بلسان الصوفية فقد يدخلون في هذا العلم بعض الآراء الفلسفية؛ كمسألة وحدة الوجود؛ فإنها دخلت في التصوف من ناحية الفلسفة ». ^(١)

ثم يعتذر لبعض من تلبس بذلك، فيقول: « وقد يدخل هؤلاء بعض الآراء الفلسفية بحسن نية؛ إذ يبدو لهم أنها من المذاهب التي يتقبلها الدين، ولا يأبى اتصالها بهدايته السماوية ». ^(٢)

ويستشهد على ذلك بكلام لابن تيمية في هذا الشأن، فيقول: « قال ابن تيمية في حديث له عن أبي حامد الغزالي: (وأما التي يسميها: علوم المكاشفة، ويرمز إليها في (الإحياء)، وغيرها، ففيها يستمد من كلام المتفلسفة، كما في (مشكاة الأنوار)، و(المضنون به على غير أهله)، وغير ذلك، وبسبب خلطه التصوف بالفلسفة صار ينسب إلى التصوف من ليس موافقاً للمشايخ المقبولين الذين لهم في الأمة لسان صدق، بل يكون مبانياً لهم في أصول الإيمان؛ كالإيمان بالتوحيد، والرسالة، واليوم الآخر، ويجعلون هذه مذاهب الصوفية) ». ^(٣)

ثانياً: بيانه علاقة الفلسفة بالباطنية: مرت الإشارة إلى الباطنية في عدد من الفصول الماضية، والحديث هنا سيدور حول بيان الشيخ الخضر للعلاقة بين الفلسفة والباطنية؛ فلقد تعرض الشيخ الخضر إلى تلك العلاقة، وذلك من خلال بحثه عن (رسائل إخوان الصفا) حيث ورد إليه سؤال يقول: « لعلكم اطلعت على رسائل إخوان الصفاء، وعرفتم وجهتها، فما رأيكم فيها؟ ». ^(٤)

١ - المرجع السابق ص ٢٣٩.

٢ - المرجع السابق ص ٢٣٩-٢٤٠.

٣ - المرجع السابق ص ٢٤٠.

٤ - هدى ونور ص ٧٣.

فأجاب الشيخ الخضر عن ذلك إجابة بَسَطَ فيها الحديث عن رسائل إخوان الصفا، وأبان في مقدمتها عن أنه اطلع على هذه الرسائل، وقرأ شيئاً مما كُتِبَ حولها، فجمع عنده مادة حولها.^(١)

فذكر في تلك الإجابة وقت ظهور تلك الرسائل، وأنه كان في المائة الرابعة من الهجرة، وأنه لم يُكْتَبَ عليها اسم المؤلف، فوقع الاختلاف في مؤلفها. يقول بِسْمِ اللَّهِ: «فالإسماعيلية من الشيعة ينسبونها إلى أحمد بن عبدالله بن محمد ابن إسماعيل من عقب الإمام جعفر، وأبو حيان التوحيدي ينسبها في كتابه (الإمتاع والمؤانسة) إلى زيد بن رفاعة وصحبه؛ حيث سأله وزير صمصام الدولة ابن عضد الدولة البويهبي في حدود سنة ٣٧٣هـ عن زيد بن رفاعة، فقال: قلت: إن زيدا أقام بالبصرة زمناً طويلاً، وصادف جماعة، منهم: أبو سليمان محمد بن نصر البستي، ويعرف بالمقدسي، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني، وأبو أحمد المهرجاني، وغيرهم».^(٢)

ثم ذكر الشيخ الخضر سبب تأليف تلك الرسائل فقال: «فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله، وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال، ووضعوا اثنتين وخمسين رسالة، وسموها: (رسائل إخوان الصفاء) وبثوها في الوراقين».^(٣)

ثم علق على ذلك بقوله: «ولا عجب أن يقوم جماعة في البصرة بمزج الشريعة بالفلسفة؛ فقد كانت البصرة لذلك العهد مظهر الآراء البعيدة، أو الخارجة عن

١ - انظر المرجع السابق ص ٧٣.

٢ - المرجع السابق ص ٧٣.

٣ - المرجع السابق ص ٧٣-٧٤.

الشريعة؛ كالاعتزال، والباطنية، كما أنها مظهر الآراء السليمة؛ فكان هناك المعتزك بين الحقائق والمكايد»^(١).

وساق بعد ذلك كلاماً لأبي حيان التوحيدي عن أصحاب تلك الرسائل قال فيه: «إن هؤلاء الجماعة اجتمعوا على القدس والطهارة».

وعقب عليه الشيخ الخضر بكلام يبين فيه حقيقة تلك الرسائل، وما تشتمل عليه من الضلال، وأوضح خلال ذلك أن الفلسفة معروفة عند المسلمين قبل وجود تلك الرسائل، وأن المسلمين يميزون بين ما فيها من حق وباطل، فيقول في هذا التعقيب: «ولما قرأنا الرسائل وجدناهم اجتمعوا على أن يسلكوا بالمسلمين طريقة لا يستقيمون بها، ولا يسعدون.

والفلسفة مطروحة بين أيدي المسلمين قبل أن يوجد هؤلاء الجماعة، فيستحسنون ما كان منها صواباً؛ كالهندسة، والحساب، والمنطق، والطب، وأحكام النجوم المعروفة بالتجارب، ويرفضون ما كان خطأ؛ كبعض النظريات الإلهية، والاجتماعية، وفيما وراء الطبيعة»^(٢).

وقال الشيخ بعد ذلك: «وحكى أبو حيان في حديثه: أن مؤلفي (رسائل إخوان الصفاء) قالوا: إن الشريعة قد دنست بالجهالة، واختلطت بالضلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة»^(٣).

ثم عقب عليه الشيخ بقوله: «والواقع أن الشريعة كما أنزلت ليؤها كنهانها، وإذا اختلف الأئمة المجتهدون في بعض الأحكام فلأدلة من الكتاب، أو السنة، أو الأصول المستمدة منهما؛ فما يكون أرجح من جهة الدليل فذلك حكم الشارع.

١ - المرجع السابق ص ٧٤.

٢ - المرجع السابق ص ٧٤.

٣ - المرجع السابق ص ٧٤.

وإذا أراد: الأقوال التي تصدر من غير المجتهد فتلك الأقوال لا تعد في الشريعة حتى يقال: (دُنُست بالجهالة، واختلطت بالضلالات).

ولو كانت الأقوال الخارجة عن الشريعة إذا ذكرت في كتبها تعد جهالة مدنسة للشريعة، وضلالات مختلطة بها - لوجب علينا أن نطهر جانب الشريعة من كتاب (إخوان الصفاء) لأنه جهالة وضلالات، من حيث يريد مزجها بالفلسفة وإخراجهما مذهباً واحداً^(١).

ثم يسوق بعد ذلك كلاماً طويلاً حول نسبة تلك الرسائل، وما قيل في ذلك من أنها تنسب إلى مسلمة بن قاسم المجريطي، أو أن الذي أملاها: أبو سليمان محمد ابن نصر البستي المعروف بالمقدسي، وأبو الحسن علي بن هارون بن الزنجاني وأبو أحمد الشهرجوري، والعمري بن رفاعه، إلى غير ذلك مما أورده في نسبة تلك الرسائل^(٢). وقال بعد ذلك: «ولا يهمننا كثيراً في هذا المقال تحقيق نسبة هذه الرسائل إلى مؤلفيها، وإنما يهمننا الغرض الذي صنعت من أجله، وما اشتملت عليه، أحق هو أم باطل؟»^(٣).

ثم ساق بعد ذلك أقوالاً في ذمها، فأورد قولاً: لأبي سليمان المنطقي، وأبي حيان التوحيدي، وأبي حامد الغزالي، والمازري، وابن تيمية. ثم يسوق بعد ذلك كلاماً لابن تيمية يذكر فيه أن تلك الرسائل من صنيع الإسماعيلية الباطنية^(٤).

١ - المرجع السابق ص ٧٤-٧٥.

٢ - المرجع السابق - ٧٥-٧٦.

٣ - المرجع السابق ص ٧٦.

٤ - المرجع السابق ص ٧٧-٧٨.

ثم ختم كلامه في ذلك بالتأكيد على أن مؤلفيها من الشيعة الباطنية، وذكر شيئاً من تأويلاتهم الباطنية الباطلة، ثم أنهى بحثه بقوله: «ولهذه التأويلات لم تُرَجِّح بضاعتهم عند من يؤمن بأن القرآن من عند الله العزيز الحكيم»^(١).

ثالثاً: تعرضه للعلاقة بين الفلسفة والشعر: وأكثر ما بحثه في ذلك الشأن مسألة التخيل عند الفلاسفة، وعلاقتها بالشعر.

يقول ﷺ في مبحث من كتابه: (الخيال في الشعر العربي) عنوانه: (التخيل عند الفلاسفة): «يقول الفلاسفة: إن من بين القوى النفسية قوة تتصرف في صور المعلومات بالترتيب تارة، والتفصيل مرة أخرى، ويسمّيها فلاسفة العرب إذا لم تخرج عن دائرة التعقل: مفكّرة، ويقال في عملها: تفكّر، فإن تصرف بوجه لا يطابق النظر الصحيح سموها: مُخيّلة، ويقال في عملها: تخيّل، أو تخييل»^(٢).

ثم يضرب المثال على ذلك فيقول: «فمثال ما يأخذ من العقل مأخذ القبول قول القاضي عياض:

انظر إلى الزرع وخاماته تحكي وقد ولّت أمام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

فالشاعر التفت إلى ما في حافظته من الصور المناسبة لهيئة زرع أخضر يتخلله شقائق النعمان، وقد أخذت الرياح تهب عليه من جانب، فيميل إلى آخر ميلاً يترأى للعين أنه حركة ينتقل بها من مكانه؛ فوق خياله على الجيش، والملابس الخضراء، والجراحات التي تنال الجيش المقاتل؛ فألف بينها، ثم جعل سيره

١ - المرجع السابق ص ٧٨، وانظر تفصيل الكلام عن الباطنية في: بيان مذهب الباطنية، وبطلانه، لمحمد بن الحسن الديلمي، مكتبة دار ابن قتيبة، حولي، الكويت.

٢ - الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية ص ١٠.

إدباراً وانهزاماً؛ لأنه ولّى ظهره الناحية التي هجمت منها الرياح، وليوافق حالة جيش ظهرت فيه الجرحى بمقدار ما في المزارع الخضراء من شقائق النعمان»^(١).
ثم يضرب مثلاً آخر على ذلك، وينتقل إلى الحديث عن التخيل، والمراد منه، فيقول: «يفهم من صريح المقالة الفلسفية: أن المفكرة والمخيلة اسمان لقوة واحدة، وهي التي تتصرف في المعلومات بالتفصيل والتركيب، وإنما تغير اسمها بحسب اختلاف الحال، فعندما يكون زمامها بيد العقل يسمونها: مفكرة، وعندما تنفلت منه يسمونها: مخيلة»^(٢).

وهكذا يسترسل في شرح الكلام السابق، ويضرب الأمثلة عليه في كلام يطول^(٣).
وفي مبحث آخر عنوانه (أطوار الخيال) يتعرض لعمل الخيال الشعري في الحقائق الفلسفية، فيقول: «وبعد أن عني الناس بالنظر في شؤون الكون، وسلكوا في البحث عن أسراه طريقاً فلسفياً - أخذ الخيال الشعري يعمل في الحقائق الفلسفية، ويجري وراء الفكر كالمسعف له في تصوير تلك المعاني الغامضة»^(٤).

ويضرب على ذلك أمثلة، فيقول: «كما تراه في مثل قصيدة ابن سينا في النفس المفتحة بقوله:

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
وقصيدة المعري المفتحة بقوله:
غير مجدٍ في ملتي واعتقادي نوحُ بالكِ ولا ترئمُ شادٍ

١ - المرجع السابق ص ١٠-١١.

٢ - المرجع السابق ص ١١.

٣ - المرجع السابق ص ١١-١٤.

٤ - المرجع السابق ص ٦٨.

وقول أبي بكر بن الطفيل يصف حال الروح والجسد:

يا با كياً فرقة الأحباب عن شحط هلاً بكيت فراق الروح للبدن
نورٌ تردد في طين إلى أجلٍ فانحاز علواً وخلص الطين للكفن
ياشد ما افترقا من بعد ما اجتمعا أظنها هدنةً كانت على دخنٍ
إن لم يكن في رضا الله اجتماعهما فيا لها صفقةً تمت على غبنٍ^(١)

ثم يقرر بعد ذلك أن في هذه الصبغة خرج كثير من أشعار الصوفية كما تراه فيما ينسب إلى ابن عربي، وابن الفارض.

وأنه «قام بإزاء هذه النزعة الفلسفية: أن الشعراء عندما اتسعت دائرة العلوم الإسلامية، ونقلت العلوم النظرية إلى العربية - مدد بعضهم يده إلى قضايا هذه العلوم واصطلاحاتها، فخلط بها الصور الخيالية؛ كقول أبي تمام:

خرقاء يلعب بالعقول حبابها كتلاعب الأفعال بالأسماء»^(٢)

فهذه هي أهم المباحث التي تطرق لها الشيخ الخضر في الفلسفة، وهي تجلي منهجه في تناولها، وموقفه منها. وأنت ترى أنه لم يتطرق لتفاصيل دقيقة في الفلسفة، ولم يؤلف كتاباً، أو ردوداً مستقلة فيها.

وإنما كانت القضايا التي تطرق لها تدور حول موضوعات منها، أو تمر في غضون بحثه في قضايا أخرى يستدعيها المقام. ولعل السبب في كون الشيخ لم يتمحض للوقوف في وجه الفلسفة أن معاركة الأخرى كانت في غير هذا السبيل - كما مر -.

١ - المرجع السابق ص ٦٨، وأبيات ابن طفيل الأخيرة يستشهد بها الشيخ كثيراً، وانظر - أيضاً - محاضرات إسلامية ص ٨٦.

٢ - الخيال في الشعر العربي ص ٦٩.

ومع ذلك كله فإن موقفه إزاء الفلسفة هو موقف علماء الإسلام الذين أحاطوا بالفلسفة خبيراً، ووقفوا منها موقف الناقد العدل البصير الذي يعرف حق الفلسفة من باطلها، وخيرها من شرها، كما كان من شأن - شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله - الذي مرت الإشارة إليه في بداية هذا المبحث.

وقد كان الشيخ الخضر متأثراً بهذا العالم - كما مر - خصوصاً في موقفه من الفلسفة، ويرى - كما مرت الإشارة إليه - أن من أعظم الكتب التي قرأها كتاب (الرد على المنطقيين)^(١) لابن تيمية.

ولم يُفصّل الشيخ الخضر في قضايا الفلسفة تفصيل ابن تيمية ومناقشته لها للسبب الذي ذكر آنفاً، حيث كان لابن تيمية آراء في الفلسفة والفلاسفة، وله طريقة فريدة في النقد لتلك الآراء، وقد كان سوق الفلسفة في وقته نافقاً. والكلام في ذلك يطول، والمقام لا يتسع له.^(٢)

١ - انظر أحاديث في رحاب الأزهر ص ١٦٠ .

٢ - فمن ذلك أن ابن تيمية يرى أن الفلاسفة المتقدمين كأرسطو أبعد الناس عن معرفة الأمور الإلهية، وأن أكثر كلامهم فيها خبط وتخليط؛ لأنهم لم يستضيؤوا بنور النبوة، ولا كانت عندهم شريعة؛ فلذلك كان كلامهم في هذه الشؤون - مع كثرة ما فيه من الخطأ - في غاية الندرة والقلّة.

ويشبه ابن تيمية كلام أرسطو في الإلهيات «بلحْم جَمَلِ غث على رأس جبلٍ عالٍ وعِر، وأنه لا سهل فيرتقى، ولا سمين فيقلّي» انظر مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ١٨٦/١ .

وأما رأيه في فلاسفة المسلمين كالفارابي، وابن سينا فيرى أنهم وإن كانوا قد توسعوا في هذه المباحث وتكلموا في الإلهيات والنبوات والمعاد بما لا يوجد عند هؤلاء الفلاسفة المتقدمين وكان كلامهم في ذلك أجود وأقرب إلى الحق من كلام سلفهم - أنهم مزجوا الحق الذي أخذوه من الدين بالباطل الذي بنوه على أصولهم الفلسفية الفاسدة، وحاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة ولكن على حساب الدين؛ فهم يعمدون إلى النصوص، فيؤولونها بتأويلات بعيدة ومتكلفة؛ حتى تتلاءم مع قواعدهم الفلسفية. انظر باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص ٣٩ .

وإذا كان ابن تيمية رحمته الله قد أفاض في نقد المناهج السالفة في العقيدة، وذم أصحابها - فقد رأى أن النهج القويم الذي يجب اتباعه في ذلك - هو منهج السلف الذين وقفوا عند حدود الكتاب والسنة دون أن يتدعوا في الدين شيئاً. انظر باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص ٤٤ .

ومما يلحظ على طريقة ابن تيمية في الدفع والتأييد أنه من أوائل من أخذ في الإسلام بأساليب النقد الحديثة؛ فإن الغزالي وإن كان قد سبقه بنقد الفلسفة إلا أن طريقته في النقد لم تكن سليمة؛ فقد صرح بأن غرضه من النقد إنما هو الهدم فقط لا البناء، كما أنه كان لا يرى مانعاً من إلزام الفلاسفة بأي مذهب =

= من المذاهب المنتمية إلى الإسلام مهما كانت باطلة في نظره؛ بحجة أن خطرهما على العقيدة أقل من خطر الفلسفة.

أما ابن تيمية فكان يتخذ من النقد أداة للوصول إلى الحق، ولذلك لم يختص بنقده فرقة معينة أو مذهباً خاصاً، بل وجّه نقده إلى جميع ما كان معروفاً في عصره من فرق ومقالات باطلة في نظره؛ حتى يكشف لقارئه عن معانيها، ويبين له وجوه تهافتها، وتناقضها، ولا يترك له فرصة للتردد والحيرة بينها، ثم يبين له مع ذلك ما يعتقد المذهب الصحيح الذي يجب أن يسلكه.

وهذه النزعة التي ترمي للوصول إلى الحق هي التي جعلت ابن تيمية يعترف بما عساه يوجد عند بعض هذه الفرق من آراء صحيحة موافقة للحق، ويمدحهم عليها. انظر باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص ٦١-٦٢.

وهناك ميزة أخرى لابن تيمية أشار إليها الأستاذ عبدالعزيز المراغي، حيث قال: «وبهذه المناسبة يجدر بنا أن ننبه على شيء واضح الوضوح كله في آراء ابن تيمية وألوان حواراه؛ ذلك أنه لا يذكر رأياً عن شخص إلا بمشافهة، أو بنقل عن كتاب عرفه.

وفي كتاب (مجموعة الرسائل والمسائل) كثير من محاوراته مع أصحاب البدع والمذاهب الضالة، وكثير من أساليبه التي فيها شيء من الجدة والطرافة في مناقشة المبتدعين من خصومه على نحو من الإلزام لا يعرف إلا لابن تيمية من رجال عصره.

وطبيعي أن يجعل هذا النحو من الاتصال الشخصي أو القراءة الموثوق بها ابن تيمية بمنجاة من الطعن عليه بجهل أو خطأ في نقل، أو ضلال، أو تضليل». كتاب ابن تيمية للشيخ عبدالعزيز المراغي ص ٦٩-٧٠، وانظر باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص ٦٢.

وابن تيمية رحمته الله وإن كان يخالف الفلاسفة في أصولهم، وكثير من المسائل التي خاضوا فيها - لا يجد حرجاً في موافقتهم في بعض ما أصابوا به، ولا يمنع ذلك من التأثير ببعضهم كابن رشد - كما مر - ولا تقوده مخالفتهم الفلاسفة إلى موافقة كل من اتقدهم بحق أو باطل؛ لذا نراه ينقد الغزالي رحمته الله في بعض نقده للفلسفة، وفي كونه اتبع كثيراً من أصولها، وأن كلامه لا هو إلى الإسلام المحض ولا إلى الفلسفة الصريحة.

إن ابن تيمية يجعل يجعل الغزالي برزخاً بين الإسلام والفلسفة، ويقول: إن المسلم يتفلسف به تفلسف مسلم والفيلسوف يسلم به إسلام الفيلسوف، ويرميه - أيضاً - بالتقلب بين المذاهب المختلفة، ويروي في حقه ذلك البيت الذي أنشده ابن رشد من قبل:

يوما يمان إذا لاقيت ذا يمين وإن لقيتُ معدياً فعدنان

انظر منهاج السنة لابن تيمية ١/١٩١، وبعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ص ٣٦. ويلحظ أن ابن تيمية قد تأثر بابن رشد في اعتباره أن تكون الأدلة شرعية جاء بها الشارع، ودعا الناس إلى الاستدلال بها مع كونها مغروزة في الفطر والطبائع الإنسانية. انظر باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي

المبحث الثاني: موقفه من التصوف

التصوف بحر لا ساحل له، والحديث عنه ذو شجون؛ إذ هو حديث متشعب طويل يبدأ ولا يكاد ينتهي.

والباحثون فيه يطرقونه من نواح شتى، فيتعرضون لنشأته، ومفهومه، وسبب تسميته، وأشهر ألقاب الصوفية.

كما يبحثون في مراحلها، وبداية الانحراف فيه، وعن طبقات الصوفية، وطرقها، ومصادر التلقي عند أهلها.

ويبحثون كذلك- في أبعاد التصوف المنهجية، وفي أفكار ومعتقدات الصوفية، وما لهم، وما عليهم، إلى غير ذلك مما هو داخل في باب التصوف^(١).

١ - انظر تفصيل ذلك في الكتب التي تكلمت على التصوف، أو على شيء من عقائده، ومنها على سبيل المثال: - بغية المرئاد لابن تيمية

- مجموع الفتاوى لابن تيمية - التصوف.

- مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم

- مصرع التصوف، أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد للبقاعي، تحقيق

وتعليق الشيخ عبدالرحمن الوكيل، ط١، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة

- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، مكتبة ابن تيمية، الكويت،

ط٣، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

- هذه هي الصوفية للشيخ عبدالرحمن الوكيل مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.

- التصوف: المنشأ والمصادر، تأليف إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط١،

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

- الصوفية في نظر الإسلام دراسة وتحليل لسميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة،

بيروت لبنان، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

- التصوف في ميزان البحث والتحقيق والرد على ابن عربي الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبدالقادر ابن

حبيب الله السندي، مكتبة ابن القيم، المدينة النبوية، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

- نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام د. سارة بنت عبدالمحسن بن جلوي آل سعود، دار المنارة

=

للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م

والشيخ الخضر حسين ممن خبروا التصوف، ودرسوه؛ فلقد عرف خباياه، وخفاياه؛ بل لقد نشأ - كما مر - في بيئة صوفية طرقية، غير أنه سما إلى الحق، والعلم، وسلوك سبيل السنة، وإيثار الحق على ما ألقى عليه الآباء.

وكان له من جراء ذلك مواقف، وأبحاث، ومحاضرات، وإشارات تعرّض من خلالها للتصوف درساً، وبحثاً، ونقداً، وتحليلاً، ومقارنةً، وإيضاحاً لحقيقة التصوف، وما ينطوي عليه، ومدى قربه من هدي الإسلام، وبعده عنه.

وشملت دراسته للتصوف نواحي شتى في ذلك.

وكان منهجه عبر طريقتين: الأولى منهما: الأبحاث المستقلة في دراسة التصوف. والآخر: الأبحاث العارضة أو الجزئية التي يأتي الكلام فيها على التصوف ضمناً، أو التي تتناول بعض مسائل التصوف وقضاياها.

والحديث في المطلبين التاليين سيتناول ذلك، ومن خلاله يتبين موقفه من التصوف.

= - الشعر الصوفي إلى مطلع القرن التاسع للهجرة أ.د. محمد بن سعد بن حسين، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م
 - الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ محمد عبدالرؤوف القاسم، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط ٢، ١٤١٣هـ
 - الصوفية نشأتها وتطورها لمحمد العبد، وطارق عبدالحليم، دار الأرقم، برمنجهام، بريطانيا، ط ٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

المطلب الأول: دراسته العامة للتصوف

لقد كان للشيخ الخضر أبحاث مستقلة في التصوف عموماً، وقد أبان من خلالها عن عدد غير قليل من قضايا التصوف، وموقفه منها. وأهم تلك الأبحاث اثنان: أولهما: بحثه المعنون بـ: (التصوف في القديم والحديث). وثانيهما: بحثه المعنون بـ: (التصوف).

والحديث فيما يلي إيضاح لما ورد في هذين البحثين:

أولاً: ما جاء في بحثه (التصوف في القديم والحديث): وأصل هذا البحث محاضرة ألقاها الشيخ في نادي جمعية مكارم الأخلاق يوم الجمعة ٢٨ شعبان ١٣٤٧هـ، ونشره في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء الخامس من المجلد السادس، ثم طبع ضمن كتابه: (محاضرات إسلامية) ثم أضيف لموسوعة الأعمال الكاملة^(١). وهذا البحث من أقدم وأوسع ما بحثه في التصوف.

وقد ضمنه جُلَّ آرائه في التصوف، وفيما يلي عرض لما جاء في ذلك البحث:

١. استهل الشيخ البحث في بيان مكانة الأمة، وسيادتها الغابرة، ومجدها السالف، وأنا نحن المسلمين- «كنا أساتذة العالم علماء وسياسة وأدباء؛ قلمنا يكتب فيطاع، وحسامنا ينتضى فيهب، ورايتنا تخفق فيجري من تحتها عدل وسلام.

أخذتنا بعد تلك اليقظة غفوة، وبعد تلك العظمة خمول، فلم ننتبه إلا والدهر يضرنا بسوط من عذاب الهون، ويسط علينا أيدياً كالحجارة أو أشد قسوة»^(٢).

ثم حذر من اليأس، وبيّن إمكان النهوض من الكبوة، وأن تلك الغاية ليست بعيدة، وما بيننا وبينها إلا أن نحسن العمل وذلك بالحزم، والاتحاد، والجد، والنظر في مواطن الخلل، والسعي في إصلاحها.

ثم خلّص من ذلك إلى أنه يريد البحث في التصوف، وبيّن سبب ذلك وهو أن

١ - انظر ٤/١٨١٣ .

٢ - محاضرات إسلامية ص ٨٥ .

« الطرق المنتمية إلى الصوفية بأسطة أجنحتها في الشرق والغرب ، وأملنا معقود بأن نرى رجالها يقتدون بسيرة الصدر الأول من الصحابة والتابعين ، ذلك العهد الذي ظهر فيه الإسلام بمقائمه النقية ، وأصوله المحكمة ، والعهد الذي ظهرت به أمة الإسلام في أسنى مظهر من العزة والرحمة والسلطان الكريم»^(١).

٢. تعرض لنشأة التصوف في الإسلام: فبين من خلال ذلك إلى أن الإسلام ينظم شؤون الحياة ، ويعنى بتصفية النفوس من طبائعها الرديئة ، وتخليصها من شهواتها الطاغية ، وأنه عطف على الأجسام؛ فخلى سبيلها لأن تتمتع من نعيم هذه الحياة وزهرتها إلا أن تطغى.

وأنه بقدر ما يدرك الإنسان من صفاء النفس ، وسلامة الضمير ، والسلطان على شهواته - فلا تتعدى حدود الاعتدال- يصعد في مراقي الفلاح ، ويدنو من مقام الكرامة والوجاهة عند الله.

ثم بين نهى النبي ﷺ لمن أرادوا سرد الصيام ، والعكوف على العبادة ، وترك النساء والطيب.

وأوضح أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يجِدُون في العمل الصالح ما استطاعوا ، ويزهدون في الدنيا زهداً مَنْ لا يتناول منها إلا حلالاً طيباً ، وزهداً مَنْ لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وزهداً مَنْ يعاف أن تكون يده السفلى ، ويد غيره العليا.

وضرب على ذلك أمثلة بحال أبي ذر ، وسلمان الفارسي ، وأحوال غيرهم من الصحابة -رضي الله عنهم- وما كانوا عليه من الزهد ، والاعتدال^(٢).

ثم ذكر أنه « في عهد التابعين أقبلت طائفة من فضلائهم يتحدثون في أحوال النفس؛ من حيث صفائها ، وصلتها بالخالق ، وزهداها في زخرف هذه الحياة ، واشتدت عنايتهم بالحديث في هذه الآداب ، وكانوا يأخذون بها أنفسهم ، ويرشدون

١ - المرجع السابق ص ٨٦ .

٢ - انظر المرجع السابق ص ٨٦-٨٩ ، والشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ٢٣١ .

إليها غيرهم، ويلقبون لذلك العهد: الزهاد، والوعاظ»^(١).

وضرب المثل على ذلك بحال الحسن البصري، وعامر بن قيس.

ثم بين بداية بذور التصوف في الإسلام، وذلك حين أخذ بعض الناس في عهد التابعين ينحون نحو الغلو في الزهد، وأن الحسن البصري كان ممن يحارب هذا الغلو الذي لا يرتضيه الإسلام، وأن زهد الحسن وأمثاله من فضلاء التابعين لا يجيد عن منهج الشريعة يمينا ولا يساراً.

وأنه «قد تخرج في مجالس الحسن البصري وغيره طبقة عالمة زاكية، منهم: مالك ابن دينار، وحبيب العجمي، وعبد الواحد بن زيد، وبقي هؤلاء الذين يلقبون الزهاد والوعاظ لا يمتازون عن جمهور الناس إلا بكثرة ما يعملون من صالح، وبشدة ما يحملون من خشية الله، والعزة به، والاعتماد عليه، وبانصراف همهم عن التعلق بما في هذه الحياة من شهوات أو حطام»^(٢).

ثم انتقل إلى الحديث عن مرحلة من مراحل التصوف، وهي ما حدث خلال النصف الأول من القرن الثاني؛ فأبان أن الزهاد والوعاظ صاروا يسمون بالصوفية، وأن أول من دعي بهذا الاسم أبو هاشم الصوفي المتوفى سنة ١٥٠ هـ^(٣).

٣. عرَّج على الحديث عن تسمية الصوفية، والتصوف، والخلاف في ذلك، فقال: «وقد اختلف الناس في مأخذ هذا اللقب، فزعم بعضهم أنه مأخوذ من الصفة؛ لشيبه هؤلاء الزهاد بأهل الصفة، وهم جماعة من فقراء الصحابة كانوا يقيمون بمسجد رسول الله ﷺ عابدين متعففين، لا يفارقونه إلا لجهاد عدو.

وهذا الوجه لا يوافق قاعدة النسب في اللغة؛ فإنها تقتضي أن يقال في النسب إلى صفة: صفة، لا صوفية.

وذهب ابن الجوزي وآخرون إلى أن الصوفية نسبة إلى صوفة؛ تشبيهاً لهؤلاء الزهاد

١ - انظر محاضرات إسلامية ص ٨٩ .

٢ - المرجع السابق ص ٩١ .

٣ - المرجع السابق ص ٩١ ، وانظر الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ٢٣٣ .

بأل صوفة، وهم قوم كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية، ويتسكون. والأقرب أنهم تسموا بالصوفية؛ لأنهم كانوا يؤثرون لبس الصوف؛ تجنباً للباس الفاخر من الثياب»^(١).

إلى أن قال: «أخذ الزهاد والوعاظ لقب الصوفية، وما برحت طريقتهم قائمة على قواعد الدين ورعاية آدابه، إلا نفرأ كانوا يتشبهون بهم على جهالة، فيغرقون في الزهد، أو يظهرون للناس بغير ما كانوا يسرون، وهم الذين يقول فيهم الإمام الشافعي:

ودع الذين إذا أتوك تنسكوا وإذا خلوا فهم ذئاب خراف^(٢)

وبين بعد ذلك ما طرأ على التصوف من الانحراف؛ فأوضح أن الصوفية أخذوا يتحدثون عما يردُّ على خواطرهم، وما يجدونه من الأذواق، ويعبرون عن هذه الخواطر والأذواق بكلمات إما مألوفة، وإما غير مألوفة، حتى أصبح التصوف في القرن الثالث مذهباً ذا قواعد واصطلاحات، وزاد بما دخله من الاصطلاحات على المقدار الذي يستطيع أن يفهمه المفسرون والمحدثون من موارد الكتاب والسنة^(٣).

٤. انتقل بالحديث عن التصوف إلى ما حدث فيه بعد عهد الصحابة والتابعين، وذلك في القرن الثالث الهجري؛ فبيّن أن من الصوفية -كالجنيد- من سار على ما كان عليه سلمان الفارسي، والحسن البصري، وأنه قد «خرج أقوام في ذلك الوقت، فخلطوا التصوف بشيء من أصول الفلسفة الإشرافية، وكسوه لونا من الزهد الفارسي؛ فأخذ هذا التصوف هيئة غير الهيئة التي عرف بها الزهاد والوعاظ في صدور الإسلام، وشاع يومئذ الغلو في الزهد، وراج ما توهموه في معنى التوكل من أنه نزع اليد من الأسباب جملة، ذلك التوهم الذي حاربه النبي ﷺ بأقواله وأفعاله، قبل أن

١ - محاضرات إسلامية ص ٩١ .

٢ - انظر المرجع السابق ص ٩١- ٩٢ .

٣ - المرجع السابق ص ٩٢ .

يحاربه العلماء فيما حاربوا من آراء ساقطة، وأوهام قاتلة»^(١).

٥. تعرض إلى ما حدث في الصوفية من الأناشيد التي يسمونها الزهديات، وذكر نماذج من ذلك، وأبان عن رأيه في تلك الأناشيد، فقال: «وليس في مثل هذه الأناشيد من بأس؛ فقد يكون فيها تذكرة لبعض النفوس الغافلة، وإنما تدخل في قبيل اللهو إذا كانت توضع في ألحان الغناء، حتى تكون اللذة في طيب أنغامها، لا فيما احتوته من حكمة أو موعظة.

أما السماع الذي تنكره على المتصوفة فهي الأناشيد التي تحوي من وصف الغزل ما نسمعه في شعر عمر بن أبي ربيعة، أو تحوي من وصف الخمر مثل ما نسمعه في شعر أبي نواس، وحاشا لفضلاء الصوفية أن يكونوا قد شهدوا هذا النوع من السماع، وهم يحسبون أنهم في طاعة»^(٢).

وتطرق بعد ذلك إلى ما يتصل بالأناشيد من بدع عملية كالرقص في حال الذكر، وكاستعمال الأدوات المطربة في المساجد، وذكر أقوال العلماء في ذلك كالغزالي، والقرطبي، وابن أبي زيد القيرواني^(٣).

٦. تطرق إلى ما ظهر عند الصوفية من تأويل بعض الآيات والأحاديث على وجوه توافق أذواقهم ومواجدهم، وأن نفرأ منهم قد تهافتوا على ذلك النوع من التأويل؛ فارتكبوا منه ما يتبرأ منه العقل واللغة، وتنكره الشريعة إنكاراً مُغلظاً، وأنه يكفي في عدم صحة هذا النوع من التفسير أنه لم يُنقل عن أحد من الصحابة، أو التابعين تفسيراً للقرآن بما يماثله أو يدانيه.

ثم ساق جملة من آراء العلماء في هذا المزلق الخطير، فذكر كلاماً لابن الصلاح، وابن العربي.

ثم انتقل إلى ما وجد في القرن الثالث عند الصوفية من القول بوحدة الوجود، وظهور

١ - المرجع السابق ص ٩٢.

٢ - المرجع السابق ص ٩٣، وانظر الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ٢٣٥.

٣ - محاضرات إسلامية ٩٣-٩٥.

مقالة الحلول، وما كان من أمر الزنادقة الذين اتخذوا أمثال هذه الآراء ذريعة إلى أن يفسدوا على الناس أمر دينهم، وذكر أمثلة لذلك ومنها أبيات لابن الفارض يقول فيها:

وان خرّ للأحجار في البيد عاكفاً فلا تعد بالإنكار بالعصبية
وان عبد النار المجوس وما انطفت كما جاء في الأخبار من ألف حجتي
فما عبدوا غيري وما كان قصدهم سواي وإن لم يظهروا عقد نيتي^(١)

٧. انتقل إلى اختلاف أنظار العلماء في المقالات المنسوبة إلى بعض الصوفية، فقال: «ومن أهل العلم من يحسن الظن برجال يُنعتون بالصلاح، ويؤثر عنهم مقالات تنطق أو تحوم حول الحلول والاتحاد، فيذهب بها مذهب التأويل، ويخرج بها إلى وجوه تخلصها من ورطة هذه العقيدة المنكرة.

ولا أطيل الحديث عن هذه الوجوه الغامضة، والمعاني غير المألوفة؛ فإنكم تجدونها مبسطة في كتب التصوف، وبعض المؤلفات في علم الكلام»^(٢).

إلى أن قال: «ومن ذهب في مثل هذه المقالات مذهباً وسطاً: ولي الدين العراقي؛ حيث قال في كتابه (الأجوبة المرضية): (أما ابن العربي^(٣))، فلا شك في اشتغال (الفصوص) المشهورة عنه على الكفر الصريح الذي لا شك فيه، وكذلك (فتوحاته المكية).

وينبغي عندي أن لا يحكم على ابن العربي في نفسه بشيء؛ فإنني لست على يقين من صدور هذا الكلام منه، ولا من استمراره عليه إلى وفاته، ولكننا نحكم على هذا الكلام بأنه كفر»^(٤).

٨. أوضح أن الزنادقة لبسوا لباس الوعاظ والزهاد، وحاربوا الإسلام عن طريق التأويل، وحاربوه من طريق ما يسميه الصوفية حالاً وذوقاً، وبالغوا في الاعتماد عليه حتى جعلوه من قبيل دلائل الشريعة، وأنهم يرون أنه إذا تعارض الأمر والذوق قدم

١ - المرجع السابق ص ٩٦ .

٢ - المرجع السابق ص ٩٦-٩٧ .

٣ - يعني ابن عربي الطائفي الصوفي لا ابن العربي المالكي .

٤ - محاضرات إسلامية ص ٩٧ .

الذوق على الأمر.

وأنتهم بنوا على هذا الزعم أن الصوفي يتلقى أحكاماً سماوية من غير هذه الشريعة، ويقولون: إن الصوفية أباحت لهم أشياء محظورة على غيرهم؛ فتوسلوا بهذا إلى أن أدخلوا في الإسلام صوراً من الباطل غير قليلة.

٩. انتقل إلى صورة من صور الانحراف الصوفي، وهي قولهم: إن الولي إذا بلغ عند الله منزلة عليا سقطت عنه التكليف جملة، وأن التكليف خاص بالعوام ساقط عن الخواص، وأنه «قد توكلأ على هذه المقالة المبتدعة كثير من أولي الأهواء، يقعدون مقاعد الصوفية، ثم لا يبالون أن يضيعوا الصلاة، ويتبعوا الشهوات، على مرأى ومسمع من جماعات يعتقدون إخلاصهم.

ومن الكلمات المصنوعة على هذا المنوال قول بعضهم وقد دعي إلى الصلاة:
يُطالب بالأوراد من كان غافلاً فكيف بقلب كل أوقاته وزد

وقيل لآخر من هذه الفئة: ألا تصلي؟ فقال: (وأنتم مع أوردكم، ونحن مع وارداتنا)»^(١).

ثم قرر -بعده وإنصافه المعهودين عنه- قائلاً: «ليس بالبعيد أن هذه المقالات الخاطئة يعزوها إلى من عرف بالصلاح بعض أعدائه؛ ليحط من قدره، ويلوث سمعته، أو يضيفها إليه بعض أولي الضلال؛ ليتلقاها العامة بقبول وتقليد.

وعلى أي حال كانت لا تجد منا إلا أن نحذرهما، ونغلق باب القبول دونها، ونكِلُ^(٢) أمر من اصطنعها إلى الجزاء العادل يوم يقوم الناس لرب العالمين»^(٣).

١٠. وكعادته في تلخيص أبحاثه، وبيان محصلتها، ونتيجتها وجمع أطرافها، وتقريبها يضع خلاصة للبحث، فيقول: «وخلاصة البحث: أن التصوف نشأ طاهراً

١ - المرجع السابق ص ٩٨، وانظر الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ٢٣٧.

٢ - هكذا في كتاب محاضرات إسلامية المطبوع مستقلاً ص ٦٠ وهو الصواب، وفي نسخة موسوعة الأعمال

الكاملة ص ٩٨: لكن.

٣ - محاضرات إسلامية ص ٩٨.

نقياً، فلبسه قوم على جهالة، وابتغاه آخرون؛ ليقضوا به مأرباً، أولئك يحدثون فيه بدعاً، وهؤلاء يدسون فيه أقوالاً غاوية.

وقد وقف العلماء تجاه هذا كله موقفَ مَنْ لا تأخذه في الله لومة لائم؛ فكانوا يضعون أقوال الصوفية وأعمالهم على محك النظر، ويزنونها بميزان الشريعة، فيتركون المستقيمين منهم في زهدهم وانقطاعهم إلى عبادة ربهم، ويضربون بما وجدوه من ضلالات أو بدع في وجوه مبتدعيها»^(١).

إلى أن قال: «وإنما بقي التصوف ملوثاً بما تلوث به من بدع عملية وأخرى اعتقادية، مع مناهضة العلماء لهذه البدع، ومدافعتهم لها بالحجة، وكشفهم عما تحتها من سرائر - بقي كذلك؛ لأن أصحاب هذه البدع كانوا يبشرون آراءهم بين أيدي السذج من الناس، والسذجُ والجهالُ من الناس ليسوا بقليل.

ومما استمدت منه هذه البدع بقاءها: أن بعض المنتمين إلى علوم الشريعة لا يستطيعون أن يفصلوا للوقائع والأقوال أحكاماً موزونة؛ فكانوا يقفون أمام بدع المتصوفة أو غلطاتهم موقف الحائر في أمرها، أو الجانح إلى مسالة أهلها»^(٢).

١١. ويختتم بحثه في الحديث عن الطرق الصوفية في الوقت الحاضر؛ فيقول: «نحن نعرف أن في زعماء هذه الطرق رجالَ علم وفضل، ولا ننكر ما يقوم به هؤلاء الفضلاء من إرشاد وتعليم.

ومعرفتنا لهؤلاء الرجال المستقيمين لا تمنعنا من أن نلقي على الطرق الصوفية نظرةً نبتغي بها أن نكون على بينة من شؤوننا الاجتماعية، وأن تكون هذه الشؤون في نظام وصفاء، ولا سيما شأن يُلبس على أنه مظهر من مظاهر الدين الخفيف؛ فالمسألة خطيرة، وتبعة السكوت عنها غير هينة»^(٣).

١ - المرجع السابق ص ٩٨-٩٩.

٢ - المرجع السابق ص ٩٩، وانظر الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ٢٤٠-٢٤١.

٣ - محاضرات إسلامية ص ٩٩.

إلى أن يقول مبيناً ما في هذه الطرق من الانحراف: «الحقيقة أنه لا يزال في بعض هذه الطرق بقية من المحدثات التي حُشِرَتْ في الإسلام على جهالة، ولا يزال كثير من أصحابها يتناقلون عبارات مَدسوسة في التصوف على سوء نية، ولبعض هذه الطرق مظاهرُ تزديها العيون، وتمجها الأذواق، وقد يحسبها من لا يعرف الإسلام أن لها صلةً بالعبادات المشروعة في الإسلام.

بل في رؤساء هذه الطرق من يتخذ الملاحدة دريئةً يرمون من ورائها سهاماً مسمومة، لا غرض لها إلا أن تقع في مقاتل الدين الخفيف.

وفي رؤساء الطرق من لا يزال يتقرب إلى الظالمين حتى يكون لسانهم الذي ينطق، وسمعهم الذي يسمع، وبصرهم الذي يرى»^(١).

ثم يوجه بعد ذلك نداءه إلى علماء الطرق الصوفية، فيهيب بهم إلى «أن ينظروا في هذه الطرق نظراً من يعمل ابتغاء مرضاة الله، وينقدوا كل ما تحويه من تقاليد وآداب وأوراد، حتى إذا رأوا فيها ما لم يأذن به الله طرحوه ناحية، وكان لهم في سيرة السلف من الصحابة والتابعين أسوة حسنة»^(٢).

ويضرب لذلك مثلاً على ما عند تلك الطرق من الانحرافات التي يجب أن تعالج، فيقول: «فإذا لم ينقل عن السلف - مثلاً - أنهم احتفلوا في المساجد بالنفخ في المزامير، والنقر على الدفوف، أو أنهم ساروا في الشوارع يحملون الأعلام لغير جهاد، وإذا لم يرد عن السلف أنهم تحدثوا عن حضرة الخالق بعبارات موضوعة لعشق الحسان، ومعاقرة الخمر - علمنا أن هذا الصنيع كله إما لهو يشغل عن طاعة الله، أو باطل يصرف الوجه عن سبيل الله»^(٣).

إلى أن يقول: «وإذا لم يرد في سيرة أحد من الصحابة أو التابعين أنه كان يسمى نفسه، أو يسميه غيره باسم يدل على أنه يتصرف في الكون تصرفاً غيبياً - كان

١ - المرجع السابق ص ٩٩-١٠٠ .

٢ - المرجع السابق ص ١٠٠ .

٣ - المرجع السابق ص ١٠٠ .

الأحرى بالرئيس لأي طريق كان أن لا يصف نفسه، ولا يسمح لأحد من أصحابه أن يصفه بما لم يوصف به صحابي جلس بين يدي أكمل الخليفة، وقضى حياته في عبادة خالصة، وسياسة عادلة، وجهاد في سبيل الله»^(١).

ثم ينهي هذا النداء بخطاب صريح لطيف، فيقول: «ندعو مشايخ الطرق الذين يؤثرون الحق على الخلق أن يستضيئوا بسيرة أصحاب رسول الله ﷺ، وننادي علماء الشريعة أن ينصحو الكل من يفعل شيئاً على أنه من الدين، وما هو من الدين. وإذا طهر الله ناشئتنا من رجس الإلحاد، وحال بينهم وبين البدع الشائنة، والآراء الهازلة - فذلك اليوم الذي تكون لنا فيه أمة ذات خلق متين، ومظهر عظيم. والأمة التي تتدرع بالأخلاق المتينة، والمظاهر الحكيمة لا بد لها من أن تحيا في عزة وكرامة، ثم لا يجد الظالمون إلى السيطرة عليها من سبيل»^(٢).

ثانياً: ما جاء في بحثه: (التصوف): وقد أعد الشيخ هذا البحث بعد عشر سنوات من بحثه السابق، وقد نشر هذا البحث في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزأين الرابع والخامس من المجلد الحادي عشر / شوال وذو القعدة ١٣٥٧هـ.

وهذا البحث يشترك مع البحث الماضي -في مجمله- في أكثر المسائل والقضايا، وقد يتوسع في بعضها، وقد يوجز في بعضها الآخر، وقد يكرر ما كان قرره هناك. وفيما يلي عرض لما جاء في بحثه (التصوف):

١. افتتح البحث في أصل كلمة (الصوفية): حيث فصلَّ فيها ما لم يفصله في المبحث السابق، وبين أن الخلاف وقع في أصل هذه الكلمة، وأن أصحابها أنها مأخوذة من الصوف؛ لأن الزهاد كانوا يعمدون إلى لبس الصوف؛ بعداً وتجنباً للبس الفاخر من الثياب^(٣).

وذكر بعد ذلك آراءً حكم عليها بالضعف، وبين وجه ضعفها، فقال: «منها: أن

١ - المرجع السابق ص ١٠٠ .

٢ - المرجع السابق ص ١٠٠-١٠١ .

٣ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ٢٢٧ .

الصوفية نسبة إلى آل صوفة؛ تشبيهاً لهؤلاء الزهاد بآل صوفة، وهم قوم كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية، ويتنسكون.

ويبعد هذا الوجه: أن آل صوفة قد ذهبوا بذهاب عصر الجاهلية، وقد تسمى هؤلاء العباد والزهاد في الإسلام باسم الصوفية، وقبلوا هذا الاسم، ولا أحسبهم يرضون بنسبتهم - ولو على وجه التشبيه - إلى طائفة كانت في الجاهلية على غير هدى^(١).

ثم ذكر الأوجه الأخرى التي قيلت في نسبة الصوفية، فقال: «ومنها: أنه نسبة إلى الصوف على معنى: أنهم آثروا الانكسار، فكانوا كالصوفة المرمية. وهذا وجه سخيف لا يلتفت إليه.

ومنها: أن الصوفية نسبة إلى الصف؛ لأنهم في الصف الأول بين يدي الله - تعالى -.. وقاعدة النسب لا تساعد على هذا الوجه، كما أنها لا تساعد على أن يكون مأخوذاً من الصفاء؛ لصفاء نفوسهم، وخلص قلوبهم من شوائب الأهواء، وسيئات الأخلاق^(٢).

وبين بعد ذلك أن هذا الاسم حدث بعد السلف، وذكر أقوالاً في ذلك للسهروردي، وابن تيمية، والقشيري، وحسن صديق.

ثم ختم هذه الفقرة بتعريف اصطلاحى للتصوف، فقال: «التصوف رياضة النفس، ومجاهدة الطبع برده من الأخلاق الرذيلة، وحمّله على الأخلاق الجميلة؛ ابتغاء السعادة^(٣).

ثم بين الطريق إلى ذلك فقال: «وهذه الرياضة والمجاهدة تكون بالعكوف على العبادة، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة مال، أو جاه^(٤).

١ - المرجع السابق ص ٢٢٧.

٢ - المرجع السابق ص ٢٢٧-٢٢٨، وانظر محاضرات إسلامية ص ٩١.

٣ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ٢٢٨.

٤ - المرجع السابق ص ٢٢٨.

٢. تعرض لتاريخ التصوف قبل الإسلام: فبين أنه إذا أريد بالتصوف: الزهد في الدنيا، والانقطاع إلى العبادة، ومجاهدة النفس بكفها عن شهواتها - صح أن يبحث عن هذا المعنى في الأمم التي وجدت قبل الإسلام.

ثم شرع في البحث في ذلك مع قطع النظر - كما يقول - من اختلاف العبادات، أو اختلاف الغرض من تلك المجاهدة.

وبدأ ذلك في بيان طريقة حكماء اليونان في طلب الحقائق، وأن لهم في ذلك طريقتين: طريقة أرسطاطاليس وأتباعه، وهي طريقة البحث والقياس العقلي أو الاستقراء، وتسمى بالحكمة المشائية.

وطريقة أفلاطون وأتباعه: وتسمى حكمة الإشراق؛ لأنها تعتمد على إشراق العقل بالارتياض، والتجرد عن الرذائل.

ثم أبان أن الإشراقين من الحكماء الإلهيين يشبهون الصوفية في مسلكهم إلا ما يخالفون فيه هدي الإسلام^(١).

ثم انتقل إلى بيان طريقة البوذية وأن فيها ما يشبهه الرهبانية، وأن مؤسسها جوتما^(٢) دهري لا يؤمن بالله واليوم الآخر، ومن مبادئه أن الشقاوة في الدنيا ناشئة عن

١ - انظر المرجع السابق ص ٢٢٨-٢٢٩.

٢ - مؤسس البوذية هو جوتما أو جوتاما سد هارتا، أو سد ذارتا، ومعناه: الذي حقق أمله. وله ألقاب كثيرة أشهرها: بوذا، ومعناه المستير، أو العالم، ومن ألقابه: شاكيا موني: أي حكيم قبيلة شاكياس، أو شاكيا التي ينحدر منها بوذا، وسيكا موني: أي المعتكف، وتاداجا، ومعناه: الرجل الفائز بالحق. أما أشهر تلك الألقاب فهو بوذا، وإليه تنسب البوذية، وقد ولد بالقرب من مدينة كاييلا فاستو في شمال الهند من إقليم نيپال، وذلك سنة ٥٦٨ قبل الميلاد حسب أحد الأقوال في تاريخ ميلاده.

والأساطير حول مولده، وما قبله، وتفاصيل حياته عموماً - كثيرة جداً. انظر الديانات والعقائد لأحمد عبدالغفور عطار، ط ١، ١٤٠١هـ، طبع بإشراف دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١١٦/١-١١٧، والتصوف: المنشأ والمصادر لإحسان إلهي ظهير ص ٥٣-٥٥، وذيل الملل والنحل للكيلاني ١٦-١٢/٢، والفكر الشرقي ل: جون كولر، ترجمة كامل يوسف حسين، مراجعة د.إمام عبدالفتاح، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م، ص ١٨٠-١٩٤.

الشهوات ، فيجب إطفاء هذه الشهوات؛ لينجو الإنسان من الشقاوة^(١). ويرى هؤلاء -كما يقول الشيخ- أن هناك محرمات على الرهبان والراهبات خاصة، وهي التزين بالزهور، والتطيب بالروائح الذكية، وسماع الغناء، والتفرج على الرقص، والجلوس على الأسرة العالية، ونحو ذلك. ثم يعقد مقارنة بين ما في التصوف من الزهد والانقطاع إلى العبادة، وبين ما عند الفرس، وما في النصرانية من الرهبانية التي تشبه التصوف^(٢). ثم ينتقل إلى الحديث عن التصوف الحادث في الإسلام، فقرر قريباً مما قرره في بحثه الآنف (التصوف في القديم والحديث).

وزاد فيه كلاماً حول مسألة الكرامات، والمبالغة في نسبتها إلى شيوخ الصوفية^(٣).
 ٣. تعرضه لتعاليم التصوف، فأوضح أن الصوفية «أخذوا يتحدثون بما يعرض لهم في أثناء المجاهدة من أحوال وخواطر، وبما ينتقلون فيه من مقامات، وصاروا يعبرون عن تلك المعاني بألفاظ جرت مجرى المصطلحات العلمية. ومن هذه الناحية وجد بعض الجاهلين أو المضللين منفذاً لأن يضيفوا إلى التصوف معاني باطلة، وشروحاً لتلك المصطلحات غير صالحة؛ كالكلمات الظاهرة في الحلول والاتحاد^(٤)».

١ - وهي ما يعرف بمسألة الشقاء، وأسبابه، وطرق الخلاص منه، وهي ما تسمى: الحقائق البوذية النبيلة الأربع التي تقوم على: أ. الاعتراف بأن الحياة مليئة بالشقاء. ب. وأن الشقاء له أسباب تكمن في الشهوات والرغبات الملحة. ج. ضرورة وقف هذه الشهوات والرغبات. د. اتباع الطريق الوسط الذي يؤدي إلى التخلص من الشقاء، وهو ما سماه بالصراف النبيل الذي يقوم على أسس منها: توافر الصحة، والصواب في الاعتقاد، والعزم، والتأمل الفكري، والروحي، وبذلك يصل البوذي إلى النرفانا، وهي مرحلة الخمود والهمود، والتبريد للشهوات، وتعني حالة من السلام، والسعادة، والطمأنينة، والأمن الناتج عن محو هوى النفس، ونهاية الألم، والتحرر من تناسخ الأرواح. انظر الديانات والعقائد ٣٣٣/٤، وتاريخ الأديان دراسة وصفية د. محمد خليفة حسن ص ١٠٢-١٢٤.

٢ - انظر الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ٢٢٩-٢٣٠.

٣ - انظر المرجع السابق ص ٢٣١-٢٣٨.

٤ - انظر المرجع السابق ص ٢٣٨-٢٣٩.

ثم ساق كلاماً للحافظ العراقي حول هذه المصطلحات، ورأيه في ابن عربي، وقد مر عند الحديث عن البحث الماضي.

وختم حديثه عن تعاليم التصوف بقوله: «وحصل مما يتحدث به الصوفية من إلهام وأحوال ومنازل، معان ومصطلحات مضافة إلى آداب القوم؛ من نحو: الزهد، والورع، والشكر، والذكر، والتوكل، والتواضع، والعزة، وأصبح مجموع ذلك علماً مستقلاً، يسمى: (علم التصوف)»^(١).

٤. بيانه صلة التصوف بالفلسفة: وقد مضى الحديث عن ذلك في المبحث الماضي عند الكلام على موقفه من الفلسفة.

٥. بيانه أثر التصوف في الحياة الإسلامية: فقرر في ذلك «أن التصوف في الأصل: زهد في الدنيا، ومحاسبة للنفس على كل ما تفعل أو تترك، وانقطاع إلى عبادة الله في إخلاص وعفاف وعزة، واحتفاظ بحقوق العباد، وجهاد في سبيل الحق قدر المستطاع»^(٢). وقال بعد ذلك عن هذا التصوف: «وهو من هذا الوجه قد أتى بخير كثير، وأنبت رجالاً عرفوا بالتقوى والورع، والدعوة إلى الخير بمواعظهم أو أحوالهم؛ فكان لهم فضل كبير في هداية كثير من الغافلين، وتقويم كثير من المنحرفين»^(٣).

ثم بين الخلل والأثر السيئ للتصوف في حياة المسلمين، فقال: «ولكن آراءاً، وأعمالاً مبتدعة دخلت في التصوف على جهالة، أو سوء قصد؛ فكان لها في حياة المسلمين أثر سيئ؛ مثل: الغلو في الزهد، وترك الأخذ بالأسباب في طلب الرزق، ومثل: عبارات الحلول التي دسها فيه قوم ظهرُوا في ثوب التصوف، فأوقعت بعض الناس في فتنه»^(٤).

إلى أن قال: «وكان لإسراف بعض المتصوفة في الحديث عن المكاشفة والاطلاع على ما في العالم الروحاني، والتصرف الخفي في الكون - أثرٌ في غلو بعض الناس في

١ - المرجع السابق ص ٢٤٠ .

٢ - المرجع السابق ص ٢٤٠-٢٤١ .

٣ - المرجع السابق ص ٢٤١ .

٤ - المرجع السابق ص ٢٤١ .

الاعتقاد بعلو منزلة من يعتقدون صلاحه، حتى ترى بعض العامة يمتنعون من أن يحلفوا بالرجل الصالح كذباً، ثم لا يبالون أن يحلفوا بالله، وهم يعلمون أنهم غير صادقين فيما يحلفون، والتوحيد الخالص: أن تكون خشيتك لله فوق كل خشية»^(١).
ويواصل بيانه الأثر السيئ للتصوف في الحياة الإسلامية، فيقول: «ومن أثر التصوف المنحرف عن السبيل: أنه أدخل في العبادات مقصداً يجعلها صوراً من غير روح؛ ذلك أن بعض الناس يتجردون للعبادة بقصد أن يصلوا بها إلى الاطلاع على عالم الأرواح، وغرائب العلوم، وأن تحرق لهم العادات، وتجري على أيديهم الكرامات»^(٢).

٦. دراسته لبعض الأعلام المنسوبة للتصوف: حيث ختم بحثه في ذلك، وقال: «وإليك جملة من أسماء أشهر من تدور أسماؤهم في كتب التصوف، سواء أكانوا ممن اتفق الناس على صلاحهم، أم ممن وقع الطعن فيهم، واخترنا أن نوردهم على حسب ترتيب وفياتهم.

وإليك أسماءهم، مع التعرض لبعض النواحي من حياتهم، أو شيء من أقوالهم»^(٣).

ثم تناول أسماء أولئك، وهم: أويس القرني، وأبو مسلم الخراساني، والحسن البصري، ومالك بن دينار، ورابعة العدوية، وإبراهيم بن أدهم، وداود الطائي، والفضيل بن عياض، ومعروف الكرخي، وأبو سليمان الداراني، وبشر الحافي، والحارث المحاسبي، وذو النون المصري، والسري السقطي، ويحيى بن معاذ الرازي، وأبو يزيد البسطامي، والجنيد، وأبو بكر أحمد بن نصر الدقاق، وأبو طالب المكي، وأبو القاسم القشيري.

وذكر بعد ذلك ابن الفارض وأنه كان يقول الشعر الظاهر في الغزل، وينحو فيه نحو

١ - المرجع السابق ص ٢٤١.

٢ - المرجع السابق ص ٢٤١.

٣ - المرجع السابق ص ٢٤٢.

معان صوفية، وأنه قد أنكر عليه جماعة من علماء الشريعة المسلك الذي لا يعرف عن السلف.

وذكر أن المقرئ حكى أن ابن عربي بعث إلى ابن الفارض يستأذنه في شرح قصيدته التائية، فقال له: كتابك المسمى بالفتوحات المكية شرح لها^(١).

ثم ترجم لابن عربي، وتلقيه العلم، وصحبه للصوفية، ووفاته في دمشق سنة ٦٥٦ أو ٦٥٨.

وختم ذلك بذكر اختلاف الناس فيه، فقال: «وقد اختلف الناس فيه، فمنهم من يشهد له بالمنزلة الكبرى في الصلاح والولاية، ومنهم من ينسبه إلى الإلحاد؛ ذلك أن بعض مؤلفاته - كما أشرنا قبل - تشتمل على عبارات إذا عرضت على أصول الشريعة لم تلتق معها بوجه من وجوه الدلالات المعروفة في العربية»^(٢).

إلى أن قال: «وقد سلك مريدوه بهذه العبارات مسلك التأويل، ولو على وجوه فيها غموض، ولم ير آخرون للشيخ عذراً في هذا المسلك؛ فحكموا عليه بما يجب أن يحكموا به على غيره ممن لم ينسب إلى صلاح.

وقد سقنا إليك آنفاً رأي الإمام العراقي في هذا، وهو أنه لا يحكم على ابن العربي بشيء، ولكنه يضع يده على العبارات المنكرة في (الفصوص) أو (الفتوحات) ويقول: هذا كفر.

وهؤلاء لا يؤولون المشابه إلا إذا ورد في كلام الشارع»^(٣).

ثم ختم بحثه بترجمة لأحد المنسوين إلى التصوف، وهو أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي الشهير بزروق^(٤).

فهذه أبرز معالم موقفه من التصوف في أبحاثه التي كتبها عن التصوف ابتداءً وعموماً.

١ - المرجع السابق ص ٢٤٢-٢٤٨.

٢ - المرجع السابق ص ٢٤٨.

٣ - المرجع السابق ص ٢٤٨.

٤ - انظر المرجع السابق ص ٢٤٨.

المطلب الثاني: دراسته الخاصة لبعض قضايا التصوف

كما أن الشيخ الخضر قد درس التصوف عموماً، وبحث فيه - كما مر في المطلب الماضي - فإنه كذلك قد تناول دراسة عددٍ من قضايا التصوف؛ إما بإفرادها في البحث، أو تناولها عرضاً في غضون بحث عام في غير باب التصوف. وفيما يلي بيان يلقي مزيداً من الضوء على موقف الشيخ الخضر من التصوف، وذلك من خلال العرض لما بحثه من تلك القضايا.

أولاً: بحثه في طرق الصوفية والإصلاح: وهذا عنوانٌ بحثه كتبه الشيخ، ونُشر في مجلة البدر التونسية الجزء الرابع من المجلد الثالث الصادر في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٤٢هـ.

وقد كتبه منتقداً حال الطرق الصوفية، وما آلت إليه أحوالها من مزيد من الدعوة إلى البطالة، والكسل، والنفعية، والتسبب في غمز الإسلام من قبل من ينظرون إلى انحرافات الطرق، ونسبتها إلى الإسلام. وفيما يلي عرض لما جاء في ذلك البحث:

١. افتتح الشيخ ذلك البحث ببيان أن كثيراً من الطرق المنتمية إلى الصوفية يتنفس بريح سامة، ويلتوي إلى حيث يستدرج طوائف من الناس، ويلقي بهم في عماية وخسران مبين.

ثم بيّن خطر هذا الأمر، وأن تبعة السكوت عليه غير هينة. وأوضح أن «من مقتضى السداد في النظر أن نناقش أنفسنا الحساب في كل شيء، ولا نغادر صغيرة ولا كبيرة من أحوالنا الاجتماعية إلا وقفنا لسبر غورها، وتميز طبيها من خبيثها وقوف البصير المخلص؛ لعلنا نشتهي من العلل التي قعدت بنا في مضجع الخمول، ونسلك الصراط السوي الذي رسمته الحكمة الإلهية؛ لتسير فيه الأمم الرشيدة؛ فنكون من الفائزين»^(١).

٢. انتقل إلى حال الزهاد من الصحابة والتابعين، ومن تحرى سيرتهم، وأنهم كانوا «يأخذون أنفسهم بآداب الشريعة أخذ العارف بحكمتها، المطبوع على النهوض بتعاليمها، ثم يقبلون على الناس يرشدونهم إلى أن يزنوا أعمالهم بميزان الشرع، ويسوسوا أنفسهم بزمام هدايته»^(١).

وأوضح أنهم أحرزوا بذلك مقاماً محموداً، وحياة طيبة، وجاهاً واسعاً. وأنهم لن يجعلوا هذه الكرامة مناط سهامهم، أو الركن الأشد من مقاصدهم. وإنما هي جزء من العاقبة التي وعد الله عباده المخلصين^(٢).

٣. ثم خلص من ذلك إلى أنه قد جاء بعد السلف الصالح أناس يحرصون على أن تكون لهم الكلمة النافذة، والعيش الخصب، ولو من غير طريقهما المشروع؛ فظهروا في مظهر أولئك الهداة، ولكن كبر عليهم أن يعنوا بشرطه، وينهضوا بأعبائه وهو الاستقامة على الطريقة المثلى.

ويعني بذلك بعض من ينتسبون إلى التصوف، ويدعون الولاية، ويبن أنهم قد فتحوا بصنيعهم في سور الشريعة ثلثة، وابتدعوا مقالات؛ ليختموا بها على أفواه الناس؛ حتى لا ينكروا ما هم عليه من المخالفات. ويضرب لذلك أمثلة من أقوالهم، كقولهم: «إن الولي إذا انتهى إلى منزلة عليا في رضوان الله سقطت عنه التكاليف جملة»^(٣).

وبين أنه قد «توكأ على هذه المقالة الوقحة كثير ممن يدعي الولاية، ويرتكب الفواحش على مرأى ومسمع من جماعات يلثمون أقدامه، وينشرون بين يديه أموالهم؛ ليقربهم إلى الله زلفى»^(٤).

١ - المرجع السابق ص ٥٢-٥٣.

٢ - انظر المرجع السابق ص ٥٣.

٣ - انظر المرجع السابق ص ٥٣.

٤ - المرجع السابق ص ٥٣.

ثم أبان عن حال طائفة أخرى من أولئك قادتهم الأهواء، وحب الرئاسة «ولم ينفذوا إلى روح الشريعة، ويدوقوا طعمها؛ فترامى بهم الجهل الأكمه إلى أن استعاروا من اللهو وتقاليد أهل البطالة ما حسبوه عملاً يتناوله اسم القربة، وحشروه في جملة ما استحبه الإسلام؛ فكان القذى في مقلته النجلاء.

ومن هذا القبيل: الرقص، والتصدية، واللهو بآلات الطرب في المساجد»^(١).

٤. انتقل إلى بيان بعض الأثر المترتب على تلك الانحرافات، فقال: «وبصر بما لهذا المظهر من السلطان على القلوب فريق من الملاحدة، فما لبثوا أن اتخذوه ذريعة إلى تغيير معالم الشريعة، واستدراج الناس إلى هاوية الضلالة.

ومن صنيع هؤلاء نشأت مقالة الحلول والاتحاد، ودعوى أن الصوفي يتلقى أحكاماً عن مُنزّل الشريعة من غير واسطة، وأنسلوا بهذه الدعوى عن كثير من حقائق الإسلام، وألصقوا به من صور الباطل ما لا يليق السكوت عنه، بل يجب محو أثره، وإن كانت اليد التي خطته خرجت وتدلّت من كمّ ناسك متعب؛ فإن ثوب النسك والعبادة مما يمكن استعارته والمواظبة على الاستتار به أعواماً وأحقاباً»^(٢).

٥. بين أن علماء الدين الذين وقفوا على ذلك الانحراف كانوا طائفتين:

«طائفة ثبتت أمامهم، ووضعت أقوالهم في محك النظر، ووزنتها بميزان الحكمة، ثم ضربت بهذه الضلالات والسخافات في وجه مفتريها ومبتدعيها، لا تخاف لومة لائم، ولا بطشة صائد؛ كما صنع ابن الجوزي، وأبو بكر ابن العربي، وابن تيمية، وأبو إسحاق الشاطبي، وغيرهم ممن طعنوا في أصحاب هذه المقالات الزائفة، والدعاوى الباطلة»^(٣).

١ - انظر المرجع السابق ص ٥٣-٥٤.

٢ - انظر المرجع السابق ص ٥٤.

٣ - انظر المرجع السابق ص ٥٤.

ثم ذكر الطائفة الأخرى التي - كما يقول - : أخذها الجبن عند لقائهم ، واسترهبوهم بمثل قولهم : (إن الإنكار على أهل الطريق يفضي إلى الموت على سوء الخاتمة).

ثم بين خطر هذه الطائفة التي كانت تصغي إلى مقالاتهم ، وتعتذر عن ضلالاتهم^(١).

يقول ﷺ في ذلك : « حتى إذا عَرَضَتْ عليهم شيئاً من آثارهم ، وأرَيْتَهَا كيف يكدر مورد الشريعة أو يَنْقُضُ بعض أركانها من أساسه - طَفِقَتْ تُخْرِجُ الأقوال عن موضعها اللغوي والعرفي ، وَتَحْمِلُهَا على معان ليست من منطوقها ولا مفهومها ، ولا مما تفتح له الاستعارة أو الكناية صدرها ، وَأَخَذَتْ تحاول بما يشبه تخبط العشواء في ليل ، أو اعتساف المدلج في غير سبيل ، أن تدخل بعض الأعمال المنكرة في قالب قاعدة أو قياس شرعي »^(٢).

ثم بيّن أن هذا الصنيع هو صنعُ « النفر الذين تصدوا للاعتذار عن المقالات الصريحة في نفي حكمة الباري ، أو حلوله في مخلوقاته ، أو دعوى رؤيته بالعين الباصرة في حال اليقظة ، أو نهي المريد عن زيارة غير أستاذه ، أو ترك صلاة الجماعة والجمعات أيام الخلوة لرياضة النفس ومجاهدتها »^(٣).

٦. يلفت - بعدله وإنصافه - النظر إلى « أن كثيراً من هذه المقالات المخالفة للمعروف من الشريعة وسيرة السلف الصالح قد يعزوها إلى أولي الصلاح بعضُ أشياعهم جهالة ، أو بعضُ أعدائهم ؛ ليضعوا من شأنهم ، ويصدوا عن سبيل هديهم ، وربما صدرت عن سليم النية على وجه الخطأ في النظر »^(٤).

١ - المرجع السابق ص ٥٤ .

٢ - المرجع السابق ص ٥٤-٥٥ .

٣ - المرجع السابق ص ٥٥ .

٤ - المرجع السابق ص ٥٥ .

ويقول بعد ذلك: «وعلى أي حال فشأننا معها أن نأخذ منها حذرنا، ولا نلاقها إلا بإنكار، ثم نكل أمر من اصطنعها إلى الجزاء العادل؛ فإلى الله إيباه، وعليه حسابه»^(١).

٧. ينتقل إلى خطر من أخطار تلك الطرق، ألا وهو داء المغلاة في التعصب لتلك الطرق، وقصر عاطفة محبتهم، ومساعدتهم على من تقلدوا عهد تلك الطريقة، والتجافي عن تمسك بعهد طريقة أخرى؛ فيكون الولاء والبراء للطريقة. يقول ﷺ منكرًا هذا المسلك: «وكان رؤساءهم لا يُذكرونهم بمثل قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠ ، وقوله - عليه الصلاة والسلام -: « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً »^(٢).

ومن أولئك الرؤساء من يجذب ذلك التعصب الضال؛ إذ يرى أنه ليس له سلطان إلا على من نفضوا قلوبهم من كل احترام وتعاطف إلا عليه، أو على من انخرطوا في الطريق التي قام على رأسها»^(٣).

٨. يعرج على منكر من منكرات تلك الطرق، فيقول: «وأكبر من هذا جريمة: أن في رؤساء الطرق من يعرف الباطل باطلاً، ولا يبالي أن يطأ له رأسه، ويؤازره على محاربة الحق، حتى يزيده أهل الباطل بسطة في الجاه، ولا يعترضوه في سبيل يتصيد منه بعض مآرب شخصية.

وأهون ما تشهده من خضوع هؤلاء: أن يبرز أتباعهم في الاحتفالات العامة كل بالأوضاع التي تلذها أذواقهم، ويمتازون بها عن أصحاب الطرق الأخرى، ثم لا يجرح أفئدتهم ما يسومهم به الناظرون من الازدراء والتهكم»^(٤).

١ - المرجع السابق ص ٥٥.

٢ - أخرجه البخاري (٢٣١٤) ومسلم (٢٥٨٥).

٣ - هدى ونور ص ٥٦.

٤ - المرجع السابق ص ٥٦.

ثم يقول مبيناً خطر ذلك الصنيع: «ومن أكبر البلايا أن يسبق إلى بعض الظنون أنها أوضاع شرعية؛ فلا يكفي ما تجره إلى واضعيها، أو الذين أصبحوا مظهرًا لها من المعائب والاحتقار، حتى تمس جانب الشريعة الغراء، وتلصق بالإسلام وصمة تجعل بينه وبين الجاهلين به حجاباً كثيفاً»^(١).

إلى أن يقول مشدداً النكير على هذا الصنيع: «ولو درينا أن تعرضهم للحط من كرامتهم كان تحت الإكراه الذي يقارنه الوعيد، ويأتي من ورائه العقاب الصارم - لقلنا لهم في وصف الدواء الناجع: اخلعوا أطواق هذه الطرق من أعناقكم، حتى لا تكون سبب إهانتكم بدل أن تكون من وسائل سعادتكم. ولكنه الهوى، أو ضعف الجأش وارتعاده أمام كل رغبة يُلوِّح إليها القوي الغالب، ولو بأداة عرض أو تحضيض»^(٢).

٩. يوضح بعد ذلك أنه «كان لمشايخ الطرق قبل هذا العصر فوائد لا يصح إنكارها؛ كاتخاذ زوايا لتعليم القرآن، وتلقين جانب من مبادئ الدين والأحكام الفقهية، والإرشاد إلى بعض الأخلاق الفاضلة، والمحافظة على العبادات، وترك المنكرات، ثم قبضهم لأموال بعض الأغنياء وإنفاقها على فقرائهم. والقيام على هذه المشروعات والتعليم - ولاسيما في العصور المظلمة - مزية لا يستهان بها»^(٣).

ويقول بعد أن ذكر هذه الميزات لمشايخ الطرق: «وربما اكتفينا منهم بتأدية هذه الواجبات، وصرفنا عنان السؤال عن عدم غرسهم في قلوب أتباعهم خلق الإقدام على مجاهرة الرؤساء بالنصيحة، ومطالبتهم بالاستقامة على السبيل الذي يكفل لهم الأمن من كارثة الاستعباد.

١ - المرجع السابق ص ٥٦ .

٢ - المرجع السابق ص ٥٦ .

٣ - المرجع السابق ص ٥٧ .

نكف أقلامنا عن أن تَحْمِلَ طرفاً من هذه المسؤولية على كواهلهم، ونقنع منهم بذلك المقدار من الخير؛ حيث لم يكونوا سلاح الباطل، ولا أعواناً للسلطان الجائر»^(١).

إلى أن يقول مبيناً وجه الإنكار في ممالئتهم للظلم والاستعمار: «ولكننا لا نقنع من بعض رؤساء الطرق في هذا العصر بذلك المقدار من تعليم وإرشاد على فرض أن ينهضوا له كما نهض سلفهم الصالح ما دامت قلوبهم وأقلامهم بين إصبعين من أصابع حليف الباطل، يملئ عليها ما يشاء، ويقبلها كيف يريد»^(٢).

١٠. يختم مقاله بتوجيه خطاب إلى مشايخ الطرق أن ينقوا ساحتهم من مظاهر لا تنطبق على الشريعة، وأن يسعوا إلى إسعاد الوطن، والذب عن حقوق الأفراد والجماعات، وأن يقفوا عند حدود الكتاب والسنة الصحيحة، وما يفهمه الراسخون في العلم منهما، ثم لا يجيدون عن القسطاس المستقيم، وهو سيرة السلف من الصحابة والتابعين^(٣).

ثم ينهي كلامه بأن «سبيل العزة، والكرامة، والاحتفاظ بالمكانة، والكلمة النافذة، والتصميم على ألا يبذلوها حيث يأمرهم ذو سلطة باغية - هو التفقه في قوله - تعالى -: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ١٧٥، ثم يصرفوا قلوبهم عن المنافع التي يمكن لصاحب تلك السلطة أن يحول بينهم وبينها، ويدوسوها بتعاليمهم، ويضربوا بها وراء ظهورهم.

وعلى فرض أن يتجاوز المستبد في حكومته إلى أن يسوم القابض يده عن العبث بالحق سوء العذاب - فَيَحُلُقُ بمن وقف موقف الزعامة والإرشاد أن يكون مثلاً أكمل المزاي، وهي احتمال الأذى، وتجرجر غصص البلاء المر في سبيلي العفاف

١ - المرجع السابق ص ٥٧ .

٢ - المرجع السابق ص ٥٧ .

٣ - انظر المرجع السابق ص ٥٨ .

والمروءة، تلك الخصلة التي يقوم عليها التصوف الحر، وبها يعلم الله الذين صدقوا، ويعلم الكاذبين»^(١).

فهذا هو مجمل ما اشتمل عليه مقال (طرق الصوفية والإصلاح). وليس هو الوحيد في هذا الشأن، بل لقد ناقش موضوع الطرق الصوفية - كما في المطلب الأول -.

وناقشها في تعقيب على مقال مجلة (الرابطة الشرقية) التي ورد في عددها الثالث قولها: «وقد أخذت مجلتنا على نفسها بأن تكون لسان الشرقيين جميعاً، لا تفرق بين أديانهم وأجناسهم، ولا تنصر ديناً على دين»^(٢).

وهذا الكلام الذي ورد في مجلة (الرابطة الشرقية) هو مما ردت به على الشيخ محمد رشيد رضا، فعقب الشيخ الخضر عليها مؤيداً للشيخ رشيد رضا. يقول الشيخ الخضر في تعقيبه على كلام المجلة الآنف الذكر: «تقول هذا في الرد على الأستاذ السيد محمد رشيد رضا حين نصح لها أن لا تنشر المقالات ذات الدعايات المناوئة للإسلام.

ولقد عرفت لجنة تحريرها أن الناس لا يرجون منها أن تنصر دين الإسلام على دين، وغاية ما يدعوها إليه عقلاء الأمة أن تسير في سبيل علمية أو أدبية أو اجتماعية، تحترس فيها من أن تمس عواطف الشعوب الإسلامية بأذى»^(٣).

ثم يعرج على إدارة تلك المجلة التي يديرها شيخ مشايخ الطرق الصوفية، فيقول منكرًا عليه: «وإذا كانت مجلة الرابطة التي يديرها شيخ مشايخ طرق الصوفية تزعم أنها لا تنصر ديناً على دين - فما بالها تبتدئ عملها بنشر أقوال الطاعنين في الإسلام من النصارى الأوربيين، ثم لا تستحي الأدب أن يراها تنشر

١ - المرجع السابق ص ٥٨ .

٢ - الهداية الإسلامية ص ١٧٩ .

٣ - المرجع السابق ص ١٠٨ .

مقالاً يكتبه بعض المخالفين في شأن مسيلمة الكذاب؛ كالموازنة بينه وبين أصدق الناس لهجة محمد بن عبدالله؟!.

وهل ضاقت على مجلة الرابطة مباحث الأوربيين العلمية والأدبية والاجتماعية بما رحبت؛ فرأت نفسها مضطرة إلى أن تملأ صحائفها بمثل هذه المقالات التي لا يخفى القصد من نشرها على القارئ النبيه؟!»^(١).

ثم يختم تعقيبه بقوله: «ونحن لا نستطيع أن نفهم كيف يجتمع التصوف وفتح الصدر للدعاية التي يقوم بها أمثال سلامة موسى^(٢) بارتياح؟!.

نعم، نستطيع أن نفهم كيف يلتقي هذا وذاك في نفس واحدة، متى استطاعت مجلة الرابطة أن تقنعنا بفساد ما أجمع عليه العقلاء قاطبة من أن النقيضين لا يجتمعان بمكان»^(٣).

ثانياً: تعرضه لبعض بدع الصوفية: وقد مرّ شيء من ذلك فيما تقدم. وما تعرض له من ذلك غير ما ذكر ما يلي:

١. بدعة الخرقه: وهي من بدع الصوفية، وقد تطرق لها الشيخ الخضر في مقدمته لكتاب (المغني عن الحفظ والكتاب) للموصلي، وذلك عندما تكلم على وضع الحديث، والآثار السيئة التي نشأت من ذلك.

قال ﷺ: «ومن تلك الآثار تكثير سواد البدع والمحدثات، كحديث لبس الخرقه على الصورة المتعارفة بين الصوفية.

وفي بعض الآثار أن أبا محذورة أنشد النبي -عليه السلام- بيتين؛ فتواجد حتى

١ - المرجع السابق ص ١٨٠ .

٢ - سلامة موسى ١٣٠٤-١٣٧٨هـ / ١٨٨٧-١٩٥٨م القبطي المصري، كاتب مضطرب الاتجاه والتفكير، ولد في قرية كفر العفي بقرب الزقازيق، وتعلم فيها، وفي باريس ولندن، ودعا إلى الفرعونية، وشارك في تأسيس حزب اشتراكي، ترجم ما يزيد على ٤٠ كتاباً طبعت، منها: حرية الفكر، ونظرية التطور، وأصل الإنسان. انظر الأعلام ١٠٧/٣-١٠٨.

٣ - المرجع السابق ص ١٨٠.

وقعت البردة الشريفة عن كتفيه؛ فتقاسمها أصحابه، وجعلوها رقعاً في ثيابهم.

وهذا كذب لا خلاف فيه بين أهل العلم في الحديث»^(١).

٢. بدعة المرقعات: قال ﷺ في بحث له تحت عنوان (السنة والبدعة): «ومن

البدع التي يلبسها بعض المتصوفة بدعوى الزهد: أثواب ينشؤونها من قطع مختلفة، وتسمى: المرقعات.

قال القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب (العارضة): إن الثوب إذا خلق منه جزء كان طرح جميعه من الكبر والمباهاة والتكاثر في الدنيا. وإذا رقعته كان بعكس ذلك كله، ورقع الخلفاء ثيابهم.

والحديث مشهور عن عمر، وذلك شعار الصالحين، وسنة المتقين.

حتى اتخذ الصوفية شعاراً، فجعلته في الحديد، وإنشاء مرقعة من أصلها.

وهذا ليس سنة، بل هو بدعة عظيمة، داخل في باب الرياء، وإنما المقصود بالترقيع: الانتفاع بالثوب على هيئة البلى»^(٢).

٣. ما يكون في الحفلات والمجامع: فقد تعرض لما يكون في الحفلات التي يقيمها

الصوفية، وقد مر شيء من ذلك فيما مضى.

ومما تعرض له غير ما ذكر ما جاء في بحثه (السنة والبدعة) حيث ذكر أن من شر

البدع: «ما يُفعل بدعوى القرية، ويكون في الواقع مثيراً للأهواء، مبعداً للنفوس

عن التقوى؛ كهذه الأشعار التي توصف فيها الخمر والغواني والغلمان.

ولا يتحاشى فيها عن ذكر العشق والهجر والوصال والعيون والثغور

والرضاب، ويتغنى بها في المجامع بزعم أنها كنايات، أو إشارات لها تعلق بالحضرة

الإلهية أو النبوية»^(٣).

١ - المغني عن الحفظ والكتاب ص ١٧ .

٢ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ١٣٤ .

٣ - المرجع السابق ص ١٣٦-١٣٧، وانظر ذم ما عليه مدعو التصوف للموفق ابن قدامة، المكتب الإسلامي،

بيروت، دمشق، ط ٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ٢١-٥ .

وقال في بحثه المعنون ب: (الانحراف عن الدين - علله - آثاره - دواؤه): «ونحن نعلم أن بعض البلاد الداخلة تحت سلطان غير إسلامي قد تقام فيه حفلات مشهودة، يكلف فيها بعض الجهلة من المنتمين إلى طرق المتصوفة أن يحضروها بأزيائهم الخاصة، وتقوم كل طائفة بأعمال يمتازون بها عمَّن سواهم، وقد يكون في هذه الأزياء والأعمال ما لا صلة له بالدين، ولا بما ترضى عنه العقول السليمة؛ فتتناولهم من أجل هذه المظاهر الألسن بالازدراء.

ولا شك أن شبابنا كبعض المخالفين الذين يشهدون هذه الحفلات قد يسبق إلى أذهانهم أن نسبة ما يعمل باسم الدين إلى الدين صحيحة؛ فيتجافون عنه، وهو منه براء»^(١).

ثالثاً: تعرضه لبعض المصطلحات الصوفية: فالصوفية - كما هو معلوم - لهم إشارات، ورموز، ومصطلحات.

وقد ذكر الشيخ شيئاً من هذا القبيل في أبحاثه السابقة، ومما تعرض له في ذلك ما يلي:

١. الذوق عند الصوفية: فله بحث عنوانه (الذوق وفي أي حال يعتد به؟).

وقد فصل الحديث فيه عن معنى الذوق بحسب المعاني التي تراد له، فبين معناه في اللغة، وفي المجاز.

كما فصل الكلام على اختلاف نظرة الناس للأشياء، وأن هذا راجع إلى اختلاف أذواقهم.

كما ذكر الذوق الأدبي، وضرب الأمثلة على ذلك. والذي يعني من هذا البحث في هذا المقام حديثه عن الذوق عند الصوفية؛ حيث قال فيه: «والذوق عند الصوفية - ويعبرون عنه بالوجد - عرفان يقذفه الحق في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره.

وشرط أصحابه أن يوافق قرآناً وسنة^(١).

ثم ذكر بعض أقوال كبار الطائفة في ذلك فقال: «قال سهل بن عبدالله التستري، وهو من أساطين الطائفة: (كلُّ وَجِدٍ لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل).

وقال أبو سليمان الداراني، وهو من أكابرهم - أيضاً: (إنني لتمرُّ بي النكتة من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدين من الكتاب والسنة).

فإذا فعل بعض من ينتمي للصوفية شيئاً، وقال: إنه عرفان من حق، ولم يشهد له كتاب أو سنة، أو سيرة السلف الصالح - تركناه جانباً^(٢).

٢. الكشف: وهو من المصطلحات الصوفية الشائعة، التي يعتمدها الصوفية، ويعدونها مصدراً وثيقاً للعلوم والمعارف، ويدخل تحته جملة من الأمور كالأخذ من النبي ﷺ بقظة أو مناماً، أو الأخذ عن الخضر - عليه السلام - أو الإلهام، أو الفراسة، أو الهواتف، والإسراءات، والرؤى، والمنامات، أو الكشف الحسي الذي يعني الكشف عن حقائق الوجود بارتفاع الحجب الحسية عن عين القلب والبصر إلى غير ذلك مما هو داخل في الكشف.

وقد تطرق الشيخ الخضر لذلك في مقدمته على كتاب (المغني عن الحفظ والكتاب) عندما تكلم على الأحاديث الموضوعية، وعلاماتها.

قال ﷺ: «ولا ينبغي الاستناد في العمل بالحديث - الذي لم يثبت علماً ورواية - إلى الرؤيا التي يفهم منها جواز العمل به؛ كما حكى عن نور الدين الخراساني: أنه كان عندما يسمع الأذان يقبل إبهامي يديه، ويمسح بظفره أجفان عينه عند كل تشهد.

ولما سئل عن ذلك، قال: كنت أفعله من غير رواية حديث، ثم تركته، فرأيت ﷺ مناماً، وأمرني بالعود إلى المسح^(٣).

١ - دراسات في الشريعة الإسلامية ص ٦٨ .

٢ - المرجع السابق ص ٦٨-٦٩ .

٣ - المغني عن الحفظ والكتاب ص ١٦ .

إلى أن قال: «ويلحق بهذا القليل: الأحاديث التي يقضي عليها الحفاظ بالوضع، ويقول بعض المتصوفة: إنها ثبتت من طريق الكشف؛ إذ من المتفق عليه بين الراسخين في علم الشريعة: أن الرؤيا والكشف لا تتقرر بهما حقيقة شرعية. وإضافة شيء إلى الدين بالاستناد إلى واحد منهما دون أن يقوم له شاهد من الكتاب أو السنة الثابتة بالطرق العلمية المعروفة - لا يخرج عن أن يكون ابتداءً في الدين، وفتحاً لباب من أبواب المزاعم الباطلة، والمظاهر المنكرة»^(١).

فهذه أهم معالم موقف الشيخ الخضر من التصوف.

ومن خلالها يتضح أن الشيخ قد وقف أمام كثير من انحرافات الصوفية، وأنكرها، وحذر منها.

ولا ريب أن هذا الصنيع جهد مشكور، وعمل جبار ينطوي على صدق، وإخلاص، وتجرد، وشجاعة؛ إذ كيف يُنكر ذلك وهو قد نشأ في بيئة طرقية - كما مر-؟ مع أن مخالفة الأوضاع، والرسوم، والإلف، والعادة من أشد ما على الإنسان. هذا وإن في دراسة الشيخ وموقفه من التصوف بعض الإشكالات، والإجمال في مسألتين:

الأولى: كلامه على مسألة الحلول والاتحاد: فقد جاء في (خلاصة الرحلة الشرقية) من كتابه (الرحلات) فقرة عنوانها: (الكلام على الحلول والاتحاد). وكتب تحتها ما نصه: «وزرت مكتبة راغب باشا، فلقيت بها الشيخ أحمد بباي أحد علماء بغداد، أخبرني أنه طالع (الفتوحات المكية) مرات عديدة، وزاول الكتب العالية في الأصول والحكمة والبلاغة، واتفق أن لم يبسط في هذا المجلس سوى الكلام على الحلول والاتحاد الذي ينسب للصوفية، وقال: إن المعترضين لم يفهموا مرادهم، وأخذ يقرر محاضرين باللسان التركي»^(٢).

١ - المرجع السابق ص ١٦ .

٢ - الرحلات ص ١١١ .

إلى أن قال الشيخ الخضر: «فالتفت نحوي أحدهم، وقال لي: ما لك لا تتكلم في هذه المسألة؟ فقررت حينئذ ما أعهدده للشيخ أبي عبدالله محمد بن قاسم البكي في شرح عقيدة أبي الحاجب، وذلك أقرب ما يفهم، وأوجز ما علق بذهني في هذا المطلب، وهو أن من الناس من ينسب القول بالاتحاد والحلول إلى الصوفية، بل إلى الكل منهم، كما وقع ذلك للشيخ أبي حامد في كتبه؛ أخذاً من ظاهر كلام الأشياخ؛ كأبي يزيد البسطامي»^(١).

ويواصل كلامه في هذا الشأن، فيقول: «وهذا إنما يتوهمه فيهم من ليس له اطلاع على أحوالهم، على أنه لم يرد في اصطلاح القوم شيء من إطلاق الحلول والاتحاد، إلا ما وقع في اصطلاح المتأخرين؛ كالشيخ ابن الفارض ومن معه من إطلاق لفظ الاتحاد، وأما الحلول، فلم يطلقه أحد.

ومراد الشيخ ابن الفارض في الاتحاد: ما ذكره بعض المتأخرين في الاصطلاح، وهو شهود اتحاد تعلق الموجودات كلها به - جلّ وعلا -؛ إذ هي به موجودة لا بنفسها، وهذا هو المسمّى عندهم: بالفناء في التوحيد، كما صرح به الشيخ أبو حامد الغزالي في كتاب: الصبر في (إحيائه).

ولا يبعد أن تكون طائفة قد ائتمت إلى الإسلام ظاهراً، واستعارت لباس الصوفية؛ لما علمت من مكانتهم في معتقد الأمة، وأخذت تبث هذه المقالات الناقضة لأساس الدين.

وهذا الشيخ محيي الدين بن عربي، الذي هو أبعد الصوفية مرمى في هذا المقام يقول في (صحيفة ٣٩) من أول (فتوحاته): (تعالى الله أن تحله الحوادث، أو يحل في الحوادث)»^(٢).

وهذا الكلام فيه شيء من الإشكال والإجمال خصوصاً في بيانه مراد ابن

١ - المرجع السابق ص ١١١ .

٢ - المرجع السابق ص ١١١-١١٢ .

الفارض في الاتحاد، وإيراده ما ذكره بعض المتأخرين في الاصطلاح، وهو أنه «شهود تعلق الموجودات كلها به - جل وعلا-...».

وقبل التعقيب على هذا الكلام يحسن التعريف بالحلول والاتحاد؛ فالمراد بهما في اصطلاح الصوفية: حلول الله - عز وجل- في مخلوقاته، وهذا هو الحلول العام، أو حلول ببعضها، وهذا هو الحلول الخاص.

والاتحاد -أو وحدة الوجود- عندهم: هو اعتقاد أن وجود الكائنات أو بعضها هو عين وجود الله -عز وجل-.

أو هو اعتقاد اتحاد الله -عز وجل- بمخلوقاته جميعاً وهذا هو الاتحاد العام.
أو اتحاده في بعض مخلوقاته، وهذا هو الاتحاد الخاص.

والفرق بين الحلول والاتحاد يتلخص في أمرين:

أحدهما: أن الحلول إثبات لوجودين بخلاف الاتحاد فهو إثبات وجود واحد؛ فكان الخالق -عز وجل- عندهم اتحد بالمخلوق فصاراً شيئاً واحداً.

والثاني: أن الحلول يقبل الانفصال، أما الاتحاد فلا.

ولهذا فإن القائلين بالحلول غير القائلين بالاتحاد^(١).

وابن الفارض وابن العربي من أهل الاتحاد، ووحدة الوجود القائلين بأن الخالق متحد بالمخلوقات جميعها.

والشيخ الخضر نفسه -كما مر- ذكر بعض الأبيات من تائية ابن الفارض على سبيل الإنكار.

يقول الشيخ عبدالرحمن الوكيل رحمته الله عن ابن الفارض: «يؤمن هذا الصوفي ببدعة الاتحاد، أو الوحدة سمها بما شئت، بصيرورة العبد رباً، والمخلوق

١ - انظر التعريفات للجرجاني ص ٩ و ٩٢، والكليات للكفوي ص ٣٨٩، والحركات الباطنية د. محمد أحمد الخطيب ص ٢٣٢-٢٣٨، و ٣٥٦، وهذه هي الصوفية للشيخ عبدالرحمن الوكيل ص ٢٤-٢٥، وانظر تفصيل ذلك في بغية المرتاد لابن تيمية.

خلاقاً، والعدم الذاتي الصرف وجوداً واجباً.

وإذا شئت الحق في صريح من القول، فقل: هو مؤمن ببدعة الوحدة، تلك الأسطورة التي يؤمن كهنتها بأن الرب الصوفي تعين بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله في صورة مادية، أو ذهنية، فكان حيواناً وجماداً وإنساً ورجلاً وأصناماً وأوثاناً.

وكان وهماً وظناً وخيالاً، وكانت صفاته وأسمائه وأفعاله عين ما لتلك الأشياء من صفات وأسماء وأفعال؛ لأنها هي هو في ماهيته ووجوده المطلق، أو المقيد، وكل ما يقترفه البُغاة من خطايا، وما تنهش الضاريات من لحوم، أو تُعرق من عظام فهو فعل الرب الصوفي، وخطيئته وجرمه»^(١).

ثم تناول رحمته قصيدة ابن الفارض التائية المليئة بما يقرر وحدة الوجود بشيء من الشرح والتحليل.

ومن ذلك قول ابن الفارض مقررًا عقيدة وحدة الوجود:

جَلَّتْ فِي تَجْلِيهَا الْوُجُودَ لِنَاطِرِي فَفِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ أَرَاهَا بَرُؤِيَّةَ
فهو يزعم أن الذات الإلهية هتكت عنه حجب الغَيْرِيَّةِ، وجلت له الحق
المغيب، فرأى حقيقة الله متعينة بذاتها في كل مظاهر الوجود.
ويقول:

فوصفي إذا لم تدع باثنين وصفها وهيئتها - إذ واحدٌ نحن - هيئتي
يزعم أن كل ما وصف به الله نفسه فالموصوف به على الحقيقة هو ابن
الفارض؛ لأنه الوجود الإلهي الحق في أزليته، وأبديته، وديموميته، وسرمديته.
ويقول:

فإن دُعيتُ كنتُ المجيبَ وإن أكن منادى أجابت من دعائي ولبت

ويقول - وبئس ما يقول - :

وكُلُّ الجهات الستُّ نحوي توجَّهت لها صلواتي بالمقام أقيمها
بما تمُّ من نسكٍ وحجٍّ وعمرة
وأشهد فيها أنها لي صلت
إلى أن يقول - قبحه الله - :

ففي النشأة الأولى تراءت لآدم وتظهر للعشاق في كل مظهر
بمظهر حوًّا قبل حكم البنوة
من اللبس في أشكال حُسنٍ بديعة
ففي مرة (لبنى) وأخرى (بثينة)
يزعم أن ربه ظهر لآدم في صورة حواء ، ولقيس في صورة لبنى ، ولجميل في صورة
بثينة ، ولكثير في صورة عزة .

فما حواء أم البشر إلا الحقيقة الإلهية ، وما أولئك العشاق سكرت على شفاههن
خطايا القبل المحرمة ، وتهاوت بُنيةً اللهفة الجسدية الثائرة تحت شهوات العشاق ، ما
أولئك جميعاً سوى رب الصوفية تجسد في صور غوانٍ تطيش بهُذاهنَّ نزوةً ولَهَى ، أو
نشوةً سكرى ، أو رغبةً تتلظى في عين عاشق!!^(١).

ومن أهل وحدة الوجود ابن عربي ، ومن أقواله في ذلك :

العبد ربًّا والربُّ عبداً يا ليت شعري من المكلف
إن قلت: عبداً فذاك ربًّا أو قلت: ربًّا أنسى يكلف^(٢)

وقوله : « سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها »^(٣).

وقوله : « إن العارف من يرى الحق - الله - في كل شيء ، بل يراه عين كل

شيء »^(٤).

١- انظر هذه هي الصوفية ص ٢٤-٢٥.

٢- الفتوحات المكية ٢/١.

٣- الفتوحات المكية ٢/٦٠٤ ، وانظر هذه هي الصوفية ص ٣٥.

٤- نصوص الحكم ص ٣٧٤ ، وانظر هذه هي الصوفية ص ٣٥.

فابن الفارض وابن عربي -إذاً- من أهل الاتحاد ووحدة الوجود -كما مر-
وليسا ممن يرون أن الاتحاد هو شهود اتحاد تعلق الموجودات كلها بالله.

الثاني: زيارة الشيخ الخضر لمقام ابن عربي: يقول الشيخ الخضر رحمته الله في
(خلاصة الرحلة الشرقية) من كتابه (الرحلات) عندما زار الشام: «وقصدت مقام
الأستاذ الشهير الشيخ محيي الدين بن عربي -رضي الله عنه- في بناءات تسمى
الصالحية، تتصل بطرف دمشق، وقرأت على ضريحه رسماً به بيتان يحتوي ثانيهما
على تاريخ وفاته، وهو:

إن سألتكم متى توفي حميداً قلت أُرخت: (مات قطب همام) (١)(٢)

وما أدري ما المقصود بقوله: (قرأت على ضريحه...)، هل وجد هذين البيتين
مكتوبين عليّ ضريح ابن عربي؟ أو أنه -أي الشيخ الخضر- قالهما؟.

وعلى كل فكونه قالهما، أو قرأهما مكتوبين، وزيارة الشيخ لضريح ابن
عربي، وتلقيه له بالأستاذ الشهير، وترضيه عنه - كل ذلك يوحي بأن لابن
عربي مزية وقدرًا عند الشيخ الخضر، وأنه قد يكون ممن يحسن الظن بابن عربي.
وهذا محل إشكال ونظر؛ فإن الشيخ قد أورد -كما مر- بعض ما قيل في ابن
عربي، وأن أنظار الناس إليه قد اختلفت.

ومهما يك من شيء فابن عربي من أرباب التصوف، وممن انحرفوا كثيراً عن السنة.
وقد فصلّ في ذلك الضلال، ونسب ابن عربي إلى الكفر غير واحد من أهل

١- في قوله: «مات قطب همام» تاريخ وفاة ابن عربي في حساب الجُمَّل، وذلك كما يلي:

$$\text{مات} = ٤٠ + ١ + ٤٠٠ = ٤٤١.$$

$$\text{قطب} = ١٠٠ + ٩ + ٢ = ١١١.$$

$$\text{همام} = ٥ + ٤٠ + ١ + ٤٠ = ٨٦.$$

المجموع: ٤٤١ + ١١١ + ٨٦ = ٦٣٨، وهي سنة وفاة ابن عربي الهجرية.

٢- الرحلات ص ٧٣.

العلم كالعلامة برهان الدين البقاعي في كتابه (مصرع التصوف) أو: (تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي).

وكذلك الشيخ عبدالرحمن الوكيل في كتابه (هذه هي الصوفية)^(١). ولعل ذلك كان من الشيخ قبل أن يتبين له أمر ابن عربي تماماً، خصوصاً وأن ذلك كان بعد خروجه من تونس، وقبل أن يقيم في الشام، ويستقر به المقام في مصر.

فهذه هي أهم ما يشكل في موقف الشيخ الخضر من التصوف. وما عدا ذلك فهو سائر فيه على طريقة أهل العلم، والتحقيق، والإيمان.

١- انظر الرسالة الصفدية قاعدة في تحقيق الرسالة وإبطال قول أهل الزيغ والضلالة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تقديم الشيخ عبدالله السعد، قدم لها، وحققها، وعلق عليها أبو عبدالله سيد بن عباس الحلبي، وأبو معاذ أيمن ابن عبدالله عارف الدمشقي، أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ٢٦٧-٢٦٨، و ٢٨٣-٢٨٤، وانظر التصوف للبقاعي تحقيق وتعليق الشيخ عبدالرحمن الوكيل، وانظر هذه هي الصوفية ص ٣٤-٤٢، ورسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي، جمع وتحقيق د. موسى بن سليمان الدويش، ط ١، ١٤١٠هـ، ونظرات في معتقد ابن عربي د. كمال محمد عيسى، دار المجمع للنشر والتوزيع، جدة، ط ٢، ١٤٠٦هـ.

المبحث الثالث: موقفه من التشيع

مدخل: نبذة في مفهوم التشيع

- تعريف التشيع في اللغة: قال ابن فارس: في مادة شيع: «الشين والياء والعين: أصلان يدل أحدهما على معاضدة ومساعدة، والآخر على بث وإشادة»^(١).
وقال: «والشيعة: الأعوان والأنصار»^(٢).

وقال الأزهري: «والشيعة التي تتبع بعضهم بعضاً، والشيع: الفِرَق الذي يتبع بعضهم بعضاً، وليس كلهم متفقين»^(٣).

«فالشيعه، والتشيع، والمشايعه في اللغة: تدور حول معنى المتابعة، والمناصرة، والمواقفة بالرأي، والاجتماع على الأمر، أو الممالأة عليه»^(٤).

- تعريف التشيع والشيعة في الاصطلاح: الكلام في ذلك يطول، ومن أجمع ما قيل في ذلك قول الدكتور ناصر القفاري حيث قال: «وفي نظري أن تعريف الشيعة مرتبط -أساساً- بأطوار نشأتهم، ومراحل التطور العقدي لهم؛ ذلك أن الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغير وتطور مستمر؛ فالتشيع في العصر الأموي الأول غير التشيع فيما بعده؛ ولهذا كان في الصدر الأول لا يسمى شيعياً إلا من قَدَّمَ علياً على عثمان؛ ولذلك قيل: شيعي وعثماني؛ فالشيعي: من قَدَّمَ علياً على عثمان، والعثماني: من قدم عثمان على علي.

فعلى هذا يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول أنهم الذين يقدمون علياً على عثمان فقط»^(٥).

غير أن التشيع لم يستمر على هذا النقاء، والصفاء، والسلام، والسمو.

١- معجم مقاييس اللغة ٢٣٥/٣.

٢- المصدر السابق ٢٣٥/٣.

٣- تهذيب اللغة للأزهري ٦١/٣.

٤- أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية ٣١/١.

٥- المرجع السابق ٥٣/١، ومسألة التقريب ١٢٠/١.

بل إن مبدأ التشيع تغير؛ فأصبحت الشيعة شيعاً، وصار التشيع قناعاً يستتر به بعض من أراد الكيد للإسلام والمسلمين.

وأصبحت الشيعة هي القسم المقابل لأهل السنة والجماعة؛ حيث انفردت الشيعة بعقائدها وآرائها المخالفة للحق.

وأخيراً استوعبت الشيعة الإمامية الاثنا عشرية معظم آراء الشيعة، واعتقاداتها، وصار التشيع علماً عليها^(١).

هذا وإن البحث في التشيع في القديم والحديث يتطرق لتاريخ التشيع، ومراحلها، وأطوارها، وفرقه، وكتبه، وأقوال الشيعة في الكتاب والسنة وأصول الدين، وأقوالهم في الإمامة، وما يتعلق بها من أخبار الغدير، والغيبة، والرجعة.

ويتطرق -كذلك- إلى عقيدة الشيعة في الصحابة، وأمّهات المؤمنين، وإلى عقائدهم الأخرى كالتيقية، والبداء، والمتعة، وغير ذلك.

كما يتطرق البحث في الشيعة إلى مواقفهم، وأعمالهم، وصفاتهم، والحكم عليهم^(٢). هذا وإن الشيخ الخضر قد تطرق للتشيع في مواطن عدة من آثاره، وقد مر فيما مضى إشارات إلى ذلك في عدد من فصول هذا البحث.

وكان تطرقه للتشيع قريباً من تطرقه للتصوف؛ من جهة أن بحثه للتشيع كان استقلالاً وتبعاً؛ حيث أفرد التشيع بالبحث المستقل، وتناوله عرضاً في غضون سياقات ومناسبات، وإن كان بحثه في التشيع أقل من بحثه في التصوف.

وفيما يلي بيان لموقفه من التشيع، وذلك من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: موقفه من التشيع عموماً

المطلب الثاني: موقفه من بعض قضايا التشيع

فإلى تفاصيل ذلك:

١- انظر أصول مذهب الشيعة ٥٥/١.

٢- انظر الكتب المولفة في ذلك، وأهمها في القديم: كتاب منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية، وأهمها في الحديث: كتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية أ.د. ناصر القفاري، وانظر: الشيعة والتشيع لإحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط ٥، ١٣٩٧هـ.

المطلب الأول: موقفه من التشيع عموماً

والمقصود من هذا المطلب ما جاء في أبحاثه التي درس فيها التشيع قصداً. وهذه الدراسة لم تكن إلا في بحث له بعنوان: «بحث موجز في أشهر الفرق الإسلامية».

وقد نشر في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء الرابع من المجلد العاشر. ولم يتعرض -بعد مقدمة هذا البحث- إلا للشيعه؛ حيث لم توجد تنمة هذا البحث بين آثار الإمام سواء المطبوع منها، أو المخطوط -كما يقول ابن أخيه الأستاذ علي الرضا الحسيني-^(١).

وقد جاء هذا البحث في الموسوعة الكاملة ضمن كتاب الهداية الإسلامية^(٢). وفيما يلي عرض لهذا البحث الذي يتبين من خلاله معالم منهجه في دراسته للتشيع، وموقفه منه:

أولاً: استهل البحث في الحديث عن وحدة العقيدة في الصدر الأول: حيث قرر أن النبي ﷺ قام «يدعو إلى العقائد الصحيحة، وما زال الوحي ينزل حتى أتى على أصول ما يحتاج إليه في سلامة العقيدة، وطهارة النفس من الشرك».

وكان المسلمون في عهد الوحي على طريقة واحدة في عقائدهم، وليس من المحتمل أن يجري بينهم خلاف في شيء من ذلك، ورسول الله - صلوات الله عليه - بين ظهرانيهم؛ وهو الذي يُسأل فيرشد، أو يقول فيكون قوله الفصل^(٣).

وأن المسلمين استمروا على هذه الطريقة المثلى في عهد أبي بكر، وعمر، وعثمان، وأن ما جرى بينهم في ذلك العهد لم يتجاوز الاختلاف في أحكام عملية، كاختلافهم في دفن النبي ﷺ وثبوت الإرث منه، وقتل مانعي الزكاة.

١- انظر الهداية الإسلامية ص ١٥٧.

٢- انظر موسوعة الأعمال الكاملة ١٠/٤٦٥٨-٤٦٦٧.

٣- الهداية الإسلامية ص ١٤٨.

وأن أكثر هذا النحو من الاختلاف لا يلبث أن يتبين فيه وجه الحق، فيصير إلى وفاق^(١).

ثانياً: انتقل إلى الحديث عن انقسام المسلمين إلى فرق مختلفة: وتطرق من خلال ذلك إلى حديث الافتراق الذي بين فيه النبي ﷺ أن أمته ستفترق على سبعين، وأن فرقة من تلك الفرق ناجية، ووصف الناجية بأنها الفرقة التي تتمسك بما كان عليه هو وأصحابه^(٢).

ثم أورد نص حديث الافتراق، فقال: «ففي سنن أبي داود من رواية أبي هريرة: (افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة).

وفيها من رواية معاوية: ألا إن رسول الله قام فينا فقال: (إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة)^(٣).

ثم أورد روايات أخرى للحديث، فقال: «وروى الترمذي من حديث عبدالله ابن عمرو: (إن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي ثلاثاً وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة)، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: (من كان على ما أنا عليه وأصحابي).

ورواه ابن ماجه من طريق حذيفة بن اليمان، ومن طريق أنس ابن مالك^(٤).

ثم بيّن المراد من الأمة في الحديث، فقال: «والمراد من الأمة: من يصدق عليهم اسم الإسلام، بدليل الإضافة في قوله: (أمّتي) فإن إضافة الأمة إلى الرسول ظاهرة فيمن كان لهم اتصال به في الواقع، وهم الذين يتبعونه، ولو في أصل الإيمان.

١- انظر المرجع السابق ص ١٤٨ .

٢- انظر المرجع السابق ص ١٤٨-١٤٩ .

٣- سنن أبي داود (٤٥٩٧) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٤).

٤- انظر سنن الترمذي (٢٦٤١) وابن ماجه (٣٩٩٣) باختلاف في لفظه، وحسنه الألباني كما في

صحيح الجامع الصغير (٩٤٧٤).

والفرقة الخارجة من الدين ليست من هذا القبيل؛ فتكون الفرق المشار إليها في الحديث من انحرفوا عن السبيل، ولم ينكثوا أيديهم من أصل الدين»^(١).
ثم ذكر وجهاً آخر للمراد من الأمة، فقال: «وَحَمَلَ بعضهم الأمة على ما يشمل الفرق التي خرجت ببدعتها عن حوزة الدين، والتحققت بفرق الكافرين. والوعيدُ بالنار في الحديث مطلق؛ فيكون للفرق المنفصلة عن الدين عذاباً خالداً، وللفرق التي انحرفت ببدعتها انحرفاً لا يقطعها عن أصل الدين عقاباً يتفاوتون فيه درجات، ثم يصيرون إلى دار السلام»^(٢).

ثم بيّن بعد ذلك معنى الافتراق في الحديث، فقال: «والافتراض^(٣) المشار إليه في الحديث يجري في العقائد، والأمر فيه واضح.

أما الافتراق في أعمال تُفعل على أنها شرع، فإن كان عن اجتهاد معتدّ به فليس بموضع للذم والوعيد؛ لأن هذا الاجتهاد مأذون فيه شرعاً.

وإن كانت المخالفة عن رأي فاسد، أو هوى غالب، وبلغت هذه الأعمال المبتدعة أن صارت شعار فرقة من الأمة - فالحديث يتناولها بوعيده؛ كما تناولها قوله ﷺ: (كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)»^{(٤)(٥)}.

ثالثاً: تعرض لعوامل انقسام المسلمين إلى فرق: فبيّن أنها كثيرة، فذكر منها الخطأ في فهم بعض الآيات والأحاديث، والاعتداد بالرأي، والاعتماد على أحاديث لم تثبت، ووقوع الخواطر في النفس واعتقاد أنها إلهام من الله، واتباع الهوى، وقصدُ الإفساد من بعض زعماء الفرق الذين يُدخلون آراءً تفسد أصلاً من أصول الدين، أو تبطل حكماً من أحكامه بقصد إفساد العقائد.

١- الهداية الإسلامية ص ١٤٩.

٢- المرجع السابق ص ١٤٩-١٥٠.

٣- هكذا في الأصل، والصحيح: (الافتراق).

٤- أخرجه النسائي بهذا اللفظ (١٥٧٨) وصحح الألباني سند هذه الرواية كما في إرواء الغليل (٦٠٧).

٥- الهداية الإسلامية ص ١٥٠.

وكذلك السياسة؛ فقد أوضح أن لها يداً في إثارة الأهواء الحاملة على مخالفة الجماعة، وإحداث رأي في الدين، والدعوة إليه إلى أن يصير مذهباً فرقة من المسلمين^(١).

رابعاً: انتقل إلى البحث في الفرق الإسلامية: فأبان أن من ينظر في حال الفرق التي لها صلة بالإسلام يجدها تنقسم إلى قسمين: فرق داخلية في حدود الدين، ومن شأنها أن تتلاقى في جانب من الائتلاف والتناصر على إعلاء شأن الإسلام. وفرق خرجت بهم بدعتهم عن حدود الدين، والتحقوا بطوائف المخالفين، ذلك أنهم اعتقدوا ما لا يلتقي بأصل الإيمان في نفس واحدة^(٢)؛ كالبهائية، واليزيدية^(٣)، والقاديانية.

وقال بعد ذلك: «وأصول الفرق التي سنحدثك عنها في هذا المقال سبعة: الشيعة، والباطنية، والمشبهة، والمحكمة، والجهمية، والمعتزلة، وأهل السنة. وقد نعرض عليك في بحث كل فرقة بعض آراء امتاز بها مذهبها، وإذا لم نتعرض فيما نكتب لنقد بعض هذه الآراء فلوضوح أمرها، أو لأننا سنحدثك في

١- انظر المرجع السابق ص ١٥٠-١٥١.

٢- انظر المرجع السابق ص ١٥١، وانظر تفصيل الكلام على الافتراق في كتاب: الافتراق: مفهومه، أسبابه، سبل الوقاية منه، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الوطن، الرياض، ط ١، ودراسات في الأهواء والفرق والبدع، وموقف السلف منها، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار إشيليا، الرياض، ص ٥٧-١٠١، ومقدمة د. أحمد بن سعيد الغامدي لكتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي.

٣- اليزيدية: طائفة عُرِفَت في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وقد اختلف في نشأتها، وظهورها، ومعرفة أصل مذهبها؛ إذ كانت واحدة من الطوائف التي تبالغ في التكتم، والتعامل بالتيمة. ويقال: إنها تنسب إلى الخوارج، وأنهم أتباع يزيد بن أُنَيْسَة، فنسبوا إليه، وقيل: سموا بذلك نسبة إلى يزيد بن معاوية.

وتوجد في شمال العراق، وديار بكر، وماردين، وبلاد الأَرْض الواقعة على الحدود بين تركيا وروسيا، ولهم جاليات قليلة في لبنان، وألمانيا، وبلجيكا، والهند، وإيران. ولهم عقائد، وشعائر يخالفون بها جمهور المسلمين. انظر تفصيل الحديث عنها في كتاب: اليزيدية للدكتورة سهير الفيل، دار المنار، القاهرة، ط ١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

بحث أهل السنة بما هو الحق فيما نرى»^(١).

خامساً: تطرق لظهور التشيع وطوائفه: حيث أوضح بعد الكلام السابق أن مذهب التشيع ظهر في عهد علي بن أبي طالب عليه السلام وأنه ظهر في أقصى درجات الغلو.

وأبان أن الشيعة يومئذٍ ثلاث طوائف، فقال فيها: «طائفة كانت تفضل علياً على أبي بكر وعمر، مع الاعتراف بفضلهما، وصحة إمامتهما.

وروى البخاري في (صحيحه) عن محمد بن الحنفية: أنه سأل أباه: من خير الناس؟ فقال: أبو بكر. قال: ثم من؟ قال: عمر^(٢).

ثانيتهما: كانت تسب أبا بكر وعمر، يروى أن عبدالله بن السوداء كان يسب أبا بكر وعمر، فطلبه علي، فهرب، وقيل: نفاه إلى المدائن.

ثالثتهما: كانت تقول: إن علياً إله، وهم: عبدالله بن سبأ وأتباعه^(٣).

وأوضح بعد ذلك أن ابن سبأ دعا قومه من غواة الكوفة إلى ذلك، وأن علياً لما بلغه أمرهم، أحرق فريقاً منهم بعد أن دعاهم إلى التوبة، وأجلهم ثلاثاً، ولم يقتل بقيتهم، كابن سبأ، بل نفاه إلى المدائن؛ حذراً من اختلاف أصحابه عليه^(٤). وذكر بعد ذلك أنه «لما قُتِلَ عليٌّ زعم ابن سبأ أن المقتول شيطان تمثل بعلي، وأن علياً صعد إلى السماء، وأنه سينزل إلى الدنيا، وينتقم من أعدائه.

وأتباع ابن سبأ يزعمون أن المهدي المنتظر هو علي، ويزعم بعضهم أنه في السحاب.

وشاع بعد هذا في بعض الفرق القول بالرجعة^(٥).

١- المرجع السابق ص ١٥١-١٥٢.

٢- البخاري (٣٤٦٨).

٣- الهداية الإسلامية ص ١٥٢.

٤- انظر المرجع السابق ص ١٥٢-١٥٣.

٥- انظر المرجع السابق ص ١٥٣.

سادساً: قَسَمَ الشيعةَ إلى أربع فرق: زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة.

ثم تحدث عن كل واحدة منها على حدة، وذلك كما يلي:

١. الزيدية: حيث ذكر أنهم «أتباع زيد بن علي زين العابدين بن الحسين ابن

علي بن أبي طالب عليه السلام يفضلون الإمام علي بن أبي طالب على غيره من الصحابة، ويوالون الشيخين أبا بكر وعمر»^(١).

وذكر أن الإمام زيداً: «خرج على هشام بن عبد الملك، وسأله جماعة ممن

بايعوه عن أبي بكر وعمر، فقال: رحمهما الله، وغفر لهما، ما سمعت أحداً

من أهل بيتي يتبرأ منهما؛ ففارقوه، ونكثوا بيعته؛ فسموا: الرافضة.

والزيدية يَقْصُرُونَ الإمامة في أولاد فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - فلا حق

فيها لمحمد بن الحنفية وذريته، ولا يقولون بعصمة الأئمة، ولا باختفائهم»^(٢).

٢. الإمامية: وقد ذكر أنهم فرق، فقال: «هم فرق: منها المحمدية، وهؤلاء

يعتقدون أن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب لم يقتل،

ويزعمون أنه في جبل حاجر من ناحية نجد، وهو المهدي المنتظر»^(٣).

ثم ختم الحديث عن فرق الإمامية بالاثني عشرية، فقال: «ومنها: الاثنا

عشرية، وهي الفرقة التي تحصر الإمامة في اثني عشر إماماً، هم: علي بن أبي

طالب، وابنه الحسن، ثم الحسين، ثم علي زين العابدين، ثم محمد الباقر، ثم

جعفر الصادق، ثم موسى الكاظم، ثم علي الرضا، ثم محمد الجواد، ثم علي

الهادي، ثم الحسن العسكري، ثم محمد ابن الحسن العسكري.

ويرون أن محمداً هذا هو المهدي المنتظر، وأنه حي مستور عن الناس إلى أن يأذن

الله له بالظهور، فيظهر ويملا الأرض عدلاً، ويذكرون في وجه هذا الترتيب: أن

١- المرجع السابق ص ١٥٤.

٢- المرجع السابق ص ١٥٤.

٣- المرجع السابق ص ١٥٤-١٥٥.

كل سابق من الأئمة نصَّ على لاحقه، وأن هؤلاء الأئمة معصومون عن جميع الذنوب والسهو والنسيان، وسائر النقائص، ويوافقون المعتزلة في أن الحُسْنَ والقبح - بمعنى: ترتب استحقاق المدح والذم - عقليان»^(١).

٣. الكيسانية: الذين قال عنهم: «هم الذين يقولون بإمامة محمد بن الحنفية، ومن هؤلاء من ذهب إلى أنه لم يميت، وأنه في جبل رضوى، وعنده عين من ماء، وعين من عسل، يأخذ منهما رزقه، وهو المهدي المنتظر. ومنهم من اعترف بموته، وقال: إن الإمامة من بعده انتقلت إلى ابنه أبي هاشم عبدالله.

وقال آخرون: انتقلت إلى ابن أخيه علي زين العابدين بن الحسين، وقالوا: يجوز البداء على الله - تعالى - وهو أن يريد شيئاً، ثم يبدو - أي: يظهر له غير ما كان ظاهراً له ..

ومن لوازم هذا المذهب: أن لا يكون الله - جل شأنه - عالماً بعواقب الأمور»^(٢).
٤. الغلاة: فذكر أنهم فرقة خرجوا بالتشيع من الدين الحنيف، كمن يعتقد الإلهية والنبوة في علي عليه السلام أو أحد من آل البيت^(٣).

وذكر أمثلة على هؤلاء: فقال: «مثل: البيانية أتباع بيان بن سمعان التميمي الذين يقولون: إن روح الله تناسخت في الأنبياء إلى أن حلت في علي، ثم في ابنه محمد بن الحنفية، ثم في ابنه أبي هاشم، ثم في بيان نفسه.

ومثل: الخطابية أتباع أبي الخطاب الأسدي الذين يقولون: إن روح الله حلت في جعفر الصادق، ثم في زعميهم أبي الخطاب.

ومثل: الغرابية الذين يقولون: محمد عليه السلام أشبه بعلي من الغراب بالغرابة،

١- المرجع السابق ص ١٥٥.

٢- انظر المرجع السابق ص ١٥٥-١٥٦.

٣- انظر المرجع السابق ص ١٥٦.

فبعث الله جبريل إلى علي ، فغلط في تبليغها لمحمد.
ومثل: الأمرية الذين قالوا: إن علياً شريك محمد في أمره»^(١).
فهذه أبرز معالم موقفه من الشيعة والتشيع في ذلك البحث.

المطلب الثاني: موقفه من بعض قضايا التشيع

والمقصود من ذلك تعرضه لبعض قضايا التشيع التي تأتي عرضاً في غضون أبحاثه، ودراساته الأخرى دون أن يقصد إلى أفرادها بالبحث، أو التي يتعرض لبعضها على وجه الخصوص دون عرض لدراسة التشيع عموماً.

وفيما يلي بيان لأهم ما تناوله في ذلك، مع ملاحظة أنه قد مرت الإشارة إلى كثير مما تناوله في هذا الشأن، وذلك في الأبواب والفصول الماضية.

أولاً: التفسير الباطني، وصلته بالتشيع: فكتب التفسير عند الشيعة التي يزعمون تلقيها عن آل البيت تضمنت تأويلات باطنية لآيات القرآن.

«وهذه التأويلات مدونة في تفاسيرهم المعتمدة عندهم، كتفسير القمي، وتفسير العياشي، وتفسير البرهان، وتفسير الصافي.

كما أن كتبهم في الحديث قد أخذت من تلكم التأويلات بقسط وافر، وعلى رأسها أصول الكافي للكليني، والبحار للمجلسي، وغيرهما.

ويرى بعض الباحثين أن أول كتاب وضع الأساس الشيعي في التفسير هو تفسير القرآن الذي وضعه في القرن الثاني للهجرة جابر الجعفي ت ١٢٨هـ؛ فكان هذا نواة لتفسير شيعي سرعان ما اتسع، وأغرق في باطنيته»^(١).

ولقد تطرق الشيخ الخضر كثيراً للتفسير الباطني سواء في منازلاته وردوده على المنحرفين في تأويل القرآن كالدمهوري، والحداد، ومحمد أحمد خلف الله، وغيرهم، أو الفرق الضالة التي سكلت طريق التأويل الباطني كالقاديانية، والبهائية.

ومرت الإشارة إلى أن الشيخ أثبت الصلة بين أولئك وبين الباطنية الذين هم رهط المجوس - كما يقول-^(٢).

وقد أفاض كثيراً في إبطال ذلك النوع من التأويل، ويين أنه من أعظم أساليب الصد عن دين الله، وتفريغ النصوص من مدلولاتها.

١- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ٢١٥/١.

٢- بلاغة القرآن ص ١٤٣.

كما أشار ﷺ إلى كذب جابر بن يزيد الجعفي الذي مر ذكره، وأنه أول من وضع الأساس الشيعي في التفسير الذي اتسع وأغرق في باطنيته.

يقول الشيخ الخضر عن جابر الجعفي: «قال سفيان: كان الناس يحملون عن جابر قبل أن يظهر ما أظهر؛ فلما أظهر اتهمه الناس في حديثه، وتركه بعض الناس. فقيل له: وما أظهر؟ قال: الإيمان بالرجعة.

ثم روى مسلم في صحيحه عن سفيان أنه سمع رجلاً يسأل جابراً عن قوله -عز وجل-: ﴿ فَلَنْ أُنْبِئَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِئِ آئِي أَوْ يُخَكِّمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ يوسف: ٨٠. فقال جابر: لم يحن تأويل هذه.

قال سفيان: وكذب، فقلنا لسفيان: وما أراد بهذا؟ فقال: إن الراضية تقول: إن علياً في السحاب، فلا نخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي منادي من السماء -يريد علياً- أنه ينادي: اخرجوا مع فلان. يقول جابر: فذا تأويل هذه الآية.

وكذب، كانت في إخوة يوسف ﷺ» (١) (٢).

ثانياً: ادعاء المهديّة عند الشيعة: فقد تطرق الشيخ لهذه المسألة في مواضع عدة، وقد مرت الإشارة إلى ذلك، ومما جاء عنه في هذا الشأن قوله في بحث له عنوانه: (نظرة في أحاديث المهدي): «والفرق الكيسائية يجعلون المهدي محمد ابن الحنفية، ويزعمون أنه محتف في جبل رضوى بين المدينة وينبع.

والشيعة الإمامية يقولون: إن محمد بن الحسن العسكري هو المهدي المنتظر، ويزعمون أنه اختفى في سرداب بالحلة من بلاد العراق في أواخر القرن الخامس الهجري» (٣).

١- انظر صحيح مسلم - المقدمة - (٧).

٢- الهداية الإسلامية ص ١٥٣، وانظر بلاغة القرآن ص ٢٧-٢٩ و ١٢٠-١٣٤.

٣- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ١٧١.

ثم قال بعد ذلك راداً على هذه المزاعم، ومبيناً أن ذلك لا ينفي رد الأحاديث الواردة في شأن المهدي: «وإذ أساء الناس فهم حديث نبوي، أو لم يحسنوا تطبيقه على وجهه الصحيح، حتى وقعت وراء ذلك مفاسد - فلا ينبغي أن يكون ذلك داعياً إلى الشك في صحة الحديث، أو المبادرة إلى إنكاره؛ فإن النبوة حقيقة واقعة بلا شبهة، وقد ادعاها أناس كذباً وافتراء، وأضلوا بدعواهم كثيراً من الناس؛ مثل ما يفعل طائفة القاديانية اليوم.

والإلهية ثابتة بأوضح من الشمس في كبد السماء، وقد ادعاها قوم لزعمائهم على معنى أن الله - جل شأنه - يحل فيهم؛ مثلما يفعل طائفة البهائية في هذا العهد؛ فليس من الصواب إنكار الحق من أجل ما ألصق به من الباطل»^(١).

ثالثاً: تعرضه لظعن الشيعة في الصحابة: فالشيعة - كما هو معلوم - قد ضلوا في باب الصحابة أيما ضلال، وأسأؤوا أعظم الإساءة في حق خير الأجيال؛ فلقد فوّقوا سهامهم نحو خير القرون، ورموهم بكل نقیصة؛ فكتب الشيعة طافحة بالظعن، والتجريح، واللعن، والتكفير لمن رضي الله عنهم، ورضوا عنه من المهاجرين والأنصار، وأهل بدر، وبيعة الرضوان، وسائر الصحابة أجمعين.

ولا يستثنى منهم إلا النزر اليسير الذي لا يبلغ عدد أصابع اليد. وأصبحت هذه المسألة - بعد ظهور كتبهم وانتشارها - من الأمور التي لا تحجب بالتقية^(٢).

ولقد كان للشيخ الخضر موقف عظيم في الذب عن الصحابة، وذكر محاسنهم، والرد على المطاعن الموجهة إليهم.

وقد مضى كثير من ذلك في الفصل الثالث من الباب الثاني عند الحديث عن منهجه في باب الإيمان، وفي بابي الصحابة، والإمامة؛ حيث بين فضائل الصحابة،

١- المرجع السابق ص ١٧١ .

٢- انظر أصول مذهب الشيعة ٧١٦/٢ .

ورد على الطاعنين فيهم، وأوضح لوازم تكفيرهم، وأن ذلك السب يلحق بالكفر؛ لأنه يقتضي إبطال الشريعة كلها؛ فهم رواتها، وعنهم أخذت^(١).

كما أشاد ببعض المواقف من الأئمة الذين وقفوا أمام هذا المنكر العظيم، ألا وهو سب الصحابة، وذلك كما في إشادته بموقف القاضي مالك بن سعيد الفاروقي لما رفض طلب الحاكم العبيدي له بأن يكتب سب الصحابة على أبواب المساجد.

قال ﷺ في مقالة له اسمها (متى تكون الصراحة فضيلة): «وليس من الإفراط في الصراحة أن يخشى الرجل في سكوته عن قول الحق ضياع هذا الحق، وظهور الباطل مكانه، فيصدع بكلمة الحق موطناً نفسه على احتمال ما يلاقه من أذى؛ فلا أعدد القاضي مالك بن سعيد الفاروقي قد أفرط في الصراحة إذ أمره الحاكم العبيدي بأن يكتب سب الصحابة على أبواب المساجد، فأبى أن يفعل، وكتب عليها: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة: ١١٧.

ولما قال له الحاكم: هل فعلت ما أمرتك به؟ قال: نعم، فعلت ما يرضي الرب - سبحانه -، وقرأ عليه الآية، فأمر بضرب عنقه، فمات شهيداً، وحماه الله من أن تكتب يمينه شيئاً يجر إليه عاراً في الدنيا، وخزياً في الآخرة^(٢).

رابعاً: تعرضه لكذبهم ووضعهم في الحديث: قال ﷺ في بحثه (أسباب وضع الحديث): «ومن أسباب الوضع: الغلو في الحب والتشيع، كالأحاديث الموضوعية في فضل الإمام علي - كرم الله وجهه -»^(٣).

١- انظر دراسات في الشريعة الإسلامية ص ٦١ .

٢- رسائل الإصلاح ص ٢٨٠ .

٣- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ١٤٩ .

وقال في مقدمته لكتاب (المغني عن الحفظ والكتاب) في معرض حديث له عن وضع الحديث، وعن العلل التي توجد في متون الأحاديث، فيحكم عليها بالوضع: «ومنها: تضمنه أمراً شأنه أن تتوفر الدواعي إلى نقله، ويصرح الحديث نفسه بأنها وقعت في مشهد عظيم من الصحابة ثم لا يشتهر ولا يرويه إلا واحد»^(١).

إلى أن يقول: «وقد ضرب المُحدِّثون من أمثلة هذا النوع رواية بعض الطوائف أن رسول الله ﷺ أعطى الخلافة علياً في غدِيرِ خَمٍّ^(٢) حين رجوعه من حجة الوداع بحضرة جمٍّ غفيرٍ أزيد من مائة ألف.

وساق بعض المحدثين من أمثلة هذا - أيضاً - حديث رَدِّ الشمس لعلِّي؛ فقد ذكر في روايته أن الواقعة كانت مشهودة للناس مع أنه لم يشتهر حديثها، ولم تُعزَّر روايته إلا لأم سلمة»^(٣).

١- المغني عن الحفظ والكتاب ص ١٥ .

٢- حُمٌّ: وإد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدِيرِ خطب عنده رسول الله ﷺ، وهذا الوادي موصوف بكثرة الوضامة. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي، دار بيروت للطباعة، دار صادر، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٩م، ٣٨٩/٢ .

وأخبار الغدير لها مكانة عالية عند الشيعة؛ فهي عمدتهم في إثبات الإمامة في السنة. وقد بلغ من اهتمامهم به أن ألف أحد شيوخهم المعاصرين كتاباً من ستة عشر مجلداً يثبت به صحة حديث الغدير، وقد سماه (الغدير في الكتاب والسنة والأدب). انظر أصول مذهب الشيعة ٦٨٩/٢-٦٩٠ .

وقد تعرض لهذا الحديث، ولأخبار الغدير بعض العلماء، ومن أجمع ما قيل فيه جوابُ شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث أجاب عن الإيرادات والإشكالات في حديث الغدير وأخباره إجابة شافية، وذلك في كتابه العظيم (منهاج السنة). انظر منهاج السنة ٣١٣/٧-٣٤١، وانظر عقيدة الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية دراسة في ضوء الكتاب والسنة د. علي السالوس، دار الاعتصام، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ٨٦-١٠٤ و ١٥١ .

٣- المغني عن الحفظ والكتاب ص ١٥ .

هذه أهم المسائل التي تعرض لها الشيخ في باب التشيع والشيعة. وله كلام حول بعض المسائل كالمتعة عند الشيعة، في بحث له اسمه (المتعة)^(١). وله كلام حول توهين رواية بعض رجالات التشيع، كأبي الفرج الأصبهاني الذي مضى الحديث عنه في أساليب الشيخ المنهجية في الردود على المخالفين.

١ - انظر دراسات في الشريعة الإسلامية ص ٧٦-٨١ .

المبحث الرابع: مواجهته للشرك والبدع

مدخل

لقد كان للشيخ الخضر صولات وجولات في مواجهة الشرك والبدع؛ تقريراً لمسائلهما، وتحذيراً من عواقبهما.

وهذه المواجهة من أعظم مناقب الشيخ، وموسوعيته، وسعة مداركه، وشمول نظرتة؛ ذلك أن غالب من يشتغلون بالفكر وقضاياه يكونون بمعزلٍ عن البدع والشرك، وما يدور في فلکهما.

وغالِبُ من يشتغلون بشأن البدع لا يكون لهم حضور في قضايا الفكر. ولا ريب أن في كلِّ خيراً، غير أن الكمال هو الجمع بين الأمرين، ولكن ذلك لا يتسنى لكلِّ أحد.

ومما يحسن التنبيه عليه ههنا أن مسائل الشرك والبدع متداخلة قريب بعضها من بعض.

وقد مر في أبواب ماضية إشارات إلى شيء من ذلك خصوصاً في الباب الثاني، وفي المبحثين الماضيين عند الكلام على بدع الصوفية والشيعة.

والكلام في هذا المبحث سيتناول مواجهة الشيخ الخضر للشرك والبدع بشيء من البسط، وذلك من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: مواجهته للشرك

المطلب الثاني: مواجهته للبدع

المطلب الأول: مواجهته للشرك

تمهيد في مفهوم الشرك

الوقوف على حقيقة الشرك، ومعرفة خطره، وبواعثه، وأنواعه من أهم المهمات، وأوجب الواجبات.

وأدلة الكتاب والسنة حافلة في بيان حقيقة الشرك، والتحذير منه، وبيان وخيم عواقبه.

وعلماء السنة في تأليفهم في الاعتقاد يتطرقون للشرك، من حيث حقيقته وخطره، وكلامهم في ذلك كثير، كما أنه قريب من بعض، وقد يختلف في الأسلوب أو التفسير. فالشرك - في حقيقته - هو أن يُشركَ مع الله غيره في أي حق من حقوقه. وهو أن يُعبدَ المخلوق كما يعبد الله، أو أن يعظم كتعظيم الله، أو أن يصرف له أي نوع من أنواع الألوهية أو الربوبية^(١).

والعلماء يقسمون الشرك إلى قسمين:

١. أكبر: وهو اتخاذ العبد نداً من دون الله يسويه برب العالمين.

٢. أصغر: وهو ما أتى في النصوص أنه شرك، ولم يصل إلى حدّ الشرك الأكبر. أو هو: الذرائع والوسائل الموصلة للشرك الأكبر^(٢).

ومن أمثلة الشرك الأكبر: الذبح لغير الله، والنذر لغير الله، وأن يجعل العبد بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم.

ومن أمثلة الشرك الأصغر: الحلف بغير الله، وتعليق التمام والحروز؛ بزعم أنها تدفع العين.

وهناك فروق بين الشرك الأكبر والأصغر؛ فالأكبر محكوم على صاحبه بالخروج من الملة، والتخليد بالنار، ويجبوط جميع الأعمال، ولا يغفر إلا بالتوبة.

١- انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبدالرحمن السعدي ٤٩٩/٢ .

٢- انظر الحق الواضح المبين للسعدي ص ٥٩، والقول السديد في مقاصد التوحيد للشيخ عبدالرحمن السعدي،

ط ٣، مؤسسة النور، الرياض، ١٣٩٠هـ، ص ٢٩ .

أما الأصغر فيحبط العمل الذي قارنه، وصاحبه تحت المشيئة.
ثم إن هناك ضوابط يُميّز بها الشرك الأصغر من الأكبر، منها صريح النص
كقوله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»^(١).
وأن يأتي مُنكراً كما في قوله ﷺ: «إن الرقى والتماائم والتولة شرك»^(٢).
وكذلك ما يفهمه الصحابة من النص أنه شرك؛ فهم أعلم الناس بمقاصد
نصوص الوحيين^(٣).

فهذه نبذة يسيرة في مفهوم الشرك.

مواجهة الشيخ الخضر للشرك

لقد كان للشيخ الخضر مواجهات للشرك في كافة أنواعه، وذلك في مواضع
عدة متفرقة من آثاره.

وفيما يلي ذكر لما تعرض له الشيخ من ذلك بشيء من البسط:
أولاً: مفهوم الشرك والتحذير منه: قال ﷺ في تفسير قول الله -تعالى-:
﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا﴾ البقرة: ٢٢، «الأنداد: جمع ندّ، والندّ: المماثل،
وإنما يقال على المماثل المخالف المناوئ.

ولما ترك المشركون عبادة الله إلى عبادة الأوثان، وسموها آلهة، وزعموا أنها
تدفع عنهم بأس الله، وتمنحهم ما لم يرد بهم من خير - شابهت حالهم حال من
يعتقد أنها آلهة مثله، قادرة على مخالفته ومضادته، وذلك معنى جعلها أنداداً،

١- أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠) والبيهقي (٦٤١٢) وصححه الألباني في الصحيحة (٩٥١) وفي
صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٢).

٢- أخرجه أحمد (٣٦١٥) وأبو داود (٣٨٨٣) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٥٧).

٣- انظر القول السديد في مقاصد التوحيد ص ٥٩، والشيخ عبدالرحمن السعدي وجهود في توضيح
العقيدة أ.د. عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م،
ص ١٨٦-١٩١.

الذي هو مصعب النهي في الآية»^(١).

إلى أن قال في تفسير تمام الآية ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ : أي: «لا تعبدوا أوثانكم عبادة من يعتقد أنها أنداد لله، وأنتم تعلمون أنها أشياء لا يصح جعلها أنداداً له -تعالى-».

أو المعنى: وأنتم من أهل العلم والنظر؛ فلو تأملتكم أدنى تأمل لا اضطررتم إلى الإيمان بالإله الواحد المتعالي عن مشابهة المخلوقات حق الإيمان. وفي هذه الجملة مبالغة في زجرهم عن عبادة الأوثان من دون الله؛ لأن ارتكاب الباطل من الجاهل قبيح، وهو من العالم ببطلانه أشد قبحاً، وأدعى إلى أن يقابل بأغلظ الإنكار»^(٢).

وقال في تفسير الآية السابقة في موضع آخر مبيناً مفهوم الشرك، وما تناولته هذه الآية: «فكل من عظم مخلوقاً التعظيم الذي لا يليق إلا بالله - تعالى - فقد اتخذ ذلك المخلوق ندّاً لله، وتناول الآية مشركي العرب؛ لعبادتهم الأصنام، والصابئين؛ لعبادتهم الكواكب، والمجوس؛ لعبادتهم النار، والنصارى؛ لتعظيمهم المسيح -عليه السلام- تعظيماً لا يحق إلا لله».

ومن يجعلون لله أنداداً؛ أولئك الفرق الضالة الذين يعتقدون إلهية زعمائهم؛ كطائفة البهائية الذين يعتقدون إلهية زعيم مذهبهم»^(٣).

إلى أن قال محذراً من الشرك في القبور: «ومن واجب دعاة الإصلاح أن يراقبوا أحوال من يزورون قبور الصالحين، حتى إذا أحسوا من زائر المبالغة في تعظيم صاحب القبر؛ كالانحناء أمامه في هيئة الراكع أو الساجد نبهوه برفق، وأنقذوه من الوقوع في اعتقاد أن الولي يملك لنفسه أو لغيره نفعاً أو ضرراً، وأعادوه إلى ما يوافق

١- أسرار التنزيل ص ٤٥ .

٢- المصدر السابق ص ٤٥، وانظر ص ٣٦٧ .

٣- المصدر السابق ص ٣٦٦ .

التوحيد الخالص؛ من أن النفع والضرر من طريق غيبي إنما هو بيد الله الذي بيده ملكوت كل شيء»^(١).

وقال في بحث له عنوانه: (مقاصد الإسلام من إصلاح العالم) مبيناً موقف الإسلام من الشرك: «أما العقائد فقد أنكر الإسلام على أصحاب الملل الباطلة، وأقام الحجج على بطلان تلك الملل، وقرر العقائد السليمة، وثبتها بالبراهين القاطعة. حارب عقيدة الشرك بالله، ونهى عما يفضي إليها؛ كالمبالغة في تعظيم بعض المخلوقات، وصرّح ببطلان كل عبادة يُتوجه بها إلى مخلوق؛ من نحو صنم، أو كوكب، أو نار، أو حيوان، أو إنسان.

ونظر في الأديان السماوية السابقة؛ كاليهودية، والنصرانية، فدلّ على ما طرأ عليها من تغيير، وما دخلها من مبتدعات حتى بعدت عن هداية الله، وأصبحت تلك الأديان في واد، والسعادة في وادٍ»^(٢).

ثانياً: الشرك الذي وقعت فيه الأمم: فقد تعرض له في مواضع، ومنها ما جاء في بحث له عنوانه (أديان العرب قبل الإسلام) حيث تعرض لدراسة بعثة عدد من الأنبياء، وما وقع فيه أقوامهم من الشرك كهود، وصالح، وإسماعيل، وشعيب -عليهم السلام-^(٣).

ثم انتقل إلى ما كان من الشرك في بلاد العرب، وعبادتهم للأصنام، ومظاهر تعظيمهم لها.

كما تعرض لعبادتهم الأشجار، والحيوان، والكواكب، والملائكة، والجن^(٤). كما تعرض لبعض مظاهر الشرك الذي أخذته العرب من الأمم الأخرى

١- المصدر السابق ص ٣٦٦، وانظر تفصيل ذلك في: الجواب الباهر في زوار المقابر لشيخ الإسلام ابن تيمية شرحه وقدم له د. محمد مطرجي، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢- الدعوة إلى الإصلاح ص ١٢٨.

٣- محمد رسول الله وخاتم النبيين ص ٧-١٨.

٤- المصدر السابق ص ١٨-٢٨.

كالبرهمية، والصابئة، والمجوسية، والدهرية، واليهودية، والنصرانية^(١).

ثالثاً: السحر: حيث تطرق للسحر في مواضع، وقد مرت الإشارة إلى شيء من ذلك فيما سبق.

ووجه دخول السحر في باب الشرك أن فيه ادعاءً لعلم الغيب، وأنه سبيل لسلوك الطرق المحرمة للوصول إلى المغيبات، وأنه طريق لفتح باب الخرافة، والدجل، والتعلق بغير الله - عز وجل -.

وأجلى ما تطرق له في هذا الشأن ما جاء في شرحه لباب السحر من كتاب الطب من الجامع الصحيح للإمام البخاري رحمته الله.

وذلك في بحثه المعنون بـ: (باب في حديث السحر).

قال تحته: «باب السحر من كتاب الطب من (الجامع الصحيح) للإمام البخاري رحمته الله، قال: حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا عيسى بن يونس عن هشام، عن أبيه، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم، دعا، ودعا، ثم قال: (يا عائشة! أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان، فقعد أحدهما على رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب، قال: من طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجُفّ طلع نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان).

فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه، فجاء فقال: (يا عائشة! كأن ماءها نقاعة الحنّاء، وكان رؤوس نخلها رؤوس الشياطين).

قلت: يا رسول الله أفلا استخرجته؟ قال: (قد عافاني الله، فكرهت أن أثور على الناس فيه شراً)، فأمر بها فدفنت» (١)(٢).

ثم شرع الشيخ بعد ذلك في شرح الحديث؛ فبين أن السحر في أصل اللغة الصرف، وأن استعماله شاع في كل أمر يخفى سببه، ويُتَخَيَّل على غير حقيقته. وذكر أن السحر ورد في كلام الشارع، فاتفق علماء الإسلام على أن هناك شيئاً يسمى سحراً، وأنهم اختلفوا في تصويره (٣).

وقال: «فذهب جمهور أهل العلم إلى أن للسحر آثاراً حقيقية، وقالوا: هو مزاولة النفوس الخبيثة لأفعال وأحوال يترتب عليها أمور خارقة للعادة. وقالوا: هو خارق للعادة يظهر في نفس شريرة بمباشرة أعمال مخصوصة.

والساحر عند هؤلاء قد يبلغ أن يطير في الهواء، ويمشي في الماء. وذهب بعض أهل العلم إلى أن السحر لا يبلغ أن يغير الحقائق في نفسها، وإنما هو تخييل وتمويه، وقالوا: لا يفعل الإنسان في غيره فعلاً من غير مماسة ولا ملامسة. وينسب هذا الرأي إلى المعتزلة، وجرى عليه أبو جعفر الاسترابادي، وأبو بكر الجصاص» (٤).

ثم ذكر الفرق بين السحر والمعجزة، فقال: «وإذا كان السحر لا يتجاوز التخييل والتمويه استبان الفرق بينه وبين المعجزة جلياً؛ فالمعجزات على حقائقها، وبواطنها كظواهرها، ولو اجتهد الخلق كلهم على مضاهاتها ومقابلتها بمثلها لظهر عجزهم عنها. وأما السحر فإنما هو ضرب من الحيلة والتلطف؛ لإظهار أمور لا حقيقة لها، ومن شاء أن يتعلم ذلك بلغ فيه مبلغ غيره» (٥).

١- أخرجه البخاري (٥٤٣٠).

٢- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ١٨١-١٨٢.

٣- انظر المرجع السابق ص ١٨٢.

٤- المرجع السابق ص ١٨٢.

٥- المرجع السابق ص ١٨٢.

ثم ذكر فروقاً أخرى بين المعجزة والسحر، وتخلّص من هذا إلى أن الذين ينكرون السحر بنوعيه: قلب الحقائق، وتأثير النفوس من غير مماسة، ينكرون حديث سحر النبي ﷺ؛ لأن الحديث يتضمن أن لبيد بن الأعصم قد فعل فعلاً كان له أثر في النبي ﷺ، وهو بعيد عنه.

ورأى المنكرون للحديث: أن هناك ما ينفي بوجه خاص أن يكون النبي ﷺ قد سحر^(١).

وأورد ثلاثة أوجه مما أيدوا به قولهم.

ثم انتقل بعد ذلك إلى النظر في سند الحديث، وطرقه، ثم انتقل إلى متنه، وأطال الكلام في ذلك، وخلص من ذلك إلى قوله: «فمتن الحديث سالم من الاضطراب، وعلى فرض أن يعدّ شيء من ذلك الاختلاف اضطراباً فقاعدة الأئمة أن يترك ما وقع فيه الاضطراب من ألفاظ الحديث، ويؤخذ بما اتفقت عليه الروايات منه»^(٢).

ثم زاد في التفصيل في هذه المسألة، وتوجه إلى ما أورده منكرو الحديث من الوجوه القاضية بوضعه، فناقشهم في ذلك.

ثم ختم شرحه للحديث -كعادته- بمُلخَص ما انتهى إليه من نتيجة، فقال: «وملخص ما نرى في هذا الحديث: أن أصله ثابت، ويحمل السحر على أنه أتر في قوته الجسمية دون أن يمس قوته العقلية بشيء».

ومما يدل له: حديث ابن عباس عند ابن سعد: (مرض رسول الله ﷺ وأخذ عن النساء والطعام والشراب، فهبط عليه ملكان) الحديث^(٣).

ونجعل قول عائشة -رضي الله عنها- في رواية سفيان بن عيينة: (كان يرى أنه يأتي

١- انظر المرجع السابق ص ١٨٤ .

٢- المرجع السابق ص ١٨٧ .

٣- الطبقات الكبرى لابن سعد، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٨/٢ .

النساء (ولا يأتين) ^(١) هو أصل الرواية، وما عداه من الروايات إما أن نرجع بتأويله إلى هذا الأصل، أو نحمله على أنه جرى على وجه الغلط من تصرف بعض الرواة ^(٢).
ثم قال في آخر بحثه معتذراً لمن أنكر الحديث: «وهذا ما نراه في شرح الحديث. وأراني بعد هذا لا أنسب من ينكر هذا الحديث إلى ضلال، أو سوء قصد؛ لأن الشبه التي أوردها المنكرون ليست بهينة، وقصارى ما أقول فيه: إنه لم ينظر في الحديث نظراً يجمع بين ما تقتضيه قوانين علم الحديث، وما يقتضيه منصب النبوة من سمو مقام النبي من أن يكون للسحر أثر في عقله» ^(٣).
ويلحق بالسحر مما تطرق له الشيخ: النشرة، وهي مأخوذة من النشر، والبسط. وهي رقية يعالج بها المريض ونحوه مما يظن أن به مساً من الجن. وتطلق -كذلك- على حل السحر من المسحور.
وسميت نُشْرَةً؛ لأنه ينشر بها ما يخامر من الداء، أي يكشف ويزال ^(٤).
والنشرة التي هي حل السحر عن المسحور نوعان: الأول: حل السحر بمثله، وهو الذي من عمل الشيطان؛ حيث يتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يجب، فيبطل عمله من المسحور.
والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية المباحة فهذا جائز ^(٥).

١- أخرجه البخاري برقم (٥٤٣٢).

٢- المرجع السابق ص ١٨٩.

٣- المرجع السابق ص ١٨٩-١٩٠.

٤- انظر غريب الحديث لابن الجوزي توثيق وتعليق عبدالمعطي قلعجي، ط ١، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٤٠٨/٢، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٧٤٣/٢، ولسان العرب لابن منظور ٦٥/٧.

٥- انظر في تفصيل الحديث عن النشرة إلى تهذيب الآثار للطبري، تحقيق د. ناصر الرشيد، وعبدالقيوم عبدرب النبي، مطابع دار الصفا، ١٤٠٢هـ، ١٢٤/٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٧٣هـ، ٥٠-٢٩/٢، وشرح منتهى الإرادات لمنصور البهوتي، عالم الكتب، بيروت، توزيع دار الباز ٣/٣٩٥، وفتح الباري لابن حجر ١/٤٢٢، وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان ابن عبدالله بن عبد الوهاب، ط ٣، ١٣٩٧هـ، المكتب الإسلامي، ٤١٩-٤٢٠.

قال الشيخ الخضر في بحثه (قضاء البعثة المحمدية على المزاعم الباطلة) متحدثاً عن النشرة المحرمة: «وللعرب في الجاهلية رقية يعالجون بها من اعتقدوا أن به مساً من الجن تسمى (النشرة) وقد سئل عنها النبي ﷺ فقال: «هي من عمل الشيطان»^{(١)(٢)}.

ومقصود الشيخ الخضر بالنشرة ههنا: المعروفة في الجاهلية^(٣)، أما النشرة التي تكون بالقرآن والتعوذات، وهي الرقية الشرعية - فإن الشيخ يراها.

يقول ﷺ: «أنزل القرآن دعوة إلى الحق، وهداية إلى مصالح الدنيا والآخرة؛ ليُخرج الناس من ظلمات الحيرة إلى صبح اليقين، فشُرعت تلاوته للتعبد والتدبر في آياته، وأخذ الأحكام، وتحقيق مسائل من مفردات العربية وأساليبها، ويتبع ذلك تلاوته للاستشفاء من عوارض جسمية، وهي: الرقية بالقرآن كتلاوته، فيشفي الله من رقية القرآن، كما يهدي بتلاوته من يشاء من عباده»^(٤).

ويستدل على ذلك بقوله: «وروي في الصحيح عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كنا في مسير لنا على حيٍّ من أحياء العرب، فجاءتنا جارية، وقالت: إن سيد الحي سليم (لديغ)، فهل فيكم راقٍ؟ فقام معها أبو سعيد، وراقه بالفاتحة، فشفي، فأمر لهم بثلاثين شاة، فلم يتصرفوا فيها حتى أتوا النبي ﷺ، وسألوه، فأقرهم على ذلك»^{(٥)(٦)}.

ثم علق بعد ذلك على الحديث بقوله: «فالنبي ﷺ أذن في اتخاذ القرآن وسيلة لدفع

١- أخرجه أحمد في المسند (٣٨٦٨) وأبو داود (٣٨٧٠) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٥٥٣).

٢- محمد رسول الله وخاتم النبيين ص ١٧٤.

٣- وهي المقصودة في الحديث السابق؛ فالألف واللام في: النشرة هي (أل) العهدية التي هي للعهد الذهني، أي النشرة المعهودة، أي المعروفة عند أهل الجاهلية، والتي تكون بالسحر، أو باستخدام الشياطين. انظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٦٧، والسحر بين الحقيقة والخيال د. أحمد بن ناصر الحمد، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، جائزة المدينة المنورة، ص ٢١٣-٢٢٣.

٤- بلاغة القرآن ص ٦١.

٥- أخرجه البخاري (٥٠٠٧) ومسلم (٢٢٠١).

٦- بلاغة القرآن ص ٦١.

شُرور ومكاره دنيوية»^(١).

رابعاً: الغلو في النبي ﷺ: فلقد تطرق لهذا الأمر في مواضع، ومنها ما جاء في رده على علي بن عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) وذلك لما قال: «قد يتناول الرسول من سياسة الأمة مثل ما يتناول الملوك، ولكن للرسول وحده وظيفة لا شريك له فيها؛ من وظيفته -أيضاً-: أن يتصل بالأرواح التي في الأجساد؛ وينزع الحجب؛ ليطلع على القلوب التي في الصدور.

له، بل عليه أن يشق عن قلوب أتباعه؛ ليصل إلى مجامع الحب والضعيفة، ومنابت الحسنة والسيئة، ومجاري الخواطر ومكامن الوسوس ومنايع النيات، ومستودع الأخلاق.

وله عمل ظاهر في سياسة العامة، وله -أيضاً- عمل خفي في تدبير الصلة التي تجمع بين الشريك والشريك، والحليف والحليف، إلخ»^(٢).

قال الشيخ الخضر معقّباً على كلام علي بن عبد الرازق السابق: «علم المؤلف أن الرأي الذي حام عليه في الأبواب الماضية، وشمر عن ساقه؛ ليخوض مستنقعه في هذا الباب - رأي لا يتلقاه قراء كتاب الله إلا بالرفض، ولا يعدّون صاحبه إلا في زمرة من يتخذون آيات الله هزواً؛ فكان من دهائه، ولطف سحره: أن أطلق قلمه في مدح رسول الله ﷺ، والثناء عليه من جهة يرى أن الإطناب فيها لا يمس برأيه، وبمثل هذا الرياء يُمكنه اقتناص بعض المستضعفين من الأطفال والبله.

ولعله لم يمد حبالته إلا قانعاً بمن يقع فيها من أمثال هذه الطائفة.

أما الذين ينظرون بنور الحكمة فإنهم يزنون الكتاب بروحه المطلّة من خلال سطور»^(٣).

١- المرجع السابق ص ٦١ .

٢- الإسلام وأصول الحكم ص ١٠٧ .

٣- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ٢٠٩ .

إلى أن قال: «وإنك لتجد في هذه الجمل من الغلو في الوصف، ما لم يذكره النبي ﷺ عن نفسه، وإنما علق بقلم المؤلف من أثر ديانة أخرى؛ كقوله: (الرسالة تقتضي لصاحبها حق التصريف لكل قلب تصريفاً غير محدود). والتصريف للقلوب من صفات الألوهية التي لا يشاركها فيها مخلوق»^(١). ثم استشهد على ما ذكره بكلام لابن حجر، والبيضاوي، وقال بعد ذلك: «وبمثل هذا نفقه أن قلم المؤلف يدس في الدين الإسلامي من عقائد الوثنية ما يتبرأ منه الدين الخالص»^(٢).

خامساً: الرياء: الرياء يدخل في قبيل الشرك الأصغر؛ إذا خالط عملاً من الأعمال التي يراد بها وجه الله.

وإذا كان الرياء في أصل الإيمان دخل في قبيل الشرك الأكبر.

يقول الشيخ الخضر في بحثه (فضيلة الإخلاص) بعد أن قرر مفهوم الإخلاص، وفضله، وآثاره الحميدة مبيناً بعض صور الرياء، وسوء عاقبته - قال: «والإخلاص يرفع شأن الأعمال حتى تكون مراقي للفلاح، وهو الذي يحمل الإنسان على مواصلة عمل الخير؛ فمن يصلي رياءً، أو حياءً من الناس لا بد أن تمر عليه أوقات لا ينهض فيها إلى صلاة، ومن يحكم بالعدل؛ ابتغاء السمعة، أو خوف العزل من المنصب قد تعرض له منفعة يراها ألد من السمعة، أو يصادفه عهد حكومة يأمن فيه من العزل؛ فلا يبالي أن يدع العدل جانباً، ومن يدعو إلى الإصلاح؛ ابتغاء الجاه قد ينزل بين قوم لا يحظى بينهم إلا من ينحط في أهوائهم، فينقلب داعياً إلى الأهواء»^(٣). ويقول مواصلاً الحديث عن بعض صور الرياء: «ومن يفعل المعروف؛ لتردد ذكره الألسنة في المجالس أو الصحف قد يرى بعينه سبيلاً من سبل الخير في حاجة إلى

١- المرجع السابق ص ٢٠٩.

٢- المرجع السابق ص ٢١٠.

٣- رسائل الإصلاح ص ٧٧.

مؤازرة، ولكنه لا يرى بجانبه لساناً أو قلماً شأنه إطرأء المؤازرين؛ فيصرف عنه وجهه، وهو يستطيع أن يمد إليه يده، ويسد حاجته»^(١).

وقال في موضع آخر في معرض حديث له عن (علل إهمال الدعوة) محذراً من ترك الدعوة خوف الرياء: وذلك بعد أن ذكر عدداً من العلل في إهمال الدعوة، قال: «عاشراً: علة نادرة، ولا ندري هل بقي لها من أثر إلى هذا اليوم، وهي: أنه كان في الناس من يبدو له أن يترك بعض أعمال الخير؛ حذراً من أن يخالط قصده الرياء، والتطلع للسمعة، فيقلص نور إخلاصه، ويفوته ثواب الله في الآخرة.

وترك الدعوة بمثل هذا الوسواس ورع خادع، وما على العارف بالإصلاح إلا أن يجاهد نفسه، ويأخذها بأدب الإخلاص ما استطاع. ومخافة الرياء تجاه فائدة الدعوة إلى صالح لاغية»^(٢).

سادساً: الاعتقاد بتصرف الجن: قال ﷺ منكرًا ذلك الاعتقاد: «وكان للعرب غلو في الاعتقاد بتصرف الجن في نفع الناس وضرهم، وتعرضهم في الفلوات لمن يربها.

ومن هنا جاء اسم الغول والسعلاة، وذهب بهم هذا الغلو إلى مزاعم باطلة، وعادات منبوذة؛ كزعمهم في بعض الحيوان أنها نوع من الجن، أو من مراكب الجن، مثل: القنفذ، والأرنب، والطبي، والنعام، وزعموا أن الجن قالوا في أشعارهم:

وكل المطايا قد ركبن فلم نجدن الدُّ وأشهى من ركوب الأرانب^(٣)

وقال: «ومما يؤسف له أشد الأسف: أن تعود الجماعات غير المهذبة إلى الإكثار من الحديث عن تصرفات الجن، ويتخذوا لمعالجتها أمثال ما كان في عهد الجاهلية؛ كهذا

١- المرجع السابق ص ٧٧-٧٨.

٢- الدعوة إلى الإصلاح ص ٥٠.

٣- محمد رسول الله وخاتم النبيين ص ١٧٣-١٧٤.

الصنيع الذي يسمونه: (الزّار).

وما كنا لنجد سلفنا الذين تهذبت نفوسهم ببعثة الرسول الأكرم - صلوات الله عليه - ما نجده في أزمنة متأخرة من المزامع المتعلقة بالجن»^(١).

سابعاً: الاستسقاء غير المشروع: قال ﷺ في بحثه: (قضاء البعثة المحمدية على المزامع الباطلة) متحدثاً عن بعض مزامع العرب الفاسدة، وما بقي عند الناس من هذه العادة الباطلة: «ومن مزامعهم: أنهم كانوا إذا أجدبوا، وحُسِنَ عنهم المطر عمدوا إلى نوعين من الشجر يقال لهما: السلع والعشر، فحزموهما، وعقدوهما في أذنان البقر، وأضرموا فيها النار، وأصعدوها في جبل وعر يستشفعون بها، وإلى هذا يشير الشاعر بقوله:

أجاعل أنت بيقوراً مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر

وقد أبطلت الدعوة المحمدية هذه العادة المنكرة، ووضعت مكانها صلاة الاستسقاء التي هي عبادة لله خالصة»^(٢).

إلى أن قال: «ومن البلاء: أن ترى أقواماً من العامة في بعض البلاد يتخذون للاستسقاء وسائل تشبه ما يفعله الجاهلية؛ كالخروج ببعض الأناشيد وآلات الطرب، ونحو ذلك من البدع التي لم يضعها الشارع الحكيم وسائل للاستسقاء»^(٣).

ثامناً: الحلف بغير الله: قال ﷺ في بحثه: (اليمين في القرآن والحديث): «وكان العرب يحلفون بما يعتقدون عظمته؛ فيحلفون بمعبوداتهم، وآبائهم، وقد نهى النبي ﷺ عن الحلف بغير الله، فقال: (من حلف، فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله)^(٤) إشارة إلى كفره.

١- المرجع السابق ص ١٧٤ .

٢- المرجع السابق ص ١٧٤-١٧٥ .

٣- المرجع السابق ص ١٧٥ .

٤- أخرجه البخاري (٤٥٧٩) ومسلم (١٦٤٧) .

وقال: (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، من كان حالفاً، فليحلف بالله، أو ليصمت)»^(١) (٢).

وقال منكرأ على من يحلف بالولي: «ومن العامة من يحلف بالله كذباً، ولا يحلف بالولي.

وسمعت بأذني رجلاً عامياً يقول لآخر: والله! ما فعلت كذلك، فقال: لا أصدقك، ولو حلفت بحق الولي فلان؛ فينبغي تعليم العوام: أن الله أعظم من كل عظيم. وقد سمعت بعض المنتمين للعلم يعتذر لمثل هذا العامي بعذر مثل الذنب، فيقول: إن الله حلیم يغفر لمن حلف به كاذباً، والولي يبادر إلى الانتقام ممن يحلف به كاذباً»^(٣).

تاسعاً: الطيرة والتطير: وهما بمعنى واحد؛ فالتطير مصدر الفعل تطير يتطير، والطيرة اسم المصدر^(٤).

والطيرة هي التشاؤم من الشيء المرئي، أو المسموع، أو المعلوم^(٥). والتشاؤم عدُّ الشيء مشؤوماً، أي يكون وجوده سبباً في وجود ما يحزن ويضر^(٦). والطيرة إما مشتقة من الطيران؛ فكأن الذي يرى، أو يسمع ما يكره - يطير. وإما من الطير وهذا هو الأصل، والمختار من الوجهين؛ إذ كانت العرب تزجر الطير والوحش، أي تنفّرهما، وترسلها، وتتفاءل أو تتشاءم بها^(٧).

١- أخرجه البخاري (٥٧٥٧).

٢- بلاغة القرآن ص ٥٦.

٣- المرجع السابق ص ٥٩.

٤- انظر لسان العرب ٥١٢/٤-٥١٣.

٥- انظر مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢٤٦/٢، والآداب الشرعية لابن مفلح ٢٥٧/٣-٢٦٢.

٦- انظر تفسير التحرير والتنوير ٦٦/٥.

٧- انظر العملة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني، حققه وفصله محمد محيي الدين عبدالحמיד، ط ٢، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي، مطبعة السعادة بمصر.

فالتطير -إذاً- مأخوذ من الطير في الأصل ، ثم أطلق على كل ما يُتوهم أنه سبب في لحاق الشر، سواء كان مسموعاً، أو مرئياً، أو معلوماً.
وسواء كان ذلك طيراً، أو حيواناً، أو جماداً، أو زماناً، أو مكاناً، أو شخصاً، أو نباتاً، أو عدداً، أو نحو ذلك.

ووجه كون الطيرة شركاً؛ لما فيها من ادعاء لعلم الغيب، واعتقاد جلب النفع والضرر، وهذا شرك في الربوبية.

ولما فيها من تعلق القلب بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وهذا شرك في الألوهية. وأنها تضعف القلب، وتفتح على الإنسان باب الخرافة، وأن فيها اعتماداً على ما ليس سبباً لا شرعاً ولا قدراً.

والشيخ الخضر تطرق لباب الطيرة في عدة مواضع من آثاره؛ فبيّن مفهومها، وخطرها، وما إلى ذلك.

وأهم المواضع التي تطرق فيها للطيرة ما يلي:

١. ما جاء في بحث له عنوانه: (العدوى والطيرة).

وقد استهل هذا البحث بقوله: «جاءت الشريعة الإسلامية لتهديب النفوس، وتطهيرها من المزامع الباطلة، وطبعها على الاعتقاد بأن لا يقع تصرف في الكون إلا بإذن الله.

ومن المزامع الباطلة التي تجول في النفس: الاعتقاد بالعدوى والطيرة»^(١).

ثم عرّف العدوى بأنها: اسم مصدر من الإعداء، يقال: أعداه الداء إعداءً، وعدوى: وهو أن يصيبه مثل ما يصاحب الداء.

ثم ذكر أمثلة «من الأمراض التي تصيب الصحيح لقربه من المريض، ومخالطته، كالطاعون، والجذام، والجرب؛ فيعتقد الناس أن العدوى سرت من المريض إلى الصحيح بذاتها؛ فقال رسول الله -عليه الصلاة والسلام- كما ورد في الحديث الصحيح

(لا عدوى ولا طيرة)^(١).

فبيّن أن مرض الصحيح بقدر الله^(٢).

ثم شرع في توضيح ذلك وأن حدوث المرض بقدر الله، ولم يحدث لذات العدوى، وإنما جعل الله القربَ والمخالطة سبباً ظاهراً للمرض لا مستلزماً للمسبب، ثم فصلّ في ذكر الأدلة، وجمع بين الأحاديث التي ينفي بعضها العدوى، ويحث بعضها على الاحتياط^(٣).

ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الطيرة؛ فبين معناها، وأصلها، فقال: «وأما الطيرة -بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن الياء-: فهي التطير؛ أي: التشاؤم، وأصلها: أن العرب في الجاهلية يعتمدون الطير، فإذا خرج أحدهم لأمر ما، ورأى الطير طائراً على جهة اليمين تيمّن به، وذهب لأمره، وإذا طار على جهة اليسار تشاءم به، ورجع.

وكانوا يسمون ما طار إلى جهة اليمين بالسائح، وما طار إلى جهة اليسار بالبارح، وربما هيّج أحدهم الطير؛ ليرى طيرانه على جهة اليمين أو اليسار، فيعتمدها، فجاء الشرع بنفي ذلك، فقال ﷺ: «(لا عدوى ولا طيرة)»^{(٤)(٥)}.

ثم أورد حديث: «وإنما الشؤم في ثلاثة: المرأة، والفرس، والدار»^(٦).

ثم ذكر التوجيه لهذا الحديث، فقال: «واتفق العلماء على أن ليس في المرأة معنى يسمى شؤماً إذا تزوجها الرجل يلحقه ضرر، ولا في الدار إذا سكنها، ولا في الفرس إذا ملكها، وحملوا الشؤم على معنى خارج عن الزوجة والدار والفرس،

١- أخرجه البخاري (٥٣٨٠) ومسلم (٢٢٢٠).

٢- دراسات في الشريعة الإسلامية ص ٩١.

٣- انظر المرجع السابق ص ٩١-٩٣.

٤- مضى تخريجه.

٥- المرجع السابق ص ٩٣-٩٤.

٦- أخرجه البخاري (٥٠٩٣) و٥٧٧٢ و٢٠٩٩ و٥٧٧٥٢) ومسلم (٢٢٢٥).

فقالوا: شؤم المرأة: سوء أخلاقها، وبذاءة لسانها، وشؤم الدار: ضيقها، وسوء جيرانها، وشؤم الفرس: جماحها، وحرنها»^(١).

ثم ذكر أن التطير بقي في كثير من المسلمين، وذكر في ذلك نماذج من الشعر وأخبار الشعراء في ذلك، فذكر ابن الرومي الشاعر، وأنه كان كثير التطير، وأن أصحابه يرسلون إليه من يتطير باسمه، فلا يخرج من بيته طوال يومه.

وذكر أن البلغاء يكرهون افتتاح القصيدة بما يتطير به، وأورد على ذلك أمثلة، وختم بحثه بقوله: «فالشريعة تنهى الإنسان أن يعتقد أن العدوى تسري من المريض إلى الصحيح بذاتها، وتنهاه أن يتطير بشيء من الحوادث، وتأمره أن يعلم أن ما وقع في الكون إنما هو بإذن الله وقدره، وينبغي للشاعر أن يتجنب في مطلع قصيدة ما يكرهه السامع، ويتطير منه»^(٢).

٢. ما جاء في شرحه لحديث (لا عدوى ولا طيرة)^(٣): حيث شرح هذا الحديث في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء السابع من المجلد الثالث عشر محرم ١٣٦٠ هـ. وهو في أصله محاضرة ألقاها، وشرح من خلالها الحديث السابق، وبين حقيقة العدوى والطيرة، وأثرها في المجتمع.

وما جاء في هذا الشرح قريب مما جاء في بحثه في الفقرة الماضية؛ حيث بين معنى العدوى، ووجه الأحاديث الواردة فيها، وجمع أطراف الموضوع بقوله: «وملخص الجواب: أن الحديث ورد في سياق الرد على ما كان لدى الجاهلية من اعتقاد أن العدوى أمر طبيعي دون أن يضيفوها إلى مشيئة الخالق، والحديث لا ينفي أن الله -تعالى- قد يشاء، فيجعل مخالطة الصحيح للمصاب بشيء من الأمراض؛ كالجدام والجرب سبباً لحدوث ذلك المرض في الصحيح»^(٤).

١ - دراسات في الشريعة الإسلامية ص ٩٤ .

٢ - المرجع السابق ص ٩٥ .

٣ - انظر الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ١٧٣-١٨٠ .

٤ - المرجع السابق ص ١٧٧ .

ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الطيرة، وعرفها بتعريف قريب من التعريف السابق، فقال: «الطيرة: التشاؤم بالشيء، وأصلها: أن العرب كانوا في الجاهلية يعتمدون في الإقدام على بعض الأعمال؛ كالسفر والزواج على الطير، فإن مرّ الطير باليمين تيمّن، وإن مرّ باليسار تشاءم به، ثم أطلقت الطيرة على التشاؤم، ولو بغير الطيور.

والحديث ينفي على وجه العموم ما كان شائعاً في الجاهلية من التشاؤم بأمور لا دخل لها في نجاح الأعمال، ولا خيبتها؛ كالعطاس^(١)، ونعيق الغراب^(٢)»^(٣). ثم بيّن ما يُحدِثه التشاؤم من فساد كبير، وأن الشارع الحكيم جعل مكان التشاؤم أو التفاؤل الاستخارة المعروفة في كتب السنة.

ثم تعرض للطيرة في العصور المتأخرة، وذكر صوراً منها، فقال: «ومع الأسف أن ينهى النبي ﷺ عن التشاؤم، ويبقى متفشياً في الشعوب الإسلامية، وقد أحدث الناس أنواعاً من التشاؤم لم تكن معروفة في الجاهلية، فأعرف في تونس أن الناس يتشاءمون بمناولة من يعزّ عليهم فراقه الصابون، أو آلة حادة

١ - كانوا يتطيرون بالعطاس في الجاهلية، وسبب ذلك دابة يكرهونها يقال لها: العاطوس، وكانوا إذا عطس من يجونه قالوا: عمراً وشباباً، وإذا عطس من يبغضونه قالوا: وريراً وقُحاباً، والوري: داء يصيب الكبد فيفسدها، والقحاب: كالسعال وزناً ومعنى.

وقد أبطل الإسلام هذا الدعاء، وشرع بأن يجعل مكانه الحمد للعاطس، والدعاء له ممن يسمع. انظر العمدة لابن رشيّق ٢/٢٦٠-٢٦٣، ومفتاح دار السعادة لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت ٢/٢٩٩-٢٣٠ و٢٦١-٢٦٣.

قال امرؤ القيس متطيراً من العطاس:

وقد اغتدي قبل العطاس بهيكل شديدٍ مِسْكُ الجنبِ فَعَمِ المُنْطَقُ

أراد أنه ينتبه للصيد قبل أن ينتبه الناس من نومهم؛ لثلا يسمع عطاساً، فيتشاءم بعطاسه. انظر ديوان امرئ القيس ص ١٠٥.

٢ - الغراب أعظم ما يتطيره أهل الجاهلية، والقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد؛ فاسمه -عندهم- يوحى بالغبية، و يسمونه حاتمًا؛ لأنه يحتم الفراق كما يزعمون، ويسمونه أعور على جهة التطير؛ إذ كان أصح الطير بصراً، ويقال: سمي أعور؛ لأنه يعور عن الحاجة، ويصد عن الوجهة. انظر العمدة ٢٦٠-٢٦٣.

٣ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ١٧٧-١٧٨.

كالسكين، والمقص»^(١).

ثم ذكر بعض الصور التي تدخل في التشاؤم فقال: «ويدخل في التشاؤم الممقوت: ما أحدثه الناس من الاستخارات غير الشرعية؛ كالاستخارة بالسبحة، والاستخارة المنامية، والاستخارة بالقرآن المجيد.

ويدخل في التشاؤم: الأخذ بأقوال الكهان والدجالين، فيمتنع من الشيء بمجرد قولهم له: إنه شر، أو لا خير فيه؛ فإن تعلق الإنسان بشيء من ذلك فقد خالف قول النبي ﷺ: (ولا طيرة).

ولا يجوز التشاؤم بيوم من الأيام»^(٢).

ثم تطرق لحديث: «الشؤم في المرأة والدار والفرس» ووجهه بنحو من توجيهه الوارد في بحثه: (العدوى والطيرة).

ثم ختم حديثه -كعادته- بقوله: «وملخص القول: أن حديث: (ولا طيرة) هو الموافق لما جاءت به الشريعة من أن معرفة حسن عاقبة العمل أو سوءها إنما يعتمد فيها على الشرع، وفهم ذوي الأنظار السديدة، بل هو الموافق للعقل؛ إذ ليس لنا أن نعتقد تأثير شيء في شيء إلا أن تدل عليه المشاهدة، أو يظهر له وجه من العقل، أو ينص عليه الشارع، وليس للشؤم بالمعنى الذي يعتقده العامة صلة تجعله من قبيل المعقولات، أو المشاهدات، أو الشرعيات»^(٣).

٣. ما جاء في بحثه (قضاء البعثة المحمدية على المزاعم الباطلة): حيث ذكر التشاؤم من جملة ما ذكره من المزاعم الباطلة فقال: «كان العرب يتشاءمون بكثير من الأشياء؛ نحو: الغراب، والبومة، أو مرور الطير من ناحية الشمال.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن التشاؤم بإطلاق، فقال: (لا طيرة) ونبه على أن وجوه

١ - المرجع السابق ص ١٧٨ .

٢ - المرجع السابق ص ١٧٨ .

٣ - المرجع السابق ص ١٨٠ .

الخير والشر إنما تعرف من طريق الشرع أو العقل.

ومن سوء عواقب التشاؤم بهذه المخلوقات أنها قد تصد الرجل عن وجهة لو مضى فيها لنال خيراً كثيراً أو قليلاً»^(١).

ثم ذكر صوراً من صور التشاؤم، فقال: «ومن المحزن أن ينهى رسول الله ﷺ عن التشاؤم، ويزيحه من طريق العاملين المجدين، ويضع عقيدة التوكل على الخالق مكانه، ثم لا يلبث وبأوه الخبيث أن يعود، ويتفشى في نفوس كثير من جماعات المسلمين؛ فهذا يتشاءم بمن يعود وهو مريض في يوم الأربعاء، وذلك يتشاءم بتناول سكين أو مقراض من يد صديق له، بل لا يزال كثير من الناس يتشاءمون بما كان الجاهلية يتشاءمون به من نحو: رؤية البوم والغراب.

والبصائر المشرقة بنور الحكمة لا يحوم عليها التطير في حال»^(٢).

وله في (السعادة العظمى) كلام قريب من هذا بين فيه خطأ من تطير في عيادة المريض في يوم الأربعاء، وأنه ذلك «وسوسة وهوس، لا تشتغل به إلا الخواطر المبرسمة التي تبني معتقداتها على شفا جرف الأوهام الباطلة»^(٣).

عاشراً: الاستقسام بالأزلام: فلقد تطرق لهذا اللون من ألوان الشرك التي يقع فيها أهل الجاهلية، وذلك في بحته (قضاء البعثة المحمدية على المزاعم الباطلة) حيث قال ﷺ: «وكان العرب في جاهليتهم يستقسمون بالأزلام؛ ذلك أنهم كانوا يتخذون ثلاثة أقداح يكتبون على واحد منها: (افعل)، وعلى الثاني: (لا تفعل)، ويتركون الثالث غفلاً، فإذا أراد أحدهم أمراً يهيمه؛ من نحو سفر، أو نكاح، أو تجارة أجال هذه الأقداح، فإن خرج له قدح الأمر فعل، وإن خرج له قدح النهي ترك، وإن خرج له القدح الغفّل أجال الأقداح مرة ثانية.

ومن أثر هذا التخييل الفاسد: أن الرجل قد يترك العمل وفيه خير كثير، أو يقدم

١ - محمد رسول الله وخاتم النبيين ص ١٧٣ .

٢ - المرجع السابق ص ١٧٣ .

٣ - السعادة العظمى ص ١٤٧ .

على عمل وفيه شر عظيم.

وكان هذا التخيل مما تناولته الدعوة المحمدية، وجاء النهي عنه في القرآن المجيد، ووضعت السنة الغراء مكانه الاستخارة الشرعية والاستشارة^(١).

ثم ذكر صوراً أخرى يجري عليها حكم الاستقسام بالأزلام فقال: «وإبطال الشريعة للأزلام يجري حكمه في كل ما يتخذ وسيلة للاطلاع على عواقب الأمور من غير طريقه الشرعية أو العلمية؛ مثل: الاستخارة بالمصحف، أو السبحة، ونحوها، فكل هذا ما عدا الاستخارة الشرعية بدعة لا يجوز التعلق بها»^(٢).

حادي عشر: التماثم: وهي جمع تيممة، وهي ما يعلق على الأعناق، أو المراكب، أو البيوت، أو غيرها؛ لجلب نفع أو دفع ضرر، أو رفعه سواء كانت من القرآن، أو الخيوط، أو الخرز، أو الحصى، أو غيرها.

وله أسماء أخرى كالحروز، والحجب، والتعليق، والودع^(٣).

ووجه كونها من الشرك؛ لما فيها من تعلق القلب بغير الله، ولأنها ليست سبباً شرعياً ولا قديراً، وأنها تفتح على العبد باب الخرافة، وتقوده إلى الشرك، وأنها سبب للخذلان؛ لأن من تعلق شيئاً وكل إليه^(٤).

والشيخ الخضر تناول التماثم، وعدّها من المزاعم الباطلة، وذكر صوراً مما يدخل فيها.

قال ﷺ في آخر بحثه المعنون بـ: (قضاء البعثة المحمدية على المزاعم الباطلة):

١ - محمد رسول الله وخاتم النبيين ص ١٧٣ .

٢ - المرجع السابق ص ١٧٣ .

٣ - انظر فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، تأليف الشيخ عبدالرحمن بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق د. الوليد الفران، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤١٥هـ، ١/٢٣٦-٢٣٧، والقول المفيد على كتاب التوحيد، شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، اعنتى به وخرج أحاديثه د. سليمان أبا الخيل، ود. خالد المشيقح، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٥هـ، ١/١٧٥-١٧٧ .

٤ - انظر القول المفيد ١/١٨٠-١٨٢ .

«ولُنسُق إلى حضراتكم مثلاً آخر من المزاعم التي حاربها الرسول - عليه الصلاة والسلام - هو: اعتقادهم بنفع خرزات أو أحجار أو أعضاء بعض الحيوان، فكانوا يعلقونها على أنفسهم لأغراض مختلفة؛ مثل: اجتلاب المحبة، أو المنع من الحمل، أو السلو عن الحب، أو الحفظ من مس الجن»^(١).

ثم ذكر الأدلة على تحريم التمايم، فقال: «وقد نهى رسول الله ﷺ عن تعليق ما يماثل هذا من التمايم، فقال: (من تعلق تيممة فلا أتم الله له)^(٢).

وامتنع - عليه الصلاة والسلام - من مبايعة شخص كانت عليه تيممة فأدخل الرجل يده فقطعها، فبايعه عند ذلك النبي ﷺ وقال: (من تعلق تيممة فقد أشرك)^(٣).

وقال: (من تعلق شيئاً وُكِل إليه)^(٤).

وهذه الأحاديث - وإن وردت في تمايم الجاهلية - فإن السلف الصالح لم يُعرفوا بتعليق التمايم، وإنما كانوا يستشفون بالقرآن الكريم على وجه الرقية كما ثبت في السنة^(٥).

إلى أن قال بعد ذلك مبيناً إبطال التمايم، وكونها من آثار الشرك: «وإذا نظرتم إلى هذه المزاعم والعادات التي أبطلتها الدعوة المحمدية وجدتم بعضها أثراً من آثار عقيدة الشرك، وبعضها إنما هو أثر الجهل وضعف الفكر»^(٦).

ثم ذكر بعد ذلك صوراً من صور التمايم الشركية، فقال: «فمن مزاعمهم التي

١ - محمد رسول الله وخاتم النبيين ص ١٧٥ .

٢ - أخرجه أحمد (١٧٤٠٤) وضعفه الألباني كما في الضعيفة برقم (١٢٦٦) .

٣ - أخرجه أحمد (١٧٤٢٢) وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة برقم (٤٩٢) .

٤ - أخرجه أحمد (١٨٧٨١) والترمذي (٢٠٧٢) وحسنه الألباني كما في غاية المرام (٢٩٧١)

المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣ .

٥ - محمد رسول الله وخاتم النبيين ص ١٧٥ .

٦ - المرجع السابق ص ١٧٥-١٧٦ .

هي وليدة الشرك: أخذ الغلام لِسِنِّه إذا سقطت، ورميها في وجه الشمس عندما تطلع، وقوله: يا شمس! أبدينا سِتّاً أحسن منها. وهذا أثر من آثار الاعتقاد بالهية الشمس. ومن المحزن أنا نرى هذه العادة الوثنية بعد أن طردها التوحيد، ونفاها من الأرض ترجع وتنتشر بين الجماعات الجاهلة ككثير من مزاعم الجاهلية وعاداتهم»^(١).

ويواصل ذكر تلك الصور قائلاً: «ومن المزاعم الناشئة عن الجهل وضعف الفكر: أن الواحد منهم إذا أراد السفر عقد خيطاً بشجرة على اعتقاد أنه متى أحدث امرأته بعده أمراً منكراً انحل ذلك الخيط. وفي هذا الزعم الساقط ضرر كبير على صلة الزوجية، وعلى عرض المرأة؛ فإن الخيوط التي تعقد في الأشجار معرضة للحل أو الانحلال في كل وقت»^(٢). ثم يختم كلامه في ذلك فيقول: «فالحق أن من وقف على هذه الأوهام والخرافات التي كان العرب وغير العرب منغمسين في أرجاسها - ازداد علماً بعظمة رسول الله ﷺ وفضل بعثته في إصلاح العقول، وتهيئة الأفكار للبحث في العلوم، والسير بها إلى غايات سامية»^(٣).

فهذه المظاهر هي أهم ما تطرق له الشيخ الخضر من مواجهته للشرك. وسيأتي مزيد بيان مما هو قريب من ذلك في المطلب التالي.

١ - المرجع السابق ص ١٧٦ .

٢ - المرجع السابق ص ١٧٦ .

٣ - المرجع السابق ص ١٧٦ .

المطلب الثاني: مواجهته للبدع

البدع، والبدعة، والابتداع من الموضوعات التي يتطرق لها العلماء في كتب الاعتقاد، فيبينون معنى البدعة في اللغة، وأنها تطلق على معانٍ منها: الإنشاء، والبدء، والاختراع، والإحداث.^(١)

ويعرّفون معناها في الاصطلاح بتعريفات عدة تختلف ألفاظها، وتفاوت في استيفاء جزئيات تعريفها، ولكنها تدل على معنى واحد لا تخرج عنه ألا وهو: الإحداث في الدين بما يخالف الكتاب والسنة.^(٢)

ويتطرقون للنصوص الواردة في النهي عن البدع كقوله - تعالى -: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام: ١٥٣، وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ القصص: ٥٠، وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ آل عمران: ٣١.

ومن السنة ما جاء في حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسکوا بها وعضوا علیها بالنواجذ وإياکم ومحدثات الأمور؛ فإن کل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة».^(٣)

١ - انظر معجم مقاييس اللغة ٢٠٩/١، ولسان العرب ٧-٦/٨.

٢ - انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٠٧/٤-١٠٨، والاعتصام للشاطبي، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ. ٣٧١/١، وجامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٢٦٥، والحوادث والبدع للطرطوشي تحقيق محمد الطالبي المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٩٥٩، ص ٣٤-٣٥، والأعياد وأثرها على المسلمين د. سليمان السحيمي، ط ١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، الجامعة الإسلامية ص ٢١٦-٢٣٠، وقواعد في معرفة البدع، محمد ابن حسين الجيزاني، دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢١هـ، ص ١٧-٢٦.

٣ - أخرجه أبو داود (٤١٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال: (حديث حسن صحيح)، وصححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٧).

وحديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(١).
كما يتطرقون للأثار الواردة عن السلف في ذلك، وهي كثيرة جداً.
ومنها ما جاء عن ابن عباس ؓ أنه قال: «عليكم بالاستقامة والأثر، وإياكم والتبدع»^(٢).

كما يتطرقون لأسباب انتشار البدع فيذكرون على رأسها: الجهلُ بأدوات الفهم، والجهلُ بالدين والسنة وعلومها، واتباعُ الهوى، واتباعُ المشابهة، والقولُ في الدين بغير علم وقبولُ ذلك من قائله، والغلوُ في الأشخاص، ونحو ذلك.

كما يتطرقون لأحكام البدع، ودرجاتها، وضوابطها، وما يترتب على ذلك.^(٣)
كما أنهم أفردوا الكتب في ذلك كالحوادث والبدع للطرطوشي، والبدع والنهي عنها لابن وضاح، والإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ، والبدعة أسبابها ومضارها للشيخ محمود شلتوت، وغيرها كثير.

وفي غضون كتبهم يتعرضون لأنواع من البدع، كالبدع في الأعياد، والجنائز، وكبدع الأفراح، والموالد، والمواسم، والقبور، والمساجد.

وكالبدع في الاعتقاد، والعبادة، والعادة، والضيافة، والولائم ونحو ذلك.^(٤)
والشيخ محمد الخضر حسين من جملة أولئك العلماء الذين تعرضوا للبدع من أكثر الوجوه التي مضى ذكرها، وكان له مواجهات وجهود في ذلك الميدان منذ بواكير حياته العلمية والدعوية إلى آخر أيامه.

١ - أخرجه البخاري (٢٥٥٠) ومسلم (١٧١٨).

٢ - انظر البدع والنهي عنها لابن وضاح القرطبي، دار الرائد العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢ هـ، ص ٢٥، والبدعة أسبابها ومضارها للشيخ محمود شلتوت، ضبط وتعليق وتخريج علي حسين علي عبد الحميد، مكتبة ابن الجوزي، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ص ١٦-١٥ و ٣٧-٤٣ و ٤٥-٦٠.

٣ - انظر الأعياد وأثرها على المسلمين ص ٢٣١-٢٣٧.

٤ - انظر الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ، دار المعرفة، لبنان، ففيه تفصيل كثير لذلك.

أما طريقة مواجهته، وتناوله للبدع فكانت كطريقته في تناول أكثر المسائل والقضايا التي مضى ذكرها؛ من جهة أنه يتناولها بالبحث المستقل، أو بالبحث العارض في غضون أبحاث أخرى.

لذا سيكون العرض لمواجهته للبدع ههنا من طريقين:
الطريق الأول: دراسته للبدع عموماً.

والطريق الثاني: دراسته الخاصة لبعض قضايا البدع.
وفيما يلي إيضاح لذلك على وجه التفصيل.

أولاً: دراسته للبدع عموماً: والمقصود بذلك طرُقُه لباب البدعة بالدراسة المفصلة التي تتناول البدع بحيث تكون الدراسة لهذا الباب خاصة به لا يقصد بها موضوعاً آخر غيره، بحيث تتناول هذا الباب وحده.

وأهم ما ورد في ذلك الشأن ما جاء في بحثه المعنون بـ: (السنة والبدعة) الذي نُشر في مجلة نور الإسلام الجزآن الثامن والتاسع من المجلد الثاني شعبان ١٣٥٠ هـ. وفيما يلي عرض لما جاء في ذلك البحث:

١- استهل الشيخُ البحثُ في بيان سماحة الدين، وحكمته، وأن ذلك من أسباب انتشاره، وظهوره على الأديان كلها في أعوام معدودة.

وبين أن بلاء الشرائع من قَبْلُ أن دخل إليها فساد التبديل والتأويل؛ لذا اشتدت عناية الشارع بتحذير الناس من الإحداث في الإسلام ما ليس منه.^(١)

واستدل على ذلك بقول النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».^(٢)

وقوله: «كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».^(٣)

١ - انظر الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ١٢٢.

٢ - أخرجه البخاري (٢٥٥٠) ومسلم (١٧١٨).

٣ - أخرجه أبو داود (٤١٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال: (حديث حسن صحيح).

٢- انتقل إلى بيان أن الدين لم يَخْلُصْ مع هذه الزواجر من طوائف يلصقون به ما ينافي سماحته، أو ما يشوّه وجه حكمته.

وأن هذه البدع قد كثرت حتى حجبت جانباً من محاسنه، وكان لها أثر في تَنَكُّر بعض القلوب لهديته.

وهذا ما حمل كثيراً من أهل العلم على أن يتناولوا البدع بالتأليف خاصة؛ كما فعل أبو بكر الطرطوشي، وأبو إسحاق الشاطبي، وغيرهما من رجال الدين.^(١)

٣- قرر أن للبحث في باب البدع مجالاً واسعاً، وأن في الفرق بين السنة والبدعة وتمييز السني من البدعي إصلاحاً كبيراً.^(٢)

٤- تطرق لمعنى السنة في اللغة، والشرع، وأن من معانيها ما يقابل البدعة، ثم ذكر بعض الآثار الحائنة على لزوم السنة، ومجانبة البدعة.

ثم انتقل إلى ذِكْر جملة من أفعال النبي ﷺ مما يكون لنا فيه أسوة حسنة وسنة قائمة، ومما يصدر منها على وجه الجبلة أو العادة، ومما يتقارب فيه الحال من الأفعال؛ فلا يظهر جلياً أنه عادة أم شريعة؛ فتتردد فيه أنظار المجتهدين.

ثم انتقل إلى الحديث عن تروكه - عليه الصلاة والسلام - مما هو جبلة، أو حرمة. ثم انتقل إلى تقريره - عليه الصلاة والسلام - وأنه لا يقر أحداً على أمر غير مأذون فيه شرعاً؛ فيكون إقراره للأمر دليلاً على أنه لا حرج في فعله سواء شاهده بنفسه فسكت، أو بلغه فلم ينكره.

وما لا حرج فيه يشمل الواجب، والمندوب، والمباح. وضرب على ما مضى أمثلة، وذكر فيها أقوال أهل العلم، وتوجيههم لذلك.^(٣)

٥- انتقل بعد ذلك إلى البحث في البدعة؛ فيبين أن معناها في اللغة الأمر المحدث على غير مثال، محموداً كان الأمر أم مذموماً.

١ - انظر الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ١٢٢.

٢ - انظر المرجع السابق ص ١٢٢-١٢٣.

٣ - انظر المرجع السابق ص ١٢٢-١٣١.

وأن البدعة وردت في لسان الشرع، وأن الفقهاء ذهبوا في الحديث عنها مذهبين: ثم ذكر المذهب الأول: وهو مذهب من يتوسع في معنى البدعة؛ فيحملها على ما أُحْدِثَ بعد عهد النبوة سواء أكان ذلك راجعاً إلى العبادات أم المعاملات، وسواء أكان ذلك حسناً أم قبيحاً.^(١)

ثم ساق بعض الأقوال لمن يقول بهذا المذهب، فقال: «قال الإمام الشافعي رحمته الله: (المحدثات من الأمور ضربان: أحدهما: ما أحدث يخالف كتاباً، أو سنة، أو أثراً، أو إجماعاً، فهذه البدعة الضلالة.

والثاني: ما أحدث من الخير، وهذه محدثة غير مذمومة).

وعلى هذه الطريقة جرى عز الدين بن عبد السلام؛ إذ قسم البدعة إلى: واجبة؛ كوضع علم العربية وتعليمه، ومندوبة؛ كإقامة المدارس، ومكروهة؛ كتزويق المساجد، ومحرمة؛ كتلحين القرآن بحيث تتغير ألفاظه عن الوضع العربي، ومباحة؛ كوضع الأطعمة على الموائد ألواناً.^(٢)

ثم ذكر الشيخ الخضر المذهب الثاني: وهو مذهب من يفسر البدعة بالطريقة المخترعة على أنها من الدين وليست من الدين في شيء؛ فهي مذمومة في كل حال ولا يدخل في حقيقتها واجب، أو مندوب، أو مباح.

وأن هذا ما يريده الإمام مالك رحمته الله في قوله: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً رحمته الله خان الرسالة؛ لأن الله - تعالى - يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ المائدة: ٣».^(٣)

ثم قرر الشيخ الخضر بعد ذلك أن «أصحاب هذه الطريقة يحملون قول عمر ابن الخطاب رحمته الله في صلاة التراويح: «نعمت البدعة هذه» على معنى: البدعة في اللغة؛

١ - انظر المرجع السابق ص ١٣١-١٣٢.

٢ - انظر المرجع السابق ص ١٣٢.

٣ - المرجع السابق ص ١٣٢.

كما أن أصحاب الطريقة الأولى يذهبون في قوله ﷺ: «وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» إلى أن المراد من المحدثه والبدعة: نوع خاص من المحدثات والبدع، وهو ما كان مخالفاً للكتاب والسنة»^(١).

٦- انتقل إلى ما يراه من مفهوم البدعة؛ فقرر أن «الابتداع إما إحداث أمر في الدين غير مشروع من أصله؛ كصلاة الرغائب في رجب، وصلاة ليلة عاشوراء، وإما زيادة على أمر مشروع؛ كالذكر يقرن بالرقص في حركات متطابقة، وإما نقص من المشروع؛ كالذكر باسم مفرد في رأي من يعده بدعة؛ نظراً إلى أن الوارد إنما هو ذكر الله بلفظ مركب مفيد، وإما تحويل المشروع عن موضعه؛ كتقديم خطبة العيد على صلاته»^(٢).

٧- شرع بعد ذلك في ذكر جملة مما يدخل في قبيل البدع؛ فقال: «ويدخل في البدع: كل عمل استند صاحبه في ابتداعه إلى حديث موضوع؛ كالرقص في حال الذكر الذي يروي فيه فاعلوه حديثاً موضوعاً هو: (أن النبي ﷺ تواجد، واهتز حتى سقط الرداء عن منكبه).

أما الحديث الضعيف يدل على فضل عمل خاص فينفي عن العمل اسم البدعة، بشرط أن لا يكون ضعيفاً جداً، وأن يشهد لما رغب فيه من العمل أصل عام من أصول الشريعة»^(٣).

ويبين أن مما يدخل في قبيل البدع: «ترك المأذون فيه على وجه التدين، وتسمى: البدعة التركية، وقد سدت الشريعة الطريق دون هذه البدعة إذ هم قوم أن يقعوا في خطيئتها، فقال - تعالى - : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ المائدة: ٨٧.

١ - المرجع السابق ص ١٣٣.

٢ - المرجع السابق ص ١٣٣.

٣ - المرجع السابق ص ١٣٣.

ولم تعدم هذه البدعة بعد نزول الآية أناساً يتعلقون بها، ويحسبون أنهم يتقربون إلى الله بالتزامها، وإنما انحدروا إليها من ناحية الزهد، وللزهد مواطن لا يدخل ترك الطيبات في حدودها»^(١).

٨- انتقل إلى ذكر بعض البدع التي يقع فيها الناس؛ فذكر بدعة (المرقعات) عند الصوفية، وقد مضى الحديث عنها في المبحث الثاني من هذا الفصل عند الحديث عن التصوف.

ثم قرر أن من أقبح البدع ما يُوضع موضع سنة، فذكر مثلاً على ذلك فقال: «كالاستخارة بنحو المصحف والسبحة بدل الاستخارة الواردة في السنة التي هي صلاة ركعتين بالفاتحة، وسورتي: الكافرون، والإخلاص، ثم الدعاء «اللهم إني أستخيرك بعلمك إلخ».

ولو قال إنسان لآخر عند الملاقاة: (صباح الخير)، أو (أسعد الله صباحكم) - مثلاً - في موضع: السلام عليكم لعد صنيعه هذا من قبيل وضع المحدث مكان السنة. غير أن الفرق بين هذا المثال وما تقدمه: أن الاستخارة بنحو المصحف والسبحة ممنوعة في نفسها»^(٢).

إلى أن قال: «وأما نحو: (أسعد الله صباحكم)، فإنما ينكر حيث يوضع موضع تحية الإسلام، فلو أضيف إلى التحية الإسلامية لم يكن إضافته إليها من بأس»^(٣). ثم ضرب مثلاً من البدع التي توضع موضع السنن فقال: «ومما يفعله بعض الناس بدل حكاية الأذان والدعاء «اللهم رب هذه الدعوة التامة... إلخ»^(٤) الثابتين في الصحيح: أن يقول الشخص: (مرحبا بحبيبي وقره عيني محمد بن عبد الله ﷺ) ثم يقبل إبهاميه، ويجعلهما على عينيه.

١ - المرجع السابق ص ١٣٤.

٢ - المرجع السابق ص ١٣٤-١٣٥.

٣ - المرجع السابق ص ١٣٥.

٤ - أخرجه البخاري (٥٨٩).

ولا نعلم لهذا الذي يفعلونه من سند يوثق به حتى يصح أن يقام مقام سنة ثابتة»^(١).

٩- قرر بعد ذلك أنه «لا يدخل في البدعة ما يفتي به البالغ درجة الاجتهاد، وإن خالف الجمهور، وإنما هو رأي مرجوح، وآخر راجح، إلا أن تكون الفتوى مخالفة للنص الجلي من القرآن أو السنة، أو القواعد القاطعة، أو الإجماع؛ فإن الفتوى تكون حينئذ زلة لا يصح البقاء عليها، أو المتابعة فيها»^(٢).

ثم ذكر شاهداً على أن الأعمال التي تستند إلى آراء اجتهادية ولو كانت مرجوحة: أن الأئمة المجتهدين يرون أقوال مخالفيهم بالنسبة إلى أقوالهم مرجوحة، ولا ينسبونهم إلى ضلال، ولا ينكرون على من يقتدي بهم في المذهب.

وإجماعهم على أن حكم الحاكم يرفع الخلاف شاهد على أن المجتهد لا يرى أن العمل بقول مخالفه بدعة.

ولو كان في نظره بدعة لما أفتى بإقراره، وهو يعلم أن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.^(٣)

وضرب أمثلة على ذلك فقال: «فلا نسمي الصلاة لغير الحسوف والكسوف؛ كالزلزلة، والريح الشديدة بدعة وضلالة، وصاحبها مبتدعاً ضالاً؛ لأنها مشروعة عند بعض الأئمة، وإن كانت أدلتهم فيما نرى، أو يرى الإمام الذي تفقهنا على مذهبه واهية مرجوحة»^(٤).

١٠- حذر من التعجل إلى رمي الناس بالبدعة؛ فقرر أن هناك أقواماً: «لم يدرسوا أصول الدين، ولم يتعرفوا مقاصد الشريعة، ولمجرد ما يتلون آية أو

١ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ١٣٥.

٢ - المرجع السابق ص ١٣٥.

٣ - انظر المرجع السابق ص ١٣٥.

٤ - المرجع السابق ص ١٣٥-١٣٦.

حديثاً، ويبدو لهم - وهم أشباه العامة - أن ما يقوله الإمام فلان، أو الأئمة الأربعة مخالف للآية أو الحديث يعجلون إلى الإنكار، ولا يباليون أن يسموا العمل على ما ظهر لهم من أنه مخالف لنص الكتاب أو السنة بدعةً، وصاحبها مبتدعاً^(١).

إلى أن قال مؤكداً هذا المعنى، ومحذراً من تسويغ البدع: «وإذا كان في أشباه العامة من يقرأ الحديث في صحيح الإمام البخاري أو الإمام مسلم - مثلاً - ولا يحسن أن يتفقه فيه على مقتضى أصول الشريعة، فيخف إلى الطعن في مذاهب الأئمة حتى ينبذها بلقب البدعة - فإن في المستضعفين من أهل العلم من يعمد إلى أعمال يتدعها العامة مخالفة للنصوص الجليلة أو القواعد القطعية، فيتطلب لها مخرجاً يتغى بها مرضاتهم ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ التوبة: ٦٢»^(٢).

١١ - عاد بالحديث مرة أخرى إلى ذكر أنواع من البدع فقال: «ومن أضر البدع: ما يكون إتلافاً للمال، وإنفاقاً له في غير جدوى؛ كإيقاد الشموع على قبور الأولياء بقصد القرية.

ومن أجلها للخسار: ما يعوق عن فعل خير؛ كالاستخارات غير الشرعية، فقد يتفق لفاتح المصحف أن يقع نظره على آية فيها معنى النهي - مثلاً - فيترك الأمر، ويكون في فعله - لو استشار، أو اعتمد على الاستخارة الشرعية - خير كثير»^(٣).

ثم ذكر من تلك البدع: العلمانية، حيث عدها من قبيل البدع؛ من جهة أنها محدثة، وأنها ليست من الدين، يقول ﷺ في ذلك: «ومن أسوأ البدع: ما يضاهاه به بعض طرق المخالفين؛ كهذا الذي يدعو إليه بعض الزائغين أو المغفلين من إقامة خليفة (روحي) لا جند له ولا سلاح، ولا يملك من تنفيذ الأحكام

١ - المرجع السابق ص ١٣٦.

٢ - المرجع السابق ص ١٣٦.

٣ - المرجع السابق ص ١٣٦.

الشرعية قليلاً ولا كثيراً، يدعو إليه الزائغون؛ لأنهم يريدون اتخاذه رمزاً لفصل الدين عن السياسة، ويدعو إليه بعض المغفلين؛ لأنهم لم ينتبهوا لسريرة الزائغين، أو لما قصد الشارع في إقامة الخليفة من مصلحة اتحاد كلمة المسلمين، وتنفيذ أحكام شريعته الغراء، وإنما يتحد المسلمون تحت راية من يحترمونه؛ لعدله، وجهاده في الحق جهاداً يطمس على أثر الباطل، وإنما يقيم أحكام الشريعة على وجهها من يكون في لسانه حجة، وفي يده قوة»^(١).

ثم ختم الحديث عن ذكر أنواع من البدع بالإنكار على من يتقربون للجن، فقال: «ومن البدع التي جاء الإسلام ليقتلها من منبتها: أعمال بينها أصحابها على زعم أنها تقي من الجن، وليس بينها وبين هذه الوقاية من صلة؛ كذب حيوان، أو صنع طعام؛ باعتقاد أنه يجلب رضاهم، ويكون سبباً لدفع ضرر يتوهم أنه يجيء من ناحيتهم»^(٢).

١٢- قرر بعد ذلك أن ترك السنة لا يستدعي فعل بدعة إلا أن تترك على اعتقاد أن خير الدين تركها؛ فيكون من قبيل البدعة التركية. ويضرب لذلك مثلاً بمن يترك صلاة الجماعة؛ بدعوى أن صلاته في حال انفراد أجمع للقلب، وأدعى للخشوع.

ثم يقرر أن من ترك السنة لغرض دنيوي فإن ذلك لا يسمى لمجرد تركه السنة مبتدعاً كما اعتاد الناس ترك تسمية الرؤساء مهابة لهم، ولو حمدوا الله - تعالى - بعد العطاس.^(٣)

ثم يذكر حادثة للمأمون في ذلك، فيقول: «عطس المأمون مرة في محضر جماعة، فلم يشمته أحد، فقال لهم: لماذا لم تشمتوني؟ قالوا: هبناك، فقال: لا خير في مهابة تحرمني من رحمة الله.

١ - المرجع السابق ص ١٣٧.

٢ - المرجع السابق ص ١٣٧.

٣ - المرجع السابق ص ١٣٧-١٣٨.

وإنما أُمات هذه السنّة في مجالس الرؤساء استنكاف بعضهم من الرد على من يشمتهم، وما كان لهم أن يستنكفوا»^(١).

١٣- ختم بحثه في بيان واجب العلم في الوقوف في وجه البدع، فيقول: «وإذا كانت البدع تشوه وجه الدين الحنيف في نظر من يجهلون حقائقه، فضلاً عما تجره من المفاصد العظيمة والمآثم - فمن الواجب على أهل العلم أن يجاربوها بما استطاعوا، وعلى القوة الحاكمة أن تشد أزرهم في تغييرها.

وكثير من البدع لا تُقتلَع عروقها، ويُطمَسُ على آثارها إلا أن تتعاضد القوتان العلمية والتنفيذية على إمامتها»^(٢).

فهذا هو أهم ما ورد في ذلك البحث المستقل في البدعة.

وله - أيضاً - مقال مستقل عنوانه (البدعة) وهو بحث مختصر جداً، وأكثر ما فيه موجود في البحث السابق.^(٣)

ثانياً: دراسته الخاصة لبعض مسائل البدع

ومعنى ذلك تعرضه للبدع بالبحث العارض في غضون مناسبات وسياقات أخرى؛ بحيث لا يكون الباعث له في ذلك دراسة البدع استقلالاً، وإنما تكون تلك الدراسة داخلية ضمن موضوعات أخرى، أو أن يتناول بعض قضايا الابتداع بالبحث الخاص. وهذا كثير في آثاره، وفيما يلي بيان لما تعرض له الشيخ من قضايا حول البدعة بشيء من البسط.

١- مفهوم البدعة: حيث تعرض الشيخ لذلك في مواضع كثيرة؛ فيقرر في موضع أن البدعة هي طريقة في الدين تُخترَع؛ ليضاهى بها الطريقة الشرعية.^(٤)

١ - المرجع السابق ص ١٣٨.

٢ - المرجع السابق ص ١٣٨.

٣ - انظر السعادة العظمى ص ١٠٢-١٠٣.

٤ - انظر الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ١٦٥.

ويستند في موضع آخر إلى تحرير الشاطبي في ضابط البدعة، وهو أن يكون السبب الذي استند إليه العامل قائماً من شرع الأحكام، ويسكت عنه الشرع، ولا يقرر له حكماً.^(١)

ويسوق في موضع آخر تعريف بعض المحققين للبدعة بأنها: ما يفعله الإنسان على أنها قريبة مع عدم ثبوته عن الشارع.^(٢) ويعرف البدعة في موضع آخر فيقول: «البدعة شرعاً: إحداث أمر في الدين يشبه أن يكون منه وليس منه.

وإن شئت فقل: هي إحداث أمر على أنه قريبة، وليس بقربة».^(٣)

٢- إثباته أن صلاة التراويح ليست ببدعة: ففي بحث له عنوانه (التراويح) تطرق لبعض أحكام التراويح ثم قال: «وقد يخطر على البال: أن عمر بن الخطاب ابتدع هذه الصلاة في المساجد جماعة؛ إذ لم يكن الناس يصلونها كذلك في عهد النبي ﷺ ولا في عهد أبي بكر، ولا في صدر من خلافة عمر نفسه».^(٤)

ثم أوضح ذلك بقوله: «والحقيقة: أن ما فعله عمر من إقامة هذه الصلاة بالمساجد جماعة لا يدخل تحت اسم البدعة المذمومة شرعاً؛ فإن البدعة المذمومة هي العمل المخترع في الدين دون أن يشهد له أصل من الشريعة. وصلاة التراويح بالمساجد في جماعة يشهد للإذن فيها السنة الصحيحة، وهي: أن النبي ﷺ - كما ورد في (الصحيحين) وكتاب (الموطأ) -: صلى في المسجد ذات ليلة من رمضان، فصلى بصلاته ناس، ثم صلى ليلة القابلة، فكثرت

١ - انظر الرحلات ص ٥٥.

٢ - انظر المرجع السابق ص ٨١.

٣ - السعادة العظمى ص ١٠٢.

٤ - هدى ونور ص ٦٩-٧٠.

الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فلما أصبح قال: «قد رأيتُ الذي صنعتُم، ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أنني خشيت أن تُفرض عليكم»^(١).

وذلك في رمضان، وفي رواية مسلم: «خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل، فتعجزوا عنها»^(٢).

وفي (شرح معاني الآثار) للطحاوي: خشيت أن يكتب عليكم قيام الليل، ولو كتب عليكم، ما قمتُم به»^{(٣)(٤)}.

وقال في كتاب (الرحلات) في بيان ما جرى في درس له في المسجد الأموي: «وأورد بعض الشيوخ على هذا الحصر قول سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ في شأن صلاة التراويح: «نعمت البدعة» فقلت: ذلك الإطلاق ملاحظاً فيه المفهوم اللغوي، وهو معنى المحدث»^(٥).

٣- تعرضه لأسباب وجود البدع: وذلك في مواطن عدة من آثاره؛ حيث يذكر على رأس تلك الأسباب: الجهل.

يقول ﷺ: «فالبدع إنما دخلت في الدين على أيدي قوم لم يدرسوا سيرة النبي ﷺ دراسة تكسبهم تمييز فاسد العبادات من صحيحها»^(٦).

ويؤكد على أن التأسّي بالرسول ﷺ فيما يتقرب به إلى الخالق من العبادات - سلامة من الانحدار في البدع، أو وضع العبادة في غير وقتها، أو الوقوع في حرج التنطع في الدين»^(٧).

١ - البخاري (١٠٧٧) ومسلم (٧٦١) والموطأ (٣٧٥).

٢ - مسلم (٧٦١).

٣ - شرح معاني الآثار للطحاوي (١٩٠٢) تحقيق محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤ - هدى ونور ص ٧٠.

٥ - الرحلات ص ٨٠-٨١.

٦ - محمد رسول الله وخاتم النبيين ص ١٨٩.

٧ - انظر المرجع السابق ص ١٨٩.

ويقول في موضع آخر: «وهناك طائفة لم تفسق عن جحود وتمرد، وإنما أُتيت من قبل الجهل، وعدم صفاء البصيرة؛ فوضعت بجانب حقائق الإسلام ما يتبرأ منه الإسلام. ومن أيدي هؤلاء نزلت البدع، ومن ألسنتهم هبطت المزاعم والخرافات، ومن آرائهم دخل في الكتاب والسنة ضرب من سوء التأويل.

وحاجتنا إلى تقويم أصحاب هذه البدع تضاهي حاجتنا إلى إنقاذ النفوس الزاكية من أن تقع في حبال أولئك الذين يضلون عن سبيل الحياة الطيبة، ويغونها عوجاً»^(١).

ويذكر في موضع آخر أن من أسباب البدع تسامح بعض أهل العلم للعامة في كثير من المحدثات التي يأتونها، فيلتمس لهم العذر بأن نواياهم صالحة^(٢).
ويعلق الشيخ على ذلك بقوله: «وبما تقرر من تعريف البدعة تسقط هذه المعذرة، ويتضح أن القصد الجميل وحده لا يقرب العمل طاعة»^(٣).

ويذكر من أسباب انتشار البدع أن التعليم في المدارس في وقته «عبارة عن معلومات هزيلة لا تشبع حاجة التلميذ، ولا تتناول تفنيد الشبهات الطارئة عليه، ولا تفضح أمامه كثيراً من البدع والخرافات المحيطة من حوله»^(٤).

٤- عنايته بالتخلص من البدع: حيث كان له جهد في ذكر الأسباب المعينة على ذلك. ومن أجلى ما ورد في هذا الشأن جواب لسؤال ورد عليه في مجلة (السعادة العظمى) وعنوانه: (كيف التخلص من البدع؟).

حيث ورد إليه سؤال طويل في هذا الموضوع، فأجاب عنه بقوله: «سبيل النجاة من تلك الأحوال بالنسبة للملتبس بها هو الرجوع إلى التمسك بالكتاب والسنة، والاقتران بسيرة السلف الصالح، وكل ذلك لم يزل محفوظاً مذكوراً.

١ - الدعوة إلى الإصلاح ص ٩.

٢ - انظر الرحلات ص ٨١.

٣ - المرجع السابق ص ٨١.

٤ - الدعوة إلى الإصلاح ص ١٨٦.

أما المشاهد لها فلا يضره من ضلَّ إذا اهتدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما وجد لذلك سبيلاً»^(١).

إلى أن يقول: «وإن البدع - وإن انتشرت بيننا انتشار السنن في الصدر الأول، فباضت وفرخت في كل ناد، وهبت عواصفها في كل واد - لا يعسر اقتلاعها من حيث نبتت، وطبيها من حيث نشرت لو يقوم السادة العلماء يداً واحدة يستقصون آثارها، ويُقرطسون فيها سهام الرد والإنكار بألستهم وأقلامهم الشديدة العارضة، من غير التفات إلى تفنيد وتثريب ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ التوبة: ٦٢»^(٢).

ثم يذكر مثلاً على أن الإنكار على البدع من أهم أسباب التخلص منها، فيقول: «وقد جمَعنا في الأسبوع الفارط محفلٌ مبارك مع بعض المدرسين المحققين، فوقعت عينه على بعض محدثات مكروهة شرعاً، فأمر بإزالتها في الحال، فبادر أهل ذلك المجمع إلى امثال ما أمر به الأستاذ مع هيبة واحترام.

ومثل هذا مما ينبئك على ما قذفه الله في القلوب من الانقياد والتعظيم للعلماء العاملين، وأنهم القدوة والمثال الذي ولع الناس بتقليده»^(٣).

ويذكر من أسباب التخلص من البدع العناية بمنهج التعليم الديني في المدارس. فيقرر أن من الواجب «أن يكون في كتاب الديانة باب واسع لعلاج الشبهات التي تطرأ على التلاميذ في دينهم، وباب آخر لبيان البدع والخرافات التي يتوهم أنها من الإسلام، حتى يعلموا أن الإسلام بريء من كل بدعة، عدوٌ لكل خرافة، حرب على كل تضليل»^(٤).

١ - السعادة العظمى ص ٢٠٣.

٢ - المرجع السابق ص ٢٠٣.

٣ - المرجع السابق ص ٢٠٣.

٤ - الدعوة إلى الإصلاح ص ٢١١.

٥- إشادته بعلماء الأندلس في محاربتهم للبدع: ففي محاضرة له عنوانها: (علماء الأندلس) يقول مثنياً عليهم: «وقيام علماء الأندلس على منبعي الشريعة: التفسير، والحديث هو الذي بلغ بهم أن كانوا في طليعة من حاربوا البدع والمحدثات، فقد كتب فيها أبو بكر الطرطوشي، وأثنى أبو بكر بن العربي في مؤلفاته، وقاتلها أبو إسحاق الشاطبي في كتابي (الموافقات) و(الاعتصام) قتالاً عنيفاً»^(١).

٦- بيانه أضرار البدع: وقد مضى إشارات لذلك، فهو كثيراً ما يذكر أضرار البدع، وأنها تضعف العقيدة في نفوس أبناء المسلمين، وأنها عقبة من أصعب العقبات التي تحول بين المخالفين وبين قبولهم الحق بسهولة.^(٢)

٧- إبطاله لكثير من البدع والمحدثات: ومن ذلك زيادة على ما مضى ما يلي:
أ- النذر للأولياء: يقول ﷺ: «من المحدثات التي لم تكن في عهد النبي ﷺ ولا في عهد السلف: النذر للأولياء»^(٣).

ب- صلاة الرغائب: حيث بين بدعتها، وذكر أقوال العلماء في ذلك في أكثر من موضع.

قال ﷺ في بحثه (ليلة النصف من شعبان): «وأما الصلاة المخصوصة التي يعمد إليها بعض الناس في هذه الليلة، فقد ورد حديثها في (الإحياء) لأبي حامد الغزالي، و(قوت القلوب) لأبي طالب المكي.

ولكن جماعة من الحفاظ صرحوا بأن حديثها موضوع.

قال الحافظ ابن الجزري في (الحصن): «وأما صلاة الرغائب أول خميس من رجب، وصلاة ليلة النصف من شعبان، وصلاة ليلة القدر من رمضان - فلا تصح، وسندها موضوع باطل»^(٤).

١ - محاضرات إسلامية ص ٦.

٢ - رسائل الإصلاح ص ١٧٨.

٣ - دراسات في الشريعة الإسلامية ص ٧٥.

٤ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ١٦٣.

ثم ساق كلاماً للنووي فقال: «وقال الإمام النووي في كتاب (المجموع): الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب، وهي اثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة من رجب، وصلاة ليلة النصف من شعبان مئة ركعة.

وهاتان الصلاتان بدعتان منكرتان، ولا يغتر بذكرهما في كتاب (قوت القلوب) و(إحياء علوم الدين)، ولا بالحديث المذكور فيهما؛ فإن كل ذلك باطل، ولا يغتر ببعض من اشتبه عليه حكمهما من الأئمة، فصنف ورقات في استحبابهما؛ فإنه غلط في ذلك، وقد صنف الشيخ الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي كتاباً نفسياً في إبطالهما، فأحسن فيه وأجاد»^(١).

ثم بين الشيخ الخضر بعد ذلك أن المقصود بالليلة المباركة الواردة في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ الدخان - أنها ليلة القدر، وليست ليلة النصف من شعبان. وذكر أقوال أهل العلم في ذلك كابن العربي، وابن كثير.^(٢)

ج- الطواف بالأشجار حول القبور: قال ﷺ في حديث له عن البدعة، ومفهومها، وأن القصد الجميل وحده لا يقبل العمل طاعة، قال: «ونضرب المثل لهذا بما رأيته بعيني من بعض زائري المقام الذي اشتهر أنه يضم قبر خالد بن سنان -عليه السلام- حيث يرى الناظر أفواجاً من العامة يطوفون بشجرة جوار ذلك المقام كما يطوف الحاج ببيت الله الحرام»^(٣).

د- بدع الاستخارة: وقد مرت الإشارة إلى ذلك في المطلب الماضي، وللشيخ كذلك -كلام عن تلك البدع التي تحصل في الاستخارة في مواضع عدة. ومن ذلك ما قاله في بحثه (الرقية والاقْتباس والاستخارة والقرآن) ذاكراً بعض بدع الاستخارة: «ومنهم من يستخير بالقرآن على وجه آخر، وهو أن يفتح المصحف،

١ - المرجع السابق ص ١٦٤.

٢ - انظر المرجع السابق ص ١٦٤، وانظر كلاماً قريباً من هذا في الرحلات ص ٥٤-٥٥.

٣ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ٨١.

ويضع المفتاح بنصف المصحف، ويربطه ربطاً محكماً، ويضع جانباً من عروته على إصبعه، وجانباً على إصبع جانبه، فإن دار عن يمينه استدل به على الإذن في الفعل، وإن دار على اليسار استدل به على المنع من الفعل؛ والقرآن إنما نزل هداية»^(١).

ثم ذكر الصيغة الشرعية للاستخارة، فقال: «وقد شرع النبي ﷺ الاستخارة بصلاة ركعتين، وقراءة سورتين: الكافرون، وقل هو الله أحد، ويقول عقب الركعتين: اللهم إني أستخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله، فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، وأرضني به»^{(٢)(٣)}.

إلى أن قال: «وفي الصحيح أن جابر بن عبد الله قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن»^(٤).

وإذا استخار المؤمن الله - تعالى - في فعل أمر انشرح صدره لفعل الأمر إن كان فيه خير، فإن لم يكن فيه خير انصرف قلبه عن فعله»^(٥).

ثم أنكروا على صنيع من يعدل عن تلك الاستخارة الشرعية باستخارات بدعية، فقال: «ومن الناس من لا يستغني بالاستخارة الشرعية، فيضيف إليها استخارة منامية يقول فيها: إن كان الأمر خيراً لي في ديني ومعاشي، فأرني خضرة أو بياضاً، أو ماء جارياً، وإن كان شراً لديني ومعاشي، فأرني سواداً أو دخاناً».

١ - بلاغة القرآن ص ٦٥.

٢ - أخرجه البخاري (١١٠٩).

٣ - بلاغة القرآن ص ٦٥.

٤ - أخرجه البخاري (١١٠٩).

٥ - بلاغة القرآن ص ٦٥.

وينبغي الاستغناء بالاستخارة الشرعية عن غيرها من جميع الاستخارات التي هي مبتدعة غير مطردة»^(١).

ثم ختم بحثه ببيان بدعية الاستخارة بالسبحة، فقال: «وأذكر بهذه المناسبة استخارة السبحة؛ فإنها بدعة، لا يعول عليها في شيء خير أو شر، ولا يرتكبها إلا من لعبت به نفسه، ولا ينجح لها إلا من يجهل الاستخارة الشرعية الوحيدة.

فيجب على أبنائنا أن يدعواها، ويظهروا سيرتهم من عملها»^(٢).

وقال في موضع آخر: «ويدخل في التشاؤم الممقوت: ما أحدثه الناس من الاستخارات غير الشرعية، كالاستخارة بالسبحة، والاستخارة النامية، والاستخارة بالقرآن المجيد»^(٣).

هـ - ما يكون من بعض العامة إذا بلغ الصبي سورة البقرة: قال ﷺ في كتابه (الرحلات): «وأذكر أنني حللت ببعض البلاد، فرأيتهم إذا بلغ الصبي سورة البقرة، أحضروا بقرة، ووضعوا عليها زينة من الحلبي، وتتجول بها جماعة في الطرقات العامة، وهم يقتفون أثرها بالدفوف والأذكار، فألقيت عليهم خطبة في البدع، ونصت فيها على هذه المحدثه؛ فتلقاها الفضلاء وأهل العلم بالاستحسان؛ لأنهم يشعرون بسماجة هذه البدعة قبل أن أخطب.

وقال طائفة من العامة: لو كان هذا أمراً بدعة، لنهانا عنه الشيخ فلان، أو الشيخ فلان - رحمهما الله -»^(٤).

فهذه معالم رئيسة من مواقفه، ومواجهاته للبدع.

وبعد هذه الجولة في هذا الجهد الجبار للشيخ الخضر عن مواقفه ومواجهته للبدع والمحدثات، وشدة نكيره عليها، وتحذيره منها - يصل الحديث إلى مأخذين على الشيخ ﷺ في هذا الباب:

١ - المرجع السابق ص ٦٥-٦٦.

٢ - المرجع السابق ص ٦٦.

٣ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ١٧٨.

٤ - الرحلات ص ٨١.

المأخذ الأول: الاحتفال بالمولد النبوي.

المأخذ الثاني: الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية.

وهذان الاحتفالان من البدع المحدثه التي قرر علماء الإسلام بدعيتها.

وفيما يلي بيان لبدعية هذين الاحتفالين بشيء من الإجمال.

أولاً: الاحتفال بالمولد النبوي: وهو من أعظم المواسم المبتدعة التي يحتفل بها

كثير من المسلمين، بل هو الأصل في تلك المواسم والاحتفالات الأخرى التي تتخذ للأولياء والصالحين.

وهذه الاحتفالات ظاهرة عرفتها المجتمعات منذ زمن بعيد، ولم تكن هذه الظاهرة مقتصرة على المسلمين، بل كانت معروفة في زمن العصور المتقدمة على الإسلام؛ فكان الفراعنة، واليونان يحتفلون بالآلهة، ويجعلون عيداً لظهورها، وكذلك سائر الأديان الأخرى.^(١)

وانتقل ذلك إلى المسيحية؛ فكانوا يحتفلون بالموالد، وأهمها عندهم عيد ميلاد المسيح -عليه السلام- حيث يتخذونه عيداً، فتعطل فيه الأعمال، ويجعلونه يوم فرح وسرور، وذلك بإيقاد الشموع، وصنع الطعام، وارتكاب المنكرات العظام. ثم جاء بعض المنتسبين إلى الإسلام فأخذوا يوم مولد النبي ﷺ عيداً؛ مضاهاةً للنصارى؛ فأصبح يوم فرح وسرور وعيد يتكرر كل عام بمراسم خاصة على اختلاف وتباين بين ما يكون في تلك الاحتفالات.^(٢)

ولقد أجمع العلماء المنكرون لبدعة المولد والمؤيدون لها على أنه ﷺ لم يحتفل بمولده، ولم يأمر بذلك، ولم يحتفل به صحابته، ولا التابعون لهم، ولا تابعوا التابعين الذين هم خير القرون، وأقربهم إلى المنبع، وأحرصهم على اتباع السنة.

١ - انظر الأدب اليوناني القديم، ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي د. علي عبدالواحد وافي دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة، ص ١٣١، والأعياد وأثرها على المسلمين ص ٢٨٥.

٢ - انظر الأعياد وأثرها على المسلمين ص ٢٨٥-٢٨٦.

وهكذا مضت القرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ بالخيرية على تلك الحال من عدم الاحتفال بالمولد، بل عدم معرفتهم به.

فلما كان أواخر القرن الرابع الهجري، وقامت الدولة الفاطمية في مصر - ظهر الاحتفال بالمولد النبوي لأول مرة في تاريخ الإسلام كما ذكر ذلك المقرئ في خطه؛ حيث ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يحتفلون بها، ويتخذونها أعياداً طوال السنة يوسعون فيها على الرعية، ويعظمون فيها العطايا والبهات. وهي تربو على عشرين موسماً وعيداً، ومنها الموالد الستة التي أحدثوها وهي: مولد النبي ﷺ ومولد علي بن أبي طالب ﷺ ومولد الحسن والحسين وفاطمة -رضي الله عنهم- ومولد الخليفة الحاضر.

وكان لهذه الموالد رسوم خاصة يفعلها الخليفة، ويحتفل بها الشعب^(١).

وقد نص على ذلك القلشندي^(٢) وهو قول جماعة من المتأخرين^(٣).

وهناك قول آخر وهو أن أول من أحدث الاحتفال بالمولد النبوي هو صاحب إربل^(٤) الملك المظفر أبو سعيد كوكبري التركماني ٥٤٩هـ - ٦٣٠هـ كما نص على ذلك السيوطي^(٥).

١ - انظر الخطط القرينية، دار صاور، بيروت، ١/٤٩٠-٤٩١.

٢ - انظر صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلشندي، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٥هـ، ٣/٤٩١-٤٩٨.

٣ - انظر أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام لمحمد بخيت المطيعي طبع ونشر جمعية الأزهر العلمية بمصر، ط ١، ١٣٨٥هـ، ص ٤٤، والإبداع في قضايا الابتداع ص ٢٥٠-٢٥٨، والقول الفصل في حكم الاحتفال بغير الرسل للشيخ إسماعيل الأنصاري، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٥هـ، ص ٦٤، والأعياد وأثرها على المسلمين ص ٢٨٧.

٤ - هي مدينة من أعمال الموصل في العراق. انظر معجم البلدان ١/١٣٨.

٥ - انظر حسن المقصد في عمل المولد، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ ص ٤٢.

وقيل: إن من أول من فعل ذلك بالموصل، الشيخ عمر بن محمد الملات ٥٧٠هـ أحد الصالحين المشهورين، وبه اقتدى صاحب إربل.^(١)

وعلى كل حال فسواء كان أول من أحدث الاحتفال بالمولد: الفاطميون في القرن الرابع، أو صاحب إربل في القرن السادس أو السابع فهو بدعة، والبدعة في الدين مردودة كما نص على ذلك النبي ﷺ.^(٢)

هذا وإن صور الاحتفال بالمولد متعددة، فهي تختلف باختلاف البيئات، والبلدان، والغنى، والفقر، والقرب من السنة، والبعد عنها؛ ولهذا تنوعت صور الاحتفال ولم تكن على نمط واحد.

فمنهم من يُعدُّون في هذه المناسبة طعاماً خاصاً تجتمع الأسرة حوله، ومنهم من يحتفل بأصناف من الحلوى ذات صور مخصوصة يصنعها الباعة لتلك المناسبة.

ومنهم من يجتمعون حول المنشدين؛ ليسمعوهم قصة المولد الشريف، وهذه الصفة هي السائدة في المجتمع الإسلامي اليوم.

وقد يتخلل بعض الموالد بدع ومنكرات أخرى من غلو، وإطراء، وتوسل بالنبي ﷺ. كما يتخللها اختلاط، وتبرج، وانتهاك حرمة المساجد، وغناء، ورقص، واستعمال لأدوات الطرب، وقراءة للقرآن على غير الوجه المشروع إلى غير ذلك من المنكرات.^(٣) وهذه الأفعال لا تَطْرُدُ في كل مولد، بل يختلف الأمر من بلد إلى بلد، ومن جماعة إلى أخرى حسب قوة العلم، والدعوة.

وأخف تلك الاحتفالات: هي ما تكون اجتماعاً في مكان ما، ويتخلله كلمة في أي ناحية من نواحي السيرة، حيث يلقيها عالم، أو داعية، أو محاضر.

١ - انظر الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة، تقديم وتعليق وتحقيق عثمان أحمد عنبر، دار الهدى، ط ١، ١٣٩٨هـ ص ٢٣-٢٤، والتبرك أنواعه وأحكامه د. ناصر بن عبدالرحمن الجديع، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٥، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٣٦٠-٣٦١.

٢ - انظر الأعياد وأثرها على المسلمين ص ٢٨٩.

٣ - انظر الأعياد وأثرها على المسلمين ص ٢٩٠-٢٩٦ و ٢٩٧، والتبرك أنواعه وأحكامه

وهذا ما كان من شأن الاحتفالات التي يشارك فيها الشيخ الخضر رحمته الله حيث لا يكون فيها أي منكر من المنكرات السابقة، وإنما هي على نحو الصورة المذكورة، ويلقي خلالها كلمة في السيرة دون أن تشمل على أي توسل، أو إطراء، أو نحو ذلك. وكلماته في تلك الموالد كثيرة جداً، وهي مبثوثة في تضايف كتبه، وجلها في كتابه (محمد رسول الله وخاتم النبيين) وقد مضى عرض لذلك الكتاب في الباب الأول.

فلم يكن - إذاً - مما يعكر صفو ذلك الاجتماع، ونقاء تلك الكلمات النيرات سوى أنها خصصت في يوم المولد، وهذا التخصيص كافٍ ببدعية ذلك الاحتفال. وعلى كل حال فالاحتفال بالمولد النبوي بدعة تتفاوت درجاتها بحسب ما يكون فيها من بعد عن السنة وقرب منها، وبحسب ما يصاحبها من المنكرات ونحو ذلك. ويعتذر للشيخ رحمته الله بأنه كغيره ممن اعتمدوا على شبه ظنوا أنها تشير وتدعو إلى جواز الاحتفال بهذه البدعة، خصوصاً وأن احتفاله بالمولد - على نحو ما ذكر - ليس كبقية الاحتفالات التي يصاحبها المنكرات العظيمة زيادة على بدعتها.

وبالجملة فالكلام على المولد، وبدعيته، ومنكراته، وشبه القائلين به، والرد عليهم في ذلك - يطول، والمقام لا يتسع للبسط، وإنما هو إشارة إلى أن ذلك الاحتفال مما يؤخذ على الشيخ، ولا يغض من شأنه، ولا ينزل من عظم الجهد الذي قام به في محاربة البدع والتحذير منها.^(١)

ثانياً الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية: وهو ما يكون في آخر يوم من السنة الماضية، وأول يوم في السنة الهجرة الجديدة.

وصفة الاحتفال به تكون بإقامة الخطب، والمحاضرات، وعقد الندوات، والتحدث عن هجرته رحمته الله واتخاذ يوم إجازة في بعض البلدان الإسلامية، وتبادل التهاني بتلك السنة.

١ - انظر تفصيل الحديث عن المولد النبوي، وحكمه، وشبهات القائلين به، والرد عليهم في: الأعياد وأثرها على المسلمين ص ٢٨٥-٣٤٣، والتبرك أنواعه وأحكامه ص ٣٦٢-٣٦٥.

ولم يقتصر الاحتفال به على هذا النحو، بل اخترع بعض المبتدعة؛ ليعظمه دعاء يُعرف بدعاء ليلتي أول العام وآخره، ورتبوا على ذلك الأجر العظيم، والحفظ من الشيطان.^(١)

فمما جاء في دعاء أول السنة قولهم: «اللهم أنت الأبدى القديم الأول، وعلى فضلك القديم وجودك المعول، وهذا عام جديد قد أقبل نسألك العصمة من الشيطان وأوليائه، والعون على هذه النفس الأمارة بالسوء، والاشتغال بما يقربني إليك زلفى، يا ذا الجلال والإكرام يا أرحم الراحمين».

يقول ذلك «ثلاثاً» صلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

ويزعمون أن من دعا بهذا الدعاء أول يوم من المحرم فإن الشيطان يقول: «استأمن على نفسه فيما بقي من عمره؛ لأن الله يوكل به ملكين يحرسانه من الشيطان».^(٢)

أما دعاء آخر السنة فهو: «اللهم ما عملت في هذه السنة مما نهيتني عنه فلم أتب، ولم ترضه، ولم تنسه، وحلمت عليّ بعد قدرتك على عقوبتي ودعوتني إلى التوبة منه بعد جرأتي على معصيتك - فإني أستغفرك فاغفر لي... الخ».

ويقولون بزعمهم أن من قرأ هذا الدعاء ثلاث مرات فإن الشيطان يقول تعبنا معه طول السنة فأفسد علينا تعبنا في ساعة واحدة.^(٣)

كما استندوا في تعظيم هذين اليومين إلى حديث موضوع لا يصح عن رسول الله ﷺ وهو: «من صام آخر يوم من ذي الحجة، وأول يوم من المحرم فقد ختم السنة الماضية، وافتتح السنة المستقبلية بصوم جعله الله كفارة خمسين سنة».^(٤)

١ - انظر الأعياد وأثرها على المسلمين ص ٣٩٣.

٢ - انظر هامش دلائل الخيرات للجزولي، دار إحياء الكتب العربية، لصاحبها عيسى الحلبي وشركاه ص ٢٣٧-٢٣٨.

٣ - المرجع السابق ص ٢٤٢-٢٤٣.

٤ - الموضوعات لابن الجوزي ١٩٩/٢.

ولا ريب أن هذا الاحتفال أمر محدث مبتدع لم يؤثر عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه، ولا سلف الأمة، ولم يكن من السنة اتخاذاً يوم من الحوادث أعياداً وأفراحاً. وإنما كان من اختراع ناصرى البدع من ملوك الدولة الفاطمية، وقد مرت الإشارة في الفقرة الماضية إلى شيء من ذلك.

ومما يدل على بطلانه ما اخترعوا له من الأدعية المكذوبة التي رتبوا عليها الثواب الجزيل - كما مر - مما جراً بعض الجهلة إلى ترك الفرائض طوال السنة حتى إذا جاء ذلك اليوم، ودعا بذلك الدعاء كان - كما يظن - تكفيراً لجميع الخطايا التي ارتكبتها طيلة السنة.

وهذا - ولا ريب - ضلال عظيم، وفساد كبير.^(١)

والشيخ الخضر رحمته الله لم يكن من هذا الصنف الذي يسوق تلك الأحاديث الموضوعة في فضل أواخر العام وأوله، ولم يكن محبوه ومرتادو ناديه من ذلك النوع الذي يتكئ على فضائل ذلك الاحتفال.

وإنما كانوا يقيمون ذلك الاحتفال على سبيل العادة في مساء نهاية العام في جمعية الهداية الإسلامية، ويفتح ذلك الاحتفال بكلمة حول الهجرة، ويأخذ منها مأخذاً للعبرة، ويتطرق من خلالها إلى أحوال المسلمين المعاصرة، ويربطها بالسيرة النبوية، ثم يتبادل الحاضرون أطراف الحديث، ثم ينفض سامرهم وهكذا..^(٢)

ومهما يكُ من شيء فإن تخصيص تلك الليلة بالاحتفال أمر مبتدع - كما مر - والبدعة تخفُّ وتغلظُ بحسب ما يكتنفها من زيادة المنكرات وقلتها.

وما من ريب أن صنيع الشيخ في الاحتفال بذكرى الهجرة أخف ما يكون في تلك الاحتفالات؛ كيف لا، والشيخ - كما تكرر الحديث مراراً - من أعظم العلماء المجاهدين في محاربة البدع، الداعين إلى نفيها عن مجتمعات المسلمين. وبهذا ينتهي الحديث عن مواجهة الشيخ الخضر للبدع.

١ - انظر الأعياد وأثرها على المسلمين ص ٣٩٥، وانظر التبرك أنواعه وأحكامه ص ٣٧٨-٣٨٠.

٢ - انظر الهداية الإسلامية ص ٢٧٨-٢٧٩.

المبحث الخامس: مواجهته للإلحاد

الإلحاد ظاهرة خطيرة قديمة حديثة، وتلك الظاهرة تنافي الإيمان بالله، وتعارضه معارضة كلية.

والمقصود بالإلحاد ههنا: الكفرُ بالله، والميلُ عن طريق أهل الإيمان والرشد، والتكذيبُ بالبعثِ والجنةِ والنارِ، وتكذيبُ الرسلِ، وإنكارُ الرب - جل وعلا - وتكريسُ الحياة كلها للدنيا فقط.^(١)

والإلحاد ظاهرة عالمية؛ فالعالم الغربي في أوروبا وأمريكا - وإن كان وارثاً في الظاهر للعقيدة النصرانية التي تؤمن بالبعث والجنة والنار - هو في الأغلب قد ترك هذه العقيدة، وأصبح إيمان الناس هناك بالحياة الدنيا فحسب، وأصبحت الكنيسة مجرد تراثٍ تافهٍ جداً، وصار الإلحاد هو الدين الرسمي المنصوص عليه في كل دساتير البلدان الأوروبية والأمريكية، ويعبر عن ذلك بالعلمانية تارة، وباللادينية تارة أخرى.

أما في الشرق فقد قامت أكبر دولة على الإلحاد، وهي الدولة الروسية، التي تحمل العقيدة الشيوعية، وتتضمن بنودها رفض الغيب، والنظر إلى الحياة كلها من منظورٍ ماديٍّ بحت.

ولقد انتشر الإلحاد، ومدَّ رواقه في كثير من بلدان العالم.

وقبل ما يزيد على مائتي عام لم تكن مشكلة الإلحاد بهذه الحدة، والانتشار، ولكن ظهر في القرنين الأخيرين أسباب عدة مكنت للإلحاد.

ويأتي على رأس تلك الأسباب - بإيجاز - الطغيانُ الكنسي، ومظالم النظام الرأسمالي، وكثرة المشكلات في المجتمع الأوربي، وأقول شمس الإسلام في أوروبا،

١ - انظر الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ص ٨-٩.

وكثرة الاتجاهات والنظريات، والاستعمار وما خلفه من دمار، والمكر اليهودي على العالم، والانقلاب الصناعي، وما يقوم به الملاحدة - وخصوصاً الشيوعيين - من بحث علمي جاد مستند على أدلة مغرية تقول: إن الدين خرافة. ثم انتقل الإلحاد إلى بلاد المسلمين لأسباب كثيرة منها: انحراف كثير من المسلمين عن دينهم، وتركيز الغرب على إفساد التعليم والإعلام والمرأة، وانتشار المذاهب الهدامة، والاستعمار الذي جثم على كثير من بلاد المسلمين.^(١) ولقد كان الإلحاد يعيش أوجه في مطلع القرن العشرين الميلادي الذي عاش فيه الشيخ الخضر؛ فكان رحمته الله ممن عاصر تلك الفترة، فكان له صولات وجولات في مواجهة الإلحاد.

ولقد مرت إشارات عدة من هذا البحث إلى مواجهات الشيخ لتلك الظاهرة، والحديث في هذا البحث بسط لتلك المواجهات؛ فالشيخ الخضر تناول ظاهرة الإلحاد بالبحث المستقل، وبالرد على من يسوغ الإلحاد، كما تناول بعض قضايا الإلحاد التي تمر في غضون أبحاث في موضوعات أخرى.

وبَسَطُ ذلك يتبين من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: دراسته ظاهرة الإلحاد

المطلب الثاني: دراسته لبعض قضايا الإلحاد

المطلب الثالث: ردوده على من يُسَوِّغُ الإلحاد

١ - انظر المرجع السابق، ص ١٠-١٨، وانظر كتاب: بعض أسباب الإلحاد وأثر الإيمان بالله تعالى، للدكتور عبد الحليم أحمد، وانظر: نقد أصول الشيوعية، للشيخ صالح بن سعد اللحيدان، مكتبة الحرمين، ط ٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص ٤٠، والشيوعية خلاصة ضروب الكفر والموبقات، لأحمد عبد الغفور عطار، ص ٣١-٣٢، وحكم الاشتراكية في الإسلام، للشيخ عبد العزيز البدر، ص ٥٨.

المطلب الأول: دراسته ظاهرة الإلحاد

والمقصود من ذلك تناوله لظاهرة الإلحاد بالدراسة المستقلة المقصودة لذاتها. وأجلى ما في هذا الشأن وأهم ما جاء فيه بحثه المعنون بـ:

الإلحاد أسبابه - طبائعه - مفسده - أسباب ظهوره - علاجه

وهو بحث منشور في (مجلة الهداية الإسلامية) الجزء الثاني من المجلد الحادي عشر، الصادر في شهر شعبان ١٣٥٧هـ، ويوجد ضمن كتاب (رسائل الإصلاح) وقد خرج في كتيب مستقل - كما مرت الإشارة إلى ذلك في الباب الأول - وقد اشتمل على دراسة هذه الظاهرة بأسلوب شائق شامل مُحكم.

وفيما يلي عرض لما جاء في ذلك البحث:

أولاً: استهل الشيخ البحث بتقسيم الملاحظة: وذلك من حيث إظهار إلحادهم، وإخفائه، فقسمهم إلى قسمين، فقال: «في الناس مَنْ يضع إلحاده على طرف لسانه، أو على ظاهر يده، فيريك ما في صدره.

وهذا قد جعلك في حلٍّ من أن تسميه ملحداً، ولم يُحوجك إلى أن تنبه الناس لضلاله، أو تنصح لهم بالاحتراس من أقواله، إلا أن تعمد إلى ما يطعن به في الدين، فتكشف عن وجوه فساده، وتدفعه بالحجة»^(١).

ثم ذكر القسم الثاني فقال: «وفي الناس من يحمل في نفسه إلحاداً في الدين، وبُغضاً للشريعة، وإذا جلس إلى المؤمنين حاول أن يضع بينهم وبين ما في نفسه حجاباً مستوراً.

وإنما ينطلق بآرائه الزائغة حين يخلو بنفوس تَلدُّ ما تَلدُّ نفسه من الطعن في وجود الإله الحق، أو في صدق النبوة وحكمة التشريع»^(٢).

ثانياً: تعرض بعد ذلك لأسباب الإلحاد، فذكر ما يلي منها:

١ - رسائل الإصلاح ص ١٧.

٢ - المرجع السابق ص ١٧.

- ١- النشأة في بيت خال من آداب الإسلام ومبادئ هدايته.
 - ٢- اتصال الفتى الضعيف النفس بملحد يكون أقوى منه نفساً، وأبرع لساناً؛ فيأخذه ببراعته إلى سوء العقيدة، ويفسد عليه أمر دينه.
 - ٣- قراءة الناشئ مؤلفات الملحد التي يدسون فيها سموماً من الشبه تحت ألفاظ منمقة، فتضعف نفسه أمامها؛ فلا يلبث أن يدخل في زمرة الملاحدة.
 - ٤- غلبة الشهوات على نفس الرجل؛ فتربه أن المصلحة في إباحتها، وأن تحريم الشرع لها خالٍ من كل حكمة، فيخرج من هذا الباب إلى إباحية وجحود.^(١)
- ثالثاً: انتقل إلى بيان طبائع الإلحاد والملاحدة: يقول ﷺ في ذلك: «سأقتني صروف الليالي إلى ملاقة طائفة من الملاحدة في تونس، وفي الآستانة، وفي الشام، وفي ألمانيا، وفي مصر، فرأيت هذه الطوائف تتشابه في أمور يبعد أن يكون تواردهم عليها من قبيل المصادفة، وإنما هي طبائع لما تواطأت عليه قلوبهم من جحود لآيات الله، وإنكار لدينه الحنيف».^(٢)
- ثم شرع في الحديث عن شيء من هذه الطبائع التي لا تجتمع في شخص إلا أن يكون قلبه مصاباً بعلّة الجحود - كما يقول - فذكر من تلك الطبائع والعلامات ما يلي:
- ١- فرحهم بتهمة عالم كبير بالإلحاد: والمثير لهذا الفرح حرصهم على ألا ينسب إلى الدين من ظهرت له أثاره من علم أو فكر.
 - ٢- استهزاؤهم بالدين: وربما كان ذلك بمحض بعض المؤمنين بزعم أنهم مازحون غير جادين.
 - ٣- اتهامكهم بالفسوق: فمجالسهم قائمة على شرب الخمر، وما يتبعها من خبائث.
- ومن تظاهر منهم بالرزانة وحسن السميت فبمقدار، وإلى وقت.

١ - المرجع السابق ص ١٧-١٨.

٢ - المرجع السابق ص ١٨.

- ٤- تناقضهم بالأقوال: وانظروا إلى ما يكتبه بعض الملاحدة في الاجتماع أو السياسة تجدوه متخاذلاً يلعن بعضه بعضاً.
- ٥ - إنكارهم المعجزات الكونية، وإلقاؤهم الشبه حولها.
- ٦- دسهم في الشريعة ما ينافي حكمتها، وإنكارهم العمل بالحديث الشريف، وتأويلهم القرآن على حسب أهوائهم.^(١)
- ٧- صداقتهم للمجاهرين بالجحود.
- ٨- إلحاحهم في الدعوة إلى حرية الرأي في الدين؛ لتجد دعوتهم المعادية للدين سعةً. ومن ملك من هؤلاء قوةً استعملها في اضطهاد رجال الدين المستقيمين، وسد باب الحرية في وجوههم؛ فإن لم يفعل ذلك على طريقة مكشوفة فعله من طرق ملتوية.
- ٩- دعوتهم إلى الإلحاد: ففي الملاحدة من يعجز أن يكون داعية إلى الإلحاد، فيكتفي بأن يطلق لنفسه العنان في الإباحية.
- ومنهم من يدفعه بغضُ الدين إلى أن يعمل بلسانه أو بقلمه لهدم أصوله، والصد عن سبيله.
- ولهم في ذلك طرق يأتمرون لتديريها.^(٢)
- فهذه خلاصة طبائع الإلحاد والملاحدة - كما يراها..
- رابعاً: انتقل إلى بيان مفاصد الإلحاد الاجتماعية: فقرر أن «الملحد لا يحافظ على عرضٍ أحد، ولا على ماله، ولا على حُرمةٍ إلا أن يعجز عن الوصول إلى شيء من ذلك.
- ومتى ساعدته الفرصة، وظن أنه بآمن من العقوبة عاث في الأعراض والأموال غير متحرج من انتهاك حرمتها.
- وقد يقع انتهاك الأعراض ونحوها من غير الملحد بدافع الشهوة، أما الملحد، فإنه يأتيها مستباحاً لها.

١ - المرجع السابق ص ١٨-٢١.

٢ - انظر المرجع السابق ص ٢١-٢٣.

وضرر الطائفة التي ترتكب الفسوق مستيحية له أشد من ضرر من يفعله معتقداً أنه يأتي أمراً محرماً»^(١).

كما قرر أن الملحد لا يكف نفسه عن الهوى إلا أن يخاف ألماً يأتيه من الناس أكبر من ذلك الهوى.

وأضاف أنك «إذا وجدت في زائغي العقيدة من يتحدث عن الأخلاق، ويوهم الناس أن الأخلاق تكفي في استقامة السيرة والاحتفاظ بالعفاف - فإن ذلك كله رياء ونفاق.

نعم للأخلاق أثر في تقليل الشر، ولكنها لا تأتي بأثر عظيم في انتظام حال الاجتماع إلا حينما تسير تحت مراقبة عقيدة دينية ثابتة»^(٢).

خامساً: تطرق إلى أسباب ظهور الإلحاد: فقرر أن الملاحظة لم يكونوا في السابق يعلنون إلحادهم؛ فكان الإلحاد في العصور الماضية لا يتجاوز نغماً قليلاً يعرفهم الناس في لحن أقوالهم، وبانهماكهم في الفجور، وقضاء أوقاتهم في المجون. أما اليوم فقد ظهر الإلحاد، ورفع رأسه، وتجاوز المجالس الخاصة إلى الصحف والمؤلفات.^(٣)

ثم ذكر أن لذلك الظهور أربعة أسباب، ثم شرع في بيانها فقال: «أحدها: أن بعض الحكومات صارت تضع قوانينها الدستورية في عبارات لا يرى فيها الملحد قيدا يكفه عن إعلان إلحاده، أو الدعوة إليه كما يشاء.

ثانيها: أن كثيراً من المنتمين إلى علوم الشريعة فرطوا في جانب الغيرة على الحق، فتراهم يوادون من يصفهم الناس بالإلحاد، ويتملقونهم بالإطراء، ويشهدون لهم بالإخلاص للدين، يفعلون هذا رجاء متاع الحياة الدنيا، وهم يعلمون أنهم إنما يمدحون طائفة تفسد على الأمة أمر دينها وأخلاقها.

١ - المرجع السابق ص ٢٣.

٢ - المرجع السابق ص ٢٣-٢٤.

٣ - انظر المرجع السابق ص ٢٤.

ثالثها: أن بعض الحكومات الإسلامية ترفع إلى مناصبها العالية من لم يتلقوا من علوم الدين ما يميزون به المفسد من المصلح؛ فيجد الجاحدون لديهم خطوة، ولو مع إعلانهم الإلحاد، وجراءتهم على الطعن في الشريعة الغراء.

وإقبال كبراء الدولة على الملحد وتمكينه من المناصب التي يتخذها وسيلة لنفث سموم إلحاده - قد يكون مشجعاً لغيره من زائغي العقيدة على أن يجهروا بزيفهم، ويدعوا إليه وهم آمنون.

رابعها: أن بعض الملاحدة دخلوا في الحركات الوطنية، وتظاهروا بالغيرة على الوطن؛ فانخدع بهم الناس حتى خلعوا عليهم بلقب الزعامة، فأخذ هؤلاء الزعماء الملاحدة يعملون لنشر الإلحاد بين من يتصل بهم من الشبان»^(١).

سادساً: ختم البحث في بيان كيفية علاج الإلحاد: فقال في ذلك: «متى قيضَ الله للحكومات الإسلامية رجالاً يقدرون فضلَ الدين في إصلاح حال الأفراد والجماعات، وفضله في إخراج رجال يطمحون إلى العزة، ويقتحمون كل ما يعترضهم في سبيلها من عقبات، وفضله في بسط الأمن في البلاد، متى قدر أولو الأمر فضل الدين، ومتى تضافر علماء الشريعة على الدعوة إلى الحق بحكمة، وعلى مكافحة الزائغين بالحجة - طهرت الأمة من خبث الإلحاد، وبلغت أقصى غايات المجد والفلاح»^(٢).

فهذه هي أهم المعالم التي وردت في ذلك البحث، الذي أفرده الشيخ في الإلحاد.

١ - المرجع السابق ص ٢٤-٢٥.

٢ - المرجع السابق ص ٢٥.

المطلب الثاني: دراسته لبعض قضايا الإلحاد

المقصود من هذا المطلب ما يكون من دراسة الشيخ الخضر لبعض قضايا الإلحاد، أو تناوله له في غضون بحثه في موضوعات أخرى؛ بحيث يمر من خلالها بالإلحاد عرضاً دون أن يكون قاصداً له بالدراسة والبحث بمفرده.

وهذا كثير جداً، وقد مرت إشارات عدة إلى شيء من ذلك.

وفيما يلي بيان لما تناوله من هذا النوع من الدراسة والمواجهة بشيء من البسط. أولاً: الملاحظة وسبب إلحادهم: ففي بحث له عنوانه (الدعوة القائمة على حق) تعرض لمنكري الإسلام، ومحاربيه؛ فبين أنهم طائفتان: طائفة الباطنية، وهم من يظهرون الإسلام، ويخفون الكفر.

والملاحظة: وهم من ينكرون حقائق الإسلام من أصلها.

وقلتهم وكثرتهم بحسب ما يلقون من الرد عليهم، وإنكار ما يعتبر إنكاره.^(١) وقال بعد ذلك: «وأما سبب باطنية هؤلاء، وإلحاد هؤلاء فملاكه الجهل بحقائق الدين، وتقليد غير المسلمين في بعض عقائدهم، أو تقليد ما يرمون به الإسلام من الأوهام الناشئة عن سوء العقيدة».^(٢)

ثم شرع بعد ذلك بضرب الأمثلة على ما ذكره من أسباب الإلحاد.

ثانياً: تأكيد على أن العلم المادي لا يشد أزر الإلحاد؛ إذ كان كثير من الملاحظة يتكئ على أن العلم المادي يثبت بطلان الدين، وينكر وجود الإله؛ فبين الشيخ أن الأمر بخلاف ذلك، يقول ﷺ في بحث له عنوانه: (الإسلام والعلم): «ومن الظن الخاطئ ما تخطه بعض الأقلام من أن هذه العلوم المادية قد تشد أزر الإلحاد، وتجعله يظهر على دين كدين الإسلام؛ فإن النظر الصحيح في هذه العلوم لم يأت بما يؤزر الإلحاد، وليس في نصوص الدين الإسلامي وأصوله ما يتعارض مع العلم الصحيح حتى يستطيع الإلحاد أن يتخذ منه قوة.

١ - انظر دراسات في الشريعة الإسلامية ص ١٢٢-١٢٣.

٢ - المرجع السابق ص ١٢٣.

وإنما الآراء التي تدفعها الحجة قد تقع في يد مَنْ لا يحسن نقدها، ولا يميز رأسها من عقبها؛ فيعارض بها آية من كتاب الله، أو حديثاً صح عن رسول الله ﷺ ويذهب في الحيرة أو الضلالة إلى مكان بعيد.

وقد تكون آفة الرجل من عدم تَفَقُّهه في الدين، وتَحْيُلِه أن معنى الآية أو الحديث يخالف ما أثبتته العلم الصحيح»^(١).

ثالثاً: تصنيفه للملاحدة: ففي مقال له عنوانه: (إلى شباب محمد ﷺ أيها الشباب الناهضون) يقرر أنه «ليس من العجب أن يلحد أبناؤنا الذين نشؤوا في بيئات لا تعرف من الدين إلا اسمه، ولم يلاقوا إلا النفر الذين تصدوا لمحاربة الدين بجهالة أو بسوء قصد.

وإنما العجب أن تجد الإلحاد والإباحية في نفر نشؤوا في معاهد إسلامية، ولكنهم يتسترون بتأويل القرآن المجيد، والحديث النبوي الشريف تأويلاً لو سلكناه في تأويل كلام أحدهم لغضب منه، وعده رمياً له بالعي، أو العبث بأوضاع اللغة العربية»^(٢). ثم يخلص من ذلك إلى أن الزائغين عن الرشد في أوطان المسلمين من الملاحدة صنفان:

١- صنف نشؤوا في بيئات شأنها الطعن في الدين، ولا عمل لها إلا إيراد الشبه مجردة من الحجج التي تدفعها، وتقر الحقائق في مواضعها.

٢- صنف نشؤوا في معاهد إسلامية، ولكنهم لم يدرسوا الدين دراسة جد وتحقق تجعلهم في حصانه من أن تأخذهم الشبه، وتخدعهم زخارف الحياة، ولم يملكو من خشية الله - تعالى - ما يمنعهم أن يقولوا على الله غير الحق.^(٣)

ثم يقرر أن تقويم الصنف الأول من الملاحدة أيسر من تقويم الصنف الثاني؛ إذ الصنف الأول قد يجلس إليك بصفتك داعياً إلى الإصلاح؛ فيصغي إليك عندما تتصدى

١ - الدعوة إلى الإصلاح ص ٨٣-٨٤.

٢ - المرجع السابق ص ١٢٤.

٣ - المرجع السابق ص ١٢٤.

لدفع شبهة، وإقامة حجة، فإذا بَصُرَ بالشبهة ذهبت، وبالْحِجَّة أضاءت - لم يلبث أن يجيب دعوتك متأسفاً عما سبق له من الغواية، مغتبطاً بما وفقه الله إليه من هداية.^(١)

ثم يذكر الصنف الثاني فيقول: «أما الصنف الثاني، وهم الذين يلحدون بعد قطع مراحل من التعليم الديني؛ ففي دعوتهم من ظلمات الزيغ إلى نور الرشد عُسر؛ إذ يُخَيَّل إليهم أنهم عرفوا ما يعرفه الدعاة، ولم يجدوه موصلاً إلى حق.

وهذا التخيل يصددهم عن الإصغاء إلى الدعوة، وإذا أصغوا إليها فإنما يقصدون في غالب أمرهم استكشاف موضع ضعفٍ يهاجمونها منه».^(٢)

ثم يبين سبب خطورة الصنف الثاني فيقول: «وهذا الصنف أشد ضرراً على الأمة من الصنف الأول؛ إذ الصنف الأول قد يكون إلحاده مقصوداً عليه، وإن قام بدعاية إلى الإلحاد فإن الناس لا يستمعون إليه؛ إذ هو محمول على الجهل بحقائق الدين وأصوله. أما ذلك الذي يخرج لهم في زي رجال الدين، أو يذكر أنه درس الدين حتى انتهى إلى غاية بعيدة - فكثيراً ما يغرّ الغافلين من الشباب أو العامة؛ إذ يسبق إلى أذهانهم أنه يتكلم على بينة، ولا ينتبهون لما يحمل في صدره من زيغ، ولا لما يضمّر في نفسه من أغراض دنيئة».^(٣)

رابعاً: أساليب الملاحدة: ففي كتاب (نقض كتاب في الشعر الجاهلي) يذكر أن القرامطة طائفة من المجوس، وأن لهم في الدعوة مراتب؛ حيث يتفرسون في حال المدعو هل هو قابل للدعوة أو لا؟ ثم استمالة كل واحد بما يميل إليه من زهد وخلاعة، ثم التشكيك بأركان الشريعة^(٤).

١ - المرجع السابق ص ١٢٤.

٢ - المرجع السابق ص ١٢٥.

٣ - المرجع السابق ص ١٢٥.

٤ - انظر القرامطة لابن الجوزي، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، ص ٥١-٥٢، والإفحام لأفئدة الباطنية الطغام، تأليف يحيى بن حمزة العلوي، حققه فيصل بدير عون، راجعه علي سامي النشار، الناشر: منشأة المعارف، الإسكندرية، ص ١٧-١٩.

وبعد أن قرر ذلك قال: «ويحاكيهم في هذا أولياؤهم من ملاحدة هذا العصر؛ فإنهم يختبرون حال المدعو، فإن أنسوا منه جهالة أو غباوة عرضوه على شيء من هذه الكتب التي تلبس حق الإسلام بالباطل، والتي اغترف منها المؤلف في هذا الكتاب غرقات، ثم يأخذونه بالتأنيس، ويستميلونه بما تهوى نفسه من متاع هذه الحياة. وتلجأ هذه الفئة أيضاً إلى التشكيك في أركان الشريعة، وتحاول بكل صفاقة أن تحرفّ الكلم عن مواضعه».^(١)

ثم ينبه على أن هناك فرقاً بين هؤلاء وأولئك؛ فهو يرى أن القدماء لم يجدوا في الإلحاد منافع مادية تحمّلهم على التضامن والصدق في الزندقة.^(٢) خامساً: موقف الإسلام من الإلحاد: فلقد عني الشيخ بهذا الأمر عناية كبرى، فأولاه اهتمامه، وتعرض له في مناسبات عدة.

ومن أجلى ما في ذلك ما جاء في مقابلتين صحفيتين أجريتا معه، الأولى وعنوانها: (موقف الإسلام من الإلحاد والمذاهب الهدامة) وقد أجرتها مجلة الصداقة التي تظهر بالقاهرة، ونشرتها - أيضاً - جريدة الأسبوع التونسية العدد ٣٣٣ لعام ١٩٥٣م.

والثانية وعنوانها: (موقف الإسلام من الشيوعية) وقد أجرتها معه جريدة (الأهرام) المصرية العدد ٢٤١١٨ في ٢٥/١١/١٩٥٢م، ونشرتها مجلة (الأزهر) الجزء الرابع، المجلد الرابع غرة ربيع الأول ١٣٧٢هـ ديسمبر كانون الأول ١٩٥٢م.

وكان ذلك الوقت وقت أوج الإلحاد، وبريق الشيوعية. وقد بين في المقابلة الأولى خطورة الإلحاد، ومحاربة الإسلام له في جميع صورته، وأن الإلحاد لو ساد جماعة من الجماعات لتغير نظامها من استقرار إلى اضطراب، وجعلها أقرب ما تكون إلى الهدم منها إلى البناء، وأميل إلى الحرب منها إلى السلام.^(٣)

١ - نقض كتاب في الشعر الجاهلي ص ٣٢٨-٣٢٩.

٢ - انظر المرجع السابق ص ٣٢٩.

٣ - انظر أحاديث في رحاب الأزهر ص ١٧٣.

كما بين خطر حامية الإلحاد - الشيوعية - وأنها تقوم على محاربة الأديان وتمكين النزعة المادية وحدها في توجيه الناس، وتدعو من جانب آخر إلى تفويض كثير من تعاليم الإسلام سواء أكانت في دائرة الأسرة، أو في معاملة الأفراد بعضهم ببعض، أو في مجال الحرية الفردية.

وقرر أن الإسلام إذا حارب النزعة المادية سواء أكان في الاتجاه الإلحادي أو في المذهب الشيوعي - فإنه ينشد عن سعادة الأفراد وسعادة الجماعات والشعوب، كما يرى أن يجعل من الجزاء الأخروي جزاءً له قيمته في نظر الناس يفوق الجزء المادي.^(١)

وبين أن «الأزهر بعنايته بنشر الإسلام والثقافة الإسلامية يبغى مكافحة سيطرة النزعة المادية والإلحادية، ويرغب رغبة أكيدة في أن يكون للجانب الروحي مكانه في توجيه الإنسان؛ إذ الإنسان في نظر الإسلام ليس مادة جسمية فقط، وإنما هو روح قبل كل شيء يتصل بها هذا الجسم المادي».^(٢)

ثم أفاض في الحديث عن مسؤولية الأزهر في حرب الإلحاد، ونشر تعاليم الإسلام، وإعطاء الناس صورةً صحيحةً سليمةً عنه.

كما أن له كلاماً قريباً من ذلك في المقابلة الثانية (موقف الإسلام من الشيوعية). وزاد في تلك المقابلة في التفصيل عن أضرار الشيوعية، ومناقضتها للضرورات في نظامها الاقتصادي، ومحاربتها للملكية الفردية.^(٣)

سادساً: احتفاؤه بإسلام زعيم من زعماء الإلحاد والشيوعية: فالشيخ رحمته الله يحتفي ويفرح أيما فرح إذا اعتنق أحد دين الإسلام سواء كان يهودياً، أو نصرانياً، أو غيرهما. ومن ذلك فرحه باعتناق زعيم من زعماء الشيوعية الكبار للإسلام، ألا وهو (تروتسكي)^(٤).

١ - انظر المرجع السابق ص ١٧٤.

٢ - المرجع السابق ص ١٧٤.

٣ - انظر المرجع السابق ص ٣٩-٤٣.

٤ - هو الزعيم السوفيتي الذي يأتي في المرتبة الثالثة بعد لينين وستالين، ولد سنة ١٨٧٩م، واغتيل سنة ١٩٤٠م، واسمه الحقيقي بروتالين، وهو ابن لرجل يهودي من الطبقة المتوسطة، وله أثر كبير في الشيوعية والحزب الشيوعي. انظر المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص ١٩٢-١٩٤.

وقد فرح الشيخ بهذا الخبر، ونشره في مجلته، وعلق عليه. يقول الشيخ في مقال نشرته مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء السابع من المجلد الأول تحت عنوان (تروتسكي يعتنق الإسلام في بيئة تجهل على الإسلام): «نقلت الصحف خبر اعتناق تروتسكي الزعيم البولشفي للإسلام، وهو منفي في تركيا، وجاء في حديث إسلامه: أنه على أثر شفائه من مرضه في الآستانة دعا مفتي الآستانة، فأجاب دعوته، وشهد اجتماعهما مندوب جريدة (وقت) التركية، فقال تروتسكي: كنت يهودياً، غير أن مبادئي لم ترق لبعض الحاخامين، فحرموني من ديانتي، ولكنني لم أعر حرمانني هذا اهتماماً كثيراً؛ لأن مبادئ الدين الإسرائيلي لم تكن لتروقني، فلم أحتج، ولم أعارض.

وأما الآن، وأنا أتقدم في السن فإني أشعر كغيري من الناس بأني في حاجة إلى إيمان ودين سماوي، ففكرت في وقت ما أن أصبح مسيحياً، غير أنني عدلت عن ذلك؛ لكرهي اعتناق دين القياصرة المستبدين، وراسبوتين الراهب الشرير؛ فلم يبق أمامي غير الدين الإسلامي الذي دقت في البحث في شرائعه، فوجدت فيه مزايا حسنة، منها: أنه يحض على المناقشة والمباحثة في أصوله؛ ولذا سأعتنق الإسلام، وسيتناول فضيلة المفتي العشاء معي، ثم يبدأ بتلقيني الشرائع الإسلامية»^(١).

ثم علق على هذا الخبر الذي نشرته جريدة الأهرام عدد ١٩ أبريل نيسان سنة ١٩٢٩م بقوله: «يحدثنا تروتسكي أنه اعتنق الإسلام بعد أن دقق البحث في حقائق شريعته الغراء، ومن نظر إلى أن تروتسكي نشأ في منبت غير إسلامي، وأشرب مذهباً ذا مبادئ لا تلائم طبيعة الدين الخفيف، ثم وقع في بيئة أخذ مترفوها يفسقون عن الإسلام علانية - وثق بأن مثل تروتسكي إنما يسلم على سلطان من الحججة مبين»^(٢).

١ - الهداية الإسلامية ص ١٩١.

٢ - الهداية الإسلامية ص ١٩١.

إلى أن يقول: «ولا عجب أن يهتدي تروتسكي للإسلام، ويزيغ عنه نفر ترددوا على معاهد شريعته بضع سنين؛ فإن هؤلاء نفر لم ينظروا في حقائقه نظر الباحث النبيه، وما كانت تعاليمه إلا كالصور تقع على ظاهر قلوبهم دون أن تحالط سرائرها؛ فما هم من أولئك الذين يتجافون عنه بجهالة مطلقة بعيد.

ولنا الأمل في أن تصلح طرق التأليف والتعليم، فيسهل على كل ناشئ يدرس حقائق الشريعة أن يصل إلى لبابها، وينفذ إلى بالغ حكمتها.

ولو عني القائمون على شؤون الدين بترجمة محفوفة بالاستدلال وبيان الحكمة، لأصبح عدد المعتنقين للإسلام من أمثال تروتسكي غير قليل»^(١).

فهذه هي أهم قضايا الإلحاد التي مر بها الشيخ في غضون أبحاثه الأخرى.

المطلب الثالث: ردوده على من يسوغ الإلحاد

وهذه الردود مبنوثة في تضاعيف كثير من كتبه، وقد مضت الإشارة إلى كثير من ذلك خصوصاً في الردود التي تشتمل على مناقشة قضايا أخرى ويكون الرد على الإلحاد والملاحدة داخلاً فيها ضمناً، كما في كتابيه (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) وكتاب (نقض كتاب في الشعر الجاهلي).

أما أجلى الردود التي ردَّ فيها قصداً على من يسوغ الإلحاد فهو رده على الأستاذ محمد فريد وجدي الذي كتب مقالاً سماه (سطوة الإلحاد على الأديان).

فما كان من الشيخ الخضر إلا أن رد على ذلك المقال برد سماه:

(نقد مقالة: سطوة الإلحاد على الأديان)^(١)

وقد ألقى الشيخ هذا الرد في محاضرة في نادي جمعية الهداية الإسلامية بالقاهرة، ونشرت في الجزء التاسع من المجلد الرابع لمجلة (الهداية الإسلامية) وهي المحاضرة الثانية، وقد سبقتها محاضرة، وكلاهما كانا بعنوان:

(نقد آراء الأستاذ فريد وجدي من الناحية الدينية والاجتماعية)

وقد تناول خلال المحاضرتين عدداً من آراء الأستاذ فريد وجدي، ومن ضمنها مقاله: سطوة الإلحاد على الأديان.

وقد بين الشيخ الخضر في المحاضرة الأولى رأيه في فريد وجدي، وقد مرت إشارة لذلك عند الحديث عن أساليب الشيخ الخضر في الرد على المخالفين، وأنه كان يحسن الظن بالمرود عليهم إذا كان لهم سابقة فضل.

يقول الشيخ الخضر «كنا نقرأ للأستاذ فريد وجدي بعض مؤلفات، فنرى فيها جملاً يحيد بها عن السبيل، ولكننا نزنها بما كان يكتبه في تأييد الإسلام، فيبدو لنا أن صوابه أكثر من خطئه، ونحمل ذلك الخطأ على أنه وليد نظرة متسرعة، أو

نلتمس له العذر من ناحية أنه لم يدرس علوم الدين وتاريخ الإسلام دراسة تحميه من أن يشذ عن الجادة إلى مكان بعيد.

وللأستاذ المرحوم أحمد تيمور باشا تأليف في بيان ما اشتملت عليه (دائرة معارف) الأستاذ فريد وجدي من الخطأ الفاحش في التاريخ»^(١).

ثم بين الشيخ إلى أن تلك الثقة بالأستاذ وجدي بدأت تتزعزع، فقال: «ما زلنا نعتقد أن الأستاذ في صفوف الدعاة إلى الحق والإصلاح، على الرغم مما كان يظهر في بعض منشأته من شذوذ، حتى قرأنا له منذ ثلاث سنين مقالاً في مجلة تصدر في حلب يقال لها: (الحديث) فأحسنا في هذا المقال روحاً تحذل الروح الذي كان يتردد فيما ألفه من قبل، ولبنا غير بعيد، فإذا نحن نقرأ للأستاذ ثلاث مقالات نشرها في جريدة (الأهرام) تحت عنوان: (الدعوة إلى التجديد)، فتزحزح فيها عن سيرته الأولى أكثر مما تزحزح، وجعل ناقدٍ مقالاته يحسبون قلمه في الأقلام التي تستخف بأمر الدين في غير رصانة.

وأتابع هذه المقالات بمقالة جعل عنوانها: (سطوة الإلحاد على الأديان) وأكبر في هذا المقال حركة الإلحاد، وادّعى أن رجال الدين ليس بيدهم سلاح يقاوم سلاح الملحدين»^(٢).

ثم بيّن الشيخ السبب الذي دعاه إلى الرد، فقال: «كنا نقرأ هذه المقالات، ونصرف عنها النظر؛ رجاء أن يجد الأستاذ من نفسه واعظاً، أو من كتاب الله الذي اقتحم تفسيره منبهاً، حتى نشر الأستاذ الشيخ محمد التفتزاني في جريدة (الأهرام) مقالاً نقد فيه ما وقع في بعض بلاد الإسلام من ترجمة القرآن إلى غير العربية لتقوم الترجمة مقام الأصل؛ فكان من الأستاذ فريد وجدي أن جرد قلمه، وانهال يجذ ذلك العمل، ويطري من ارتكبه في إغراق، واستبان من لهجته أنه انقلب إلى

١ - المرجع السابق ص ٢٠٠.

٢ - المرجع السابق ص ٢٠٠-٢٠١.

دعاية لو أساغتها العقول، وأسلمت إليها النفوس لقوّضت باسم التجديد ما تعبت يد الإصلاح في بنائه.

ذلك ما دعاني إلى أن أنقل من تلك المقالات قطعاً متجافية عن الحقيقة، حتى إذا شئت أيها الناشئ أن تقرأ شيئاً مما يخطه قلمه، قرأته وأنت على بينة من أنه لا يملك لعواطفه مردّاً»^(١).

ثم شرع الشيخ في نقد تلك الآراء، حيث بدأ في المحاضرة الأولى في نقد مقالة: (روح العصر الحاضر نفحة إلهية).

ثم انتقل إلى نقد مقالات الدعوة إلى التجديد.

وفي المحاضرة الثانية أكمل ما بدأ به في المحاضرة الأولى.

ثم ختم المحاضرة في (نقد مقالة: سطوة الإلحاد على الأديان).

وفي ذلك النقد ساق الشيخ الخضر جملاً من أغلاط الأستاذ فريد وجدي، وفنّدها -كعبادته- بأدب، وقوة، وسطوع حجة.

وفيما يلي خلاصة موجزة لأهم ما قرره الشيخ في ذلك الرد:

١- إذا وُضِعَ الإلحادُ على محك النظر استبان أنه رأي زائف، منشؤه قلةُ الروية، والوقوفُ في البحث عند غاية تتجاوزها العقول وهي مهتدية بنور العلم، معتصمة بقوة المنطق.

٢- إذا ادعى الإلحاد أنه يستند إلى العلوم اليقينية فقد افتري على هذه العلوم كذباً.

٣- دلت المشاهدة على أن من دعاة الإلحاد من لا ينقطعون عن دعايتهم ولو أقمت لهم على ضلالهم ألف دليل.

٤- متى كان في الرئيس الأعلى غفلة وقلة صفاء وجد أولئك الدعاة تحت رعايته المجال واسعاً؛ فعاثوا في الفطر السليمة فساداً.

٥- من مثار العجب أن يَشْكُوَ دعاةُ الإلحاد حَزَمَ الرئيس المصلح، واحتراسه من مكرهم ويسمونهم اعتداءً على حرية الفكر، حتى إذا ملك أحدهم قوة أرهق بها فضلاء الناس خسفاً، ولا يكون من أولئك الذين يندبون حرية الفكر إلا أن يتغنوا بمدحهم في الصحف، ويسمون إرهابه الغاشم إصلاحاً.

٦- من الإنصاف أن نقول: إن أشد الناس صداقة للعلوم والتجديد الصالح علماء الإسلام.

٧- ليست الحياة الحرة هي التي تجعل الإلحاد يطمع في أن يقضى على الدين القضاء الأخير، وإنما يطمع الإلحاد في القضاء على الدين متى رأى أميراً، أو وزيراً، أو رئيس معهد علمي يحمل في صدره الإنكارَ والفسوق، ويرفع الملحدون على المتدينين درجات.

٨- الفلسفة لا تلتهم الطبقات المتعلمة، وإنما تلتهمهم سموماً ينفثها فيهم بعض من يتولى تعليمهم من الزائغين وهم على فطرتهم الأولى.

٩- دلنا تتبع حركة الإلحاد أن في دعاة الإلحاد من لم يدرس الفلسفة المادية قط، ولم يعرف منها إلا مبادئ يسيرة.

ولكنه ينال مظهراً وجيهاً؛ فيفسد طائفة من النفوس، ويربها على الجحود والإباحية تربية لا تُمْتُّ للفلسفة المادية بصلة.

١٠- النفوس التي يسبق إليها تعليم ديني حكيم تصبح في حصانة من أن يمسه الإلحاد، ولو خاضت غمار الفلسفة المادية، أو أمعنت في باب من أبوابها.

١١- في هداية القرآن ما يُفَرِّقُ بين الإلحاد والإيمان، وَيُفَصِّلُ الإباحية عن العدل والعفاف، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ النور: ٤٠. (١)

فهذا هو أهم ما قرره في ذلك، وبه ينتهي الكلام على مواجهة الشيخ الخضر للإلحاد.

الباب الخامس: موقف الشيخ محمد الخضر من القضايا الفكرية المعاصرة

وفيه: تمهيد، وثلاثة فصول:

تمهيد:

الفصل الأول: موقف الشيخ محمد الخضر من

العلمانية

الفصل الثاني: موقف الشيخ محمد الخضر من

قضية الحرية

الفصل الثالث: موقف الشيخ محمد الخضر من

قضية التغريب وقضية تحرير المرأة

تمهيد

للشيخ محمد الخضر حسين موقف من كثير من القضايا الفكرية الكبرى التي عاصرها ، وكانت له مواجهات مع تلك القضايا وأصحابها خصوصاً وأنه عاش في مرحلة مهمة شاعت خلالها نظريات كثيرة ، وقضايا عدة. وقد مرت إشارة إلى كثير من تلك القضايا. والكلام في هذا الباب سيتناول أهم ما تطرق إليه منها ، حيث سيدور الكلام في الفصول التالية على القضايا الآتية : قضية العلمانية ، وقضية الحرية ، وقضية التغريب ، وقضية تحرير المرأة؛ فيألى تفصيل ذلك.

الفصل الأول: موقف الشيخ محمد الخضر من العلمانية

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد: مفهوم العلمانية

المبحث الأول: معاصرته لظهور العلمانية في بلاد

الإسلام

المبحث الثاني: إثباته صلاحية الشريعة الإسلامية

لكل زمان ومكان

المبحث الثالث: مواجهته للعلمانية

تمهيد: مفهوم العلمانية

العلمانية إحدى القضايا الكبرى التي برزت في الساحة الأوربية، ثم في الساحة الإسلامية والعربية.

وقد تناولها العلماء، والمفكرون بالدراسة، والتحليل، والنقد.

وتطرقوا لها من زوايا عدة، فتعرضوا لمفهومها، وتعريفها، ومدلولها، ونشأتها، وأسبابها، وتطورها، وآثارها.

والكتب المؤلفة، والرسائل العلمية في شأنها لا تكاد تحصى كثرة، وما بين الفينة والأخرى تخرج المؤلفات في العلمانية^(١).

والمقام هنا ليس مقام تفصيل في ذلك، وحسبه أن يتناول تعريفاً موجزاً بالعلمانية، وظروف نشأتها، ودخولها بلاد المسلمين.

لفظ العلمانية ترجمة خاطئة لكلمة (secularism) في الانجليزية، أو (secalarite) في الفرنسية، وهي ترجمة مضللة؛ لأنها توحي بأن لها صلة بالعلم بينما هي في لغاتها الأصلية لاصلة لها بالعلم، بل المقصود بها في تلك اللغات هو إقامة الحياة بعيداً عن الدين.

والترجمة الصحيحة للكلمة الأوربية السابقة هي: اللادينية.

وبناءً على ذلك فإن التعريف الصحيح للعلمانية أن يُقال: هي حركة تدعو إلى الفصل بين الدين والحياة، وتهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة،

١ - انظر على سبيل المثال: العلمانية وموقف الإسلام منها، عزت عبدالمجيد أبو بركة، والعلمانية د. سفر الحوالي، وهو من أحسن ما كتب في بابه، وجذور العلمانية د. أحمد فرج، والعلمانيون والقرآن صلاح يعقوب عبدالله، والعلمانية تحت المجره د. عبدالوهاب المسيري، والعلمنة في المجتمعات العربية والإسلامية الحديثة د. عبدالمجيد الشرفي، والعلمانيون والقرآن الكريم - تاريخية النص - د. أحمد الطعان وغيرها كثير جداً.

وتوجيههم إلى الدنيا فحسب^(١).

فهذا هو معنى العلمانية في أيسر تعريفاتها، وهناك كلام طويل حول تعريفها، وضبطها، وهل يقال: العلمانية بالكسر، أو العلمانية بالفتح، وتوجيه ذلك، وما جرى مجراه^(٢).

أما أسباب قيامها فهي -تقريباً- أسباب قيام كثير من النظريات والمذاهب الفكرية، وقد مضى ذكر لشيء من ذلك عند الحديث عن أسباب قيام الإلحاد. ثم إن للعلمانية صوراً، وأجلاها صورتان:

١- صورة متطرفة: وهي التي لا تكتفي بعزل الدين عن الدنيا، بل تحارب الدين جملة؛ فتنكر وجود الله، وتحارب الأديان، وتكفر بالغيب.

٢- صورة معتدلة: وهي التي تكتفي بعزل الدين عن الدنيا، دون أن تنكر وجود الله، أو تحارب الدين.

بل إنها تسمح بإقامة بعض الشعائر والعبادات بشرط أن تقتصر على علاقة العبد بربه دون أن يكون للدين علاقة في شؤون الحياة الأخرى^(٣).

هذا وإن الشيخ الخضر لمن طليعة الرواد الذين وقفوا على حقيقة العلمانية، وكانوا يرقبون تدرجها ودخولها إلى بلاد المسلمين.

١ - انظر العلمانية نشأتها، وتطورها، وآثارها في الحياة الإسلامية د. سفر الحوالي ص ٢١-٢٤.

٢ - انظر المرجع السابق، والعلمانيون والقرآن الكريم د. أحمد الطعان، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٣ - انظر تحطيم الصنم العلماني جولة جديدة في معركة النظام السياسي في الإسلام، للشيخ محمد ابن شاکر الشريف، ص ٢٥، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، والعلمانية وتطبيقاتها في الإسلام، إيمان ببعض الكتاب وكفر بالبعض الآخر د. محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ٣-٦، ومجالات انتشار العلمانية وأثرها في المجتمع الإسلامي د. محمد زين الهادي، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ، ص ٩-٦٧.

كما كان له المواقف في بيان صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، وبطلان العلمانية، وإظهار ضلالها وفسادها.

وفيما يلي بسط لموقف الشيخ الخضر من العلمانية، وقبل ذلك يحسن الوقوف على معاصرته لظهور العلمانية في بلاد المسلمين، وسعي أربابها لتقويض الخلافة، وإبطال الحكم بما أنزل الله، وإقامة الحياة على غير الدين.

وهذا ما سيتبين من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: معاصرته لظهور العلمانية في بلاد الإسلام.

المبحث الثاني: إثباته صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان.

المبحث الثالث: مواجهته للعلمانية.

فيأتي تفصيل ذلك وبسطه.

المبحث الأول: معاصرته لظهور العلمانية في بلاد الإسلام

لا تكاد تعثر في الأزمنة الماضية على مسلم يشن الحرب على الإسلام، ويتنكر له خصوصاً في مجال النظام السياسي.

بل إن زمن هذه الحرب حديث جداً لا يزيد على قرنين من الزمان؛ فقد بدأ مع بداية انتشار الفكر العلماني الذي دعت إليه الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م.

ومن ذلك الحين، وبفعل مجموعة من الأسباب التي مر الحديث عنها - بدأ ذلك الفكر يسري إلى بلاد المسلمين، وبدأ التوجه العلماني اللاديني في بعض الدوائر يؤتي ثماره، وينتج نتائج في العديد من مجالات الحياة، ويمهد لقيام العلمانية.

ولقد كانت تظهر بعض المقولات، أو الفقرات في كتابات بعض الناس؛ لتعلن عن الفكرة العلمانية، غير أنها كانت فقرات قصيرة متداخلة مع كلام كثير قد لا يفطن لها الكثيرون؛ بحيث يرون عليها دون أن يلحقوا بها بالأ.

بل ربما عدوها من سقطات الكُتُب دون أن يتبين لهم ما وراءها^(١).

وظل الحال على هذا المنوال حيناً من الدهر حتى أفصحت العلمانية - في المجال السياسي - عن نفسها إفصاحاً كاملاً، وذلك على المستويين العملي، والنظري.

أما المستوى العملي فكان على يد مصطفى كمال أتاتورك الذي ألغى الخلافة الإسلامية في تركيا، وفصل تركيا عن باقي أجزاء الدولة العثمانية، فحطم بذلك الدولة الإسلامية العظيمة، وأعلن العلمانية الإلحادية، وأشاع أن الدين علاقة قلبية بين العبد وربه.

وتبعاً لذلك ألغى الأوقاف، والمحاكم الشرعية، وفرض القوانين الوضعية المدنية

١ - انظر تحطيم الصنم العلماني ص ١١ .

السويسرية، وألغى استعمال التاريخ الهجري، واستبدل به التاريخ الميلادي إلى غير ذلك مما تولى كبره به، وطمس به هوية الأمة^(١).

أما المستوى النظري العلمي فيتمثل فيما قامت به العلمانية من تقديم فكرتها، أو نظريتها السياسية في عزل الدين عن الدولة، وذلك في أول كتابة من نوعها في ديار المسلمين على يد قاضٍ شرعي، وشيخٍ أزهري وهو علي عبدالرازق^(٢).

فعقب إلغاء مصطفى كمال للخلافة سنة ١٣٤٣هـ، وفيما كان الرأي العام في العالم الإسلامي مأخوذاً بهول الصدمة - ظهر هذا الشيخ بهذه الفكرة الغربية المريبة التي كان لها الفضل في تخفيف وطأة ما فعله أتاتورك على مشاعر المسلمين، وذلك في كتابه (الإسلام وأصول الحكم)^(٣).

وقد جمع الشيخ علي في كتابه بين أسلوب المستشرقين في تحوير الفكرة، واقتطاع النصوص وتلفيق الواهيات، وبين طريقة الباطنية في التأويل البعيد. وعمد إلى مغالطات عجيبة؛ ليدلل على أن الإسلام كالمسيحية المحرفة علاقة روحية بين العبد والرب، ولا صلة لها بواقع الحياة^(٤).

وقد سبق تعريف بكتاب (الإسلام وأصول الحكم) وسيأتي مزيد بيان لذلك. وإنما المقصود ههنا مما تحسن الإشارة إليه ما كان لهذا الكتاب من الآثار البعيدة؛ فقد ترجم إلى اللغات الأجنبية، وأصبح مرجعاً معتمداً للدراسات الإسلامية هناك، وقام بتقريظه والثناء عليه جُلُّ المهتمين بهذه الدراسات في الغرب، وظهرت آثاره في

١ - انظر الرجل الصنم كمال أتاتورك، أول كتاب عن حياة كمال أتاتورك بالتفصيل، تأليف ضابط تركي سابق، ترجمة عبدالله عبدالرحمن، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ٥٠٦-٥٠٧، والموجز في المذاهب والأديان المعاصرة ص ١٠٨-١١٠.

٢ - انظر تحطيم الصنم العلماني ص ١١-١٢.

٣ - انظر الإسلام قوة الغد العالمية لباول شممتز، نقله إلى العربية د. محمد شامة، مكتبة هبة، القاهرة، ص ١٧٧-١٧٩، حيث أشار باول شممتز إلى كتاب علي عبدالرازق وإن لم يذكر اسمه.

٤ - انظر العلمانية ص ٥٨٢.

كتاباتهم، وهلل له سماسرة الاستعمار من الكتاب والصحفيين، وعدوا مؤلفه عالماً متحرراً منتوراً، ووضعه بعضهم على رأس مرحلة فكرية عصرية.

بل إن بعض الأحزاب السياسية وجدت فيه ضالتها المنشودة؛ فلم تعد تتحرج من إعلان انتمائها للاتجاهات السياسية اللادينية شريقها وغريبها، وبراءتها من الدين والمتدينين^(١).

وبرغم ما في هجمة أتاتورك وجنائه على الإسلام من الضراوة والقسوة والشراسة - فإن جناية علي عبدالرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) أشد وأخطر؛ ذلك أن صنيع أتاتورك ردة صريحة، وخروج على الإسلام بقوة السلطان؛ فلا يكون لها أثر إلا بقدر بقاء القوة.

أما صنيع علي عبدالرازق فقد كان محاولة للتغيير في أصول الإسلام، ومسلماته. وهذا - بلا ريب - يفعل فعله، ويمتد أثره؛ ليصبح هو التفسير الصحيح لعلاقة الإسلام بالسياسة والحكم.

وحينئذ توصل الأبواب - لو قُدر لهذه المحاولة أن تنجح - في وجه الإسلام، ويُحال بينه وبين القيادة والتوجيه لحياة الأمة المسلمة.

لقد كان كتاب (الإسلام وأصول الحكم) أول كتاب يقدمه بهذه الصورة رجل ينتمي إلى الإسلام، بل إلى العلم والقضاء معلناً عن نفسه بلا موارد، مقدماً فيه الفكر العلماني في جراءة لا تعرف الحياء، ولا الخجل.

ولم تكن كتابته مجرد فقرة قصيرة أو طويلة، بل ولم تكن مجرد مقال طويل يُنشر في إحدى الصحف.

وإنما كان كتاباً كاملاً يعرض منهجاً كلياً في معرفة الإسلام، وعلاقته بالحكم. ومما يحسن التنبيه عليه أن الحكومة الكمالية حين ألغت الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م - أصدر المجلس الوطني التركي رسالة شرح فيها وجهة نظره في إلغاء الخلافة.

إلا أن الرأي العام في العالم الإسلامي لم يقابل هذا العمل بالارتياح، بل أخذ بعض مفكري وعلماء الإسلام يتطرحون الرأي في إقامة الخلافة الإسلامية. أما الرسالة التي أصدرها المجلس التركي فقد كانت بعنوان (الإسلام وسلطة الأمة) أو (الخلافة وسلطة الأمة).

وقد تُرجمت إلى العربية، وطُبعت بمطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩٢٤م^(١). وبعد صدور هذا الكتاب سنة ١٩٢٥م أصدر علي عبدالرازق كتابه المذكور، وكان حينئذ قاضياً بمحكمة المنصورة الشرعية الابتدائية.

ويُلاحظ أن بين اسمي الكتاب ومضمونهما تشابهاً، إلا أن الكتاب الأول لم يبلغ ما بلغه كتاب علي عبدالرازق من القدح في علاقة الإسلام بالسياسة. ومما يوضح الشبه بين الكتابين أنه قد جاء في كتاب (الإسلام وسلطة الأمة) ما نصه: «إن هذه المسألة - الخلافة - مسألة دنيوية وسياسية أكثر من كونها مسألة دينية، وإنها من مصلحة الأمة نفسها مباشرة، ولم يرد بيان صريح في القرآن الكريم، ولا في الأحاديث النبوية في كيفية نصب الخليفة وتعيينه، وشروط الخلافة ما هي...»^(٢).

وقال علي عبدالرازق ما نصه: «إنه لعجب عجيب أن تأخذ بيدك كتاب الله الكريم، وتراجع النظر فيما بين فاتحته وسورة الناس، فتري فيه تصرف كل مثل، وتفصيل كل شيء من أمر هذا الدين ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الأنعام: ٣٨ ثم لا تجد فيه ذكراً لتلك الإمامة العامة، أو الخلافة.

إن في ذلك مجالاً للمقال! ليس القرآن وحده الذي أهمل تلك الخلافة، ولم يتصد لها، بل السنة كالقرآن - أيضاً - وقد تركتها، ولم تتعرض لها»^(٣).

١ - انظر الاتجاهات الوطنية د. محمد محمد حسين ٦٨/٢.

٢ - الخلافة وسلطة الأمة، نقله عن التركية عبدالغني سني بك، تقديم د. نصر حامد أبو زيد، الناشر دار النهر للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٢٤م، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م، القاهرة، ص ٩٢.

٣ - الإسلام وأصول الحكم ص ٥١.

وجاء في رسالة المجلس الوطني التركي ما نصه: «إن الفرقة المسماة بالخارجية تنكر وجوب الخلافة، وتقول إن أمر نصب الخليفة وتعيينه ليس واجباً على الأمة الإسلامية، بل هو جائز، ووجوده وعدم وجوده سيان»^(١).

ويقول علي عبدالرازق ما نصه: «فكيف وقد قالت الخوارج: لا يجب نصب الإمام أصلاً، وكذلك قال الأصم من المعتزلة، وقال غيرهم -أيضاً- كما سبقت الإشارة إليه.

وحسبنا في هذا المقام نقضاً لدعوى الإجماع أن يثبت عندنا خلاف الأصم والخوارج وغيرهم، وإن قال ابن خلدون: إنهم شواذ».

وهكذا رد علي عبدالرازق في كتابه ما جاء في رسالة المجلس الوطني التركي، وزاد عليها شيئاً من فساد الفهم، وسوء الأدب في حق النبي ﷺ وحق كبار الصحابة.

وقد قابلت الدوائر الاستعمارية والمراكز التبشيرية المسيحية كتاب علي عبدالرازق بالترحيب والتصفيق -كما مر- وذلك لخشيته من كل فكرة ترمي إلى تكتل العالم الإسلامي، وارتياحها إلى نشر مثل هذه الآراء الخبيثة التي ضمنها علي عبدالرازق كتابه، تلك الآراء التي تخدم أهداف الاستعمار، وتحقق آماله في السيطرة على الشعوب الإسلامية، وإذلالها إلى الأبد.

وقد تُرجم إلى الإنجليزية، وعُدَّ أحدَ المراجع الأساسية لعلم الاجتماع الإسلامي في دراسة الجامعات الأمريكية على الخصوص للإسلام وتعاليمه^(٢).

وقد كشف المؤلف عن خبيثة نفسه في حديثه مع مراسل صحيفة (البورص إجبسيان) حينما سأله هذا المراسل:

- هل يمكن أن نعتبرك زعيماً للمدرسة؟

١ - الخلافة وسلطة الأمة ص ٩١.

٢ - انظر الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة،

ط ١٤٢٦، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٥م، ص ٢٠٦-٢٠٧، والإمامة العظمى ص ٧١.

فأجاب: لست أعرف ماذا تعني بالمدرسة؟ فإن كنت تريد بهذا أن لي أنصاراً؛ يسرني أن أصرح لك أن الكثيرين يرون رأيي، لا في مصر وحدها، بل في العالم الإسلامي بأسره.

وقد وصلتني رسائل التأييد من جميع أقطار العالم التي نفذ إليها الإسلام. ولا ريب أنني - رغم الحكم - لا أزال مستمراً في آرائي وفي نشرها؛ لأن الحكم لا يُعدّل طريقة تفكيري».

«وسأسعى إلى ذلك بكل الوسائل الممكنة كتأليف كتب جديدة، ومقالات في الصحف، ومحاضرات، وأحاديث».

هذا وإن الآراء التي أراد علي عبدالرازق أن ينشرها بين المسلمين، ويؤلف فيها الكتب تتلخص في الطعن في حكومة النبي ﷺ واتهام كبار الصحابة بأشنع التهم. ولم يكن من بين هذه الآراء الحزبُ على مكافحة الاستعمار، والجهاد في سبيل الاستقلال والحرية.

وسواء كان الكتاب المنسوب لعلي عبدالرازق من تأليفه هو - كما هو مدون على غلاف الكتاب - أو كان من تأليف بعض المستشرقين كما يذهب إلى ذلك آخرون^(١) فإن الذي يعني هنا أن يقال: إن العلمانية أعلنت الحرب بغير موارد على النظام السياسي الإسلامي، وبدأت جولتها معه، التي ربما خيّل لأتباعها أنها الجولة الأولى والأخيرة.

١ - قد ذهب إلى ذلك الشيخ محمد نجيت المطيعي مفتي الديار المصرية الأسبق؛ حيث قال: «علمنا من كثيرين ممن يترددون على المؤلف أن الكتاب ليس له فيه إلا وضع اسمه عليه فقط». وقد نقل ذلك د. محمد ضياء الدين الرئيس في كتابه (الإسلام والخلافة في العصر الحديث) ص ٢١١، واستظهر له بالعديد من القرائن. حيث توصل إلى أن مؤلف الكتاب أحد اثنين إما المستشرق مرجليوث اليهودي الذي كان أستاذاً للعربية في بريطانيا، وتدل كتاباته على أنه كان صهيونياً معادياً للإسلام والمسلمين. أو أنه توماس أرنولد المستشرق المعروف.

وقد ذهب علي عبدالرازق إلى بريطانيا، وبقي فيها عامين. انظر الإسلام والخلافة ص ١٧٥، وإعادة النظر في كتابات العصرين في ضوء الإسلام لأنور الجندي، دار الاعتصام، ص ٥٥-٦٢ و١٢١-١٢٥.

لقد كان صدور ذلك الكتاب الذي يعني عند مؤلفه ومن يشايعه إسقاط الخلافة والقضاء عليها من الناحية الشرعية- عام ١٩٢٥م، أي بعد عام واحد من إسقاط الخلافة والقضاء عليها واقعياً من قِبَل أتاتورك وأتباعه.

يقول الأستاذ الدكتور السيد تقي الدين: «ولم يكذب يظهر الكتاب في أول إبريل سنة ١٩٢٥م، ويطلع عليه بعض العلماء والقراء حتى لقي معارضة عنيفة؛ لتعارضه الصارخ مع الثوابت الإسلامية من جانب، وتطابقه كل المطابقة مع أهداف الإنجليز، والسياسة الاستعمارية في العالم الإسلامي من جانب آخر؛ فالإنجليز كانوا يريدون هدم الخلافة والقضاء على كل فكرة من أجل التجمع من جديد حول الوحدة الإسلامية»^(١).

ويضيف الأستاذ الدكتور السيد تقي الدين مشيراً إلى جانب من دوافع تأليف ذلك الكتاب، فيقول: «وهذا هو الغرض الأساسي من الكتاب كله؛ بدليل الدفاع المستميت لحزب الأحرار الدستوريين الذي ينتمي إليه الشيخ علي عبدالرازق وأسرته وهو الحزب الذي انبثق عن حزب الأمة ربيب الاستعمار الإنجليزي، وذلك في مواجهة موجة الرفض العارمة التي شهدتها البلاد ضد الشيخ علي عبدالرازق وكتابه؛ حيث رمته الصحف الوطنية بالطيش في الرأي، والإلحاد في العقيدة، واندلعت المظاهرات منطلقاً من الأزهر تعلن الاحتجاج، وتطالب بوقفه حاسمة؛ للدفاع عن الإسلام، والرد على هذه الدعوات الهدامة التي تعد خروجاً على الدين»^(٢).

ويصدر ذلك الكتاب بدأت وقائع الجولة الأولى لتلك المعركة، وظهرت الردود تلو الردود.

١ - رد هيئة كبار العلماء على كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للشيخ علي عبدالرازق، تقديم أ.د.السيد تقي الدين، هدية مجلة الأزهر المجانية، ربيع الأول ١٤١٤هـ، ص ٤.
٢ - المرجع السابق ص ٤.

فقام بالرد عليه السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار، وكذلك الشيخ محمد شاکر^(١) وكيل الأزهر سابقاً، وكذلك الأستاذ أمين الرافعي.

وقد أفتى بعض كبار العلماء من أمثال الشيخ محمد شاکر، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ محمد بنحيت، والسيد محمد رشيد رضا برِدَّةِ علي عبدالرازق مؤلف الكتاب المذكور.

كما ألف كبار العلماء كتباً في الرد عليه: فألف الشيخ محمد الخضر حسين (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) وألف الشيخ محمد بنحيت مفتي الديار المصرية في وقته (حقيقة الإسلام وأصول الحكم) كما ألف الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور كتاب (نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم).

ومن قبل ذلك عقدت لعلی عبدالرازق محاكمة في الأزهر من قبل هيئة كبار العلماء برئاسة الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي شيخ الجامع الأزهر، وعضوية أربعة وعشرين عالماً من كبار العلماء، وبحضور علي عبدالرازق نفسه، وقد تمت مواجهته بما هو منسوب إليه في كتابه، واستمعت المحكمة للدفاع عن نفسه، ثم خلصت الهيئة إلى القرار التالي: «حكمنّا -نحن شيخ الجامع الأزهر- بإجماع أربعة وعشرين عالماً معنا من هيئة كبار العلماء بإخراج الشيخ علي عبدالرازق أحد علماء الجامع الأزهر والقاضي الشرعي بمحاكمة المنصورة الابتدائية الشرعية ومؤلف كتاب (الإسلام وأصول الحكم) من زمرة العلماء.

كما حكم مجلس تأديب القضاة الشرعيين بوزارة الحقانية -العدل- بالإجماع بفضله من القضاء الشرعي»^(٢).

وإليك فيما يلي شيئاً من التفصيل عن تلك المحاكمة التي جرت؛ فقد انعقدت

١ - وهو والد العلامة الشيخ أحمد شاکر.

٢ - تحطيم الصنم العلماني ص ١٤-١٥.

هيئة كبار العلماء برئاسة الشيخ محمد أبي الفضل الجيزاوي، شيخ الجامع الأزهر في ذلك الوقت، صباح الأربعاء ٢٢ المحرم سنة ١٣٤٤هـ (١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥م) وكان عدد أعضائها أربعة وعشرين عالماً^(١)، وبعد مناقشة طويلة أصدرت الهيئة حكمها بإدانة المتهم، وإخراجه من زمرة العلماء.

ويترتب على الحكم المذكور: محو اسم المحكوم عليه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى، وطرده من كل وظيفة، وقطع مرتباته في أي جهة كانت، وعدم أهليته للقيام بأية وظيفة عمومية، دينية كانت أو غير دينية. أما حيثيات الحكم، فيمكن إيجازها فيما يلي:

١- أن الشيخ علياً جعل الشريعة الإسلامية شريعة روحية محضة، لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا.

وقد ردت الهيئة على هذا الزعم الباطل بأن الدين الإسلامي هو إجماع المسلمين على ما جاء به النبي ﷺ من عقائد، وعبادات، ومعاملات لإصلاح أمور الدنيا والآخرة، وأن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، كلاهما مشتمل على أحكام كثيرة في أمور الدنيا، وأحكام كثيرة في أمور الآخرة.

١ - وهم: الشيخ محمد حسنين، والشيخ دسوقي العربي، والشيخ أحمد نصر، والشيخ محمد نجيت، والشيخ محمد شاکر، والشيخ محمد أحمد الطوخي، والشيخ إبراهيم الحديدي، والشيخ محمد النجدي، والشيخ عبدالمعطي الشرشيمي، والشيخ يونس موسى العطايفي، والشيخ عبدالرحمن قراعة، والشيخ عبدالغني محمود، والشيخ محمد إبراهيم السمالوطي علي، والشيخ يوسف نصر الدجوي، والشيخ إبراهيم بصيلة، والشيخ محمد الأحمدى الظواهري، والشيخ مصطفى المهايوي، والشيخ يوسف شلبي الشبراخومي، والشيخ محمد سبيع الذهبي، والشيخ محمد حمودة، والشيخ أحمد الدلبشاني، والشيخ حسن والي، والشيخ محمد الحلبي، والشيخ سيد علي المرصفي. انظر ردهة هيئة كبار العلماء على كتاب (الإسلام وأصول الحكم) ص ١٥-٢١.

وقالت الهيئة: وواضح من كلامه -المؤلف- أن الشريعة الإسلامية عنده شريعة روحية محضة، جاءت لتنظيم العلاقة بين الإنسان وربه فقط، وأن ما بين الناس من المعاملات الدنيوية وتدير الشؤون العامة فلا شأن للشريعة به، وليس من مقاصدها. وهل في استطاعة الشيخ أن يَشْطُرَ الدين الإسلامي شطرين، ويلغي منه شطر الأحكام المتعلقة بأمر الدنيا، ويضرب آيات الكتاب العزيز، وسنة رسول الله ﷺ عرض الحائط؟!^(١)

٢- ومن حيث إنه زعم أن الدين لا يمنع من أن جهاد النبي ﷺ كان في سبيل الملك، لا في سبيل الدين، ولا لإبلاغ الدعوة إلى العالمين. فقد قال: «... وظاهر أول وهلة أن الجهاد لا يكون لمجرد الدعوة إلى الدين، ولا يحمل الناس على الإيمان بالله ورسوله».

ثم قال: «... وإذا كان ﷺ قد لجأ إلى القوة والرهبة، فذلك لا يكون في سبيل الدعوة إلى الدين وإبلاغ رسالته إلى العالمين، وما يكون لنا أن نفهم إلا أنه كان في سبيل الملك».

على أنه لا يقف عند هذا الحد، بل كما جَوَّزَ أن يكون الجهاد في سبيل الملك، ومن الشؤون الملكية - جوز أن تكون الزكاة والجزية والغنائم، ونحو ذلك في سبيل الملك - أيضاً..

وجعل كل ذلك على هذا خارجاً عن حدود رسالة النبي ﷺ لم ينزل به وحي، ولم يأمر به الله -تعالى-.

والشيخ علي لا يمنع أن يصادم صريح آيات الكتاب العزيز، فضلاً عن صريح الأحاديث المعروفة، ولا يمنع أنه ينكر معلوماً من الدين بالضرورة. وذكرت الهيئة الآيات الواردة في الجهاد في سبيل الله، والآيات الخاصة

بالزكاة، وتنظيم الصدقات، وتقسيم الغنائم، وهي كثيرة^(١).
 ٣- ومن حيث إنه زعم أن نظام الحكم في عهد النبي ﷺ كان موضع غموض، أو إبهام، أو اضطراب، أو نقص، وموجباً للحيرة.
 وقد رضي لنفسه بعد ذلك مذهباً هو قوله: «إنما كانت ولاية محمد ﷺ على المؤمنين ولاية رسالة غير مشوبة بشيء من الحكم».
 وهذه هي الطريقة الخطيرة التي خرج إليها، وهي أنه جرد النبي ﷺ من الحكم. وما زعمه الشيخ علي مصادم لصريح القرآن الكريم، فقد قال الله -تعالى-:
 ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ النساء: ١٠٥
 ثم أوردت الهيئة آيات كثيرة تتضمن معنى الآية السابقة، وتنحو نحوها^(٢).
 ٤- ومن حيث إنه زعم أن مهمة النبي ﷺ كانت بلاغاً للشريعة مجرداً عن الحكم والتنفيذ.

ولو صح هذا لكان رفضاً لجميع آيات الأحكام الكثيرة الواردة في القرآن الكريم، ومخالفاً -أيضاً- لصريح السنة.
 ثم أوردت الهيئة كثيراً من الأحاديث التي تهدم مزاعم المؤلف، وختمت ذلك بقولها: «فهل يجوز أن يقال بعد ذلك في محمد ﷺ إن عمله السماوي لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معاني السلطان وإنه لم يكلف أن يأخذ الناس بما جاءهم به، ولا أن يحملهم عليه؟!»^(٣).

٥- ومن حيث إنه أنكر إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام، وعلى أنه لا بد للأمة ممن يقوم بأمرها في الدين والدنيا.
 وقال: إنه يقف في ذلك في صف جماعة غير قليلة من أهل القبلة، يعني بعض

١ - انظر المرجع السابق ص ٢١-٢٧.

٢ - انظر المرجع السابق ص ٢٧-٣٠.

٣ - انظر المرجع السابق ص ٣٠-٣٥.

الخوارج والأصم؛ وهو دفاع لا يبرئه من أنه خرج على الإجماع المتواتر عند المسلمين، وحسبه في بدعته أنه في صف الخوارج، لا في صف جماهير المسلمين^(١).
 ٦- ومن حيث إنه أنكر أن القضاء وظيفة شرعية، وقال: إن الذين ذهبوا إلى أن القضاء وظيفة شرعية جعلوه متفرعاً عن الخلافة، فمن أنكر الخلافة أنكر القضاء.

وكلامه غير صحيح، فالقضاء ثابت بالدين على كل تقدير - تمسكاً بالأدلة الشرعية التي لا يستطيع نقضها^(٢).

٧- ومن حيث إنه زعم أن حكومة أبي بكر، والخلفاء الراشدين من بعده -رضي الله عنهم- كانت لا دينية.

ودفاع الشيخ علي بأن الذي يقصده من أن زعامة أبي بكر لا دينية أنها لا تستند على وحي، ولا إلى رسالة - مضحكٌ موقعٌ في الأسف؛ فإن أحداً لا يتوهم أن أبا بكر ﷺ كان نبياً يوحى إليه حتى يُعنى الشيخ علي بدفع هذا التوهم.

لقد بايع أبا بكر ﷺ جماهير الصحابة من أنصار ومهاجرين على أنه القائم بأمر الدين في هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ.

وإن ما وسم به الشيخ علي أبا بكر ﷺ من أن حكومته لا دينية لم يُقدّم على مثله أحد من المسلمين؛ فالله حسبه، ولكن الذي يطعن في مقام النبوة يسهل عليه كثيراً أن يطعن في مقام أبي بكر وإخوانه الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم أجمعين-^(٣).

هذه خلاصة الحيشيات التي بنت عليها هيئة كبار العلماء حكمها السالف

١ - انظر المرجع السابق ص ٣٥-٣٧.

٢ - انظر المرجع السابق ص ٣٧-٤٠.

٣ - انظر المرجع السابق ص ٤١-٤٢.

الذكر»^(١).

وعلى كل حال فإن الكتاب لقي وما زال يلقي السخط والرد من أهل العلم والفضل.

بل إن علي عبدالرازق نفسه - كما مر - عندما عرض عليه قبل وفاته عام ١٩٦٦م إعادة طبع الكتاب مرة أخرى - رفض، كما أنه لم يحاول الرد على منتقديه وخصومه.

بل الأعجب من ذلك ما أورده الدكتور مجاهد توفيق الجندي مؤرخ الأزهر، وعضو الجمعية العربية التاريخية العربية الإسلامية من أن كتاب (الإسلام وأصول الحكم) ليس من تأليف علي عبدالرازق، وإنما هو من تأليف طه حسين. ذكر ذلك الدكتور مجاهد عن الشيخ أحمد إدريس وكيل لجنة القبول بالأزهر، وذلك في المحاضرة التي ألقاها الدكتور مجاهد في (ملتقى الإمام محمد الخضر حسين) في مدينة (بسكرة) بالجزائر في ديسمبر ٢٠٠٧م.

واليك نصّ كلام الدكتور مجاهد بِطَوُّلِهِ؛ حيث يقول في فقرة من فقرات محاضراته المذكورة - وعنوان تلك الفقرة: (معارك الشيخ محمد الخضر حسين الأدبية والفكرية) - ما نصه: «ألغى مصطفى كمال أتاتورك الخلافة الإسلامية سنة ١٣٢٢هـ^(٢).

وقد أثار هذا القرار ضجة كبرى في العالم الإسلامي؛ فعقدت المؤتمرات، وكتبت المقالات المعارضة للتشهير بهذا الإلغاء الذي يتعارض مع أهل السنة والجماعة. وقد كان الملك فؤاد رحمته الله ملك مصر من أكبر المعارضين لهذا القرار؛ لأنه كان يسعى لتوليّ خلافة المسلمين؛ لما في ذلك من مكاسب مادية وأدبية وسياسية.

وقام أنصار الملك فؤاد بترويج هذه الفكرة بوسائل عديدة، وفي خضم هذا

١ - انظر المرجع السابق ص ١٥-٤٦، وانظر الإمامة العظمى ص ٧١-٧٣، والثبات والشمول في الشريعة الإسلامية د. عابد السفيني، نشر وتوزيع مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٢٩٠-٢٩٣.

٢ - هكذا في الأصل، والصواب ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م.

الخلاف الشديد بين المناوئين للملك فؤاد، والموافقين له، والمدافعين عن هذه الفكرة - أصدر الشيخ علي عبد الرازق أحد علماء الأزهر كتابته (الإسلام وأصول الحكم) سنة ١٩٢٥م.

في الحقيقة: أن الشيخ علي عبد الرازق رحمته الله، وهو من بيت علم قديم في قرية أبو جرج التابعة لمحافظة المنيا في مصر، وهذا الرجل قد وهبه أبوه مع ثلاثة من إخوته للأزهر الشريف، وهو من بيت أثرياء، بيتهم مفتوح لعابري السبيل، ولا يذهب أي قاصد لصدقة أو لطلبة فيرجع خائباً^(١).

ويردف الدكتور توفيق قانلاً: في حديث لي مع المرحوم الشيخ أحمد إدريس وكيل لجنة الفتوى بالأزهر، عندما قلت له: عندنا ندوة غداً، أو بعد غد في المجلس الأعلى للثقافة بمناسبة مرور سبعين سنة على كتاب (في الشعر الجاهلي) وتحدثنا بشأن كتاب (الإسلام وأصول الحكم) قال: يا بني! هذا الكتاب ليس للشيخ علي عبد الرازق، ولكنه لطفه حسين، أضافه إليه؛ ليأخذ به شهرة.

وكان بينه وبين طه حسين علاقة ما من النسب أو القرابة؛ فخجل الرجل، كان رجلاً طيباً جداً، لم يشأ أن يُحرج طه حسين، برغم أن هيئة كبار العلماء اجتمعت، ومحت اسمه من سجلات الأزهر، وأخرجته من زمرتها.

قلت للشيخ أحمد إدريس: ما الذي عرّفك؟ قال: كنت واعظاً لهذا المركز في محافظة المنيا -مركز يتبع بني مزار- وبني مزار بلدة بها العديد من الصحابة، صحابة رسول الله الذين استشهدوا بالمعارك، الذين صاحبوا عمرو بن العاص في الفتوحات الإسلامية.

بلدة أبو جرج هذه بلدة علي عبد الرازق، وآل عبد الرازق بيت كريم، الشيخ أحمد إدريس ذهب إلى هذا البيت، وكان واعظاً للمركز، ذهب ليتغذى هناك، وليبيت.

وعندما انتصف الليل وأراد الرجل أن يذهب إلى الحمام، وجد الشيخ علي عبدالرازق يبكي، والدموع تُبلل لحيته في جوف الليل، يُصلّي في جوف الليل والناس نيام، والدموع تبلل لحيته، قال له: يا مولانا! ولماذا كتبت هذا الكتاب؟ قال: يا ابني! هذا الكتاب - والله - ليس لي، ولكنه لطفه حسين، أضافه إليّ؛ لشيء من القرابة، أو شيء من المصاهرة، لآخذ به شهرة، وهذا الكتاب ليس لي. قال: لماذا لم تتبرأ من هذا الكتاب؟ قال: ما أردت أن أخرج طه حسين، وتحمل الرجل ما حدث له، وأنا اليوم سعيد.

هذا ما أؤكد عليه بخصوص كتاب (الإسلام وأصول الحكم)»^(١).

ويواصل الدكتور توفيق كلامه، فيقول: «في ندوة طه حسين في المجلس الأعلى للثقافة قمت بمدخلة، وقلت هذا الكلام، فغضب عليّ الدكتور جابر عصفور، وهو من العلمانيين المعروفين في مصر. ولكن هو لا يعرف الحقائق، وعندما قلت هذا الكلام قام وثار وغضب، وقال: هذا الكلام غير صحيح؛ لأنه لو كان صحيحاً، لوقف في وجه هيئة كبار العلماء الذين أخرجوه من زمرتهم.

فقلت: اذهبوا إلى الشيخ أحمد إدريس، والصحفيون تجمعوا حولي؛ لأن هذا الكلام جديد بعد مرور أكثر من سبعين سنة على هذا الكتاب. وذهبوا إلى الشيخ أحمد إدريس، وأكد لهم ما قلته، ونشر ذلك في الصحف. هذا بخصوص (الإسلام وأصول الحكم) وقد عارضه مولانا وشيخنا الجليل الشيخ الخضر حسين، عارض هذا الكتاب، فأعجب به الملك فؤاد؛ لأنه كان يريد أن يكون خليفة للمسلمين.

كتاب (الإسلام وأصول الحكم) يقول فيه طه حسين؛ لأنه ليس لعلي عبدالرازق،

يقول: إن الحكومات الحديثة لا تحتاج إلى الخلافة، والخلافة ليست ضرورية، وليست من الدين، هذا كلام طه حسين، وهو كلام المستشرقين»^(١).

والأعجب من ذلك ما قاله الدكتور محمد رجب البيومي في كتابه (من أعلام العصر) وذلك في ترجمته للشيخ علي عبدالرازق؛ حيث تكلم على شيء من سيرته، وصفاته، ولقائه به بعد أن طلب الشيخ علي مقابله، بعد قراءته لكتاب البيومي (الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير).

يقول الدكتور البيومي: «قابلني الرجل الكريم بهدوءٍ باسم، وفهمتُ من حديثه أنه قرأ كتابي من ألفه إلى يائه، وقد سألت عن نقاط شتى، فأجبتُه عنها كما أستطيع، وكان الحديث يتجه في أكثره وجهة الأدب الخالص، فرأيتُ أن أعدل به إلى مباحث التشريع، فقلت: لقد وقع في يدي كتاب (الإجماع) وقرأته باهتمام، ثم علمت أن الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت قد عقب عليه، فناقشُ أموراً جوهرية، تتعلق بمباحثه، واختلافُ الأساتذة الكبار متوقع منتظر، فهل قرأت ما كتب الأستاذ شلتوت؟»

فقال الأستاذ: إن الشيخ محمود شلتوت من أعز أصدقائي، وترجع معرفتي به إلى أكثر من ثلاثين عاماً وله رأيه الحر، وقد ناقش آرائي بدون أن يشير إلى اسمي، وكأنه رأى أن تكون الموضوعية وحدها منهجاً يلتزم، وقد قابلته بعد ظهور كتابه عدة مرات في جلسات مجمع اللغة العربية، وتحدثنا في مسائل كثيرة، ولكنه لم يشر إلى شيء مما كتب في حديثه معي؛ فأثرت ألاً أفاتحه حتى يبدأ، وقد حمدتُ له سلوكه العلمي؛ لأنه احترم الرأي المعارض، وناقشه في حدود الأدب واللياقة، ولو سلك المعارضون معي مسلك الأستاذ شلتوت لما صادفتُ كثيراً من العقبات»^(٢).

ثم يعلق الدكتور البيومي على هذا الكلام، فيقول: «أدركت من حديث

١ - المرجع السابق ص ٦٣-٧٤.

٢ - من أعلام العصر ص ٣٠٦.

الأستاذ، أنه يشير إلى المعركة الكبرى حول كتابه (الإسلام وأصول الحكم) إذ رأى الأستاذ رأياً لم يُوفَّق في تحقيقه؛ فقابله الجمهور بصخب مائج، واندفع بعض الكتاب إلى مهاجمة تعلق بشخص الكاتب لا رأيه، فقلتُ في أدب: إن ما ذهب إليه كتابك عن الإسلام وأصول الحكم حين قررت أن الإسلام صلةٌ روحية بين العبد وربّه، وليس دستورَ معاملة وتشريع كان من الخطورة بحيث لا يجوز السكوت عنه!

قلتُ هذا وأنا أخشى أن أَعْضِبَ الأستاذ؟ وقد قابلني بمقابلة كريمة، ولكنه سأل في هدوء: أتقول: إني قلت إن الإسلام صلة روحية فقط؟ لم أقل هذا، وقد أوضحتُ مقصدي في مقال صريح نشرته بمجلة (رسالة الإسلام) التي كانت تصدرها جماعة التقريب، رداً على الأستاذ الدكتور أحمد أمين حين قال إن هذه هي فكرتي!^(١)

ثم يعلق الدكتور البيومي على قول الشيخ علي، قائلاً: «كان ما قاله الأستاذ لي مفاجأة لي!

فأنا أعرف أنه قرر أن الإسلام صلة روحية فقط، وما قامت الفرقة الصاخبة إلا من جراء هذا القول، وإن الذين عارضوه في كتب مستقلة من أمثال الشيخ محمد نجيت المطيعي، ومحمد الخضر حسين، ومحمد الطاهر عاشور قد وجهوا الهدف إلى إبطال هذا الزعم؛ فهل يكون الأستاذ قد رجع عن موقفه بعد سنوات راجع فيها نفسه، وقرأ ما كتب معارضوه بإمعان؛ فصحح الرأي، وعاد إلى الصواب؟! لقد صممتُ أن أراجع مقال الأستاذ، وارتحتُ كثيراً لهذا النبأ الجديد.

وانتقلَ الحديث إلى شجون أخرى أَلَمَمْنَا فيها بمؤلفات شقيقه الأستاذ الأكبر مصطفى عبدالرازق، وصدقاته المختلفة لكبار المفكرين والشعراء في هذا العصر،

ثم ذكرتُ الأستاذَ بمحاضرةٍ جيدةٍ ألقاها عن التجديد في البلاغة العربية، ونشرها بمجلة (الهلال) فراعني أن أجدّه نسيها كل النسيان، وقد طلبَ مني أن أحضر مجلة (الهلال) التي أشرت إليها؛ ليرى ما قال»^(١).

ثم يقول البيومي في فقرة من تلك الترجمة عنوانها (تحقيق ودراسة) وأراد منها أن يقف على حقيقة الأمر الذي دار بينه وبين الشيخ علي، يقول البيومي: «اتجهت من فوري إلى البحث عن أعداد مجلة (رسالة الإسلام) وكانت مهمّة صعبة؛ لأن الأعداد كثيرة، والرجل لم يحدد تاريخ الصدور فيربح الباحث؛ إذ لا يذكره، ثم كان من توفيق الله أن وجدتُ ما أريد في عديدين متلاحقين (هما العدد الثاني والعدد الثالث من السنة الثالثة) أبريل ١٩٥١، ويوليو سنة ١٩٥١؛ لأن المجلة فصلية تصدر كل ثلاثة أشهر، وفي العدد الثاني (ص ١٤٦) وجدتُ مقالاً للدكتور أحمد أمين تحت عنوان (الاجتهاد في نظر الإسلام) يقول في مطلعته: (كنت أجادل في الشهر الماضي مع معالي الأستاذ علي عبدالرازق باشا، وكنا نتعرضُ حال المسلمين وما وصلوا إليه من جمود، فقال: (إن دواء ذلك أن نرجعَ إلى ما نشرته قديماً من أن رسالة الإسلام روحانية فقط، ولنا الحق فيما عدا ذلك من مسائل ومشاكل).

فقلت: (إن رأيي أن رسالة الإسلام أوسع من ذلك؛ فهي روحانية ومادية معاً، بدليل ما ورد في القرآن من نظام البيع والشراء، والإجارة، والمعاملات المالية، ومسائل الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ونحو ذلك).

ثم صدرَ العدد الثالثُ يحملُ مقالاً تحت عنوان (الاجتهاد في نظر الإسلام ص ٢٤٦) بقلم الأستاذ علي عبدالرازق باشا، قال فيه بعد أن نقل عبارة الدكتور أحمد أمين: (وقفتُ أمام ناظري كلمة رسالة الإسلام روحانية فقط، ولم تشأ أن تمر من غير أن تثير ذكرى قصة قديمة لهذه الكلمة معي؛ فقد زعم الطاعنون الذين جعلوا في قلوبهم الحميّة يومئذ أنني في ذلك البحث قد جعلت الشريعة الإسلامية شريعةً

روحانية محضة، ورتّبوا على ذلك ما طوّعت لهم أنفسهم أن يفعلوا. أما أنا فقد رددتُ ذلك عليهم، وقلتُ لهم يومئذ صادقاً ومخلصاً: إنني لم أقل ذلك لا في هذا الكتاب ولا في غيره.

وأسوق هذا الحديث؛ ليدكر الأستاذ الكاتب الكبير أن فكرة روحانية الإسلام لم تكن لي رأياً يوم نشرتُ البحث المشار إليه، وأني رفضتُ يومئذ رفضاً باتاً أن يكون ذلك رأياً؛ فما ينبغي أن أعود اليوم فأقول إنني أدعو إلى أن نرجع إلى ما نشرته قديماً من أن رسالة الإسلام روحانية فقط»^(١).

ثم يقول الدكتور البيومي معلقاً على الكلام السابق: «هذا ما قاله الأستاذ رداً على الدكتور أحمد أمين، وهو مما أثار دهشتي؛ لأنني أعرف أنه قال هذا الكلام بمضمونه إن لم يكن بلفظه، ولو كان ينكر كلمة (روحانية) فإن مادتها صريحة في كتابه؛ حيث يقول (ص ٦٩ - الطبعة الأولى): (ولاية الرسول على قومه ولايةٌ روحية منشؤها إيمان القلب، وخضوعه خضوعاً تاماً يتبعه خضوع الجسم، وولاية الحاكم ولايةٌ مادية تعتمد على إخضاع الجسم من غير أن يكون له بالقلوب اتصال، تلك ولايةٌ هداية إلى الله، وإرشادٌ إليه، وهذه ولايةٌ تدبيرٌ لصالح الحياة وعمار الأرض، تلك للدين، وهذه للعالم، تلك لله، وهذه للناس، تلك زعامةٌ دينية، وهذه زعامةٌ سياسية، ويا بعدما بين السياسة والدين).

ثم يقول الأستاذ علي عبدالرازق (ص ٧٨ من الطبعة الأولى): «والدنيا من أولها إلى آخرها، وجميع ما فيها من أغراضٍ وغاياتٍ أهون على الله من أن يقيم على تدبيرها غير ما ركبَ فينا من عقول، وحبانا من عواطف وشهوات، وعلمنا من أسماء ومسميات، هي أهونُ على الله من أن يبعث لها رسولاً، وأهونُ عند رسل الله من أن يشتغلوا بها وينصبوا لتدبيرها»^(٢).

١ - المرجع السابق ص ٣٠٨-٣٠٩.

٢ - المرجع السابق ص ٣٠٩-٣١٠.

فهذا هو خلاصة ما دار بين الدكتور البيومي والشيخ علي عبدالرازق، ويلحظ فيه مدى اضطراب الشيخ علي في رأيه من أن رسالة الإسلام روحية، أو أنها شاملة. وعلى كل حال فسواء كان الكتاب - الإسلام وأصول الحكم - لعلني عبدالرازق أو لغيره فهو منسوب إليه، ولم يظهر البراءة منه صراحة؛ ولا يُدري ما دافعه إلى تأليف ذلك الكتاب، أهو يريد شهرة؟ أم أنها خطوة لم يحسب حسابها، وينظر في تبعاتها؟ وهل هو نادم على تأليفه حقيقة؟ ولماذا لم يظهر ندمه علانية؟ أهو خوف سقوط المكانة؟ أم أنهم الأكابر يخطؤون في العلانية ويتوبون في السر؟ ولماذا لم يتراجع صراحة عما جاء في الكتاب؟ خصوصاً وأنه رأى آثاره الوخيمة؛ حيث عاش بعد تأليفه للكتاب المذكور ما يزيد على اثنتين وأربعين سنة.

أسئلة تحتاج إلى مزيد بحث وتحري؛ للوقوف على حقيقتها.

ولا يسع في هذا المقام إلا أن يقال: لعله رجع من ذلك، ولعل الله قبل منه، والله غفور رحيم، ورحمته وسعت كل شيء، ولا تحجير لرحمة الله - عز وجل -.

والذي يهم في هذا السياق كله أن الشيخ الخضر قد عاصر تلك الفترة بكل تفاصيلها؛ إذ كانت مزمنة لمرحلته المصرية، فكان يرمقها بعين العالم البصير الذي يعرف ما يجب عليه، وينتظر الفرصة؛ ليقوم بواجبه الذي يمليه عليه إيمانه، وشعوره بمكانته التي تُحتمُّ عليه ألا يتوانى بذلك الواجب؛ فكان منه ما كان من الرد والنقض والمواجهة لدعاة العلمانية.

وإن كان قد سبق ذلك تحريير، وتقرير لوجوب تحكيم الشريعة الإسلامية، وصلاحياتها لكل زمان ومكان.

بل كان ذلك منه إبان فترته التونسية؛ إذ كان يتوجس منذ تلك الفترة من سقوط الخلافة، وإلغاء الحكم بما أنزل الله.

وهذا ما مضت إشارة إليه من قبل، وما سيأتي إيضاحه وبسطه في الباحثين التاليين.

المبحث الثاني: إثباته صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان

منذ أن شبَّ الشيخ الخضر عن الطوق وهو يرى مظالم الاستعمار، ومنذ بواكير حياته العلمية وهو يرقب إرهابات تنحية الشريعة، والمحاولات الحثيثة التي تنال منها، وتسعى جاهدة لإبعادها عن الحكم؛ فكان من أعظم وأهم ما عُنِي به من القضايا قضية الحكم بما أنزل الله؛ حيث رفع منذ مرحلته الأولى في تونس شعاراً ناضل عنه طيلة حياته ألا وهو شعار (الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان).

يقول ﷺ: «وأما قيام أحكام الشريعة على أساس العدل، ورسمها للسياسة خطأً محكمة الوضع، فسيحة ما بين الجوانب - فذلك ما لا أستطيع تفصيل الحديث عنه في هذا المقال، وفيما كتبناه ونكتبه - إن شاء الله - تحت عنوان: (الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان) ما يساعد على الإمام بأصول الشريعة، ومعرفة اتساعها لكل ما يحدث من الوقائع»^(١).

والشيخ الخضر يقرر ذلك؛ لأن من أعظم ما وُجِهَ للشريعة من الطعون شُبُهَةٌ أنها لا تلائم العصر، وأنها قد استنفذت أغراضها، وأن الأمة لن تتطور إلا إذا نَحَّتْ الشريعة جانباً، واستبدلت بها القوانين الوضعية مقارنة بأوروبا التي تركت دين الكنيسة؛ فارتقت في المدنية درجاتٍ.

وتلك الشبهة راجت، وذلك قياس فاسد أخذ بالباب كثيرين؛ فصرفهم عن سواء السبيل.

والشيخ الخضر لم يكن بمعزل عن تلك المعامع، بل كان يرقب الوضع بعين العالم البصير؛ ولا غرو في ذلك فهو الضليع بعلوم الشريعة، المتشبع بأسرارها ومقاصدها، الغيور على هداية الإسلام، وتاريخه، ورجالاته.

وهو أستاذ السياسة الشرعية، والمصلح الاجتماعي، والمفكر السياسي الذي لم يؤسس حزباً، ولم يدخل في انتخابات.

وإنما كان يطرح أفكاراً سياسية، ويسعى لإصلاح ما فسد من سياسة الأمة. وذلك من خلال المحاضرات، أو المقالات التي كان يكتبها، أو الدروس التي كان يلقيها خصوصاً أيام تدريسه للسياسة الشرعية في جامعة الأزهر^(١). وقد مضت إشارات إلى ذلك في مواضع عدة من هذا البحث.

وفيما يلي بيان لأهم ما تعرّض له من إثبات صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان. أولاً: دراساته المستقلة في إثبات صلاحية الشريعة: فلقد تناول الشيخ الخضر إثبات صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان بالدراسة والتحليل، وذلك من خلال إبحاث مستقلة، وأشهر ما في ذلك بحثان، وفيما يلي عرض لما جاء في ذينك البحثين:

١. (الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان): وقد مرّ التعريف الموجز بذلك البحث في الباب الأول عند العرض لمؤلفات الشيخ.

وهذا البحث واضح من عنوانه، وقد احتوى على مسائل عدة، تثبت ما جاء في ذلك العنوان، وتدحض المزاعم التي تقول بخلافه.

وهو بحث أصيل مُشربٌ بروح العصر، وفيما يلي عرض لأهم ما ورد فيه:
أ- افتتح الشيخ البحث بتمهيد موجز يبيّن من خلاله مقصده من تأليفه؛ حيث قال: «يقع في وهْم من لا يدري ما الإسلام: أن شريعته لا توافق حال العصر الحاضر، ويبيّن توهمه هذا على أن القوانين إنما تقوم على رعاية المصالح، ومصالح العصور تختلف اختلافاً كثيراً؛ فالدعوة إلى بقاء أحكامها نافذة هي في نظره دعوة إلى خطة غير صالحة.

ذلك ما نقصد في هذا المقال إلى تفنيده، وتفصيل القول في دفع شبهته؛ حتى يثبت بالدليل المرئي رأي العين أن الشريعة الغراء تسائر كل عصر، وتحفظ مصالح كل جيل»^(١).

ثم بين بعد ذلك أنه «لما كان التشريع الإسلامي يعتمد في معظم أحكامه على الاجتهاد استدعى البحث أن نُصدِّره بكلمة في الاجتهاد، وفي هذه الكلمة ترى شيئاً من عظمة علماء الشريعة، ولا إخالك أن تقرأ البحث بدقة، فلا تأتي على آخره حتى تشهد بأنهم كانوا هداةً مصلحين»^(٢).

إلى أن قال: «ونأخذ بعد بحث الاجتهاد في تقرير الأصول التي جعلت الشريعة تَسَعُ مقتضيات العصور على اختلافها، وتقوم بحاجات الشعوب على تباعد ما بينها، ونسوق لك الشواهد على هذا من عمل القضاة ورجال الفتوى؛ حتى لا يبقى في صدرك حرج من مزاعم أولئك الذين يكتبون، أو يخطبون فيما لا يعلمون»^(٣).

ب- انتقل إلى الحديث عن الاجتهاد؛ فقرر في مستهله أن شريعة الإسلام عامة؛ فلا يختص بها قبيل من البشر دون قبيل، ودائمة؛ فلا يختص بها جيل دون جيل، وأن أفعال البشر على اختلاف أجناسهم وتعاقب عصورهم - لا تنتهي إلى حد، ولا تدخل تحت حصر.

لأجل ذلك - كما يقول - لم تنزل أحكام الشريعة في نسق واحد، بل أرشدت الشريعة إلى بعضها بدلائل خاصة، وقررت بقيتها في أصول كلية؛ ليستنبطها الذين أوتوا العلم عند الحاجة إليها^(٤).

ثم أوضح أن العالمَ يتمكن من استنباط الأحكام بمعرفة أمرين:

١ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ٥ .

٢ - المرجع السابق ص ٥ .

٣ - المرجع السابق ص ٥-٩ .

٤ - انظر المرجع السابق ص ٧ .

أحدهما: الأدلة السمعية التي تُنتزع منها القواعد والأحكام.
 ثانيهما: وجود دلالة اللفظ المعتدّ بها في لسان العرب، واستعمال البلغاء.
 ثم شرع في بسط مرجع النظر في الأدلة السمعية وأنها الكتاب والسنة
 والإجماع، وما يتصل بهذه الأدلة.
 ومرجع النظر في وجوه الدلالات، وأنه يرجع إلى دلالة المنطوق، ودلالة
 المفهوم، ودلالة المعقول.
 ثم انتقل إلى بسط شرائط الاجتهاد من العلم بالشرعية، واللغة، وما يندرج
 تحت ذلك^(١).

ج- بحث في بناء الشريعة على حفظ المصالح ودرء المفاسد، وبسط الحديث من
 خلال ذلك في التفقه في الأدلة السمعية.
 ثم انتقل إلى الأصول النظرية الشرعية؛ فبين أن المسلمين لم يختلفوا في أن
 الشريعة الإسلامية نزلت لتقرير أحكام الوقائع؛ فلا واقعة إلا لها مدلول عليه
 بالنص، أو بأصل من الأصول المستمدة من النصوص.
 ثم شرع في تفصيل ذلك، وانتقل بعده إلى بسط الحديث عن القياس،
 والاستصحاب، ومراعاة العرف، وسد الذرائع، والمصالح المرسلة، والاستحسان.
 وهكذا يمضي في تفصيل ذلك، وتأييده بالأدلة الشرعية، والعقلية، والواقعية،
 والتاريخية؛ بما لا يدع حجة لمن أراد الطعن في الشريعة، أو ادعاء أنها لا تلائم
 العصر^(٢).

فهذا أهم ما جاء في ذلك البحث.

٢. (مدارك الشريعة الإسلامية): وأصل هذا البحث محاضرة ألقاها الشيخ بنادي
 جمعية قدماء تلامذة مدرسة الصادقية بتونس يوم السبت ١٨/جمادى الثانية سنة

١ - انظر المرجع السابق ص ٧-١٦ .

٢ - انظر المرجع السابق ص ١٦-٧٢ .

١٣٣١هـ، وطبعت مفردة، وضمّن موسوعة الأعمال الكاملة، وقد مر الحديث عنها في الباب الأول عند العرض لمؤلفات الشيخ.

وهذه الرسالة - كما هو واضح من عنوانها - تبحث في السياسة الشرعية، وتؤكد صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان. وفيما يلي بيان لأهم ما اشتملت عليه:

أ. استهلها ببيان حكمة التشريع: فبين من خلال ذلك أن القصد من وضع قوانين المعاملات والجنايات تمكين الناس من حقوقهم التي تهوي إليها أفئدتهم، ووقايتهم مما يدخل على قلوبهم بالآثار المؤلمة.

وأن الاعتبار لواقع الشريعة إنما هو اللذة التي لا يقارنها ألم راجح، وتسمى بالمنفعة أو المصلحة، والألم الذي لا تصاحبه لذة راجحة، ويعبر عنه بالمضرة أو المفسدة.

وأن الشريعة العادلة هي التي تزن المنافع والمفاسد، وتلاحظ ما يتفرع منها من النتائج، ثم تفصل لها من الأحكام ما يطابقها؛ فبهذا يتحقق أن الشرع الذي يسنّه العالم بشعور الأمة المطلع على أحوال ضمائرهما - يكون أحكم نظاماً، وأحفظ للمصالح مما يضعه الذي لا يعرف سوى ظواهرها.

وبين - كذلك - أن من خصائص الشريعة المحكمة أن تكون أحكامها قائمة على أسباب حقيقية، وأنه قد اختل نسيج بعض القوانين الوضعية؛ حيث ذهب مقررهما إلى إقامتها على علل غير حقيقية.

وهكذا يقرر هذه الحقائق، ويضرب عليها الأمثلة^(١).

ب. قرر أن الشرائع سماوية ووضعية؛ فذكر معنى كل منهما، وذكر ميزات السماوية بأنها تعزز قوانينها بسلطة غيبية، وأنها توجب على الفرد إصلاح

١ - انظر الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ٧٢-٧٥.

عمله، وتنهاه عما يضر بشخصه، وتكلف الإنسان برفع الضرر عن غيره وحمايته منه^(١).

ثم تطرق لمنابع الشريعة الإسلامية، وأنها على نوعين: أحدهما: ما يدل بنفسه وهو القرآن والحديث والقياس.

وثانيهما: ما يتضمنه الدليل، ويستلزمه، وهو الإجماع.

ثم فصل الحديث في ذلك، وبيّن من خلاله أن شريعة الإسلام ضمت تحت جوانحها حقائق حفظت مصالح كل العصور، ومكنت المجتهد في كل عصر أن ينتزع لأي حادثة تُعرض له حكماً يلائم مصلحتها، وأنها أقامت دعائم كلية، وبنيني على كل دعامة منها أصول وأحكام يستخرجها العارف بطبيعة النوازل، القائم بمقصد الشارع في أمثالها.

وهكذا يمضى في تفصيل ذلك، وضرب الأمثلة عليه، ثم ينتقل إلى اختلاف المذاهب، وانتشارها، وطبقات الفقهاء، وعلاقتهم بالأمر، وأحوالهم معهم^(٢). وبالجملة فالرسالة حافلة بالمباحث التي تقرر صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان.

ثانياً: إجابته عن الأسئلة الواردة في مراعاة التشريع الإسلامي لظروف الزمان والمكان: ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في إجابة له عن سؤال ورد إليه في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء التاسع من المجلد السابع عشر.

ونص السؤال يقول: «هل التشريع الإسلامي تراعى فيه ظروف الزمان والمكان؟ أم يجب الوقوف فيه حتماً عند النصوص، وكل ما جاوزها يؤثم عليه، ولا يُعتد به شرعاً؟ نرجو الجواب الآن؛ لشدة الحاجة إليه»^(٣).

١ - انظر المرجع السابق ص ٧٦-٧٧.

٢ - انظر المرجع السابق ص ٨٣-١٠٢.

٣ - المرجع السابق ص ٢٧٦-٢٧٧.

فأجاب ﷺ عن ذلك السؤال إجابة موجزة جمعت أطراف الموضوع بما يعز نظيره في غير هذا الموضوع، فقال: «معروف في علم القضاء: أن القوانين إنما تقوم على رعاية المصالح، ومصالح العصور تختلف اختلافاً كبيراً. وعلى هذا الأصل تقوم الشريعة الإسلامية، وبهذا يمكنها أن تسائر كل عصر، وتحفظ مصالح كل جيل؛ ذلك أن الإسلام دلّ على بعض الأحكام في أصول كلية؛ ليستنبط منها المجتهدون أحكام الوقائع على حسب مقتضيات أحوال الأزمنة والمواطن»^(١).

وأضاف قائلاً: «وقد أجمع علماء الإسلام على أن أحكام الشريعة قائمة على رعاية مصالح العباد، وأنه يرجع في تعرف المصالح إلى أنظار المجتهدين. ومن هنا قرروا أن أصول الشريعة ترجع إلى أربع قواعد: (الضرر يزال)، و (المشقة تجلب التيسير)، و (العادة محكمة)، و (الأعمال بمقاصدها)»^(٢). ثم بيّن ما يرجع إلى هذه القواعد، فقال: «وترجع إلى هذه القواعد العليا قواعد تجعل أحكام القضاة المجتهدين أحفظ للمصالح، وأشدّ مطابقة لمقتضيات العصر، ومن هذه القواعد: قاعدة: رعاية المصالح المرسلّة. والمصلحة المرسلّة مصلحة يدركها العقل في حادثة، ولم يبق عليها دليل خاص من الكتاب والسنة.

ومنها: قاعدة: (مراعاة العرف) وقاعدة: (سد الذرائع) وهي المنع من أشياء شأنها أن تؤدي إلى أمور تشتمل على فساد. ويدلّكم على أن الشريعة الإسلامية قائمة على رعاية المصالح: أن المجتهدين من أئمتها قد يحملون بعض النصوص المطلقة على أحوال خاصة إذا اقتضت قاعدة رعاية المصالح المرسلّة فهم النص على أن المراد: العمل به في هذه الأحوال الخاصة»^(٣).

١ - المرجع السابق ص ٢٧٧ .

٢ - المرجع السابق ص ٢٧٧ .

٣ - المرجع السابق ص ٢٧٧ .

ثم ختم ذلك الجواب -كعاداته- بذكر ملخصه ، فقال : «وصفة هذه الكلمة الموجزة: أن التشريع الإسلامي يوافق حال كل عصر ، ولو نظر إليه غير المسلمين بالعين التي ينظرون بها إلى القوانين الوضعية ، وقارنوا بينه وبين تلك القوانين مقارنةً رائدتها البحث عن الحقيقة - لرأوه رأي العين كيف يأخذ بالعدل من أطرافه ، ويعطي كل ذي حق حقه»^(١).

ثالثاً: إثباته أن الإسلام جاء بنظام شامل كامل للحكم ، وذلك في مواطن كثيرة من كتبه ، وعلى وجه الخصوص ما جاء في كتابه (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) وقد مرت إشارات عدة إلى ذلك في هذا البحث؛ حيث كان يبدئ ويعيد في تقرير ذلك ، ويسوق عليه الأدلة ، والبراهين.

ومن الشواهد على ذلك ما جاء في بحثه (ضلالة فصل الدين عن السياسة) حيث قرر ذلك أحسن تقرير ، وأوضح أن الإسلام قد جاء بأحكام وأصول قضائية ، ووضع في فم السياسة لجاماً من الحكمة؛ وإنما ينكر ذلك من تجاهل القرآن والسنة ، ولم يحفل بسيرة الخلفاء الراشدين؛ إذ كانوا يزنون الحوادث بقسطاس الشريعة ، ويرجعون عند الاختلاف إلى كتاب الله ، أو سنة رسول الله^(٢).

ثم شرع في إيراد الشواهد من القرآن التي تدل على أن دعوته تدخل في المعاملات المدنية ، وتتولى إرشاد السلطة السياسية ، وأن كل حكم يخالف شرع الله فهو من فصيلة أحكام الجاهلية ، وأن من لم يدخل الإيمان في قلوبهم يتغنون من الحاكم أن يخلق أحكامه من طينة ما يوافق أهواءهم^(٣).

وأثبت أن في القرآن أحكاماً كثيرة ليست من التوحيد ، ولا من العبادات؛ كأحكام البيع والربا ، والرهن والدين والإشهاد ، وأحكام النكاح والطلاق واللعان والولاء

١ - المرجع السابق ص ٢٧٧-٢٧٨ .

٢ - انظر رسائل الإصلاح ص ١٨٩ .

٣ - انظر المرجع السابق ص ١٨٩-١٩٠ .

والظهار، والحجر على الأيتام، والوصايا والمواثيق، وأحكام القصاص والدية، وقطع يد السارق، وجلد الزاني وقاذف المحصنات، وجزاء الساعي في الأرض فساداً^(١).

بل أثبت أن في القرآن آياتٍ حربيةً فيها ما يرشد إلى وسائل الانتصار، والقوة المعنوية، وما يتعلق بالصلح، والمعاهدات.

كما أن في السنة الصحيحة أحكاماً مفصلة في أبواب المعاملات والجنايات، إلى نحو ما يدل ذلك على أن من يدعو إلى فصل الدين عن السياسة إنما تصور ديناً آخر وسماه الإسلام^(٢).

ثم ساق شواهد كثيرة من سيرة الصحابة، ومن جاء بعدهم من ولاة المسلمين ممن كانوا يسوسون الناس بالدين^(٣).

رابعاً: بحثه في مسائل كثيرة في التشريع الإسلامي وصلاحيته: وذلك كثير جداً في أبحاثه الخاصة في بعض الموضوعات في ذلك الشأن، أو في غضون أبحاثه الأخرى التي يتعرض في خلالها لمسائل في التشريع وصلاحيته.

ومن الأمثلة على ذلك - وهي كثيرة جداً - بحثه في القرآن والخلافة، والسنة والخلافة، والإجماع والخلافة، ووجه الحاجة إلى الخلافة، والآثار الصالحة للخلافة. ومن ذلك بحثه في العرب والسياسة، وسبب اعتناء المسلمين بالسياسة، واستدراكه على ابن خلدون في أن العرب أبعد الناس عن السياسة.

وكذلك بحوثه الكثيرة في القضاء وهي تستحق - بحمد ذاتها - الدراسة^(٤).

١ - انظر المرجع السابق ص ١٩٠ .

٢ - انظر المرجع السابق ص ١٩٠-١٩١ .

٣ - انظر المرجع السابق ص ١٩١-١٩٤، وانظر في الشواهد على ذلك في كتاب: الإدارة الإسلامية عند العرب، تأليف محمد كرد علي، مكتبة ابن عباس، المنصورة؛ ففي هذا الكتاب الذي يبلغ ١٨٦ صفحة شواهد وحوادث عبر التاريخ تؤكد أن الأمة كانت تساس بالدين، وأنها كانت على درجة عالية من الجودة، والنظام، والكفاءة.

٤ - انظر نظرات في الإسلام وأصول الحكم ص ٧-٥٥، وهو كتاب جمع فيه الأستاذ علي الرضا الحسيني كثيراً مما تفرق من مقالات الشيخ وآرائه في ذلك الشأن .

ومما بحثه في باب القضاء: القضاء العادل في الإسلام، ونبذة في مبادئ القضاء في الإسلام وآدابه، وكون القضاء في عهد النبوة موكولاً إلى الأمر^(١)، كما تطرق لسير كثير من قضاة الإسلام، وقد مر شيء من ذلك في هذا البحث.

ومما بحثه في باب الحكم والتشريع: الشهادة وأثرها في إقامة الحقوق^(٢)، والذرائع فتحها وسدها^(٣)، ومراعاة العرف^(٤)، وعده الإيمان بصحة أحكام الشريعة داخلاً في الإيمان بالله^(٥)، وتطرقه لرجم الزاني المحصن وشرعيته^(٦)، وبحث لفظي في آيتي السرقة والزنا^(٧)، وبحث في النسخ في الشريعة الإسلامية^(٨)، وأن الإسلام خير نظام للحكم^(٩)، وبحث الأحكام العادلة^(١٠).

ومن المسائل التي بحثها في باب الحكم والتشريع: المالية في عهد النبوة، ولماذا لم يكن في عهد النبوة إدارة بوليس، وكون الرسول -عليه السلام- ذا رياسة دينية، والجهاد النبوي، والجزية، والمخالفون وأنواعهم، وسر الجهاد في الإسلام، وأن من مقاصد الإسلام أن تكون لأهله دولة، ووجه قيام التشريع على أصول عامة، وكون الشريعة فصلت في بعض الأحكام، ودلت على سائرها بأصول يراعى في تطبيقها حال الزمان والمكان، وسياسة الشعوب

- ١ - انظر رسائل الإصلاح ص ٩٢-١٠٣، ونظرات في الإسلام وأصول الحكم ص ٥٧-٥٩.
- ٢ - انظر دراسات في الشريعة الإسلامية ص ٢٧-٣٢.
- ٣ - انظر المرجع السابق ص ٣٣-٣٨.
- ٤ - انظر المرجع السابق ص ٣٩-٤٦.
- ٥ - المرجع السابق ص ١٧٧.
- ٦ - انظر المرجع السابق ص ٢٢٦-٢٢٧.
- ٧ - انظر المرجع السابق ص ٢٢٨.
- ٨ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ١٠٣-١١٢.
- ٩ - انظر الهداية الإسلامية ص ١٢٨-١٣٢.
- ١٠ - انظر دراسات في الشريعة الإسلامية ص ١٠-١٣.

وقضاؤهما في العهد النبوي ، والتشريع الإسلامي والأصول السياسية والقوانين ، والسياسة الرشيدة في الإسلام ، والدهاء في السياسة ، والشعور السياسي في الإسلام إلى غير ذلك من الأبحاث الكثيرة التي أفرد بعضها ، أو التي أودعها بطون كتبه الأخرى ، وخاصة ردوده على المخالفين في ذلك الشأن كعلي عبدالرازق وطه حسين وغيرهما.

والتي يقرر من خلالها اشتمال الشريعة الإسلامية بنصوصها وأصولها على أحكام ما لا يتناهى من الوقائع ، وكونها أحكم ما تساس به الأمم ، وأصلح ما يقضى به عند التباس المصالح ، أو التنازع في الحقوق^(١) .
فهذه معالم عنايته بإثبات صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان ، وسيأتي مزيد بيان لذلك في المبحث التالي.

١ - انظر نظرات في الإسلام وأصول الحكم ص ٦٠-١٨٣ ، وتقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ٦٠ و ١٠٣-١٢٢ و ١٦٩-١٢٥ و ١٧٥-٢٢٥ و ٢٤٢-٢٦٠ ، ورسائل الإصلاح ص ١٨٥ .

المبحث الثالث: مواجهته للعلمانية

لقد مر في كثير من فصول هذا البحث أن الشيخ الخضر خاض معارك فكرية كثيرة؛ حيث قُدِّر له أن يشب عن الطوق في مطالع القرن الرابع عشر الهجري تلك المرحلة المفصلية من تاريخ الأمة الإسلامية. ولا ريب أن معركة العلمانية هي من أشرس المعارك الفكرية التي خاضها إن لم تكن أشرسها على الإطلاق. وكان يسمي العلمانية: فصل الدين عن السياسة، ويصفها بالضلالة كما في بحثه (ضلالة فصل الدين عن السياسة)^(١). ويصفها - أيضاً - بالبدعة كما في مقالته: (بدعة فصل الدين عن السياسة)^(٢). ويجعلها في قائمة أسوأ البدع كما في بحثه (السنة والبدعة)^(٣). وهذه المواجهات مع العلمانية كثيرة جداً، وتأخذ أبعاداً شتى، ومن خلال المطلبين التاليين بيان لأهم المعالم التي أسفرت عنها تلك المواجهات:

١ - انظر رسائل الإصلاح ص ١٨٥.

٢ - انظر الهداية الإسلامية ص ٢٦٤.

٣ - انظر الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ١٣٧.

المطلب الأول: مواجهته لأكابر المنظرين للعلمانية، أو بعض مسألتها حيث كان له معهم منازلات كثيرة، وردود عدة.

ولم تقتصر هذه المواجهات على المتمحذين للعلمانية المنادين بها صراحة دون مواربة - كما في صنيعه مع علي عبدالرازق - بل تجاوزت ذلك إلى المنظرين لبعض قضايا العلمانية من المتأولين، أو المجتهدين، أو المخطئين، أو الخاطئين؛ إذ كانت تلك الفترة التي مرت الإشارة إليها هي أوج العلمانية، التي أخذ بريقها بألباب كثيرين؛ فأساغها نفر غير قليل سواء من أهل العلم أو غيرهم؛ فما كان من الشيخ الخضر إلا أن تصدى بكل ما أوتي من قوة - لكل من سوغ العلمانية، ونظر لها، أو لبعض جزئياتها.

وأشهر أولئك الذين تصدى لهم الشيخ في هذا الشأن ما يلي:
 أولاً: الشيخ علي عبدالرازق: خصوصاً في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) الذي مر الحديث عنه في مناسبات شتى من فصول هذا البحث.
 وكذلك عند التعريف بكتاب الشيخ الخضر (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم).

ذلك الكتاب الذي يعد من أهم الوثائق في نقض شبه العلمانية. هذا وقد مر إيراد لكثير من النقول التي نقض فيها الشيخ الخضر حجج الشيخ علي عبدالرازق، ومرت إشارات وإشادات كثيرة بذلك الكتاب حتى إن الدكتور محمد عمارة يرى «أن أجود دراسة فكرية كتبت ضد كتاب (الإسلام وأصول الحكم) هي التي كتبها الشيخ محمد الخضر حسين، وأخرجها في كتاب (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم)»^(١).

ويقول الأستاذ محمد الشمام في كلامه عن كتاب الشيخ الخضر المذكور: «وإني

أحَقَّق أنَّ الشيخ الخضر كان في مؤلفه هذا مثلاً للعالم المحقق ذي الخلق الرفيع، يقرع الحجَّة بالحجَّة، ويرد الدليل بالدليل، ولا يُسِفُّ في تعبيره، ولا يخرج عن حدود النقد النزيه المدعم.

إلى أن يقول: «وكأنه - برِّد الله ثراه - أراد أن يترك مؤلفاً علمياً لا لغو ولا غث، به يخدم العلم والفكر، فكان له ما أراد»^(١).

وبالجملة فإن كتاب (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) من أعظم الكتب في بابهِ، بل من أعظم كتب الشيخ على الإطلاق، وأخلدها أثراً. ولم يقف الشيخ الخضر عند هذا الحد حيال كتاب (الإسلام وأصول الحكم) بل لقد كان له مواقف أخرى.

ومنها ما ذكره الأستاذ الشامام حيث قال: «ولم يقف الأمر بالشيخ الخضر عند هذا الحد، فقد شجع شيخاً آخر من تونس أحد أصدقائه الخالص على أن يخوض هذه المعركة والمركة الفكرية، وهو فقيه عالم جليل، شيخنا محمد البشير النيفر، المدرس، والإمام الخطيب المقوه، الذي صدر له أخيراً كتاب قيم به تراجم لأعلام أسرته، وقد حقَّقه ونشره صديقنا القاضي الأستاذ محمد المختار النيفر.

شارك شيخنا محمد البشير النيفر بدراسة قيمة جامعة ألقاها بجامع أبي محمد في رمضان سنة (١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م) تحت عنوان: (عبادات ونظم اجتماعية) نقل فيها فقرات طويلة من كلام الشيخ علي عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) ولم يذكر اسمه، ووقى ذلك بتنفيذ ما جاء بها.

وهي دراسة طويلة نشرها صديقه وصفيُّه شيخنا الخضر في مجلته مجلة (الهداية الإسلامية) عدد ١٠٤، سنة (١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م)، وأثنى على صاحبها ثناء جميلاً»^(٢).

١ - المرجع السابق ص ٢٧٨ .

٢ - المرجع السابق ص ٢٨١-٢٨٢ .

وكذلك ما جاء في رده (العظمة) الذي رده به على الشيخ علي عبدالرازق؛ فموضوع هذا الرد وإن كان في السيرة النبوية- لم يخلُ من الإشارة إلى الخصومة التي نشبت بين الرجلين حول موضوع الخلافة الإسلامية، وأن الإسلام دين ودولة، وأن خليفة المسلمين هو المسؤول الأول عن رعاية شؤونهم الدينية والدينية^(١).

فهذه خلاصة مواقفه مع الشيخ علي عبدالرازق.

ثانياً: الدكتور طه حسين: خصوصاً في كتابه: (في الشعر الجاهلي) الذي رد عليه الشيخ الخضر في كتابه (نقض كتاب في الشعر الجاهلي).

فكتاب طه حسين هذا - وإن كان في موضوعه الأساس يدور حول الأدب وقضاياه - مشتمل على إشارات إلى موضوع الخلافة، وإيراد لبعض الشبهات حولها - كما مر-^(٢).

ثالثاً: محمد أبو زيد الدمهوري: وذلك في كتابه (الهداية والفرقان في تفسير القرآن بالقرآن) الذي رد عليه الشيخ الخضر برده المعنون بـ: (كتاب يهذي في تأويل القرآن المجيد).

وفي ضمن ذلك الرد فقرة بعنوان: (دعوته إلى الفسوق عن أحكام الشريعة). قال الشيخ الخضر تحت هذا العنوان: «يريد المؤول أن يفتح لذوي الأهواء باب الخروج عن الدين، وتعطيل أحكام الشريعة، فزعم أن المصلحة قد تكون في غير ما أمر الله به، فحرّف قوله -تعالى-: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور: ٦٣ .

وقال: (يفيدك أن المخالفة المحذورة هي التي تكون للإعراض عن أمره، وأما التي تكون للرأي والمصلحة فلا مانع فيها بل هي من حكمة الشورى)^(٣). ثم قال الشيخ معقّباً: «المؤول يمجيز تقرير رأي مخالف لأمر رسول الله ﷺ الذي

١ - انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص ١٤٤-١٤٦ .

٢ - انظر نقض كتاب في الشعر الجاهلي ص ١٧٩-١٨٣ و١٨٨-١٩٠ .

٣ - بلاغة القرآن ص ١٥٦ .

هو أمر الله -تعالى- ويرى في هذا الرأي المخالف مصلحة تجعله أهلاً لأن يعمل عليه بدلاً من أمر الله ، يقول الله -تعالى-: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤ .

ومصداق هذه الآية: من يحكم بغير ما أنزل الله معتقداً أن المصلحة فيما حكم به ، ويتناول من يفتي برأي معتقداً أنه أحفظ للمصلحة مما أنزل الله؛ فمن يأذن للناس في تقرير رأي مخالف لأمر الله فإنما يقودهم إلى حفرة من النار هي إنكار أن يكون الله -تعالى- أحكم الحاكمين^(١).

إلى أن قال: «فإن زعم المؤول أنه قصد ما كان يراجع فيه بعض أصحابه من نحو بعض الآراء الحربية قلنا له: إنك أطلقت في تأويلك، ولم تقصره على هذا النوع من أوامره -عليه الصلاة والسلام-.

ثم إن مخالفة الأمر عدم العمل به، وإبداء بعض الصحابة لآرائهم في شيء من تدابير الحروب لا يسمى مخالفة للأمر، بل كانوا يعرضون عليه الرأي؛ فتارة لا يراه صالحاً، فيرده، ولو عملوا على مقتضى رأيهم لحق عليهم وعيد الآية، وتارة يرى فيه المصلحة، فيأمر بالعمل به، والعمل على هذا النحو من قبيل اتباع أمره، فأين المخالفة؟!»^(٢).

رابعاً: الشيخ عبدالمتعال الصعيدي: وذلك في مقاله (التشريع المصري وصلته بالفقه الإسلامي) الذي أبدى فيه رأياً هو أن الأمر في آية حد السرقة، وآية حد الزنا يحمل على الإباحة لا على الوجوب، وأن الأمر الذي سيثيره قد يصل فيه إلى إعادة النظر في النصوص التي وردت فيها؛ لبحثها من جديد، وأنه يجوز العدول عن هذه الحدود في بعض الحالات إلى عقوبة أخرى رادعة، ويكون شأنه

١ - المرجع السابق ص ١٥٦-١٥٧ .

٢ - المرجع السابق ص ١٥٧ .

في ذلك شأن كلِّ المباحات التي تخضع لتصرفات ولي الأمر، وتقبل التأثير بكل زمان ومكان^(١).

فرد عليه الشيخ الخضر برد سماه (تحريف آيات الحدود عن مواضعها) وفند من خلاله ما أورده الصعيدي من آراء.

خامساً: الأستاذ فريد وجدي: في مقالات له نشرها في جريدة الأهرام بتاريخ ١٨ و ٢٠ و ٢٢/رمضان سنة ١٣٤٨هـ تحت عنوان (الدعوة إلى التجديد). وقبل ذلك ما نشره في شهر كانون ١٩٣٩م تحت عنوان: (روح العصر الحاضر نعمة إلهية).

وقد تطرق في هذه المقالات إلى قضايا في الحكم، والسياسة، والاجتماع، ففضّل من خلالها حكم العصر الحاضر على كل ما سبقه من العصور الماضية، وأورد جملة من الآراء في هذا الشأن مما هو مشتمل على مغالطات، ومخالفات. فرد عليه الشيخ الخضر بمحاضرتين سماهما: (نقد آراء الأستاذ فريد وجدي من الناحية الدينية والاجتماعية).

وهي منشورة في كتابه (محاضرات إسلامية)^(٢).

سادساً: الشيخ محمود شلتوت: وذلك في مقاله: (الهجرة وشخصيات الرسول) الذي أبدى فيه رأياً مفاده أن الذي يعد شرعاً دائماً هو ما يرجع إلى شخصيات الرسول ﷺ من العقائد، وأصول الأخلاق، والعبادات.

وما عدا ذلك مما يرجع إلى شخصية الإمام، أو المفتي، أو القاضي - فليس بشرع دائم، وإنما هو شرع مؤقت يمكن أن يتأثر بالاجتهاد، وأن يترك العمل به لسبب من الأسباب^(٣).

١ - انظر بلاغة القرآن ص ١٣٥-١٤١ .

٢ - انظر المرجع السابق ص ٢٣٢-٢٠٠ .

٣ - انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ص ٢٢٨ .

فرد عليه الشيخ الخضر في كتاب سماه (الهجرة وشخصيات الرسول) ^(١). وقد مر التعريف بهذا الكتاب في الفصل الثاني من الباب الأول من هذا البحث، وفي الفصل الثاني من الباب الثالث.

سابعاً: صاحب مقالة (داء الشرق ودواؤه): وهو مقال دعا صاحبه فيه إلى فصل الدين عن السياسة، وزعم أن سبب تأخر المسلمين عدم فصلهم الدين عن السياسة.

فرد عليه الشيخ الخضر بمقالة مطولة عنوانها: (ضلالة فصل الدين عن السياسة). ولم يذكر اسم صاحب المقال، وإنما ذكر اسم المقالة، وأن إحدى المجلات نشرتها، ورمز للكاتب خلال رده عليه ب: صاحب المقال أو الكاتب. وقد ضمنَّ الشيخ هذا الرد خلاصة آرائه في العلمانية ^(٢).

ثامناً: صاحب مقالة: (من محام عاقل): الذي رد عليه الشيخ الخضر في مقالة عنوانها (بدعة فصل الدين عن السياسة)، وقال في مقدمة رده: «اطلعنا في عدد ١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ من جريدة (المصري) على مقال تحت عنوان: (من محام عاقل) تعرض فيه صاحبه لمسألة إسلامية عظيمة الشأن، هي منزلة السياسة من الدين الحنيف، وزعم أن الدين لا صلة له بالسياسة، فقال: (هذا فضلاً عما في هذا من خلط الدين بالسياسة)» ^(٣).

ثم تناول الشيخ المقال بالنقد، والتحليل، والإبطال بشيء من الإيجاز ^(٤). فهذه نماذج مما قاوم به الشيخ الخضر منظري العلمانية والداعين إليها، أو إلى بعض جزئياتها.

١ - انظر المرجع السابق ص ٢٢٧-٣٠٢.

٢ - انظر رسائل الإصلاح ص ١٨٥-٢٠٢.

٣ - الهداية الإسلامية ص ٢٦٤.

٤ - انظر المرجع السابق ص ٢٦٤-٢٦٦.

المطلب الثاني: تقسيمه لدعاة العلمانية، وبيان آثارها

أولاً: تقسيمه لدعاة العلمانية: فهو يرى أن هؤلاء ليسوا على طبقة واحدة؛ فبين في بحثه (ضلالة فصل الدين عن السياسة) أن الذين يدعون إلى فصل السياسة فريقان؛ فقال مبيناً حال الفريق الأول: «فريق يعترفون بأن للدين أحكاماً وأصولاً تتصل بالقضاء والسياسة، ولكنهم ينكرون^(١) أن تكون هذه الأحكام والأصول كافلة بالمصالح، آخذة بالسياسة إلى أحسن العواقب، ولم يبال هؤلاء أن يجهروا بالظعن في أحكام الدين وأصوله، وقبلوا أن يسميهم المسلمون: ملاحدة؛ لأنهم مقرّون بأنهم لا يؤمنون بالقرآن، ولا بمن نزل عليه القرآن»^(٢).

ثم ذكر الفريق الآخر فقال: «ورأى فريق: أن الاعتراف بأن في الدين أصولاً قضائية وأخرى سياسية، ثم الظعن في صلاحها - إيذاناً بالانفصال عن الدين، وإذا دعا المنفصل عن الدين إلى فصل الدين عن السياسة كان قصده مفضوحاً، وسعيه خائباً؛ فاخترع هؤلاء طريقاً حسبوه أقرب إلى نجاحهم، وهو أن يدعوا أن الإسلام توحيد وعبادات، ويحددوا أن يكون في حقائقه ما له مدخل في القضاء والسياسة، وجمعوا على هذا ما استطاعوا من الشبه؛ لعلهم يجدون في الناس جهالة أو غباوة؛ فيتم لهم ما بيّتوا»^(٣).

ثم بيّن أن هذين هما مسلكا من ينادي بفصل الدين عن السياسة، وأن كليهما «ينبغي من أصحاب السلطان أن يضعوا للأمة الإسلامية قوانين تناقض شريعتها، ويسلكوا بها مذاهب لا توافق ما ارتضاه الله في إصلاحها، وكلا المسلكين وليد الافتتان بسياسة الشهوات، وقصور النظر عما لشريعة الإسلام من حكم بالغات»^(٤).

١ - هكذا في رسائل الإصلاح طبعة دار الإصلاح ص ١٠٥، وهو الصواب، وفي رسائل الإصلاح من طبعة موسوعة الأعمال الكاملة - رسائل الإصلاح - ص ١٨٨: (يفكرون) وهو خطأ بين.

٢ - رسائل الإصلاح ص ١٨٨.

٣ - المرجع السابق ص ١٨٨-١٨٩، ونقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ١١٦-١١٨.

٤ - رسائل الإصلاح ص ١٨٩.

ثانياً: دَحْضُهُ المِزَاعِم التي تدعي فوائد العلمانية: قال ﷺ في معرض رده على أحد الكتاب الداعين إلى العلمانية: «يضرب الكاتب المثل بالأمم الأخرى، ويزعم أن فصلها الدين عن السياسة كان مصدر فائدة الأمة، وحماتها من التلاشي والانهايار، ومن أجل فصلها الدين عن السياسة، ووجود الرياسة الدينية قائمة في حدود سلطتها - لم يضرها اختلاف الدول فيها»^(١).

ثم قال الشيخ مفنداً ذلك الرأي: «وَضْرَبُ المِثْلِ على هذا الوجه أضرُّ نظرةً متسرعة؛ إذ ليس للرياسة الدينية في الإسلام حدٌّ تنتهي إليه، ثم يكون للأفراد أو الجماعات أن تفعل بعده ما تشاء.

ولو كان في دين تلك الدول قوانين مدنية، ونظم سياسية، وقامت كل دولة على تنفيذ تلك القوانين والنظم داخل حدودها - أفيكون مجرد رعايتها لما جاء به دينها سبباً لانتشار مرض التقاطع بينها؟!»^(٢).

إلى أن قال: «ليس في طبيعة ربط السياسة بالدين التقهقرُ والتنازع إلا أن يكون في تعاليم الدين ما يسير بالناس إلى وراء، أو ما يغري بينهم العداوة والبغضاء. وليس في دين الإسلام إلا ما يصعد بالأمم متى شاءت الصعود إلى السماء، وليس فيه إلا ما يدعو إلى الائتلاف والتعاون على أن تكون كلمة الحق هي العليا»^(٣).

ثالثاً: بيانه الآثار المترتبة على العلمانية: وهذا ظاهر في كثير من ردوده على دعاة العلمانية، حيث بين أضرار العلمانية، وخطرها، وإفضاءها إلى إسقاط قسم عظيم من حقائق الدين^(٤).

١ - المرجع السابق ص ١٩٧ .

٢ - المرجع السابق ص ١٩٧ .

٣ - المرجع السابق ص ١٩٧ .

٤ - انظر الهداية الإسلامية ص ٢٦٦ .

يقول ﷺ في معرض رده على أحد دعاة العلمانية عندما قال: «ولو رزق المسلمون رجالاً ينظرون بعين الناقد البصير - من قبل قرنين - وفصلوا الدين عن السياسة لكان للإسلام اليوم من الشأن والسيادة في الممالك التي اغتصبتها الدول الأوربية ما لا يقل عما للفاتيكان، وما كان خطر الاستيلاء الأجنبي عليهم عظيماً»^(١).

قال الشيخ الخضر معقّباً عليه: «كلام يروج، ولكن في غير هذا الوادي، ويُنقَبَل ولكن بعقول لم تستر بهداية، يأسف صاحب المقال على الشأن والسيادة اللذين فاتا للمسلمين لعدم فصلهم الدين عن السياسة من قبل قرنين، ويرى أن إبقاءهم الدين في جانب السياسة كان سبباً في أن صار خطر الأجنبي عليهم عظيماً»^(٢).

ثم يقول مبيناً الآثار المترتبة على العلمانية: «فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين، ولا يقدم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين.

وليست هذه الجناية بأقل مما يعتدي به الأجنبي على الدين إذا جاس خلال الديار، وقد رأينا الذين فصلوا الدين عن السياسة علناً كيف صاروا أشد الناس عداوة لهداية القرآن، ورأينا كيف كان بعض المبشرين بالاستعمار الأجنبي أقرب إلى الحرية في الدين ممن أصيبوا بسلطانهم»^(٣).

إلى أن يقول: «ونحن على ثقة من أن الفئة التي تترتاح لمثل مقال الكاتب لو ملكت القوة لألغت محاكم يُقضى فيها بأصول الإسلام، وقلبت معاهد تُدرس فيها علوم شريعته الغراء إلى معاهد لهو ومجون.

بل لم يجدوا في أنفسهم ما يتباطأ بهم عن التصرف في مساجد يذكر فيها اسم الله تصرفاً من لا يرجو الله وقاراً»^(٤).

١ - رسائل الإصلاح ص ١٩٨ .

٢ - المرجع السابق ص ١٩٨-١٩٩ .

٣ - المرجع السابق ص ١٩٩ .

٤ - المرجع السابق ص ١٩٩ .

ثم يواصل تفنيده لتلك المزاعم مبيناً الآثار المترتبة على العلمانية، فيقول: «يقول الكاتب لو فصلوا الدين عن السياسة ما كان خطر الاستيلاء الأجنبي عليهم عظيماً، يقول هذا كأنه لا يدري أن السياسة الطاغية لا تهاب إلا حديداً أشد بأساً من حديدها، وناراً أشد حراً من نارها؛ فليس من المعقول أن تردّها عن قصدتها سلطة دينية ليس في كنانتها سهم، ولا في كفّها حسام»^(١).

ثم بيّن الشيخ الخضر خطأ قياس الإسلام بالمسيحية المحرفة، فيقول: «أما قياسه حال السلطة الدينية الإسلامية - على فرض صحة إقامتها - بحال السلطة الكاثوليكية في احترام مؤسساتها، وإطلاق يدها في عمل يرفع أهل ملتها - فمغالطة أو غفلة عن الفرق بين سلطة دينية يجد فيها الاستعمار مؤازرة أو موافقة على أي حال، وسلطة دينية قد يكون في بعض أصولها ما لا يلائم طبيعة الاستعمار»^(٢).

ثم يتابع حججه، وبراهينه على أن العلمانية ليست هي الحل، وأن الحكم بما أنزل الله ليس هو سبب البلاء، ويرد على الكاتب الذي ادعى ذلك وقال: «فإن أعظم ما أصاب المسلمين من المصائب: إنما هو فقد الرياسة الدينية بعد أن فقد منهم الاستقلال وحرمانهم من بقائهم درعاً حامياً وسداً منيعاً من تسرب المستعمرين باسم السياسة إلى السيطرة على شعور وضمائر الأمم الإسلامية، حتى كاد يحتل بناء الدين، ويتنكر المسلمون تعاليمه الحقّة»^(٣).

فيعقب عليه الشيخ الخضر قائلاً: «حقيقة فقد الرياسة الدينية من أعظم ما أصاب المسلمين، وهي الرياسة التي في إحدى يديها هداية، وفي أخرى قوة. أما الرياسة التي لا يتعدى صاحبها أن يكون واعظاً عاماً، يدعو الناس إلى الصلاة والصيام والحج إن استطاعوا إليه سبيلاً - فلم تفقد بعد، ولم يحرم

١ - المرجع السابق ص ١٩٩ .

٢ - المرجع السابق ص ١٩٩ ، وانظر نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص ١١٩-١٢١ .

٣ - رسائل الإصلاح ص ٢٠٠ .

المسلمون منها، ولا تزال باقية، ولكن في أشخاص متفرقين في البلاد، لا في شخص واحد كما يرغب صاحب المقال، ولم نذكر الزكاة من قبيل ما يدخل في الوعظ؛ مخافة أن يكون الكاتب قد انتزعها من أحضان الدين، وجعلها في قسمة السياسة»^(١).

ثم يؤكد الشيخ ذلك فيقول: «يربط الكاتب الوقائع، ولكن بغير أسبابها، ويصل النتائج، ولكن بغير مقدماتها، لنفرض أن المسلمين اتفقوا على ضلالة فصل الدين عن السياسة، وأقاموا رياسة دينية لا جند لها ولا سلاح - أمنَ المعقول أن تكون هذه الرياسة درعاً حامياً، وسداً يمنع تسرب المستعمرين إلى السيطرة على شعور الأمم الإسلامية وضمائرهما؟!»^(٢).

وبالجملة فهذا شيء من مواجهة الشيخ الخضر للعلمانية، وقد سبق في غير هذا الموضوع إشارات كثيرة إلى مواقفه ومواجهاته لها. ولكن هذه هي أهم المعالم العامة لتلك المواقف والمواجهات.

١ - المرجع السابق ص ٢٠٠ .

٢ - المرجع السابق ص ٢٠٠-٢٠١ .

الفصل الثاني: موقف الشيخ محمد الغضنر من قضية الحرية
وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جهوده في التأسيس لقضية الحرية

المبحث الثاني: مفهوم الحرية عنده

المبحث الثالث: وقوفه مع الحرية الحقّة وضد

حرية الفوضى

المبحث الأول: جهوده في التأسيس لقضية الحرية

الحرية مصطلح شائع، ولفظ رائج، له حضوره في ميدان الفلسفة، والثقافة، والإعلام. ولا تجد لفظاً - كما يقول العلامة ابن عاشور - تهواه النفوس، وتهش لسماعه، وتستزيد من الحديث فيه - مع أن معظمهم لا يضبط مقدار المراد منه - مثل لفظ الحرية. وما سبب ذلك التعلق العام إلا أن معظم من يسمعون هذا اللفظ، أو ينطقون به يحملونه على محامل يخف حملها في نفوسهم؛ فالوقح بحسب الوقاحة حرية؛ فيخف عنده ما ينكر الناس من وقاحته، والجريء الفاتك ينمي صنيعه إليها، فيجد من ذلك مسوغاً لجرأته، ومحب الثورة يعد الحرية داعيةً لدعوته، والمفتون في اعتقاده يدافع الناقمين عليه بأنه حر العقيدة.

ثم إن العمال والصناع والأجراء فهموا من معنى الحرية استخدام تكتلاتهم للوصول إلى الاستيلاء على أموال أرباب العمل.

وفهم محتالو سلب الأموال من معنى الحرية إطلاق أيديهم في ألوان الغش، والاحتكارات، وحيل المضاربات، وخُدع القمار، وأشبه ذلك؛ لسلب الناس أموالهم وهم غافلون.

وفهم بعض المراهقين والمراهقات الحرية على معنى الانفلات الأرعن، والتمرد على الرعا من الأسرة والمربين والمعلمين، إلى غير ذلك من المفهومات الغالطة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى صار كل مستبد من سلطة مدنية، أو عسكرية، أو قانونية، أو دينية، أو أسرية عدواً للحرية.

وهكذا ترى أن الحرية لفظ مأنوس، وغاية مبتغاة لكل أحد من الناس أيّاً كان غرضه منها. وهذا ما حدا بابن عاشور أن يقول: فيا لله لهذا المعنى الحسن ماذا لقي من المحن، وماذا عدل به عن خير سنن؟^(١)

١ - انظر بحث أثر الدعوة المحمدية في الحرية والمساواة لابن عاشور في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء التاسع والعاشر من المجلد السادس ربيع الأول والآخر ١٣٥٣ هـ، ومقالات لكبار كتاب العربية في العصر الحديث، ٣٦٩/٢، وكواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م، ص ٢٢٣ - ٢٣٠، ومفهوم الحرية في مذاهب الإسلاميين أ.د. محمد عمارة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط ١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، ص ٥ - ٢٢.

والحديث عن الحرية يأخذ مجالات شتى، فيبحث في جذرها اللغوي، وأنه مضاد لمعنى الرق والعبودية.

ويتناول التطور الدلالي للفظ الحرية؛ حيث صار لذلك اللفظ وهج ودويٌّ، فأصبح مرموقاً بعين الرعاية والإجلال؛ فشاع شيوعاً واسعاً بين الناطقين بالعربية، ولا سيما بعد أن تنوسيت أحوال الرق، أو أوشكت على أن تنسى منذ القرن الثالث عشر الهجري؛ فكاد أن يضمحل إطلاق اسم الحرية على معناه الحقيقي؛ فصار يطلق على لفظ الحرية بمعنى: عمل الإنسان ما يقدر على عمله حسب مشيئته، لا يصرفه عن عمله أمرٌ غيره. وصار يعني: السلامة من الاستسلام إلى الغير بقدر ما تسمح به الشريعة والأخلاق الفاضلة - كما يقول ابن عاشور-^(١).

ولقد استعمل هذا اللفظ في هذا المعنى في أوائل القرن الثالث عشر الهجري بعد أن ترجمت كتب تاريخ فرنسا والثورة التي قامت فيها عام ١٧٨٩م «فهي التي أثبتت معنى الحرية، وعبرت عنه بلفظ اللغة اللاتينية واللغات المتفرعة منها يدل فيها على معنى فعل الفاعل لما يريد؛ أي تصرّف الإنسان بعمله على حسب مشيئته لا يمنعه منه غيره.

وهو يقارب ما يعبر عنه في العربية بلفظ الانطلاق، أو الانخلاع من ريقه التقليد^(٢).

يقول ابن عاشور رحمه الله: «ولا نعرف كلمة مفردة في العربية تدل على هذا المعنى، وإذا قد كان من أسبق صور هذا الانطلاق تبادراً إلى الأذهان صورة الانعتاق من الرق والفاكك من الأسر؛ لما أن نظام الحكومة الملكية في فرنسا كان نظاماً إقطاعياً لا نظيره في الإسلام؛ لأن نظام ملوك فرنسا كان قائماً على اعتبار سكان أرض المقاطعة عبيداً للأمير الذي يقطعه الملك تلك الرقعة؛ فكان لذلك الأمير أن يمنع من شاء منعه من عمل ما، بله ملك فرنسا الأكبر؛ فجاءت الجمهورية في فرنسا، فقوضت ذلك، واعتبرت الناس

١ - انظر أصول النظام الاجتماعي في الإسلام لابن عاشور ص ١٥٠، ومقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور، تحقيق ودراسة محمد الطاهر ميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط ٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص ٣٩٠-٣٩٣، ومقالات لكبار كتاب العربية ٣٦٩/٢، وانظر الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢٦٦-٢٦٥/١.

٢ - انظر أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ص ١٥٠.

منطلقين من تلك القيود، وعبرت عنه بما ترجمه المترجمون بلفظ الحرية؛ تشبيهاً وتقريباً، و«نعم ما صنعوا»^(١).

إلى أن قال ﷺ: «ولم يرد في العربية إطلاق ما تشتق منه كلمة الحرية على هذا المعنى بعينه، لكن ورد إطلاق مادتها على السلامة من نقائص كانوا يعتبرونها من صفات العبيد، قرنوها بهم؛ لما تخيلوه فيهم من الانحطاط، مثل صفات: الذل، والخساسة، والكسل.

وقد كان إرهابهم العبيد من أكبر أسباب ظهور تلك النقائص فيهم؛ فضربوا بهم الأمثال فيها»^(٢).

ثم شرع ﷺ في ضرب الأمثلة والشواهد على ذلك.

هذا وإن لمصطلح الحرية ارتباطاً بكثير من الفلسفات، والنظريات، والمذاهب الفكرية كالإنسانية، والليبرالية، والعلمانية، والبراغماتية وغيرها مما هو شائع في الغرب، وفي الدراسات العلمية والأكاديمية فيه^(٣).

ولمصطلح الحرية - كذلك - وهج وبريق في بلاد الإسلام خصوصاً في العصور المتأخرة، وذلك لأسباب يأتي على رأسها الاستبداد السياسي، والقوى الاستعمارية، وما تقوم به من أعمال غاشمة تخنق من خلالها الحريات، وتقضي على الحكم بما أنزل الله؛ فكانت الحرية مطلباً تتوق إليه الشعوب والأفراد، وباباً تدقُّ كلُّ يدٍ مُضْرَّجة، وشأناً يسعى إليه خاصة الناس وعامتهم.

ولما كانت الحرية - بهذا الاعتبار - نازلة تستدعي من أهل العلم والفكر أن ينظروا في شأنها، ويقبلوا أبصارهم في أعطافها، وكان ذلك الشأن لا يتسنى لكل أحد أن يخوض

١ - المرجع السابق ص ١٥٠-١٥١ .

٢ - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ص ١٥١ .

٣ - انظر الفلسفة في أوربا ل: بوشنسكي ترجمة عزت قرني، ومدخل إلى الفلسفة المعاصرة د. محمد مهران رشوان، وتشكيل العقل الحديث ل: كرين برينتون ترجمة شوقي جلال، ص ٢٧-٧٤، والعتاء الحضاري للإسلام أ.د. محمد عمارة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط ١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، ص ٦٨-٥ .

غماره، وبيحث في أسراره - انبعثت همم بعض أهل العلم والفكر؛ للقيام بإصْر هذه المهمة الجليلة؛ لبيان موقف الشرع من هذا المقام الذي يستدعي البحث، والإطالة؛ ليكون الحكم فيه على شيء مضبوط، ولأجل ألا يظن أحد أن الإسلام أغفل باب الحرية، أو دعا إلى الحرية بإطلاق، أو على سبيل الإجمال؛ فهناك حدود دقيقة في هذا الباب، وبعضها محمود نافع، وبعضها مذموم ضار.

ولا ريب في أنه ليس في طوق كل أحد أن يقوم ذلك المقام العظيم، خصوصاً وأنه في بداياته؛ فالفضل للمتقدم، ويحتاج إلى عالم قد ملأ وطابه من العلم بالشرعية، والتفقه بمقاصدها، والنظر في أسرار الاجتماع، والبحث في واقع الحياة، حتى يعطي ذلك المقام حقه.

ومن هنا انبرت همة الشيخ محمد الخضر حسين للقيام بتلك المهمة الخطيرة؛ فهو الذي عاصر الاستعمار لما كان في أوجِه، وعاش الصراعات الفكرية التي كانت تدور رحاها في ذلك الوقت.

ومن جملة تلك القضايا التي كانت تؤرقه قضية الحرية؛ إذ كان له إسهام في تجلية مفهومها، ودراسة ما يتعلق بها، وبيان موقف الإسلام منها؛ فكان من أوائل من تناول هذا الباب بالدراسة، والتحليل، بل لا تبالغ إذا قلت: إنه من أول من درس هذا الموضوع، وطرقه بهذا العمق من منظور شرعي إسلامي.

وتعد مقالاته في (السعادة العظمى)^(١) التي أنشأها في بواكير حياته العلمية بذوراً لتلك النبتة التي استوت على ساقها حين ألقى محاضراته الشهيرة (الحرية في الإسلام) عام ١٣٢٤هـ والتي مر الحديث عنها مراراً، وسيأتي مزيد حديث عنها فيما سيأتي.

تلك المحاضرة التي ألقى الأضواء على موضوع الحرية، وأطلقت العنان للباحثين في بلاد تونس خصوصاً وغيرها عموماً أن يتناولوا هذا الموضوع الجليل، ويرعوه حق رعايته.

وأشهر هؤلاء: الشيخ الجليل العلامة محمد الطاهر بن عاشور الذي دعا الشيخ الخنصر لإلقاء تلك المحاضرة وكان رئيس سامرها^(١).

ثم كان لابن عاشور بعد ذلك إسهامات جليلة في هذا الباب، ومن أهمها

١ - وقد ألقى - أي الشيخ ابن عاشور - بعد انتهاء محاضرة (الحرية في الإسلام) خطاباً فائقاً أثنى فيه على المحاضرة وعلى ملقيها، يقول فيه: «يا أيها الأستاذ النحرير!، ويا أيها السادة! يسرني أن أقف موقفي هذا لأمثل على مرأى من السادة الحاضرين مقدار الابتهاج والسرور بمسامرتكم الفاتحة التي سمح لنا بها هذا النادي أو السامر الشريف فسمعنا منها فلسفة حقيقية لمبدأ عظيم من مبادئ شريعتنا الإسلامية، وشاهدنا مثلاً صحيحاً للفصاحة والبلاغة العريبتين يحیی من الأمل بحياة اللغة العربية متى ساعدتها عزيمتكم وعزيمة معضديكم من رجال النشأة العلمية المستتيرين.

ولأفصح عبارات ملؤها الإعجاب والثناء عن مقدار سروري بما شاهدته وشاهده العارفون من نتائج هاته الجمعية التي تحقق آمال بلوغها شأواً من الرقي وإيقاظ العيون الوسنة إلى غايات العمل، واكتساب فخر خدمة الأمة خدمة صادقة.

فلقد مضت علينا عصور اعتدنا فيها تضاؤل المشروعات الناشئة حتى خُلِقَ فينا إشفاقٌ جديدٌ على كل مشروع من مشروعاتنا الخيرية، ولكن هاته الجمعية قد قارنت منذ نشأتها من جلائل الأعمال ما جعلها محل الإعجاب عوضاً أن تكون موضع الإشفاق.

وعندي أن أكبر معين لها على أعمالها هو تأسيس هذا النادي الذي تسهلت به لديها عقبات التفاهم والمجادلة فيما يعود لخير الأمة وتقدم المعارف.

وقديماً ما كانت النوادي مبعث أشعة النور سواء في الأمة العربية التي كانت أقامت النوادي لمهامها في القرن الثاني قبل الهجرة وأول من أقامها قصي بن كلاب الذي أسس وحدة قريش، ورد عنهم الأيدي الطاغية من خزاعة، وسمى أول نادر لهم في مكة بدار الندوة.

أما في الأمم الغربية فإننا لا ننسى ما كان لتأسيس النوادي من الشأن الكبير في النهضة الفرنسية عند إقامة دعائم الجمهورية الأولى، ومن أشهرها يومئذ نادي اليقويين وفي تسمية النادي في اللغة الفرنسية بما يرادف كلمة دائرة سر لطيف من معاني الوفاق والتساوي والإحاطة اللازمة لأجزاء الدولة كلها.

ولقد ظهر بهذا النادي من مسامرات علمية في أمد وجيز ما خلد له ذكراً سامياً، وأخص بكلامي ما ظهر فيه من مواهب الأساتذة المتتورين من أهل العلوم العربية وما حققوه من المباحث في نقد التاريخ وفلسفة العمران الإسلامي، وهذه مسامرة الأستاذ النقاد هاته الليلة أعدل شاهد على ذلك. انظر الحرية في الإسلام طبعة دار الاعتصام ص ٧٥-٧٦؛ ففيها نص كلمة ابن عاشور هذه كاملة؛ بخلاف طبعة الموسوعة؛ فإنه قد حذف منها مقدار النصف مع نفاسة هذه الكلمة، وعظم مناسبتها، وجلالة قدر ملقيها. انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٤/ ١٧٨٦.

مباحثه عن الحرية في كتابيه العظيمين (مقاصد الشريعة)^(١) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام)^(٢) ومنها بحثه المعنون بـ: (أثر الدعوة المحمدية في الحرية والمساواة)^(٣).

ولم تكن محاضرة الشيخ الخضر (الحرية في الإسلام) هي الأخيرة مما تناول في باب الحرية، بل لقد كان طيلة حياته يتعرض لذلك الموضوع في كثير من كتبه، وردوده، ومحاضراته.

غير أن محاضرة (الحرية في الإسلام) هي أعظم وأوسع ما كتبه في ذلك الشأن، وكل ما كتبه في شأن الحرية راجع إلى تلك المحاضرة.

والحديث في هذا الفصل سيدور في معظمه حول هذه المحاضرة التي افتتحها بمقدمة تُلوّح إلى موضوع الحرية حيث قال فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحمد لله الذي خلق فسوى، وجعل التمايز في مقام الكرامة بالتقوى، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذي أنقذنا من ذلة الشقاء، وخلع علينا لباس العزة عند اللقاء، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا»^(٤).

ثم بيّن أن سبب تلك المحاضرة هو مخاطبة جرت بينه وبين صديقه السيد خير الله رئيس (جمعية قدماء تلامذة الصادقية) على أن يضع الشيخ الخضر مسامرة تنطبق على الخطة التي رسمتها الجمعية.

يقول الشيخ الخضر: «تلقيت ذلك الخطاب بواسطة صحيفة من صديقي

١ - انظر مقاصد الشريعة الإسلامية ص ٣٩٠-٤٠٠ .

٢ - انظر أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ص ١٤٣-١٦٧ .

٣ - انظر الهداية الإسلامية الجزء التاسع والعاشر من المجلد السادس ربيع الأول والآخر ١٣٥٣ هـ،

ومقالات لكبار كتاب العربية ٢/٣٦٩-٣٩٩ .

٤ - الحرية في الإسلام طبعة دار الإصلاح ص ٧، وهذه المقدمة لا توجد في موسوعة الأعمال الكاملة .

النحرير الشيخ السيد محمد الطاهر بن عاشور رئيس هذه الحفلة الجامعة، أرسل بها إليّ حيث طوّحت بي طوائح القضاء المحتوم؛ فاستوقفتُ له خاطري وقفةً المتردد، واستلفتُ له نظري لفتةً المتروي لما يرد على فكري من القضايا التي لم تبق لي مثقال ذرة من الوقت شاغراً.

والشواغل التي من شأنها إذا لبست فكرة ذهبت بها في جانب يبعد عن ناحية هذا الغرض بمراحل واسعة، فمتى قلبتُه في هذا الميدان أخشى أن تُقيده حبسة، أو يثنيه جماح، ولا سيما حين يلجّ به الغوص في بعض المواضيع التي يبعد شأوها، ويعلو مرتقاها»^(١).

إلى أن قال: «لبت في هذا التردد أمداً غير بعيد، فإذا أمنية تنازعتني في نفسي، ولطالما نظرت إليها بعين المشوق المستهام؛ إن هي إلا ابتغاء الدخول في صف فتية من إخواني الأدباء، كنت أسايرهم إذا أعنقوا في الآداب، وأشد كفي بعُرى مرافقهم التي ألفتها قديماً، ولبت فيهما من عمري سنين؛ فأكره شديداً أن أسل يدي من رابطتهم، وأحجم عن مجاراتهم ما اهتديت لذلك سبيلاً.

تحركت هذه الأمنية، وقويت داعيتها، فأرتني الأمر قريب المآخذ، سهل التناول، حتى تخيلته موضوعاً على طرف الثمام؛ فانقلب ذلك التردد من حينه حادي سمع ومطاوعة، وعند التفاهم مع الرئيس في موضوع المسامرة وقع الاختيار على مبحث: الحرية في الإسلام»^(٢).

ثم شرع بمقدمة رائعة تحتوي على معانٍ عالية، وحكم بالغة، ثم تعرض لحال الأمة العربية قبل الإسلام، وبعد الإسلام من الظلم والعدل^(٣).

ثم انتهى إلى التعريض بمظالم الاستعمار الفرنسي، والنظام الملكي للبايات

١ - محاضرات إسلامية ص ٥ .

٢ - المرجع السابق ص ٦ .

٣ - المرجع السابق ص ٥- ١١ .

المطلق^(١)، وذلك بقوله: «فالأمة التي بليت بأفراد متوحشة تجوس خلالها أو حكومية جائرة تسوقها بسوط الاستبداد، وهي الأمة نصفها بصفة الاستعباد، وننفي عنها لقب الحرية»^(٢).

ثم أفاض بعد ذلك في الحديث عن الحرية. فهذه نبذة عن جهود الشيخ الخضر في التأصيل لقضية الحرية، وسيأتي مزيد تفصيل وبيان لتلك الجهود في المباحث التالية.

١ - انظر الإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع ص ١٤٠ .

٢ - محاضرات إسلامية ص ١١ .

المبحث الثاني: مفهوم الحرية عنده

لقد عني الشيخ الخضر - كما مر في المبحث الماضي - بتأصيل البحث في الحرية، وكان من أجلّ ما عني به في ذلك الشأن إيضاح مفهوم الحرية، وإزالة اللبس عما يعتري ذلك المفهوم.

ويدخل تحت ذلك جملة من التفصيلات في باب الحرية، وهذا ما سيتضح من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: معالم الحرية

أولاً: تعريف الحرية وحدودها: ١- تعريفها في الأصل الوضعي اللغوي: تطرق الشيخ الخضر للتعريف الجذري اللغوي للحرية، وبين مدلول هذا اللفظ في أصل الوضع، فقال: «تنبئ هذه الكلمة بسائر تصاريفها في اللسان العربي على معانٍ فاضلة ترجع إلى معنى الخلوص، يقال: حرَّيْحَرُ، كظَلَّ يظُلُّ، حرَّاراً - بالفتح - بمعنى: عتق، والاسم: الحرية، والحرّ: خلاف العبد، والخيار من كل شيء، والفرس العتيق، والفعل الحسن.

والحرُّ من الطين والرمل: الطيب، والحُرَّة: ضد الأمة، والحرة من السحاب: الكثيرة المطر، وتطلق على الكريمة من النساء، ووردت صفة للنفس في كثير من أشعارهم، قال سحيم عبد بني الحسحاس:

إن كنت عبداً فننسي حرّة كرمأ أو أسود اللون إنني أبيض الخلق

وجاء لمعنى استقلال الإرادة، وعدم الخضوع لسُلطان الهوى:

وترانايوم الكريهة أحرا رأوفي السلم للغواني عبيداً^(١)

٢- تعريف الحرية باصطلاح الصوفية: فبعد أن بين تعريف الحرية في اللغة انتقل إلى تعريفها عند الصوفية فقال: «وعليه بنى الصوفية اصطلاحهم في إطلاق اسم الحر على من خلع عن نفسه إمارة الشهوات، ومزق سلطتها بسيوف المخالفة كل ممزق.

قال الإمام الجنيد فيما روي عنه: لو صحت الصلاة بغير القرآن لصحت بقول

الشاعر:

أتمنى على الزمان محالاً أن تسرى مقلتي أي طلعة حر^(٢)

١ - محاضرات إسلامية ص ١١-١٢ .

٢ - المرجع السابق ص ١٢ .

٣. الحرية في الاصطلاح المعاصر: يقرر الشيخ أن كلمة الحرية تدور على أفواه الخطباء، وتلهج بها أقلام الكاتبين ينشدون ضالتها عند أبواب الحكومات، ويقفون للبحث عن مكانها، وتمكين الراحة عن مصافحتها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه^(١).

ثم يخلص من ذلك إلى ما توصل إليه من المعنى الذي صار إليه لفظ الحرية بعد تطور مدلوله اللغوي الأصلي، فيقرر أن له مدلولاً يشمل عموم الأمة، وخصوص أفرادها، فيقول: «ينصرف هذا اللقب الشريف في مجاري خطابنا اليوم إلى معنى يقارب معنى استقلال الإرادة، ويشابه معنى العتق الذي هو فك الرقبة من الاسترقاق، وهو أن تعيش الأمة عيشة راضية تحت ظل ثابت من الأمن، وعلى قرار مكين من الاطمئنان.

ومن لوازم ذلك: أن يُعيَّن لكل واحد من أفرادها حدًّا لا يتجاوزه، وتُقرَّر له حقوق لا تعوقه عن استيفائها يدُّ غالبية»^(٢).

٤. الحرية فضيلة وسط: فلمزيد من تجلية مفهوم الحرية يقرر الشيخ أنها وسط بين رذيلتين؛ فإن في تعدي الإنسان الحد الذي قضت عليه أصول الاجتماع بالوقوف عنده ضرباً من الإفراط.

ويقابله في الطرف الآخر حرمانه من التمتع بحقوقه؛ ليستأثر غيره بمنفعتها. وكلا الطرفين شعبة من شعب الرذائل، والحرية وسط بينهما على ما هي العادة في سائر الفضائل - كما يقول -^(٣).

ثانياً: خصال الحرية: يرى الشيخ الخضر أن من كَشَفَ عن حقيقة الحرية المفصلة ستارَ الإجمال أشرفَ على أربع خصال مُندمجة في ضمنها؛ فهذه الخصال الأربع

١ - انظر المرجع السابق ص ١٢ .

٢ - المرجع السابق ص ١٢ .

٣ - انظر المرجع السابق ص ١٢ .

في نظره- هي مقومات الحرية؛ فمتى اجتمعت كانت الحرية بتمامها وعافيتها.

ومتى انْتَقَصَتْ عروة منها نَقَصَتْ الحرية بقدر ما انْتَقَصَ من عراها.

وهذه الخصال التي ذكرها الشيخ - هي كما يلي :

أحدها: معرفة الإنسان ما له وما عليه؛ فإن الشخص الذي يجهل حقوق الهيئة الاجتماعية ونواميسها لا يبرح في مضيق الحجر مُقَيَّدَ السواعد عن التصرف حسب إرادته واختياره، حتى يستضيء بها خبرة، ويقتلها علماً؛ إذ لا يأمن أن تطيش أفعاله عن رسوم الحكمة والسداد، فيقع في خبيثة تحدث في نظام تلك الهيئة علة وفساداً.

ولا يخالط الضمائر من هذا أن الحرية مقصورة على علماء الأمة العارفين بواجباتها؛ إذ للأُميين منها مَخْلَصٌ فسيح، وهو باب الاستفتاء والاسترشاد، قال -تعالى-: ﴿ فَتَشْكُرُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لِاتِّعَامُونَ ﴾ النحل: ٤٣ .

ثانيها: شرف نفس يزكي طويتها، ويطهر نواياها من قصد الاعتداء على ما ليس بحق لها؛ فلا ترمي بهمتها إلا في موضع تشير إليه العفة بينانها.

ثالثها: إذعانٌ يدخل به تحت نظر القوانين المقامة على قواعد الإنصاف، ويستنزله ريثما تحرر ذمته من المطالب التي توجه إليها باستحقاق.

رابعها: عزة جانب، وشهامة خاطر يشق بها عصا الطاعة للباطل، ويدمغ بها في قوة من يسوم عنقه بسوء الضيم والاضطهاد:

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان عَيْرُ الحي والوتيد^(١)

فهذه هي خصال الحرية الأربع عنده.

ثالثاً: قاعدتا الحرية: يرى الشيخ أن فسطاط الحرية يقوم على قاعدتين عظيمتين هما: المشورة والمساواة؛ فالمشورة تتميز الحقوق، وبالمساواة ينتظم إجراؤها، ويترد نفاذها. وكل واحدة من هاتين القاعدتين -كما يقول- رفع الإسلام سمكها وسواها^(٢).

١ - انظر المرجع السابق ص ١٣ .

٢ - المرجع السابق ص ١٤ .

ثم شرع بعد ذلك في تفصيل الكلام في كل من هاتين القاعدتين؛ فبدأ بالمشورة، وقرر أن سنة الله في خلقه قضت أن سلطة شرع الأحكام وتصريف الأوامر والزواج لا تستقل وحدها بردع الخليفة، وقيادتهم إلى سابلة العدالة، وأن كثيراً من الناس يجري مع أهوائه بغير عنان، ولا يدخل بأعماله الاختيارية تحت مراقبة العقل على الدوام.

ثم فصل القول في ذلك، وضرب الأمثلة عليه، وقرر أن النبي ﷺ لم يكن مع يقينه باستماتة الصحابة في طاعته، وتفاني مهجهم في محبته - لِيَتَفَرَّدَ عَنْهُمْ بتدبير السلطة، بل يطرحها على بساط المحاورة، ويجاذبهم أطرافها على وجه الاستشارة عملاً بقوله - تعالى - : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ آل عمران: ١٥٩ .

وقد يترجح بعض الآراء بوحي سماوي كما نزل قوله - تعالى - : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ الأنفال: ٦٧ - مؤيداً للرأي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في أسارى بدر.

وأن الله أذن لنبيه بالاستشارة وهو غني عنها بما يأتيه من وحي السماء؛ تطيباً لنفوس أصحابه، وتقريباً لسنة المشاورة للأمة من بعده.

ثم تطرق بعد ذلك لصنيع الخلفاء الراشدين في الشورى، وضرب الأمثلة على ذلك، وساق شواهد من أحوال الأمم السالفة في شأن الشورى، وذكر جملة من فوائد الشورى؛ كتخليص الحق من احتمالات الآراء، واستطلاع أفكار الرجال، ومعرفة مقاديرها^(١).

ثم انتقل إلى تفصيل القول في القاعدة الثانية من قاعدتي الحرية عنده ألا وهي المساواة؛ فقرر أن الله خلق الناس بحسب فطرتهم متمائلين، وكذلك ولدتهم أمهاتهم أحراراً متكافئين.

ولكن دخولهم في ملاحم الحياة الاجتماعية ينزع عنهم لباس التماثل والتساوي، ويرفع بعضهم فوق بعض درجات.

ثم ساق الأدلة من الكتاب العزيز على ذلك، وأبان أن الشريعة الإسلامية روعي فيها فطرة الله التي فطر الناس عليها؛ فوُضِعَتْ تكاليفها على شكل التكافؤ، وأديرت سياستها على قطب المساواة؛ فلا فضل لشريف على وضيع، ولا امتياز لملك على سُوقي.

والعقوبة الموضوعية على صعلوك الأمة هي المحمولة على سيدها بدون فارقة؛ فلو ادعى أبو بكر الصديق أو عمر بن الخطاب على أدنى الناس وأفسقهم درهماً واحداً لم يُقْضَ له باستحقاقه إلا بشهادة عادلة.

وقرر أن هذا المعنى عام في جملة الشريعة وتفصيلها، ولا يبعد استفادته من قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ﴾ الحجرات: ١٣.

فهذا المعيار وضع جميع الامتيازات وطرحها عن محل العناية والاعتبار ما عدا التقوى.

والتقوى نفسها لم يجعل الشارع لها أثراً في تغيير الحدود أو الاحتفاظ بحق زائد من الحقوق؛ فالشريعة سابقة على العمل، والعمل تابع لها.

وهكذا يفصل في هذه القاعدة -قاعدة المساواة- ويورد من الشواهد والأدلة على ذلك من الكتاب، والسنة، وسيرة السلف الصالح، وأقوال أهل العلم.

فهذا هو مقصوده من المساواة؛ إذ يراها - بهذا الاعتبار - قريبة من العدل، أو مرادفة له؛ لأنه لا يعني بها -مثلاً- المساواة بين الذكر والأنثى في كل شيء، حتى في بعض ما خصت به الشريعة أحدهما دون الآخر من كون الذكر له مثل حظ الأنثيين من الميراث، أو كون الصداق حقاً للمرأة على الرجل^(١).

إنما يعني بالمساواة المساواة العامة دون ما يختص به أحد من الناس دون أحد. فهذا هو مفهوم المساواة عنده، وهي المشورة قاعدتا الحرية اللتان قررهما فيما سلف. وبهذا تتضح معالم الحرية عنده من حيث تعريفها، وخصالها، وقاعداتها.

المطلب الثاني: أنواع الحرية

من أشد ما عني به الشيخ الخضر في قضية الحرية عنايته بأنواع الحرية؛ فهو يرى أن الحرية الحقّة ليست مقتصرة على نوع واحد فحسب، وإنما يراها منهجاً عاماً ينضوي تحته ضروبٌ عدة من الحريات الحقّة.

والحديث في هذا المطلب سيتناول ما قرره من تلك الأنواع التي يرى أنها من صميم الحرية؛ فالإي بيان ذلك بشيء من البسط والإيضاح:

أولاً: الحرية في الأموال: فهو نوع عظيم من أنواع الحرية، والشيخ يرى أن الحرية في الأموال تعني «إطلاق التصرف لأصحابها يذهبون في اكتسابها، والتمتع بها على الطريق الوسط دون أن تلمّ بها فاجعة اغتصاب، أو تتخطفها خائنة كيد واحتيال»^(١).

وهذا البيان الذي قرره اقتضى منه إجراء البحث في ذلك في أربعة مطالب، وهي كما يلي:

١- اكتساب الأموال: حيث قرر بعد أن تطرق لأهمية المال، وكون النفوس مجبولةً على حبه - أن لا حرج في جمع الدنيا من الوجوه المباحة ما لم يكن صاحبها عن الواجبات في شغل شاغل.

ثم شرع بعد ذلك في تفصيل هذا المطلب، وذكر الأدلة والشواهد عليه^(٢).

٢- الطريق الوسط: فقرر في ذلك أن الشريعة لم تغادر صغيرة ولا كبيرة من وجوه التصرفات في الأموال إلا أحصتها، وعلقت عليها حكماً عادلاً، وأن أحكام هذه الوجوه تألفت في سلك المناسبة مرتبة على أبواب، وأن المملوكات إما أعيان، أو منافع^(٣).

١ - المرجع السابق ص ٢٤ .

٢ - انظر المرجع السابق ص ٢٤-٢٦ .

٣ - انظر المرجع السابق ص ٢٦-٢٨ .

ثم شرع في تفصيل ذلك، وتفريعه بكلام مؤصل ختمه بقوله: «فإذا أنت تدبرت هذه الأبواب المدونة، ودققت النظر في أحكامها المفصلة؛ لتعلم أين مكانها من الإصلاح والنظام - ظفرت فيها بنظومات محكمة، وأصول عمرانية، لا تصل الناس إلى السعادة الاجتماعية، والمعاملة بشرف وفضيلة إلا من طريقتهما الوسطى»^(١).

٣- التمتع بها: فقرر أنه كما أذن الإسلام في اكتساب الأموال، واستثمار أرباحها في وجوهها المعتدلة - أذن في الاستمتاع بها، وترويح خاطر بنعيمها على شريطة الاقتصاد^(٢).

ثم شرع في تفصيل هذا المطلب، وذكر الشواهد عليه من الكتاب والسنة، ومن سيرة السلف الصالح، وتاريخ ولاية المسلمين، وختمه بقوله: «وقد كان المتعبدون من قبل يترهبون بالتخلي عن أشغال الدنيا، وترك ملاذها، والعزلة عن أهلها، وتعمد مشاقها، فنفاها النبي ﷺ ونهى المسلمين عنها، فقال: (لا رهبانية في الإسلام)^(٣). وتدبر إن شئت قوله - تعالى -: ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ الأعراف: ٣١ .

فقد تبين بهذه الآية أن الزينة من علائق العبادة، غير منافية لها، وأن العبادة لا تستدعي الإعراض عن اللذات الحسية المعتدلة»^(٤).

٤- الاعتداء عليها: فقرر هناك أن من الطبائع المركبة في نفوس البشر داعية حب المال، والحرص على مكتسبها واقتنائها، وأطال في ذلك، وقرر خلاله أن

١ - المرجع السابق ص ٢٨ .

٢ - المرجع السابق ص ٢٨ .

٣ - أخرجه الدارمي (٢١٦٩) بلفظ: «إني لم أؤمر بالرهبانية»، قال الألباني في السلسلة الصحيحة

(٣٩٣/١): «وهذا إسناد جيد، رجاله كلهم ثقات» .

٤ - محاضرات إسلامية ص ٣٢-٣٣ .

الشرعية جاءت بمجملها ومُفصّلها بما يقطع الطريق على كل من تسول له نفسه اختلاس الأموال، أو اغتصابها، أو التصرف فيها بغير ما يأذن به صاحبها. وقرر أن مما يدخل في هذا: النهي عن الرشوة، فأبان أنه لما كانت الرشوة عقبة كؤوداً في سبيل الحرية أخذت الشرعية في تحريمها بالتالي هي أحوط. وقرر -أيضاً- أن الشارع الحكيم لم يكتف «في النهي عن اغتصاب الأموال واختلاسها بما قرع به الأسماع من الزواجر الكلية، فأردفها بتعليمات عمرانية في مواضيع غامضة تقصر عقول البشر عن إدراكها بدون توقيف وتعليم؛ مثل: المعاملة بالربا، فقد يتوهم سلامتها من أكل المال باطلاً، وهي معدودة في قبيله، غير خارجة عن معناه»^(١).

ثم تطرق بعد ذلك للعقوبات المتعلقة بالجناية على الأموال، وجعلها أربعة أنواع: عقوبة السارق، وعقوبة من يخيف السبيل، ويشهر السلاح؛ لأخذ المال باطلاً، وهو المحارب، وعقوبة المعتدي بغير السرقة كالغاصب، وعقوبة المتلف لمال غيره. ثم فصّل الكلام في هذه العقوبات واحدة واحدة^(٢).

فهذا مجمل ما تناوله من النوع الأول من أنواع الحرية، وهو الحرية في الأموال. ثانياً: الحرية في الأعراض: وقد قرر في هذا النوع أن كل امرئ أومضت فيه بارقة من العقل يتمنى أن يكون عرضُه محلّ الثناء والتمجيد، وحرماً مصوناً لا يرتع حوله اللامزون، وأن هاتِه الإرادة هي التي تبعثه على أن يبدد فريقاً من ماله في حلّ عقاب السنة؛ لتكسُوهُ من نسج آدابها حلة المديح، أو يسد به أفواهاً يخشى أن تصب عليه من مرائر أهدوثتها علقماً.

وأن الناس لا يتفاضلون في الشرف والمجادة وتتسفل همهم إلى هاوية الرذيلة إلا بمقدار ما تجد بينهم من التفاوت في عقدة هذه الإرادة قوة وانحلالاً.

١ - المرجع السابق ص ٣٥ .

٢ - انظر المرجع السابق ص ٣٦-٤٠ .

كما يقرر هنالك أنه لا يحق للطاعن أن يتخطى المعائب التي يجهر بها صاحبها إلى النقائص التي يحرزها بغطاء الستر والكتمان^(١).

ويلفت النظر - كذلك - إلى ناحية من نواحي الحرية، وهي ما يسلكه أهل الصحافة في أرياب الولايات من تتبع مناكرهم، وعرض مظالمهم على أنظار الحكومة، وأن هذا داخل في قبيل النصيحة؛ ولكن على شريطة التجرد من الأغراض الشخصية، والتحقق من صحة ذلك بإسناده إلى حجة قوية مع اللطف في العبارة.

ويرى أن صنيعهم بهذا الشرط يدٌ شاملة يطوقون به جيد الأمة، ويدينون بها الحكومة العادلة.

وتطرق في هذا السياق إلى أن مثل هذا في الإباحة تمكين الخصوم من إثبات الجرح في الشهود، وما يقوم به علماء الحديث من نقد الرواة؛ ففصل القول في ذلك، ثم قرر أن الجناية في الأعراض غير منضبطة، بل تختلف آحادها اختلافاً كثيراً؛ فربَّ صفة يُنعت بها رجلٌ؛ فلا تحط من شأنه، وتعلق على آخر؛ فتقلب سبباً؛ ومن أجل ذلك لم تضع الشريعة بإزائها عقوبة محدودة، وفوضت تعيينها وتقديرها إلى اجتهاد الحاكم.

وتعرض من خلال ذلك إلى عقوبة حد القذف بالزنا، وما يترتب عليها، وكذلك قذف الرجل زوجته؛ فبين الحكم في ذلك على نحو مفصل.

كما قرر أن كثيراً من أحكام الشريعة مبني على مبدأ صيانة الأعراض، وضرب مثلاً على ذلك برعاية الكفاءة في الزواج، وأن الكفاءة في المعاشرة بين الزوجين يؤثر شغباً واضطراباً؛ بسبب فخار المرأة وتناولها^(٢).

ثالثاً: الحرية في الدماء: وقد قرر في هذا النوع من أنواع الحرية أن العمرانيين

١ - انظر المرجع السابق ص ٤١-٤٢.

٢ - انظر المرجع السابق ص ٤٣-٤٥.

ينظرون إلى الأمة التي تجمعها رابطة، فيشاهدونها في صورة جسم واحد، وأفرادها هي أعضاؤه المتلاصقة، وليس سفك دم الفرد منهم إلا كالفصد لعرق من عروقها، واستفراغ دمه الذي هو بضعة من حياتها.

والقصاص من القاتل - وإن كان فصداً لعرق ثان من ذلك الجسم العظيم - إلا أنه بمبضع طيب عارف يخشى أن يسري دمه الفاسد إلى غيره من الأعضاء، فيحدث فيها مرضاً عضالاً.

قال الله - تعالى -: ﴿ وَلكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأتُوْنِي الْأَلْبَيبِ ﴾ البقرة: ١٧٩^(١).

ثم أفاض في ذكر بعض حكم القصاص، وأنه إذا كان مقصوراً على القاتل فاز الباقون بالحرية في حياتهم، واطمأنوا بها.

وأوضح أن القصاص يجري في الجراحات والجنابة على الأطراف.

وأن الشريعة - لمكانة العناية بحفظ الدماء - بُنيت أحكامها على أساس الاحتياط؛ حتى لا يجد الأشقياء ذريعة إلى إهدارها، «ومن هذا اتفق الصحابة -رضي الله عنهم- على قتل الجماعة الكثيرة بالواحد، وإن كان القصاص يقتضي المساواة، وقتل عمر بن الخطاب سبعة من أهل صنعاء، وقال: لو تمالأ عليه أهل صنعاء، لقتلتهم به.

وَيُقْتَصُّ مَنْ قَتَلَ فِي حَالِ سَكْرٍ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَعَمِّداً؛ لئلا يتخذ السكر وسيلة إلى إنهار الدماء في سبيل الأغراض»^(٢).

ثم تكلم على شرع الإسلام الدية؛ تخفيفاً ورحمةً، وأقامها مقام القصاص إذا رضي بها أولياء الدم، وآثروها على الأخذ بالثأر؛ فقد تكون الدية أصلح لهم من القصاص، وأجدي نفعاً، وزيادة عما فيها من إبقاء نفس مسلمة تتناسل ذريتها في الإسلام.

١ - انظر المرجع السابق ص ٤٦ .

٢ - انظر المرجع السابق ص ٤٦-٤٧ .

ثم تكلم عن حكم القتل خطأً، وأن الدية تُفرض على عاقلة القاتل. وانتقل بعد ذلك إلى بيان حرمة الدماء، وأنه لا يحل دم امرئ إلا لأسباب تكون الفتنة فيها أشد من القتل، ومثّل لذلك بالزنا من المحصن، وبين حكم ذلك القتل بشيء من البسط^(١).

رابعاً: الحرية في الدين: وقد أوضح في هذا النوع أن الإسلام «قرر في معاملة الأمم التي يضمها تحت حمايته حقوقاً تضمن لهم الحرية في ديانتهم، والفسحة في إجراء أحكامها بينهم، وإقامة شعائرها بإرادة مستقلة؛ فلا سبيل لأولي الأمر على تعطيل شعيرة من شعائرتهم، ولا مدخل للسلطة القضائية في فصل نوازلهم الخاصة إلا أن يتراضوا عن المحاكمة أمامها، فتحكم بينهم على قانون العدل والتسوية، قال -تعالى-: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ المائدة: ٤٢.

وإبقاء المحكومين على شرائعهم وعوائدهم منظر من مناظر السياسة العالية، وباب من أبواب العدالة يدخلون من قبله إلى أكناف الحرية^(٢).

ثم انتقل إلى مظهر من مظاهر الحرية في الدين وهو أن الإسلام أحلّ للمسلم أن يتزوج المرأة من أهل الكتاب، مع استمرارها على دينها، والتمسك بعقائدها، ولا يسمح له بهضميتها في أمر تتدبّن به، أو انتقاصها حقاً من حقوق الزوجية، بل تُقاسمُ فيها امرأته المسلمة قسمةً عادلة^(٣).

ثم قرر أن الإسلام يمنح للمسلم أن يعطي لغير المسلم عهداً بتأمينه، وأنه لا مساعٍ لأحدٍ بعد ذلك في نقض ميثاقه، أو تبدل شرطه، بل يُحتمّ السعي في

١ - انظر المرجع السابق ص ٤٧-٤٨، وانظر السعادة العظمى ص ٩٨.

٢ - محاضرات إسلامية ص ٤٨-٤٩، وانظر السعادة العظمى ص ٩٨.

٣ - انظر محاضرات إسلامية ص ٤٩، وانظر معاملة الزوجة الكتابية في ضوء العقيدة الإسلامية

د.علي بن موسى الزهراني، الذهبية للإنتاج الإعلامي، مصر، ط ١، ص ١٩-٢٧.

تأكيده، ورعايته، واستدل على ذلك بقول النبي ﷺ: «إن المسلمين يسعى بذمتهم أدناهم»^(١).

وقرر بعد ذلك أن من نظر إلى أبواب الشريعة أبصر في جملتها أحكاماً كثيرة مبنية على التسامح مع غير المحاربين كأبواب الهبة، والوقف، والوصية التي نستفيد من أحكامها أن الإسلام «لم يقتصر على إباحة معاملتهم بمعاوضة، بل أجاز للمسلم أن يهب جانباً من ماله، أو يوقفه، أو يوصي به لبعض أهل الذمة، ويجب تنفيذه، والقضاء بصحته، وأحل لنا طعام الذين أوتوا الكتاب، وأن نطعمهم.

قال -تعالى-: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ المائدة: ٥.

وأمر بالإحسان إليهم، والرفق بضعفهم، وسد خلة فقرهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف والرحمة، واحتمال إذيتهم في الجوار على وجه الكرم والحلم، وحرّم الاعتداء عليهم ولو بكلمة سوء، أو غيبة في عرض أحدهم»^(٢).

ثم انتقل إلى تشديد الإسلام العقوبة على من ارتد عن الدين بعد أن لبس هديه القويم؛ فأمر بدعوته إلى الإنابة والتوبة فإن رجع وإلا ضرب بالسيف على عنقه.

ثم ذكر حكماً عدة من قتل المرتد، منها الحذر من تفرق الوحدة، واختلال النظام، وزجر من يريد الدخول في الدين مشايعة للدولة، ونفاقاً لأهله، وباعث على الثبوت؛ فلا يتقلد الدين إلا على بصيرة وسلطان مبين^(٣).

ثم بين أسباب الردة فقال: «وأنت إذا جئت تبحث عن حال من ارتدوا بعد الإسلام لا تجد سوى طائفتين: منهم من عانق الدين منافقاً، فإذا قضى وطره، أو انقطع أمله انقلب على وجهه خاسراً.

١ - أخرجه أبو داود (٢٧٥١) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وأحمد (٩٩١) والنسائي (٤٧٣٥) كلاهما من حديث علي .

٢ - محاضرات إسلامية ص ٥٠ .

٣ - انظر المرجع السابق ص ٥٠-٥١ .

وبعضهم ربي في حجور المسلمين، ولكنه لم يدرس حقائق الدين، ولم يتلقَّ عقائده ببراهين تربط على قلبه؛ ليكون من الموقنين؛ فمتى سنحت له شبهة من الباطل تزلزلت عقيدته، وأصبح في رِيِّه متردداً.

وارجع بصرك إلى التاريخ كرتين؛ فإنك لا تعثر على خبر ارتداد مسلم نبت في بلد طيب نباتاً حسناً»^(١).

خامساً: الحرية في خطاب الأمراء: وتحت هذا النوع من الحرية أوضح أنه «لا يخفى على مُتَشَرِّعٍ بصير أن الملك والدين أخوان يشد كل منهما بعضد الآخر، بل الدين رائد للملك، والملك تابع للدين، خادم له.

وإن شئت فقل: هما كمثل إنسان، الدين عقله المدبر، والملك جسمه المسخر له، وذلك الإنسان هو ما نسميه الآن بالإسلام؛ فبمقدار ما ترتبط الإدارة السياسية بالإدارة الدينية يكمل شبابه، وتجري روح الاستقامة في أعضائه، فتصدر أعماله قرينة الحكمة، سالمة من العيوب.

ومتى انفكت أولاهما عن أخراهما، انحلت حياته، وتناثرت أجزاءه»^(٢).

وقرر أن موضع العناية، ومحل القصد من الإمارة في نظر خلفاء الإسلام الراشدين ومن حذا حذوهم - هو خدمة الدين، وأنه لما انطوت أحشاؤهم على هذا المقصد الجميل أطلقوا سراح الرعية في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإحضارهم النصيحة، وأنهم كانوا يوسعون صدورهم للمقالات التي توجه إليهم على وجه النصيحة، والتعريض بخطأ الاجتهاد وإن كانت حادة اللهجة قارصة العبارة.

وساق أمثلة على ذلك من سيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما- تؤكد ما أشار إليه^(٣).

١ - المرجع السابق ص ٥١، وانظر نظرات في الإسلام وأصول الحكم ص ١٣٠.

٢ - محاضرات إسلامية ص ٥٢.

٣ - انظر المرجع السابق ص ٥٢-٥٣، والهداية الإسلامية ص ٨٢.

ثم قرر بعد ذلك أنه خلف بعد أولئك خَلَف عرفوا أن فطرة الدين وطبيعته لا تتحمل شهواتهم العريضة، وأنهم أَلْفُوا بلاط الملك فسيح الأرجاء بعيد ما بين المناكب، ولكنه لا يساعفهم على أغراضهم وتتبع خطواتهم ما دامت أوصاله ملتحمة بالإدارة الدينية؛ فلم يهتدوا حيلة إلى فارق بينهما سوى أن يسدوا منافس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون دعاة الإصلاح، وابتكروا ضروباً من الخسف وأفانين من الإرهاق كانوا يهجمون بها على الناس هجوم الليل إذا يغشى. وإذا سمعوا منادياً؛ ليحق الحق ويبطل الباطل كلموه بألسنة السيوف^(١).

إلى أن قال بعد ذلك: «ولما أبق الملك من حضانة الدين، وخفقت عليه راية الاستبداد - خالط الأفئدة رعباً وأوجال كأنما مزجت بطينتها؛ فبعد أن كان راعي الغنم يفد من البادية، وعصاه على عاتقه، فيخاطب أمير المؤمنين بـ: يا أبا بكر، ويا عمر، ويا عثمان! ويتصرف معه في أساليب الخطاب بقرارة جأش، وطلاقة لسان، وسكينة في الأعضاء - أصبح سيد قوم يقف بين يدي أحد الكبراء في دولة الحجاج، فينتفض فؤاده رعباً، ويتلجلج لسانه رهبة، وترتعد فريسته وجللاً، يخشى أن يكون فريسة لبوادر الاستبداد»^(٢).

سادساً: حرية الدعوة: وقد أفرد لهذا النوع مقالاً خاصاً عنوانه (حرية الدعوة دليل على رقي الأمم وعظمة الدولة).

وقد استهله بقوله: «أطيب الأمم حياة: أمة تجد الدعوة إلى الحق بينها طرقاً معبدة، فتذهب مطلقة العنان دون أن تعترضها عقبات.

وإنما تملك دعوة الحق حريتها في ظلال دولة تسير في سياستها على رشد، ولا غاية لها إلا أن ترعى أمة عزيزة الجانب، نبيهة القدر»^(٣).

١ - انظر محاضرات إسلامية ص ٥٣-٥٤، والهداية الإسلامية ص ٨٣.

٢ - محاضرات إسلامية ص ٥٤، ودراسات في الشريعة الإسلامية ص ١٢٩.

٣ - الدعوة إلى الإصلاح ص ٦٩.

ثم قرر أن المخلصين من أولي الأمر يدركون أن لا فلاح لأمة إلا بالدعوة، فينظرون إلى دعاة الإصلاح بارتياح وإكبار، وأن الدعاة يدركون أن فتح باب الحرية في وجه الدعوة شأن الدولة التي تريد بآمتها خيراً؛ فتألفها قلوبهم، ويبدلون في تنبيهها لوجوه الإصلاح جهدهم.

وقرر: أن الدعوة إلى الحق ميزان الحرية الصادقة، ودليل رقي الشعب؛ فإذا رأيت الدعوة تغشى كل موطن، وتطرق كل سمع فاعلم أن الحرية باسطة أجنحتها، وأن الشعب سائر إلى حياة راضية.

ثم التفت إلى الماضي، وبين أن الدعوة كانت تردّ مجالس بعض الرؤساء؛ فيفسح لها، ويتلقاها بأذن واعية^(١).

ثم يضرب أمثلة لغير العهود المعروفة - غير عهود الخلفاء الراشدين - فيقول: «ومن العهود التي حظيت فيها الدعوة بحريتها الضافية: عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر بالأندلس؛ فكان العلماء في عهده يأمرن بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويحكمون بما أنزل الله، لا يخافون لومة لائم.

وكثيراً ما يوجهون أمرهم ونهيمهم إلى الخليفة نفسه، فيتلقى دعوتهم بالرضاء، ولا تحدّثه نفسه بأن يلحق بهم أذى، أو يقطعهم عن القيام بواجبهم، أو ينقصهم مثقال ذرة من الإجلال اللائق بمقاماتهم.

وكان منذر بن سعيد البلوطي قاضي قرطبة يواجهه بإنكار بعض أفعاله الخاطئة، وربما اشتد في لهجة الإنكار.

وكان في مقدور الناصر أن يناله بأذى، ولكنه عرف إخلاص منذر؛ فتلقى إنكاره بأناة وسكينة^(٢).

ويضرب مثلاً آخر بعهد أبي جعفر المنصور، فيقول: «ومن العهود التي أخذت

١ - انظر المرجع السابق ص ٦٩-٧٠.

٢ - المرجع السابق ص ٧٠.

فيها الدعوة حربيتها: عهد أبي جعفر المنصور، وأذكر أنه وفد إليه عبد الرحمن ابن زياد من القيروان، فلما جلس إليه قال له المنصور: كيف رأيت ما وراء بابنا؟ قال: رأيت ظلماً فاشياً، وأمرأ قبيحاً!!.

قال له أبو جعفر: لعله فيما بعد عن بابي، قال: بل كلما قربت استفحل الأمر وغلظ. قال: ما يمنعك أن ترفع ذلك إلينا وقولك عندنا مقبول؟ قال: رأيت السلطان سوقاً، وإنما يرفع إلى كل سوق ما ينفق فيها؛ فأثرت في أبي جعفر الموعظة، حتى اغرورقت لها عيناه»^(١).

ثم يذكر بعض العهود التي حُرمت من رؤساء تتسع صدورهم لسماع كلمة الحق؛ فيقع التدافع بينهم وبين الدعاة. ويذكر أنه قد يتولى أمر الجماعة رحيب الصدر العارف بما تأتي به الحرية الصادقة من الفوائد العظيمة.

ولكن ترى طائفة من شأنهم الدعوة إلى الحق في خمول وانزواء. ويقرر أنه إذا كان الصمت في عهد المستبد قبيحاً فهو في عهد من يوسع صدره للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أشد قبيحاً^(٢).

ثم بين واجب دعاة الإصلاح في صرف الجهد في معالجة المنحرفين عن السبيل. ويختتم الكلام في ذلك بقوله: «والغاية التي نرمي إليها في هذا المقال: أن الأمة التي تحظى بالحياة الطيبة في دنياها وآخرتها، هي الأمة التي تنبت أرضها رجالاً تتقد قلوبهم غيرة على الحق، ويكون القابضون على أمرها رجالاً لا يعترضون دعوة الإصلاح، وإن نُسبت إليهم عوجاً في سيرتهم، أو نبهتهم لخطأ في سياستهم»^(٣).

سابعاً: حرية البحث والاستقصاء: وقد أشار إلى هذا النوع من الحرية في معرض رده على طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي) وذلك عندما قال: «فلنصطنع هذا المنهج حين نريد أن نتناول أدبنا العربي القديم وتاريخه، وقد برأنا

١ - المرجع السابق ص ٧١ .

٢ - انظر المرجع السابق ص ٧١-٧٢ .

٣ - المرجع السابق ص ٧٢ .

أنفسنا من كل ما قيل فيهما من قبل ، وخلصنا من هذه الأغلال الكثيرة الثقيلة التي تأخذ بأيدينا وأرجلنا ورؤوسنا؛ فتحول بيننا وبين الحركة الجسمية الحرة، وتحول بيننا وبين الحركة العقلية الحرة -أيضاً-»^(١).

فعقب عليه الشيخ الخضر بقوله: «ليس في الأدب العربي أغلال تشد على طلابه ، فتحول بينهم وبين حركاتهم الحرة جسمية كانت أو عقلية ، وطالما تناولته أنظارٌ ذهبت في البحث كل مذهب ، فأماطت عن طريقه أذى كثيراً ، ثم أبقت باب النقد من ورائها مفتوحاً على مصراعيه؛ فمن ساعده قانون البحث على طرح قسم آخر من حسابه بسطوا له وجهاً رحباً ، ونسجت له ألسنتهم الصداقة شكراً خالداً. فللمؤلف أن يحرك جسمه وعقله كيف يشاء ، وله أن يتناول أدبنا العربي القديم وتاريخه بالبحث والاستقصاء ، وله أن يستقبلهما بعد أن يبرئ نفسه من كل ما قيل فيهما من قبل.

وما عليه إلا أن يعلم أن للبحث في العلوم قوانين لا يسع (ديكارت) إلا أن يؤمن بها ، وأن من وراء جدران الجامعة المصرية أقلاماً تغار على الحقيقة أكثر من غيرته على الشك فيما يراه الناس حقاً»^(٢).

وقال الشيخ الخضر -أيضاً- في خاتمة كتابه (نقض كتاب في الشعر الجاهلي) مشيراً إلى هذا النوع من الحرية: «إننا أمة بحث ونظر: نذهب مع العلم كل مذهب ، ولا نقف لحرية الفكر في طريق ، وإنما نحن بشر ، والبشر تأبى قلوبهم إلا أن تزدرى أقلاماً تثب في غير علم ، وتحاور في غير صدق ، وإنما نحن بشر ، والبشر تأبى لهم أقلامهم إلا أن تطمس على أعين الكلمات الغامزة في شريعة محكمة أو عقيدة قيمة»^(٣).

فهذه سبعة أنواع للحرية طالما أبدى الشيخ حولها وأعاد سواء في مقالاته ، أو محاضراته ، أو ردوده.

١ - في الشعر الجاهلي ص ١٢ .

٢ - نقض كتاب في الشعر الجاهلي ص ٤٤ .

٣ - المرجع السابق ص ٤٤٤ .

المبحث الثالث: موقفه من الحرية الحقّة وحرية الفوضى

تبين في المبحثين الماضيين ما قام به الشيخ الخضر من تأصيل علمي لقضية الحرية، وما قام به من جهد لبيان مفهوم الحرية، وحدودها، وأنواعها، وما جرى مجرى ذلك.

والحديث في هذا المبحث سيتناول موقفه من الحرية الحقّة التي قررها، وارتأها. وموقفه من الحرية غير المنضبطة وهي حرية الفوضى. وذلك من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: وقوفه مع الحرية الحققة

منذ أن تفتحت عينا الشيخ الخضر على الدنيا وهو يرى الجنود الأغرَابَ يجوسون خلال دياره، ويعتدون على الأعراض، والأرواح، والأموال، وينشرون المهانة والذلة، والإرهاب، ويسعون سعيهم لزعزعة الأمة عن دينها، ولغتها، وهويتها. ويرى - مع ذلك - أعوان الاستعمار من بني جلدته ممن يُؤثرون مصالحهم الخاصة، ومآربهم الخبيثة على مصالح الأمة.

وفي ظل ذلك الجو الخانق كان الاستبداد والاستعباد جاثمين على صدر الأمة؛ ولم يكن أحد ليجرؤ على أن ينبس ببنت شفة في وجه ذلك المستعمر الغاشم. وفي تلك الأثناء يتقدم عالمٌ زيتونيٌّ شابٌ هادئٌ الطبع، حسنُ السمات، لا يكاد ينطق إلا همساً، فيعتلي منبر الخطابة؛ ليفجر قبلة طالما أقضت مضاجع الاستعمار ألا وهي الحديث عن الحرية، ذلك الحديث الذي يسوء المستعمر وينوؤه.

ولا ريب أن من يتصدى لتلك المهمة مخاطر بنفسه، غير مبال بما يؤول إليه الأمر. وهذا ما كان من الشيخ الخضر في تلك الليلة المشهودة في تاريخ تونس، ومطلع كفاحها، وذلك في يوم السبت ١٧ ربيع الثاني عام ١٣٢٤هـ، حيث انتظمت جموع الناس الظامنة إلى العدالة، والحق، في نادي (جمعية قدماء الصادقية) في مدينة تونس؛ لينصتوا إلى ذلك العالم الشاب الذي يلقي محاضراته الشهيرة (الحرية في الإسلام) فيطرح على الجماهير حقيقة الحرية، والشورى، والمساواة، والحرية في الأموال، والأعراض، والدماء، والدين، وخطاب الأمراء، ويتحدث عن آثار الحرية، وآثار الاستبداد إلى غير ذلك من العنوانات الثائرة المؤلمة للمستعمرين وأعوانهم.

ثم ما تبع تلك المحاضرة من آثار عميقة في ضمير الأمة، وتداول ما طرح فيها في المسامرات والنوادي، والألسنة، ثم بعد أن طبعت انتشرت بين الناس، وأضاءت على الأمة شمس الحرية.^(١)

١ - انظر جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية ص ٧-٩.

ولم يقتصر أثرها على تونس، بل تعدت شهرتها إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث تناولها العلماء، والمثقفون، والقادة في البلاد العربية وغيرها بالقبول، والثناء والتقريظ، وقد مضى ذكر لشيء من ذلك.

ومن احتفى بها الأستاذ محمد كرد علي صاحب (جريدة المقتبس) التي نشرت تقريراً مطبوعاً لرسالة (الحرية في الإسلام) وقالت في صدر ذلك التقريظ: «تم معظم تأليف التونسيين الأخيرة على فضل علم وأدب، وإن خاصتهم لا يؤلفون في الغالب - إلا إذا اعتقدوا، واعتقد الناس فيهم الكفاءة العلمية»^(١).

ويذكر الشيخ الخضر أنه لما كان في الشام واجه واليها في ذلك الحين وهو ناظم باشا؛ للتفاهم معه في حاجة تخص العائلة.

يقول الشيخ الخضر: «فكانت التحية بيننا أولاً إشارةً باليد، ثم تقدم الفاضل السيد محمد بن شطه الجزائري؛ ليرجم بيني وبينه، وكانت المخاطبة بينهما باللسان الفرنسي؛ إذ كان لا يحسن النطق بالعربية، وذكروا أنه يقرأ بها، ويفهم جيداً. وقال له السيد محمد بن شطه في التعريف بشأني: هذا مؤلف رسالة (الحرية في الإسلام) وأخبرني أنه كان قد اطلع عليها؛ فنهض قائماً، ومد يده لمصافحتي، وأعطى عبارة في الشكر على تأليفها»^(٢).

لذا أصبح الشيخ بعد تلك المحاضرة مطلوباً من السلطة، مراقباً من عيون الاستعمار الفرنسي الذي أعلن عليه حرباً تمثلت في عدد من الإجراءات الإدارية، وعلى رأسها منعه من الحصول على مرتبة الطبقة الأولى للمدرسين في جامع الزيتونة. يقول ابن أخيه الأستاذ علي الرضا الحسيني: «لم تكن فرنسا المحتلة عاجزة عن القبض عليه، ولم تكن يدها قصيرة عن اغتياله على غفلة، أو إعدامه كما فعلت بالآلاف من الناس، ولأسباب فتعلها.

١ - الرحلات ص ٨٦.

٢ - المرجع السابق ص ٨٣.

والرأي عندي أن كلاً من حكومة الاستعمار وحكومة العبيد لم تلجأ إلى هذا الأسلوب؛ للمكانة العلمية الباهرة التي كانت تحيط بالإمام في أعين طلابه ومحبيه ومعارفه، وللمركز المرموق الذي كان يتمتع به بين علماء الزيتونة.

وإن المستعمر الفرنسي والحاكم الذليل كانا حريصين على عدم المساس بالشعور الديني؛ لأن أية محاولة من هذا القبيل تشعل نار أحداث دامية هما في غنى عنها.^(١) إلى أن يقول: «إذا لا بدّ أن تكون المجابهة مع الإمام المجاهد في الخفاء، وعلى مراحل يمكن تلخيصها وإيجازها بالخؤول دون وصوله إلى الطبقة الأولى من المدرسين في جامع الزيتونة، رغم كفاءته العلمية التي شهد بها شيوخه والعلماء المنصفون. إلا أن بعض الذين انتدبوا لامتحانه، ويتوجيه من السلطة منعوا قبوله في عداد الطبقة الأولى.

وأقوى سلاح يشهر في وجه العالم: أن يَضِيقَ به ميدانُ العلم، ويضربَ الجهلة من حوله القيود والسدود، ولا يجد سبيلاً للانطلاق في الحياة العلمية إلى أقصى غاية».^(٢) ويوضح الأستاذ علي الرضا أن هذا من أهم الأسباب والدوافع التي شجعتة للهجرة إلى دمشق، والرحيل عن مضايقات الاستعمار الفرنسي إلى أرض تتمتع بحرية أكثر، واستعباد أقل.^(٣)

فهذه النبذة اليسيرة ترينا جانباً مهماً من جوانب نزعة الشيخ للحرية منذ أوائل حياته العلمية والعملية.

ثم بعد ذلك كان له ما كان من الجهود والأعمال التي وقف من خلالها مع الحرية الحقة، ورفع صوته منادياً بها، وسخر علمه، وقلمه، ولسانه في سبيل الحصول عليها. وفيما يلي بيان لأبرز المعالم لما قام به في ذلك الشأن.

١ - انظر جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية ص ١٠-١١.

٢ - المرجع السابق ص ١١.

٣ - المرجع السابق ص ١١.

أولاً: مطالبته الحكومة بالعناية بالحرية: يقول ﷺ بعد أن تعرض لمفهوم الحرية وخصالها: «نستتج من هذا البيان: أن الأساس الذي ترفع عليه الحرية قواعدها ليس سوى التربية والتعليم، فيتأكد على الحكومة التي تنظر إلى فضيلة الحرية بعين الاحترام، أن تسعى جهدها في تهذيب أخلاق الأمة، وتنوير عقولهم بالتعليمات الصحيحة قبل كل حساب، قال -تعالى-: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ آل عمران: ١٦٤»^(١).

ثانياً: بيانه الآثار الحميدة المترتبة على الحرية الفاضلة: فكثيراً ما كان يبدي ويعيد في ذلك المعنى الشريف؛ فيذكر ما يترتب على الحرية الحقة الفاضلة من المصالح والآثار التي تعود على الفرد والأمة، من النهوض بالعلوم، والآداب، والأخلاق؛ فتراه يقرر أنه «إذا أضاعت على الأمة شمس الحرية، وضربت بأشعتها في كل واد اتسعت آمالهم، وكبرت هممهم، وتربّت في نفوسهم ملكة الاقتدار على الأعمال الجليلة، ومن لوازمها: اتساع دائرة المعارف بينهم، فتفتق القرائح فهماً، وترتوي العقول علماً، وتأخذ الأنظار فسحة ترمي فيها إلى غايات بعيدة، فتصير دوائر الحكومة مشحونة برجال يعرفون وجوه مصالحها الحقيقية، ولا يتحرفون عن طرق سياستها العادلة»^(٢).

ويقرر -كذلك- أن الحرية تؤسس في النفوس مبادئ العزة والشهامة؛ فإذا نظمت الحكومة منهم جنداً استماتوا تحت رايتها مدافعةً، ولا يرون القتل سبة إذا ما رآه الناكسور رؤوسهم تحت راية الاستبداد.

ويرى -أيضاً- أن الحرية تعلم اللسان بياناً، وتُمدُّ اليراعة بالبراعة؛ فتزدحم على طريق الأدب الرفيع، وتتنور المجامع بفنون الفصاحة، وآيات البلاغة؛ فهذا خطيب

١ - محاضرات إسلامية ص ١٣-١٤.

٢ - المرجع السابق ص ٥٦.

يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وذلك شاعر يستعين بأفكاره الخيالية في نصره الحقيقة، ويحرك العواطف، ويستنهض الهمم لنشر الفضيلة، وآخر كاتب، وعلى صناعة الكتابة مدار سياسة الدولة.

ويبين أن ينباع الشعر في عهد الخلفاء الراشدين لم تكن فاعرة أفواها بفن المديح والإطراء، وإنما ترشح به رشحاً، وتمسح به مسحاً لا يضطهد من فضيلة الحرية فتيلاً. وما انفلت وكاؤها، وتدفتت بالمدائح المتغالية إلا في الأعصر العريقة في الاستبداد^(١).
ثالثاً: بيانه الآثار السيئة المترتبة على الاستبداد وكبت الحريات: سواء كان ذلك في مستوى الدولة، أو الأفراد.

يقول ﷺ في ذلك: «إذا أنشبت الدولة برعاياها مخالب الاستبداد نزلت عن شامخ عزها لا محالة، وأشرفت على حضيض التلاشي والفناء؛ إذ لا غنى للحكومة عن رجال تستضيء بأرائهم في مشكلاتها، وآخرين تثق بكفاءتهم وعدالتهم، إذا فوضت إلى عهدتهم بعض مهماتها، والأرض التي اندرست فيها أطلال الحرية إنما تؤوي الضعفاء والسفلة، ولا تنبت العظماء من الرجال إلا في القليل.

قال صاحب لامية العرب^(٢):

ولكن نفساً حرة لا تقيم بي على الضيم إلا ريثما أتحوّل^(٣)
إلى أن يقول مواصلاً حديثه عن آثار الاستبداد: «فلا جرم أن تتألف أعضاء الحكومة وأعاونها من أناس يخادعونها، ولا يبذلون لها النصيحة في أعمالهم،

١ - انظر المرجع السابق ص ٥٦-٥٧.

٢ - صاحب لامية العرب: هو الشنفرى الأزدي، واللامية هي قصيدته المشهورة التي يقول طالعها:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

انظر لامية العرب للشنفرى، عني بهاد. صلاح الدين الهواوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط ١،

٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ، ص ٥٢.

٣ - محاضرات إسلامية ص ٥٤-٥٥.

وآخرين مقرنين في أصفاد الجهالة، يدبرون أمورها على حد ما تدركه أبصارهم. وهذا هو السبب الوحيد لسقوط الأمة؛ فلا تلبث أن تلتهمها دولة أخرى، وتجعلها في قبضة قهرها، وذلك جزاء الظالمين.

ثم إن الاستبداد مما يطبع نفوس الرعية على الرهبة والجن، ويميت ما في قوتها من البأس والبسالة:

فمن في كفه منهم قناةً كمن في كفه منهم خضاب^(١)

فإذا اتخذت الدولة منهم حامية، أو ألفت منهم كتبية عجزوا عن سد ثغورها، وشلت أيديهم من قبل أن يشدوا بعضدها^(٢).

ثم يضرب مثلاً لذلك يؤيد ما قرره، فيقول: «وإذا أردت مثلاً يثبت فؤادك، ويؤيد شهادة العيان فاعتبر بما قصه الله -تعالى- عن قوم موسى -عليه السلام- لما أمرهم بالدخول للأرض المقدسة وملكها، كيف قعد بهم الخوف عن الطاعة والامثال؟ وقالوا: إن فيها قوماً جبارين، وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها؛ فمتى جئت تسأل عن الأمر الذي طبع في قلوبهم الجبن، وتطوَّح بهم في العصيان والمنازعة إلى قولهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ المائدة: ٢٤ - وجدته خلق الانقياد المتمكن في نفوسهم، من يوم كانت الأقباط ماسكة بنواصيرهم، وتذيقهم من سوء الاستعباد عذاباً أليماً^(٣).

ويقرر إثر ذلك أن الأمة مفتقرة إلى الكاتب، والشاعر، والخطيب.

والاستبداد يعقد ألسنتهم على ما في طيها من الفصاحة، وينفث فيها لكنة وعياً، فتلحق لغتهم بأصوات الحيوانات ولا يكادون يفقهون قولاً^(٤).

١ - البيت لأبي الطيب المتنبي، ومعنى البيت: الرجال صاروا كالنساء؛ لذلتهم وصغارهم. انظر ديوان المتنبي بشرح العكبري ٨٥/١.

٢ - محاضرات إسلامية ص ٥٥.

٣ - المرجع السابق ص ٥٥-٥٦.

٤ - المرجع السابق ص ٥٦.

ويقرر -كذلك- أن «من مآثر الاستعباد: ما تتجشأ به اللها، وتسيل به الأقلام من صديد الكلمات التي يفتضح لك من طلاوتها أنها صدرت من دواخل قلب استشعر ذلة، وتدثر صغاراً، نحو: (مقبل أعتابكم)، (المتشرف بخدمتكم)، (عبد نعمتكم)، ولا إخال أحداً يصغي إلى قول أحد كبراء الشعراء:

وما أنا إلا عبد نعمتك التي نسبت إليها دون اهلي ومعشري

إلا ويمثل في مرآة فكره شخصاً ضئيلاً، يحمل في صدره قلباً يوشك أن ينوء بما فيه من الطمع والمسكنة»^(١).

ويوضح -أيضاً- أن «من سوء عاقبة الخضوع في المقال: أن يوسم الرجل بلقب وضع ينحته له الناس من بعض أقوال له أفرغ فيها كُتُبَةً من التذلل وبَدَلِ الهمة؛ كما سموارجلاً باسم: (عائد الكلب)؛ لقوله:

إني مرضت فلم يعدني واحداً منكم ويمرض كلبيكم فأعود»^(٢)

ويعلق على هذا الخضوع بقوله: «ولا نجعل أن بعض من سلك هذا المسلك من التملق والمديح اتخذها سلماً؛ ليظفر بحق ثابت؛ ولكنه لا ينافي الغرض الذي نرمي إليه من أن الحقوق في دولة الحرية تؤخذ بصفة الاستحقاق، وفي دولة الاستبداد لا تطالب إلا بصفة الاستعطاف، ذلك الوزر الذي يحبط بفضل العزة التي نبهنا الله عليها، وأرشد من يريد لها إلى أنها تطلب بالطاعة من الكَلِمِ الطيب، والعمل الصالح»^(٣).

رابعاً: تأسيس الجمعيات المطالبة بالحرية، المناوئة للاستعمار: وقد مر ذكر لشيء منها، ومن ذلك -على وجه الخصوص- تأسيسه (جمعية تعاون جاليات أفريقيا الشمالية) سنة ١٣٤٢هـ، والتي كان يهدف من ورائها الدعوة إلى اتحاد

١ - المرجع السابق ص ٥٧ .

٢ - المرجع السابق ص ٥٧-٥٨ .

٣ - المرجع السابق ص ٥٨ .

الأمة، والعمل على جميع الأفراد تحت جمعيات تكسبهم قوة. وكذلك دعوته لتنظيم جاليات المغرب العربي المقيمة في القاهرة في جهة واحدة متراسة غايتها: الدفاع عن شعوب شمال أفريقيا: تونس، والجزائر، والمغرب، وليبيا. تلك البلاد التي آلت أمورها إلى يد المستعمر الفرنسي؛ فلاقت منه الأمرين. وقد لبثت الجاليات المغربية دعوته المباركة، والتفتت حوله في مشهد رائع؛ فأنشأت جهة تدعى (جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية) ومقرها دار (جمعية الهداية الإسلامية) في القاهرة، ولم تتخذ لنفسها مكتباً مستقلاً في البناء؛ حفاظاً على مال الجبهة مع قلته؛ ففي بناء (جمعية الهداية) متسع لكل عمل إسلامي نبيل. وقد عقدت الجبهة اجتماعها الأول في شهر ذي الحجة ١٣٦٣ هـ، وتم انتخاب هيئة المكتب برئاسة الشيخ محمد الخضر حسين، وعضوية ثلاثة وعشرين ما بين عالم، وأديب، وتاجر، وطبيب^(١).

وقد عملت الجبهة أقصى ما يمكنها للتعريف بقضايا المغرب، وعقدت المؤتمرات واللقاءات مع المسؤولين العرب والمسلمين، وشرحت للناس كافة في المشرق ما تتعرض له شعوب المغرب، وحفزت الهمم، وكشفت جرائم فرنسا وخطتها الدنيئة أمام الرأي العام في بلاد لم تكن تسمع عن المغرب العربي إلا اسمه. وقد بذلت الجبهة وسعها في خدمة قضايا المغرب، وكانت أعمالها ومواقفها المشرفة، ومحاضراتها ونشراتها ومساعدتها مع ملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية - دعماً قوياً لحركات الاستقلال في المغرب^(٢).

وقد جاء في النداء الأول للجبهة الذي يشير إلى فرنسا وجرائمها ما نصه: «وما ارتكبه هنالك من فظائع التنكيل والتقتيل لما زاد الوطنيين حماسة لقضيتهم، وقوى اتجاههم إلى العمل لتحرير أوطانهم.

١ - انظر جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية ص ١٨-٢٤ .

٢ - انظر المرجع السابق ص ٢٥ .

وقد عرف صدق عزيمتهم جاليات في مصر من أبناء تلك البلاد؛ فأنشؤوا جبهة تدعى: (جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية)؛ لتكون عوناً لتلك الشعوب على بسط قضيتهم للعالم الإسلامي، وتتولى الدفاع عنها بيقظة وحزم، وتعمل لهز العواطف النبيلة في نفوس الأمم الإسلامية؛ حتى يشدوا أزرنا في العمل لتحرير وإسعاد خمسة وعشرين مليوناً من العرب المسلمين، وإنقاذهم من الاندماج في الجنسية الفرنسية، وانقلابهم إلى الديانة النصرانية، وهما الغرضان اللذان تعمل لهما فرنسا ليلاً ونهاراً»^(١).

وقد قاد الشيخ الخضر هذه الجبهة بكل جدٍ وحزم وإخلاص؛ فلم يضمن بوقته، أو مكانته في الأوساط الحكومية والعلمية في مصر مما جعل لتلك الجبهة مكانة عالية، وانساق إليها أكثر اللاجئين السياسيين المقيمين في مصر، ونخبة من المناضلين المغاربة من الحزب الدستوري التونسي، وجمعيات العلماء المسلمين الجزائريين، وغيرهم^(٢). وكان الشيخ - بصفته رئيساً للجبهة - يرسل البرقيات، والنداءات للزعماء، والوزراء، والمؤتمرات، ومنها برقية أرسلت إلى كل واحد من وزراء خارجية الدول الخمس: إنجلترا، وأمريكا، وروسيا، والصين، وفرنسا.

ونص البرقية: «بمناسبة اجتماعكم للنظر في مصير الشعوب، وأمامكم الهدف السامي الذي هو بناء سلام عام تسعد به الأمم قاطبة، تذكر جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية مؤتمركم الموقر بأن في شمال إفريقيا: تونس، والجزائر، ومراكش نحو خمسة وعشرين مليوناً من العرب، سيشاركونكم في بناء السلام العام، متى ساعدتموهم على التخلص من الاستعمار الجائر، وأصبحوا يديرون شؤونهم السياسية بأيديهم.

رئيس الجبهة: محمد الخضر حسين»^(٣).

ومنها نداء وبيان من جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية، وقد نشر في مجلة (الهداية

١ - المرجع السابق ص ٢٤-٢٥.

٢ - انظر المرجع السابق ص ٢٤-٢٩.

٣ - المرجع السابق ص ٣٥.

الإسلامية) الجزء الثالث من المجلد الثامن عشر الصادر في رمضان ١٣٦٤هـ، ومذكرة من الجبهة إلى مؤتمر جامعة الدول العربية، ونشر في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزآن الرابع والخامس من المجلد الثامن عشر الصادران في شوال وذو القعدة ١٣٦٤هـ، ومذكرة مرفوعة من الجبهة إلى الملك عبدالعزيز آل سعود عند زيارته مصر عام ١٣٦٥هـ، وقد نشرتها مجلة (الهداية الإسلامية) الجزآن التاسع والعاشر من المجلد الثامن عشر الصادران في ربيع الأول والآخر ١٣٦٥هـ.

وغيرها كثير من النداءات، والبيانات، والنشرات^(١).

خامساً: تحذيره من الركون إلى الاستعمار والثقة به: فهو من أكثر الناس شعوراً بإرهاب فرنسا وتعذيبها، وجرائمها؛ فهي التي لاحقتة في مطلع حياته في تونس إلى دمشق، واستانبول، وبرلين، ثم دمشق، والقاهرة، وحكمت عليه بالإعدام، وأمرت بمصادرة أمواله في تونس - وليس لديه أموال..

لذاكثر تحذيره من الاستعمار، ومن الثقة به، والتصديق بوعوده.

وكتاب (جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية) مليء بتلك التحذيرات.

ولم يكتف بما جاء بالبيانات والنشرات من التحذير من الاستعمار، والركون إليه، والثقة به، والتصديق بوعده.

بل ذكر ذلك في مناسبات عدة، وصاغها بقوالب مختلفة، ومن ذلك ما جاء في خواتمه التي دون بعضها إبان إقامته في برلين، ونشرها في كتابه (مشاهد برلين) وزاد عليها ونشرها في مجلة البدر الصادرة باسم (العرب) الجزء الرابع من المجلد الثالث من شهر ربيع ١٣٤٢هـ، والجزء السابع من المجلد الثالث الصادر في شهر رجب ١٣٤٣هـ.

والذي يعني ههنا من هذه الخواطر ما ورد فيها بشأن الاستعمار، والتحذير منه، ومن الثقة به، ومن ذلك قوله: «الشر نار كامنة تحملها صدور المستبدين؛ فإن

قدحتها بنقد سياستهم كنتَ لها قوتاً إلا أن تكون بإخلاصك، وحكمتك البالغة ياقوتاً»^(١).

وقوله: «لا تدهانوا المولعَ بقتل حريتكم؛ فأبجس الناس قيمة من تصرعه الخمر كالذي يتخطبه الشيطان من المس، ثم لا يلبث أن يلبسها من تسبيح مدحه حلاًلاً ضافية»^(٢).

وقوله: «قد يقف لك الأجنبي على طرف المساواة، حتى إذا حل وطنك متغلباً طرحك في وهدة الاستعباد، واتخذ عنقك الحرّ موطئاً»^(٣).

بل إن للشعر نصيباً غير منقوص من تحذيراته من الاستعمار، ومواقفه. ومن ذلك ما جاء في قصيدته التي عنون لها ب: (صرخة المغرب) وهي قصيدة تقع في ثلاثة وثلاثين بيتاً، ويقول طالع القصيدة:

يصرخ المغرب غيضاً واحتراقاً صرخة الناهض للموت اشتياقاً
لا تلوموه إذا خاض الوغى ورأيتم دمه الغض مُراقاً
هو يلتذ الردى إذ يسكب الـ الضيم في أكؤسه ماءً زُعاقاً^(٤)

ثم يسترسل في بيان كون الشرق سبباً لنهضة المغرب، ويستنهض الهمم لإغاثة المغرب؛ كي يتخلص من نير الاستعمار، ويصور خلالها ظلم الفرنسيين، وأعمالهم الشائنة في بلاد المغرب.

وله قصائد كثيرة في ذم الاستعمار، وسياساته، وديوان (خواطر الحياة) حافل بذلك الغرض، وقد مر نماذج من هذا القبيل في فصول سلفت من هذا البحث. فهذه معالم منهجه ومواقفه من المطالبة بالحرية الحققة.

١ - هدى ونور ص ٦ .

٢ - المرجع السابق ص ٩ .

٣ - المرجع السابق ص ١٠ ، وانظر الرحلات ص ١٧٧ .

٤ - خواطر الحياة ص ١٥٧-١٦٠ .

المطلب الثاني: وقوفه ضد حرية الفوضى

لئن كان الشيخ - كما مر في المطلب الماضي - قد وقف ذلك الموقف العظيم مع الحرية الحققة الفاضلة - فإنه قد وقف موقفاً مثله ضد دعاوى حرية الفوضى.

بل إن موقفه الأول يتضمن موقفه الثاني تماماً؛ إذ إن مطالبته بالحرية الحققة هي - في الحقيقة - مطالبة ضمنية بالوقوف ضد حرية الفوضى؛ ذلك أن المستبد المستعمر إنما يريد فرض القوانين، ونبذ الشريعة، ونشر الإباحية، وإشاعة ما يدعو إلى الانفلات من الدين بدعوى الحرية.

ولا ريب أن ذلك الصنيع ليس حرية حقيقية، وإنما هو فوضى - كما قرر الشيخ الخضر ذلك - مراراً وتكراراً.

ولهذا سيحمل الحديث في هذا المطلب طابع الإيجاز؛ ذلك أن مواقف الشيخ الخضر من العلمانية، والإلحاد، والتغريب - هي مواقف ضد حرية الفوضى. ومهما يك من شيء فإن للشيخ الخضر تحريرات عدة قرر من خلالها وقوفه ضد حرية الفوضى صراحة.

ويمكن إيضاح المعالم العامة لتلك التحريرات من خلال ما يلي:

أولاً: تقريره أن الحرية الحققة وسط بين طرفين: وقد مر ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل؛ فقد قرر فيه أن في تعدي الإنسان الحد الذي قضت عليه أصول الاجتماع بالوقوف عنده - ضرباً من الإفراط، ويقابله في الطرف الآخر حرمانه من التمتع بحقوقه، والحرية وسط بينهما^(١).

وهو بهذا التقرير ينفي أن تُعدَّ الفوضى، ومجاوزة الحدود الشرعية والمرعية حرية حقيقية.

ثانياً: تصحيح المفهومات الخاطئة عن الحرية: وهذا قريب ومؤكد لما جاء في الفقرة الماضية.

ومما قرره في ذلك الشأن قوله: «يخال بعض الناشئة أن الحرية حق يبيح لصاحبه أن يجهر بكل ما يقدح في فكره من الآراء، وينشر في مقاله كل ما يؤلفه من الهجاء والأوصاف الشائنة كما يفعل الشاعر الخطيئة.

وهذا المعنى بضعة من الحرية، ولكن بعد سبكه وإفراغه في قالب أصل من الأصول التي سنتلونها عليكم في مبحث: الحرية في الأعراس»^(١).

ويذكر صورة من صور التطرف في تفسير الحرية، فيقول: «وتطرف فريق من الناس، ففسروا الحرية بأسوأ تفسير، وتأولوها على معنى امثال داعية الهوى بإطلاق وتنفيذ الإرادة، وإن مس غيره بأذى، أو حَجَرَه عن حق ثابت لا يعترضه فيه نزاع.

وترى كثيراً منهم لا يتصور لها معنى سوى حمل السلاح تحت لواء القوة، وإعماله في سبيل الاغتصاب»^(٢).

ويزيد الأمر وضوحاً في تصحيح ما يقع فيه الخطأ في باب الحرية؛ فيضرب المثل بحال المحكوم الذي يضع نفسه موضع الحاكم؛ لكونه مشاركاً له في الحرية.

يقول الشيخ في تصحيح تلك الصورة الغالطة: «ولا يصح في نظر أي عقل كان أن يعنون على أثر من آثار سوء الضمير ودناءة الطمع باسم فضيلة يدرك بها المحكوم شأؤ الحاكم، ويترشح بها لمشاركته في اللقب كما شاركه في استقلال الإرادة، قال -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ المائدة: ٢٠.

فتسمية بني إسرائيل جميعهم في ذلك العهد ملوكاً انجر لهم من الحرية التي نالوها بعد مغادرة أوطان الذلة، والتملص من سوء العذاب والاستعباد الذي

١ - محاضرات إسلامية ص ١٤ .

٢ - المرجع السابق ص ١٤ .

سامهم به آل فرعون، ووضعوه في أعناقهم سلاسلًا وأغلالًا»^(١).

ثالثاً: تنديده بمن يسمون الطعن في الدين والفضيلة حرية: فتراه يقرر أن حرية الرأي حدوداً إذا تجاوزتها كان إثمها أكبر من نفعها، وأنه لا يدخل في حدودها الطعن في الدين، أو الجهرُ بآراء تَنزِعِ النفوس من العفاف، وتقودها إلى الطاعة العمياء؛ لذلك تراه يندد كثيراً بمن يلهجون بحرية الفكر وهم ينالون من الشريعة^(٢).

يقول ﷺ في إحدى خطايره: «سميت الاستخفاف بالشرع حرية فقلت: برع في فن المجاز، وتهكم بمن أصبح عبداً للهوى.

وسميت النفاق كياسة فقلت: خان الفضيلة في اسمها، أو خان النظر في فهمها»^(٣).

رابعاً: إظهاره تناقض دعاة الحرية: كما جاء في (نقد مقالة الإلحاد) حيث بين تناقض هؤلاء؛ فهو يرى أنهم يشكون ويتذمرون من حزم الرئيس المصلح واحتراسه من مكرهم؛ فإذا ملك أحدهم قوة أرهق فضلاء الناس، ولا يكون من أولئك الذين يندبون حرية الفكر إلا أن يتغنوا بمدحهم في الصحف، ويسمون إرهابه الغاشم إصلاحاً^(٤).

ويقول في مقدمة كتابه (نقض كتاب في الشعر الجاهلي): «تلهج هذه الطائفة باسم حرية الفكر، وهي لا تقصد إلا هذا الفن الذي أكبت عليه صباحها ومساءها، وهو النيل من هداية الإسلام، والغض من رجال جاهدوا في سبيله بحجة وعزم وإقدام.

١ - المرجع السابق ص ١٤ .

٢ - انظر الإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع التونسي ص ٢٥١ .

٣ - هدى ونور ص ٤ ، ومحاضرات إسلامية ص ٢٢٣ .

٤ - محاضرات إسلامية ص ٢٢٣ .

يكفي شاهداً على رياء هؤلاء الرهط: أنهم يقيمون مآثم يندبون فيها حرية الفكر، ثم ينصرفون ويقولون فيما يكتبون: للحكومة أن ترهق الشعب، وترغمه على ما تراه أمراً لاثقاً^(١).

فهذه إشارات ترشد إلى موقفه الواضح من إنكار حرية الفوضى.

١ - نقض كتاب في الشعر الجاهلي ص ٨.

الفصل الثالث: موقف الشيخ محمد الخضر من قضية التغريب

وقضية تحرير المرأة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موقفه من قضية التغريب

المبحث الثاني: موقفه من قضية تحرير المرأة

المبحث الأول: موقفه من قضية التغريب

التغريب مصطلح فكري شائع وهو تيار ذو أبعاد سياسية، واجتماعية، وثقافية، وفنية، يرمي إلى صبغ حياة الأمة بعامة، والإسلامية بخاصة بالأسلوب الغربي؛ بهدف إلغاء شخصية الأمة، وخصائصها المتفردة، وجعلها أسيرة للتبعية الغربية بخيرها وشرها، وصحيحها وزیوفها^(١).

وكانت حركة التغريب قائمة على أشدها في مطلع القرن الرابع عشر الهجري. وكان الشيخ الخضر معاصراً لتلك المرحلة.

وقد مرت إشارات إلى التغريب في كثير من مباحث هذا الكتاب؛ إذ هو مرتبط بالتنصير، والعلمانية، والاستعمار، وقضية الحرية، وغيرها من الاتجاهات، والحركات، والتيارات.

والناس حيال التغريب يتفاوتون؛ فمنهم من يرى الأخذ بجميع ما عند الغرب خيره وشره حتى أنماط المعيشة، وطريقة الكتابة ونحو ذلك.

ومنهم من يرى نبذ الغرب جملة، وترك الأخذ منه بأي حال من الأحوال. وبين هؤلاء وهؤلاء موقف معتدل.

فالأخذ بما عند الغرب كله خطأ، وتركه كله خطأ ثان، وأخذ ما عندهم من شر خطأ ثالث.

والحكمة تقضي أخذ ما عنده من خير، وترك ما عنده من شر.

وهذا الأخير هو الموقف الذي اتخذته الشيخ الخضر تجاه ما عند الغرب على سبيل الإجمال.

أما موقفه من دعاة التغريب بمفهومه الاصطلاحي فيمكن إجماله -أيضاً- بما يلي:

١- وقوفه ضد دعاة التغريب، وعلى رأسهم الشيخ علي عبدالرازق، وطه حسين؛ حيث قاوم الدعوة التي نادى بها علي عبدالرازق، وعدّ كتابه (الإسلام وأصول الحكم) مظهراً من مظاهر التغريب التي هبت على المجتمعات الإسلامية؛ تريد النيل من خلافتها، وتأجيج خلافاتها، وتشيت صنوفها بعد أن كانت تحت مظلة خلافة إسلامية جامعة. كما وقف أمام المد التغريبي الذي نادى به طه حسين في كثير من أبحاثه، خصوصاً في كتابه (في الشعر الجاهلي).

٢- عني عناية تامة في المجلات التي كان يصدرها، وخصوصاً مجلة (الهداية الإسلامية) بإصلاح الفكر، والدعوة إلى الأخلاق؛ رغبة في بناء أسوار عالية تقي الأمة من أعاصير التغريب.

٣- بعث في نفوس كثير من العلماء، والعامّة معاني العزة، والكرامة، والمحافظّة على الهوية، والحذر من التبعية الغربية المطلقة.

٤- قاوم الإلحاد، والاستعمار، والعلمانية، وغيرها من الأفكار والتيارات التي تصب في قالب التغريب.

٥- قاوم الدعوات التي تتبرقع باسم الإسلام، وليست منه بل هي مطايا للاستعمار، والتغريب، كالبهائية، والقاديانية.

هذه -بإجمال- هي خلاصة مواقفه، وجهوده في مقاومة التغريب^(١).

أما تفصيل ذلك فيتضح من خلال البحث في طرقه بابّ التغريب بمفرده، أو تعرضه لبعض مسائله، أو مروره به في غضون أبحاثه الأخرى العامة. وهذا ما سيتبين في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: دراسته العامة للتغريب

المطلب الثاني: دراسته لبعض مسائل التغريب

١ - انظر تفصيل ذلك في بحث (جهود الأزهر في مواجهة التغريب الإمام محمد الخضر حسين الجزائري نموذجاً) للدكتور نجيب بن خيرة الأستاذ المحاضر بقسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية - جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإنسانية بالجزائر. انظر ذلك البحث في ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص ٨١-١٠٨.

المطلب الأول: دراسته العامة للتغريب

والمقصود من ذلك المطلب ما قام به الشيخ الخضر من تخصيص لدراسة هذه القضية، والتأصيل الشرعي لما يؤخذ من الغرب، وما لا يؤخذ. وأوضح وأهم ما قام به الشيخ من الدراسات الخاصة لقضية التغريب ما جاء في بحثه المعنون بـ (محاكاة المسلمين للأجانب).

وما جاء في بحثه الآخر (التقليد والمحاكاة في نهضتنا المعاصرة).

وفيما يلي تبيان لأهم مقاصد هذين البحثين:

البحث الأول: (محاكاة المسلمين للأجانب): هذا البحث منشور في مجلة (نور الإسلام) العدد السادس، من المجلد الثالث، الصادر في شهر جمادى الثانية ١٣٥١هـ. وطبع ضمن كتابه (رسائل الإصلاح)^(١).

وقد استهل البحث بمقدمة أشار فيها إلى أن من الأفراد مَنْ قد ينشؤون في بيئة عفاف وحكمة، وتتولاهاهم التربية الحازمة بالتنبيه لمواقع الهنات؛ فتكون سيرهم كالسبيكة الخالصة لا يجد فيها الناقد مغمزاً.

وأن الأمم كالأفراد تتفاضل بالتربية الحازمة، ويغلبه خيرها على شرها.

كما أشار إلى أنه إذا وجد في الأفراد من يأذن لك أساتذة التربية في أن تقتدي بسيرته على الإطلاق - فليس في الأمم أمة يقول الرجل الحكيم لشعبه الناهض:

خُضْ خَوْضَهَا فِي كُلِّ وادٍ، وشابها مشابهة الغراب بالغراب^(٢).

ثم تعرض بعد ذلك إلى ولوع الأمم الضعيفة المغلوبة بتقليد الأمة القوية الغالبة. وأشار إلى أن فئة من الشعوب المغلوبة أقبلت على محاكاة الأمم الغالبة من غير تدبر واحتراس، وربما سبقوا إلى ما يعد من سقط متاعها، ومستهجن عاداتها فَصَبُّوا همهم في تقليدها فيه؛ فزادوا شعبهم وهنا على وهن، وكانوا كالعثرات

١ - ص ٢٤٣-٢٥١.

٢ - انظر رسائل الإصلاح ص ٢٤٣.

تعترضه ، فتعوقه عن السير ، أو تجعله في الأقل بطيئاً .

ثم تعرض لإشارة ابن خلدون في مقدمته إلى هذا المعنى ، وأنه طبيعة اجتماعية .
ثم أشار إلى أن الناشئ الذي يدرس تاريخ الإسلام ، وما كان لرجاله من مجد
شامخ وسلطان كريم لا يكبر في عينيه سلطان الغالب إلى أن ينحدر في التشبه به في
كل حال .

وخلص من ذلك إلى أن الكتاب والخطباء يذكرون تقليد المسلمين للأجانب ،
وأن منهم المسرف في التقليد ، ومنهم الراشد^(١) .

وقال بعد ذلك : « وإليك كلمة تعرض عليك الرأي الذي يقف عند حدود
الدين ، ويرعى حق القومية ، ويقدر المصالح ، ويحرص على أن لا يفوت الأمة منها
مثقال ذرة »^(٢) .

ثم شرع في تفصيل القول في محاكاة المسلمين للأجانب ، وأنها تظهر في خمسة
وجوه ، وهي -بإيجاز- كما يلي :

١- محاكاتهم فيما تشتمل على مصلحة دنيوية ، ولا يخالف حكماً شرعياً ، أو أدباً
دينياً : وهذا ما تآذن به الشريعة ، ويتأكد العمل به على قدر ما فيه من مصلحة .
بل أشار إلى أنه ليس من المعقول أن تنهى الشريعة عما فيه خير لمجرد أن أقواماً
من غير المسلمين سبقوا إليه .

ثم ذكر أمثلة على ذلك كمجاراتهم في الصنائع ، ووسائل الدفاع ، والمواقف
التي يخف بها جانب عظيم من هذه الحياة .

وذكر على ذلك شاهداً من السيرة النبوية وهو ما فعله النبي ﷺ من حفر الخندق
حول المدينة ، وقد أشار به سلمان الفارسي ، وهو من مكابد الفرس في حروبها ،
وذكر أن في أوربا نظاماً إدارية توزن بقاعدة رعاية المصالح ، فيرى إجراؤها في بلادنا

١ - انظر المرجع السابق ص ٢٤٣-٢٤٥ .

٢ - المرجع السابق ص ٢٤٥ .

من قبيل إصلاح الإدارة^(١).

٢- محاكاتهم في شيء من شعائر دينهم: وهذه المحاكاة - كما يقول-: «إن كانت عن رضا دلت على نبذ الإسلام، ولا سيما محاكاة تقع منه مرة بعد أخرى؛ فإن قامت قرينة على أنه يقصد الاستهزاء بمن يقلدهم فهي سفاهة وعصيان؛ فالذين يرسلون أبناءهم لمدارس أجنبية تحتم على كل تلميذ الاشتراك في القيام بشعائرها الدينية إنما يلقون بأفلاذ أكبادهم في حفرة من النار»^(٢).

إلى أن يقول زارياً على بعض المقلدين من غير تدبر: «وقد وصل ببعضهم الشغف بالانحطاط في هوى الأجانب، والانغماس في التشبه بهم: أن اقترح - في غير خجل - قلبَ هيئة المساجد إلى هيئة كنائس، وتغيير الصلوات ذات القيام والركوع والسجود إلى حال الصلوات التي تؤدَّى في الكنائس.

وهذا الاقتراح شاهد على أن في الناس من يحمل تحت ناصيته جبيناً هو في حاجة إلى أن توضع فيه قطرة من الحياء»^(٣).

٣- محاكاتهم في شيء لم يكن من شعائر دينهم، ولكنه مما نهى عنه الإسلام على وجه الحرمة: كتقليدهم في اختلاط الرجال بالنساء، ورقص الفتيان مع الفتيات. أو نهى عنه على وجه الكراهة كتقليدهم في تناول الطعام بالشمال. والمحاكاة التي توقع في محرم فسوق عن أمر الله، والتي توقع في مكروه يخسر بها صاحبها قسطاً من ثواب الله^(٤).

ثم يوضح أنه إذا «كانت المحاكاة عن مجرد هوى، فإن كانت عن اعتقاد أن ما يفعله الأجنبي أحكم وأليق زلزلت أصل الإيمان، والتحققت بمحاكاته فيما هو من شعائره ملته.

١ - انظر المرجع السابق ص ٢٤٥-٢٤٦

٢ - المرجع السابق ص ٢٤٦-٢٤٧.

٣ - انظر المرجع السابق ص ٢٤٧.

٤ - المرجع السابق ص ٢٤٧.

وعلى هذا الوجه يجري حكم استبدال قوانينهم الوضعية بأحكام الشريعة
الغراء؛ نحو القوانين المبيحة لما حرم الله من الربا»^(١).

ثم ذكر جملة من الأمراض التي سرت إلى المسلمين عن طريق التقليد للأجانب
بشيء من التفصيل، فذكر موبقة الانتحار، وإغلاق محال التجارة يوم الأحد أو
السبت، وإنشاء مكاتب للدعارة^(٢).

٤- محاكاتهم فيما لم يتعرض له الدين بنهي خاص: ولكن رعاية المصالح، أو درء
المفاسد تقضي بترك هذه المحاكاة.

والمصالح كالمفاسد تتفاوت في شدتها، فيفصل الحكم على حسب هذا التفاوت.
ثم ذكر أمثلة لهذا النوع كاتخاذ بعض الأزياء الظاهرة في الاختصاص بهم.
وكاتخاذ نحو الملابس وأثاث البيوت من مصنوعاتهم، وفي المصنوعات القومية
ما يغني غناءها؛ لأن في الإقبال على المصنوعات القومية فتح باب عظيم من أبواب
الثروة العامة - كما يقول-^(٣).

كما ذكر أن «مما يثير الأسف البالغ: أن يقتصر المسلم في رسائله، أو عند ذكر
الحوادث على ما يؤرخ به المسيحيون، وهو التاريخ القائم على ميلاد المسيح - عليه
السلام - وقد فشت هذه المحاكاة حتى أصابت أقالماً شأنها أن تنهى عن مثل هذا
التشبيه.

وفي الاعتماد على التاريخ الهجري محافظة على ذكرى مبدأ علو الإسلام
وظهوره على الدين كله»^(٤).

٥- محاكاتهم في أمور لم يرد فيها عن الشارع نهى خاص، ولم تكن في نفس
مواقفهم فيها مصلحة أو مفسدة، ولا تلقي على صاحبها شبهة الانتماء إلى ملتهم.

١ - المرجع السابق ص ٢٤٧ .

٢ - انظر المرجع السابق ص ٢٤٨-٢٤٩ .

٣ - المرجع السابق ص ٢٤٩ .

٤ - المرجع السابق ص ٢٤٩-٢٥٠ .

فيرى أنه لا حرج في هذه المحاكاة إلا من جهة الاحتفاظ بالتقاليد القومية. ويرى أن صغار النفوس أو العقول « يسارعون إلى التخلي عن المعروف بين قومهم ، ويستبدلون به المعروف بين الأمم الأجنبية. ولا داعي لهم إلى هذه المحاكاة إلا الافتتان بكل شأن من شؤون أولي الشوكة والسلطان.

أما أولو الأحلام الراجحة فلا ينتقلون عن المعهود في بيئتهم إلا إلى ما هو أفضل ، ولا يفضل عرف على عرف مجرد أنه يجري بين قوم لهم القوة والغلبة»^(١). ثم ذكر أمثلة على ذلك كمحاكاتهم في لون خاص يلتزمونه في حفلات خاصة؛ فقال: « فليس للون الخاص في الحفلات مصلحة أو مدخل في نهوض القوم، وإنما هي عادة جرت بينهم، وألفتها أذواقهم؛ فإذا لم يعتد قوم مسلمون التزام في مثل تلك الحفلات، وأبوا تقليد الأجانب في هذا العرف دلوا بهذه الإبائية على الاعتزاز بقوميتهم، ونبهوا على أنهم لا يريدون أن يكونوا أتباعاً حتى فيما لا يقدمهم خطوة، ولا يسد من حاجاتهم خلة»^(٢).

وبعد أن ذكر هذه الوجوه الخمسة، ويبيّن حكم كل واحد منها، وضرب الأمثلة على ذلك قال ناعياً على من أفرط من الكتاب الداعين إلى محاكاة الأجانب في كل شيء: « وإن تعجب فعجب لذلك الذي وضعت صولة الغالب على بصيرته غشاوة، فقام يدعو المسلمين إلى تقليد الأجانب بدون قيد ولا استثناء، وذهب يذكر في وجه هذا التقليد المطلق غاية هي العمل لاتحاد العالم.

ولا نطيل في وصف انحراف هذا الرأي؛ فإن العالم في حاجة إلى الاتحاد في معرفة واجبات الإنسانية، وفي احترام الأقوياء لحقوق الضعفاء. ومتى ظفر بهذا الاتحاد لم يضره اختلاف شعوبه في بعض مظاهر الحياة»^(٣).

١ - المرجع السابق ص ٢٥٠ .

٢ - المرجع السابق ص ٢٥٠ .

٣ - المرجع السابق ص ٢٥١ .

إلى أن قال: «ثم ما بال هذا الكاتب يسعى لاتحاد العالم من ناحية دعوة المسلمين إلى موافقة الغربيين في كل شيء، ولم ينظر نظر المتدبر الرصين، فيدعو الغربيين إلى موافقة المسلمين في آداب هي أشد انطباقاً على ما تقتضيه الإنسانية، وترتضيه الأذواق السليمة؟!»^(١).

ثم ختم بحثه بكلمة جامعة قال فيها: «هذه كلمة نوجهها إلى الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه؛ لعلهم يجدون فيها تحقيق الفرق بين محاكاة الأجنبي المحمودة، ومحاكاته المنبوذة، فيسلكوا طريقاً وسطاً يكفل لهم سعادتي الأولى والآخرة، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ الأحزاب: ٤»^(٢).

البحث الثاني: (التقليد والمحاكاة في نهضتنا المعاصرة): وهو مقال نشرته (الأهرام) إبان فترة رئاسة الشيخ للأزهر، ونشرته مجلة (الأزهر) الجزء الثامن من المجلد الرابع والعشرين غرة شعبان ١٣٧٢هـ، إبريل نيسان ١٩٥٣م. وهو موجود ضمن كتابه (أحاديث الأزهر)^(٣).

وهذا البحث قريب مما جاء في البحث الماضي، وإن كان البحث الماضي أشمل وأوسع، وأكثر تفصيلاً.

وهذا البحث تميز ببعض الحلول العملية أكثر مما جاء في البحث الماضي. وفيما يلي بيان لأهم مقاصده:

١. افتتح الشيخ مقاله بالإشارة إلى أن الأمة في طور تحتاج فيه إلى القوة، ومعالجة أسباب الضعف؛ لتكون سعيدة محترمة متعاونة مع غيرها فيما يحقق

١ - المرجع السابق ص ٢٥٠.

٢ - المرجع السابق ص ٢٥٠، وانظر تفصيل الكلام في المحاكاة والمخالفة في كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم) لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. ناصر العقل، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٢، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، والتشبه النهي عنه في الفقه الإسلامي، جميل بن حبيب اللويحق، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، ط ٢، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص ٧٩-١٢٧.

٣ - ص ٨٧-٩١.

مصالحها وأهدافها العليا.

وأن أول ما ينبغي تمييزه في معالجة الضعف، والأخذ بوسائل القوة: أن نكون على بينة مما نأخذ عن غيرنا، وما ينبغي لنا التمسك به من أصولنا، ومبادئنا، وما به قوام كياننا^(١).

كما أشار إلى أن: «الإسلام يأمرنا أمراً دينياً بأن نكون أمة قوية بأخلاقها، قوية بعلومها النافعة، وصناعاتها التي عليها مدار العمران، قوية باستعدادها العسكري للدفاع دائماً وفي أي لحظة عن كل مالنا من حقوق، وما نؤمن به من حقائق.

فالأخذ بأسباب القوة من جميع هذه النواحي، والاضطلاع بالعلوم اللازمة له من طبيعة وكيمياء، وميكانيكا ورياضة، واقتصاد وإحصاء - فرض لازم على المسلمين؛ لأن دينهم أمرهم بأن يكونوا أقوياء؛ فأصبح ذلك واجباً عليهم، وكل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»^(٢).

٢- انتقل إلى بيان ما ينبغي لنا من هذه الأمور، وهي ألا تقتصر على المحاكاة والتقليد، بل الواجب أن نبادر إلى إعداد الأذكياء من أبنائنا للتقدم فيها؛ حتى يكونوا من أئمتها المبتكرين، وعلمائها المخترعين^(٣).

٣- بين أن الأمور التي بها قوام كياننا، والعمل بمبادئنا، والرجوع إلى أصولنا - هي مما لا يجوز لنا محاكاة غيرنا فيه، وأن كل أمة تحترم نفسها، وتعتز بكيانها، تترفع عن محاكاة غيرها في أصولها، ومبادئها^(٤).

ثم ضرب بعض الأمثلة على ذلك، واستشهد بأحوال بعض الدول التي تحافظ على أصولها ومبادئها وأشار إلى أن الاعتزاز بأصول الأمة ومبادئها مظهر من

١ - انظر أحاديث في رحاب الأزهر ص ٨٧ .

٢ - المرجع السابق ص ٨٧-٨٨ .

٣ - انظر المرجع السابق ص ٨٨ .

٤ - انظر المرجع السابق ص ٨٨ .

مظاهر قوتها ، وأن التفريط في ذلك ، والتلون بالألوان الغربية مظهر من مظاهر الضعف ، ومن وسائله .

ثم أشار إلى أن هذه الحقيقة الاجتماعية قررها ابن خلدون في مقدمة تاريخه .

٤- قرر أن « القاعدة المزدوجة - وهي الأخذ بكل ما وصلت إليه الأمم من علوم القوة والتقدم العمراني وأسبابهما ، مع التمسك بالأصول والمبادئ الخاصة بنا ، والموروثة عن أسلافنا - هي التي ينبغي لنا أن نعمل بها في أنفسنا أفراداً ، وفي بيوتنا وأسواقنا ومجتمعنا ودولتنا »^(١) .

وأكد على أن النهضة التي تقوم على هذين الأساسين هي النهضة الصادقة الثابتة الخطى ، الوثيقة الدعائم .

٥- قرر أن من الخطأ محاكاة الأمم الأجنبية فيما لا فائدة من ورائه ، أو فيما يمس أصول الأمة ومبادئها : وذلك كمحاولة محاكاة الأمم الأجنبية في نظام الأسرة ، وشؤون الزواج ، والأمور الشكلية كالأزياء وما إليها .

كما ضرب الأمثلة مما طرأ على الأمة من عدوى أجنبية في حياتنا الاجتماعية^(٢) .

٦- ختم المقال بخاتمة قرر من خلالها أن « من أدق موازين الحكم على الوعي القومي ، والنضوج الاجتماعي : مراقبة ما تأخذه الأمة عن غيرها من خير ، وما تتجنبه مما لا خير فيه ، ونحن اليوم في هذا الطور من أطوار التاريخ ، والتاريخ يراقبنا في هذا الامتحان؛ ليرى ما نأخذ وما ندع »^(٣) .

فهذه خلاصة ما جاء في ذلك البحث .

١ - المرجع السابق ص ٨٩ .

٢ - المرجع السابق ص ٩٠-٩١ .

٣ - المرجع السابق ص ٩١ .

المطلب الثاني: دراسته لبعض مسائل التغريب

كما أن الشيخ الخضر تعرض لدراسة التغريب، والتأصيل له بمفرده - كما مر - فكذلك تعرض لمسائل خاصة في هذا الباب؛ بحيث يتناولها مفردة، أو في غضون دراسته لموضوع ما، فتمر بعض مسائل التغريب عرضاً، فهذا هو المقصود في هذا المطلب.

وفيما يلي بيان لذلك بشيء من البسط:

أولاً: علاقة الذوق بمحاكاة الأجانب: ففي بحث له عنوانه (الذوق وفي أي حال يعتد به) تعرض لمفهوم الذوق عند بعض أهل عصره، فبين أنه: «إدراك ما يليق في المعاملات، فيقولون: فلان صاحب ذوق، إذا كان يحسن ما يعمل، أو يحسن معاملة غيره»^(١).

ثم نبه على ما يقع من الخطأ في ذلك فقال: «وقد يخطئ في الذوق بعض أهل العصر، فيستعمله في القوانين والأعمال الشرعية، وهو طبيعة تترى بمحاكاة بعض الأجانب، وتغلبه المحاكاة إلى قوانينهم ومعاملاتهم؛ كالربا، ولا يزيد إن ذكرت له حداً من حدود الشريعة أن يقول: هذا منافع للذوق»^(٢).

ثم بين ما تحسن به محاكاة الأجانب فقال: «وإنما يحسن أن نحكيهم فيما سبقونا إليه من الأشياء المادية؛ كالهاتف، والبرق، والأسلحة، والطائرات، والغواصات، والإذاعة.

وأما الأمور العقلية المعنوية فقد دلت المشاهدة على أنهم ونحن فيها سواء. وإنما يعتد في القوانين بالمصالح العامة، ولا يعتد بالذوق الخاص، ولا بالذوق الذي تربي من عادة بنيت على غير مصلحة»^(٣).

١ - دراسات في الشريعة الإسلامية ص ٦٩ .

٢ - المرجع السابق ص ٦٩ .

٣ - المرجع السابق ص ٦٩ .

ثانياً: الشباب وتأثرهم بما عند الغرب: ففي بحثه: (العلماء والإصلاح) تعرض لما يقع من بعض الشباب من هذا القبيل، وبين واجب أهل العلم تجاه هذا الأمر، فقال: «ينظر أهل العلم إلى ما غرق فيه بعض شبابنا من التشبه بالمخالفين، وتقليدهم في عادات لا تغني من الرقي شيئاً.

وقد يرى بعضهم انحطاط كثير من أبنائنا في هذا التشبه والتقليد، فيعده قضاء مبرماً، ويملكه خاطر اليأس، حتى ينتكث من التعرض للشؤون العامة ومعالجتها، ولكن الذي يعرف علة هذا التسرع، ويكون قد قرأ التاريخ؛ ليعتبر يرى الأمر أهون من أن يصل بالنفوس إلى التردد في نجاح الدعوة، بله اليأس من نجاحها»^(١).

ثالثاً: الدعوة إلى مسامرة أوربا: ففي البحث السابق (العلماء والإصلاح) تطرق لهذه المسألة فقال: «وأذكر بهذا أن كاتباً كتب في إحدى المجالات مقالاً تحت عنوان: (وحدة العالم) يدعو فيه إلى مسامرة أوربا في السفور ونحوه، وقال في علة الدعوة إلى هذه المسامرة: ليخرج الشرق والغرب في مدينة واحدة، وأشار على دعاة الإصلاح في الشرق بأن لا يقفوا في سبيل هذه المدينة، زاعماً أنهم لا يستطيعون مقاومتها، ولا يزيدون على أن يجعلوا سيرها بطيئاً، ورجب إليهم أن يحثوا الناس على المسارعة إلى قبولها»^(٢).

ثم عقب على ذلك بقوله: «والذين ينظرون إلى مدينة أوربا باعتبار يبصرون فيها على البدهاة ما لا يرتضيه العقل، ولا يقبله الشرع.

واختلاف الأمم بالحق خير من اتحادها على باطل، ولا يفوت الحكمة أن تجد نفوساً مهذبة، وعقلاً سليمة، فتقبلها؛ فحقيق على العلماء أن يتسموا لهذا الرأي تبسم الازدراء، ولا يقيموا مثله وزناً إلا أن يكشفوا سريرته، ويعرضوا على الأنظار سوء مغبته»^(٣).

١ - رسائل الإصلاح ص ١١٩ .

٢ - المرجع السابق ص ١١٩ .

٣ - المرجع السابق ص ١١٩ - ١٢٠ .

إلى أن قال: «والعالمُ بحق من يتدرَّعُ بالإيمان البالغ، والثقة بما وعد الله به الداعي إلى الحق من الظهور على أشياع الباطل، وإن أوتوا زخرفاً من القول، وسعة من المال، وكانوا أكثر قبيلاً»^(١).

رابعاً: تغريب التعليم: فقد تطرق لهذه المسألة كثيراً، فبيّن خطر ذلك المسلك، وأطلق النداءات في التحذير منه.

وقد مر تفصيل لذلك عند الحديث عن المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين، وذلك في مبحث مواجهته للتنصير.

كما تطرق لأثر الاستعمار، وما صاحبه من تغريب التعليم، وإفساد الثقافة. يقول ﷺ عندما سأله مندوب جريدة (المصري) عن رأيه في التعليم وموقف الإسلام منه: «كانت إساءة الاستعمار باحتلاله العسكري في السبعين سنة الماضية، ثم باحتلاله السياسي والاقتصادي - أهون شراً، وأدنى إلى دفع غوائله - على فداحتها - من إساءته إلى مصر على يد (دنلوب) فيما رسم من خطط لتوجيه الثقافة المصرية العامة توجيهاً ألياً يُعنى بالقشور والشكليات، وينأى بالمدارس ومعاهد العلم عن أن تكون لها رسالة سامية من رسالات الله في تهذيب النفوس، وإعداد الجيل الصالح، وتكوين الرجال الذين يعيشون لأمتهم، وينهضون بها إلى المستوى الكريم الذي يستحق أهله السعادة في أنفسهم وفي مجتمعاتهم، والاحترام من الأمم الأخرى»^(٢).

ثم بيّن ما يعانیه رجال الإصلاح من الآثار الوخيمة التي خلفها نظام التعليم الذي رسم خطته، ووضع أسسه (دانلوب)؛ لبيتعد برجال المستقبل من مواطن الخوف من الله.

١ - المرجع السابق ص ١٢٠ .

٢ - أحاديث في رحاب الأزهر ص ١٨ .

ثم أشار إلى أن هذا التعليم في المدارس المصرية من زمن (كرومر)، إلى يوم الناس هذا لا يُعنى بتكوين الإنسانية في الإنسان، ولا الإسلامية في المسلم، ولا الوطنية في ابن الوطن، ولا الرحمة والرفق والتعاون على البر والتقوى في قلب الرجل المثقف، ولا يصل حاضر الأمة بماضيها التي تحمل لنفسها وللإنسانية أكرم أمانات الله وأنبليها^(١).

إلى أن قال مبرهنًا على ما ذكر: «ولعل أصدق شهادة على هذه الحقيقة جنوح عددٍ كثير من كبار رجال وزارة المعارف نفسها - فضلاً عن غيرهم - إلى تخريج أبنائهم في مدارس أجنبية، يعلمون أنها أسست لأبناء جاليات لا حاجة بهم إلى كثير مما يحتاج إليه التلاميذ المصريون في قوميتهم ودينهم.

لكنهم اضطروا إلى الرضا لأبنائهم بهذه المدارس الغربية عنهم، العارية عن أمس حاجاتهم القومية والمليّة؛ فراراً من ناحية الضعف التي أزمّت عللها في مدارسنا، واستشرى داؤها مدة نصف قرن وأكثر»^(٢).

خامساً: الزرابة على التنكر للهوية وعلى من يُكبر جميع ما عند الغرب: يقول ﷺ في بحثه (الانحراف عن الدين: علله، آثاره، دواؤه) بعد أن ذكر صوراً من الانحراف عن الدين: «ولا ننسى بعد هذا أن ما بلغه الغربيون من التقدم في العلوم والفنون قد جعل لهم في القلوب إكباراً، وبلغ هذا الإكبار في بعض النفوس الصغيرة أن يفوّه أحدُ الغربيين بكلمة يطعن بها في حقيقة من حقائق الإسلام، فيتلقوها منه بمتابعة، ويحسبونها طعناً صائباً، ولا سيما الكلمات التي تصدر من طائفة يخرجون في زي الكتاب أو الفلاسفة؛ إذ يقع في أوهام الغافلين أنه نتيجة نظر لا يعرف غير البحث والدليل»^(٣).

١ - انظر المرجع السابق ص ١٩ .

٢ - المرجع السابق ص ١٩ .

٣ - رسائل الإصلاح ص ١٨٠ .

ثم بيّن وجه الخطأ في ذلك فقال: « ويفوتهم أن في هؤلاء الكتاب من لا يزال في أسر تقاليده وعواطفه، وفيهم من يكون بارعاً في ناحية من العلم، قاصر النظر في ناحية أخرى.

وها نحن أولاء نقرأ نتائج أبحاثهم في موضوعات إلهية، أو تاريخية، أو اجتماعية، أو لغوية، فنرى فيهم من يتبع الظن الذي لا يغني عن الحق شيئاً. وكان على نشئنا أن نعتبروا بالمناقشات التي تدور بين علمائهم أنفسهم؛ فإنها شاهدٌ صدق على أن من علمائهم أو فلاسفتهم من يعتمد الرأي لمجرد الشبهة، ولا يبالي أن يسميه علماء، وهو لا يرتبط بعد بالحجة، أو ما يشبه أن يكون حجة»^(١).

وقال في معرض رده على طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي): « ألم يكن من أدب الأستاذ أن يربي نفوس التلاميذ على عزة ونخوة، ومن أسباب عظمة النفس ومقامرتها في الشرف: شعورها بأنها غصن من شجرة نبتت نباتاً حسناً، وآتت أكلها ضعفين.

إن شعور نشئنا بما كان للشرق من حلوم راجحة، وحياة علمية زاهرة ليجعلهم من سمو الهمة وقوة العزم بمكان لا تحظى به نفوس يقال لها: انسلخي من شريقتك، إنها مردولة، اخرجي في صبغة غريبة، إنها أخذت الكمال من جميع أطرافه»^(٢).

وقال في معرض نقده لمقال (المدرج) لفريد وجدي: « اندفع الأستاذ في هذا المقال اندفاعاً من تسحرهم المدنية الأوربية، فينظرون إلى كل ما تقع عليه أبصارهم من شؤون أوربا وعاداتها باستحسان بالغ وإعجاب؛ فأسرف في إطرائها، وطاش قلمه في تفضيلها.

ولو أراد الأستاذ أن يصف روح العصر الحاضر كما يصفه الناقد الرصين لَمَا

١ - المرجع السابق ص ١٨٠ .

٢ - نقض كتاب في الشعر الجاهلي ص ١٧١، وانظر ص ١٧٢ و ١٧٩ .

أحس في نفسه الحاجة إلى أن يمهد لمديحه بلمز العصور الإسلامية حتى عهد الخلفاء الراشدين.

ولكنه استحب أن يرسل قلمه في المديح مخلوع العذار، وأن يخيل إلى الناس صحة ما يدعيه من أن (روح العصر الحاضر نفحة إلهية)»^(١).

إلى أن قال: «فذهب يفتش في تاريخ صدر الإسلام، ويلتقط ما حدث فيه من فتن ومنازعات، ولم يجد في صدره حرجاً أن يتعرض لعهد الخلفاء الراشدين، وهو يخاطب شباناً يحتاجون إلى ما يذكرهم بعظمة أسلافهم، ولا خير لهم في أن يرسم لماضي أمتهم صورة مشوهة، ثم يضع لحاضر أوربا صورة يدعي لها من الكمال ما لا تعرفه أوربا نفسها.

ولو سلك الأستاذ في إغمازه وإطرائه طريق الإنصاف لوجد من لدنا عذراً، ولكنه يعتسف الحديث اعتسافاً»^(٢).

كما أنه ﷺ أنكر غاية الإنكار تلك المحاولات التي أرادت منها فرنسا أن تدمج التونسيين في الجنسية الفرنسية - كما مر في مباحث ماضية -^(٣).

سادساً: العدل مع الغرب، والاعتدال فيما يؤخذ منه: فلقد تطرق لهذه المسألة مراراً وتكراراً، وفي مناسبات شتى سواء في مقالاته، أو محاضراته، أو ردوده.

ومن ذلك قوله في معرض رده على طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي) وذلك عند تعرض الشيخ لنزعة طه حسين الغربية: «لا أقصد بإنكار نزعة المؤلف أن نشعر الناشئ بأن الشرق في غنى عن الغرب، أو أن نذكر الشرق بأكثر مما تسعه الحقيقة، فإن الأول صد عن سبيل الرقي، والثاني جنابة على التاريخ، وعلى ما يسميه الأخلاقيون أو اللغويون: صدقاً وأمانة»^(٤).

١ - محاضرات إسلامية ص ٢٠١-٢٠٢ .

٢ - المرجع السابق ص ٢٠٢ .

٣ - انظر الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين ص ٥٧-٧١ .

٤ - نقض كتاب في الشعر الجاهلي ص ١٧٢ .

وقال في معرض آخر من ذلك الرد: «لا نزدري الغربيين وعلومهم الغزيرة، وإجادتهم النظر في الماديات، وما تنتظم به مرافق الحياة ووسائل العمران الذي نشهده بأبصارنا، ونلمسه بأيدينا.

ولكنهم لم يبلغوا أن يمتازوا بالثقافة في كل علم حتى المباحث التي لا يتوقف إدراك حقائقها إلا على ذكاء الباحث، وصفاء بصيرته»^(١).

إلى أن قال: «فإن كان المؤلف يضع قلبه بين أصابع المستشرقين، ويملاً جرابه من حقائب المستشرقين، ويستهوئ تلك الطائفة باسم المستشرقين - فإن للناس بصائر تأبى لهم أن يُقلدوهم في الفرق بين الحق والباطل، والفصل في أسباب السعادة والشقاء، ولا سيما بعد أن رأوا فيهم صفواً وكدرأً، ونظاماً وخللاً، وأدباً وسفهاً، وذكاءً وبلهاً، وسلاسةً وتعسفاً»^(٢).

وقال في رده على فريد وجدي في مقالة (المدرج): «ذكر الأستاذ في جملة ما أغمز فيه من العصور الخالية عصر الخلفاء الراشدين، ثم حكم بأن العصر الحاضر أرقى أدباً من كل ما سبقه من العصور الماضية، فهو لا يبالي أن يجعل العصر الحاضر أفضل من ذلك العصر الذهبي، وأرجح وزناً.

ولو كان الأستاذ يتحدث عن العلوم الكونية، والفنون والصنائع، والبراعة في الاختراع - لما وجد منازعاً في أن نصيب العصر الحاضر من هذه العلوم والفنون أوفر من أنصاء ما سبقه من العصور الخالية.

ولكنه يتحدث عن أدب النفس، وكل إنسان يدرس علم أحوال النفس بالمعية ثابتة، ونظر مطمئن، ثم يقيس حال الناس اليوم بحال الناس في صدر الإسلام - ينكر على الأستاذ هذا التفضيل، ويراه مرتكباً في حكمه شططاً»^(٣).

١ - المرجع السابق ص ٢٦٥ .

٢ - المرجع السابق ص ٢٦٥ .

٣ - محاضرات إسلامية ص ٢٠٢-٢٠٣ .

وعندما سأله صحفي ألماني عن رأي الإسلام والمسلمين في طرق الحياة الغربية عامة - أجابه الشيخ الخضر لما كان شيخاً للأزهر بقوله: « في نظم الغرب ما يوافق الإسلام وهناك نظم وتقاليد يجري عليها الغرب لا يقرها الإسلام. والذي يدعو إلى تقليد الغرب في كل شيء مغالط»^(١).

فهذه أهم المعالم لموقفه من التغريب، ذلك الموقف المعتدل، الذي يحفظ للأمة هويتها، ولا يمنع من الإفادة من الغرب، أو غير الغرب.

المبحث الثاني: موقفه من قضية تحرير المرأة

المطلب الأول: تعريف بقضية تحرير المرأة

قضية تحرير المرأة متشعبة المسالك ، طويلة الذيل؛ فهي من القضايا الكبرى التي دار -ولا يزال- حولها الكثير من الجدل ، والدراسات ، والأبحاث. وقبل الدخول في بيان موقف الشيخ الخضر من قضية (تحرير المرأة) يحسن الوقوف عند هذه القضية التي عاصرها الشيخ ، وسبر أغوارها؛ فقد كان لهذه القضية -قبل أن تستوي على سوقها في عصر الشيخ- إرهاصات عدة ، يمكن إجمالها فيما يلي :

أولاً: الحملة الفرنسية على مصر: وما صاحبها من تبرج النساء ، وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء؛ فالفرنسيون لما حضروا مصر -كما يقول المؤرخ الجبرتي- اصطحبوا معهم نساءهم ، وكانوا يمشون معهن ، وهن في كامل زينتهن ، وتبرجهن ، فكان ذلك من أسباب ميل بعض نفوس الرجال إليهن ، وتأثر بعض النساء بهن؛ والنفوس مولعة بتقليد الغالب. وكان ذلك التأثر في البداية مشوباً باحتشام ، وخشية عارٍ - كما يقول المؤرخ الجبرتي في ذلك حوادث ١٢١٦هـ -.

فلما وقعت الفتنة الأخيرة ، وحارب الفرنسيون بولاق - فتكوا بأهلها ، وغنموا أموالهم ، وأخذوا ما استحسنا من نساءهم ، وأجروهن على طريقتهم؛ فخلع أكثرهن الحجاب ، وخطب الكثير من الفرنسيين بنات الإيمان ، وتزوجوهن ، وأظهروا حال العقد الإسلام؛ فصار أولئك النسوة المسلمات متزينات بزيهن إلى غير ذلك مما ذكره الجبرتي حين صور الحال في تلك الفترة^(١).

١ - تاريخ الجبرتي - عجائب الآثار ، ط بيروت ، ٤٣٦/٢ - ٤٣٧ .

والمقصود من هذا ظهور مؤشرات واضحة على أن من المسلمين من هو مهياً نفسياً لتقبُّل أسلوب الحياة الاجتماعية الغربية، وأن منهم من هو على استعداد لأن يدعو أمته إلى ذلك لو حظي بالعناية اللازمة، وعاش عيشة أوربية^(١).
ثانياً: حركة الابتعاث: التي ابتدأت منذ أيام محمد علي، وقد مرت الإشارة إليها في التمهيد لهذا البحث.

والمقصود ههنا الإشارة إلى أنه كان من أشهر المبتعثين الأوائل الشيخ رفاعة الطهطاوي^(٢) الذي يعد من رواد الإصلاح، ذلك الشيخ الذي خرج من بيئة متأخرة عن ركب الحضارة المادية، فبهرته باريس بمدنيته، وأسلوب حياتها، وتقدمها المادي؛ فكتب كتابه الشهير (تخليص الإبريز إلى تلخيص بايز) الذي وصف فيه لأبناء أمته الحياة الاجتماعية في فرنسا آنذاك، وتعرض فيه لوصف النوادي، والمراقص، وحال المرأة.

ومن ذلك قوله: «والغالب أن الجلوس للنساء، ولا يجلس أحد من الرجال

١ - انظر العلمانية نشأتها وتطورها ص ٦٢٣-٦٢٤.

٢ - هو رفاعة بن رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي ١٢١٦-١٢٩٠هـ - ١٨٠١-١٨٧٣م، يتصل نسبه بالحسين السبط عليه السلام يعد من أركان نهضة مصر العلمية الحديثة، ولد في طهطا، وقصد القاهرة سنة ١٢٢٣هـ، فتعلم في الأزهر، واشتغل بالتدريس بالأزهر في كتب شتى: في الحديث والمنطق والبيان، وعين واعظاً وإماماً لإحدى فرق الجيش في سنة ١٨٢٤م، ولما طلب محمد علي من الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الأزهر في ذلك الوقت أن يختار له من علماء الأزهر إماماً للبعثة الأولى وقع الاختيار على رفاعة.

ولما ذهب إلى فرنسا حرص على تعلم الفرنسية حتى أتقنها، واهتم هناك بدراسة التاريخ، والجغرافيا، والأدب حتى برع في ذلك.

ولما عاد إلى مصر ولي رئاسة الترجمة في المدرسة الطبية، وأنشأ جريدة (الوقائع المصرية) وألف عدداً من الكتب منها (تخليص الإبريز) و (المُرشد الأمين في تربية البنات والبنين) و (تعريب القانون المدني الفرنسي). انظر في الأدب الحديث لعمر الدسوقي ٣١/١-٥٠، والأعلام ٢٩/٣، والإسلام والحضارة الغربية ص ٥١، و٦٩ و٧٥ و٩٠ و٩٨.

إلا إذا اكتفت النساء ، وإذا دخلت امرأة على أهل المجلس ، ولم يكن كرسي خالٍ قام لها رجل ، وأجلسها ، ولا تقوم لها امرأة؛ لتجلسها؛ فالأنثى دائماً في المجالس معظمة أكثر من الرجل.

ثم إن الإنسان إذا دخل بيت صاحبه فإنه يجب عليه أن يحيي صاحبة البيت ، ولو كبير مقامه ما أمكن؛ فدرجته بعد زوجته ، أو نساء البيت»^{(١)(٢)}.

ثم تحدث عن الرقص وأن كل الناس في فرنسا متعلقون به ، وأنهم لا يرونه من الفسق؛ فلذلك - كما يقول - : « كان دائماً غير خارج عن قوانين الحياء ، بخلاف الرقص في أرض مصر؛ فإنه من خصوصيات النساء؛ لأنه لتهييج الشهوات. أما في باريس فإنه نظماً مخصوص لا يُشَمُّ منه رائحة العهر أبداً.

وكل إنسان يعزم امرأة يرقص معها فإذا فرغ الرقص عزمها آخر للرقصة الثانية وهكذا... وسواء كان يعرفها أو لا ، وتفرح النساء بكثرة الراغبين في الرقص معهن لسامة أنفسهن من التعلق بشيء واحد كما قال الشاعر:

أيا من ليس يرضيها خليل ولا ألفاً خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام»^(٣)

ويواصل كلامه في هذا السياق فيقول: « وقد يقع في الرقص رقصة مخصوصة بأن يرقص الإنسان ويده في خاصرة من ترقص معه ، وأغلب الأوقات يمسكها بيده.

وبالجمل فمس المرأة أياً كانت في الجهة العليا من البدن غير عيب عند هؤلاء

١ - تخليص الإبريز إلى تلخيص باريز ، أو الديوان النفيس بإيوان باريس ، تأليف رفاعة الطهطاوي ، دار ابن زيدون ، بيروت ، ومكتبة الكليات الأزهرية ، ط ١ ، ص ١٣٨ .

٢ - انظر الابتعاث ومخاطره د. محمد الصباغ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، ص ٢٧-٣١ .

٣ - تخليص الإبريز ص ١٣٩ .

النصارى ، وكلما حسن خطاب الرجل مع النساء ومدحهن عدَّ هذا من الأدب»^(١).

وهذا الكلام من الشيخ يوحي بدلالات منها أن الأخلاق ليست مرتبطة بالدين ، وهي فكرة انقدحت في ذهن الشيخ ، ولكنه لم يستطع التعبير عنها بجلاء؛ فهذا هو المجتمع يمارس ألوان الديانة التي لا يرضاها الدين ، ولكنها -مع ذلك- ليس خارجة عن قوانين الأدب ، ولا يشتم منها رائحة العهر ، بل هي معدودة من باب الأدب -كما يقول-!

وقد نمت هذه الفكرة ، وترعرعت حتى قيل -فيما بعد- صراحة: إن الحجاب وسيلة لستر الفواحش ، وإن التبرج دليل على الشرف والبراءة؛ ومن ثم فلا علاقة بين الدين والأخلاق -كما سيأتي-.

كما أن كلام الشيخ يوحي بأن هذا المجتمع الذي يقوم على تلك المسالك يُكْرَم المرأة ، ويحترمها.

وفي المقابل ترى المجتمع الإسلامي يحافظ على العرض ، لكنه يحتقر المرأة -حسب الواقع آنذاك-.

وبذلك نصل إلى المفهوم الذي وجد في أوروبا نفسها ، وهو أن حقوق المرأة مرتبطة بتحررها من الدين؛ فإذا لم يُنبذ الدين فلن تحصل على تلك الحقوق^(٢).

وقريب من رفاة ما قصد إليه أحمد فارس الشدياق^(٣)؛ إذ وصف بأسلوبه

١ - المرجع السابق ص ١٣٩ .

٢ - انظر العلمانية نشأتها وتطورها ص ٦٢٥-٦٢٦ ، والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ١/٢٩٣ .

٣ - هو أحمد فارس بن يوسف بن منصور الشدياق ١٢١٩-١٣٠٤هـ / ١٨٠٤-١٨٨٧م ، عالم باللغة والأدب ، ولد في قرية عشقوت بلبنان ، وأبواه مسيحيان مارونيان سمياه فارساً ، ورحل إلى مصر ، فتلقى الأدب من علمائها ، ورحل إلى مالطا ، فأدار فيها أعمال المطبعة الأميركية ، ثم سافر إلى تونس ، فاعتنق فيها الدين الإسلامي ، وتسمى : أحمد فارس ، توفي في الأستانة ، ونقل جثمانه إلى لبنان .

خلف كتباً كثيرة منها : سر الليال في القلب والإبدال ، والجاسوس على القاموس ، والساق على الساق فيما هو الفاريانق ، وكشف المخبي عن فنون أوروبا . انظر الأعلام ١/١٩٣ .

المقامي الخاص الحياة الغربية، ووضَع المرأة فيها في كتابه (الساق على الساق)^(١). وهكذا وجدت البذرة الأولى لما سمي (قضية المرأة).

ثالثاً: ما قام به قاسم أمين: تلميذ جمال الدين الأفغاني الذي كان متأثراً بالشعارات التي رفعتها الثورة الفرنسية، لا سيما شعار المساواة؛ واعتقد أن من أعظم علل الشرق أن المرأة ليست متساوية مع الرجل في الحقوق والواجبات. وكان من تلاميذه التي سرت فيهم هذه الفكرة قاسم أمين الذي كان مترجماً لجمعية (العروة الوثقى) والذي ابتعث إلى فرنسا للدراسة.

وعندما ذهب إلى فرنسا تأثر بذلك الجو، واصطبغ بتلك الحياة^(٢). يقول عنه مؤرخ حياته: «يعود قاسم أمين إلى قاعة المحاضرات بجامعة تبلييه، وهناك يجد زميلته (سلاف) فلا يتردد في سؤالها أن تصحبه إلى المجتمعات الفرنسية، وتقبل هي في سرورٍ باٍرٍ.

وصحبته فتأته إلى كثير من الحفلات، وتعرف إلى كثير من الأسر؛ فوجد حياة اجتماعية تختلف عن الحياة في مصر؛ وجد السفور بدل الحجاب، والاختلاط بدل العزلة، والثقافة بدل الجهالة^(٣).

وعاد قاسم أمين إلى مصر يحمل إلى أمته فكرة خطيرة عرضها على أصدقائه، فتردد بعضهم، وأيده أكثرهم، وخاصة الزعماء مثل سعد زغلول، ومصطفى كامل، وأحمد لطفي السيد، وعلي شعراوي زوج هدى شعراوي -الملقبة بزعيمة الحركة النسائية- وغيرهم.

وأظهر قاسم فكرته تلك في كتابيه (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة).

وعند صدور الأول شك كثيرون في كونه كاتبه؛ لما حواه الكتاب من عرض

١ - انظر العلمانية نشأتها وتطورها ص ٦٢٣ .

٢ - انظر قاسم أمين، لماهر حسين فهمي، سلسلة أعلام العرب، مصر ص ٢٠ و ٣٤ .

٣ - المرجع السابق ص ٤٠ .

الأقوال الفقهية ، والأدلة الشرعية ، ومناقشتها؛ وذلك مستغرب من قاسم الذي كان قليل البضاعة في العلم الشرعي ولكنهم لم يشكوا أن الذي دفعه إلى هذه الفكرة أحد رجلين : إما كرومر ، وإما الشيخ محمد عبده^(١).

ويحل الإشكال أحمد لطفي السيد إذ يقول : « إن قاسم أمين قرأ عليه وعلى الشيخ محمد عبده فصول كتاب (تحرير المرأة) في جنيف عام ١٨٩٧م قبل أن ينشره على الناس »^(٢).

وعلى أية حال فقد ظهر كتابه (تحرير المرأة) الذي يمكن تلخيص أفكاره فيما يلي :
١- أن المرأة مساوية للرجل في كل شيء ، وأن تفوقه البدني سببه استعمال الأعضاء^(٣).

٢- أن الانتقاب والبرقع ليسا من المشروعات الإسلامية لا للتعبد ، ولا للأدب ، بل هما من العادات القديمة السابقة على الإسلام والباقية بعده . وهي عادة عرّضت على المسلمين من مخالطة بعض الأمم؛ فاستحسنوها ، وأخذوا بها ، وبالغوا فيها ، وألبسوها لباس الدين كسائر العادات الضارة التي تمكنت في الناس باسم الدين ، والدين منها براء.

أما بالنسبة للأمم الأخرى - كما يقول - فقد تلاشت هذه العادة طوعاً لمقتضيات الاجتماع ، وجرياً على سنة التقدم والترقي .

٣- أن الحجاب ليس عائقاً عن التقدم فحسب ، بل هو مدعاة للرزيلة ، وغطاءً للفاحشة في حين أن الاختلاط يهذب النفس ، ويميت دوافع الشهوة^(٤).

١ - انظر قاسم أمين ص ١٥٨ ، والعلمانية نشأتها وتطورها ص ٦٢٧-٦٢٨ ، والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢٩٣/١ .

٢ - أحمد لطفي السيد ، حسين فوزي النجار ، سلسلة أعلام العرب ، مصر ص ١٣٣ .

٣ - انظر تحرير المرأة لقاسم أمين ، ط ٢ ، مصر ، ص ١٩ .

٤ - انظر المرجع السابق ص ٦٧ و ٧٨ و ٧٩ ، وانظر الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢٩٣/١-٢١٢ .

فهذه هي خلاصة ما دعا إليه ذلك الكتاب الذي حرص مؤلفه على تبرئة نفسه من تهمة الدعوة إلى تقليد الغرب في مناداته؛ فهو يزعم أن أصل فكرته هو الرد على (داركور) المستشرق الذي هاجم الحجاب؛ فهذا هو دافعه - كما يقول-^(١).

لكنه يقول في كتابه الثاني (المرأة الجديدة): «هذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه، وليس له دواء إلا أن نربي أولادنا على أن يتعرفوا على شؤون المدنية الغربية، ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها.

وإذا أتى ذلك الحين - ونرجو ألا يكون بعيداً - انجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس، وعرفنا قيمة التمدن الغربي، وتيقنا أن من المستحيل أن يتم إصلاح ما في أحوالنا ما لم يكن مؤسساً على العلوم العصرية»^(٢).

وأيّاً كان قصد قاسم أمين فإنه - بكتابه - قد فتح على المسلمين باب التبرج والسفور، ونظر لمن جاء بعده ممن عمل على شاكلته، واتبع خطواته.

وكان لدعوته صدى في كثير من بلاد العرب والمسلمين في العراق، والشام، والمغرب، وغيرها.

وقد تناول الرد على تلك الدعاوى العديد من العلماء، والأدباء، والمفكرين، كالرافعي^(٣)، ومحمد فريد وجدي^(٤)، وطلعت حرب^(٥).

ولا تزال أصداء تلك الضجة إلى يومنا هذا؛ حيث فتحت على المسلمين باب شر لم يغلق بعد.

وبالجمل فالكلام على دعوى (تحرير المرأة) وبداياتها يطول، ويتشعب.

١ - انظر المرجع السابق ص ٨٣، والعلمانية نشأتها وتطورها ص ٦٢٩.

٢ - قاسم أمين ص ٧٧.

٣ - كما في كتابه: (وحي القلم).

٤ - كما في كتابه: المرأة المسلمة دراسة نقدية لدعاة تحرير المرأة، وبيان دور المرأة في صلاح المجتمع وفساده، أضواء

السلف، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٥ - كما في كتابه: تربية المرأة والحجاب، أضواء السلف، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

والمقام لا يستدعي التفصيل^(١).

وإنما المقصود ههنا بيان موقف الشيخ الخضر من تلك القضية التي عاصرها، وكان يرقبها، ويتبصر في حقيقتها، وهذا ما سيتبين في المطلب التالي.

١ - انظر تفصيل ذلك في: المرأة المسلمة دراسة نقدية لدعاة تحرير المرأة، والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ١/٢٩٣-٢١٢، وحصوننا مهددة من داخلها د. محمد محمد حسين، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص ٨٥-١٣٥، وعودة الحجاب بأجزائه الثلاثة للدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدم، دار طيبة، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط ٩، ١٤١٨هـ - ١٩٩٥م، والعلمانية نشأتها وتطورها ص ٦٢١-٦٤٤.

المطلب الثاني: ردوده على دعاة تحرير المرأة

لقد كان للشيخ الخضر ردود على دعاة تحرير المرأة، وقد وضح من خلالها مكانة المرأة في الإسلام، ودحض حجج الزاعمين تحريرها، والمدافعة عنها.

ولعل أبرز ردوده على هؤلاء الذين عاصروهم، ما يلي:

أولاً: رده على الطاهر الحداد التونسي: الذي يعد من أوائل من دعوا إلى تحرير المرأة في بلاد المغرب عموماً، وفي تونس على وجه الخصوص، وذلك في كتابه (امراتنا والشريعة والمجتمع) الذي أصدره سنة ١٩٣٠م^(١).

وقد رد عليه عدد من علماء تونس، ورد عليه الشيخ محمد الخضر حسين لما كان في مصر، وسمى رده عليه: (كتاب يلحد في آيات الله) ونشر ذلك الرد في مجلة (نور الإسلام) العدد الثامن من المجلد الأول الصادر في شعبان ١٣٤٩هـ.

وفيما يلي عرض لأهم مقاصد ذلك الرد:

١. استهل الشيخ الرد بأن «الإسلام قرر للمرأة حقوقاً رفعت شأنها، وجعلتها عضواً عاملاً في دائرة الصيانة، وعلى وجه يحفظ بينها وبين زوجها وأقاربها المودة الصادقة، والعاطفة الفياضة بكل خير.

وما زالت المرأة المسلمة تعيش مع الرجل القائم على آداب الإسلام مغتبطة هانئة، شأنها النظر في تربية الولد، وتدبير المنزل، وشأن الرجل معاشرتها بالمعروف، والقيام بمحاجاتها، ومسيرة رغباتها ما دامت محفوفة بسياج الطهر والحياء»^(٢).

٢. بين أن المصلحين ما زالوا يدعون إلى رعاية حقوقها المنبّه عليها بقوله تعالى:- ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ البقرة: ٢٢٨، حتى

١ - انظر العلمانية نشأتها وتطوها ص ٦٣١ .

٢ - بلاغة القرآن ص ١٦٨ .

ظهر نفر تحيّلوا أن الرقي كله في مظهر المرأة الأوربية؛ فقاموا ينادون لأن تتبع المرأة المسلمة الأوربية شبراً بشبر، وذراعاً بذراع»^(١).

٣. انتقل إلى مناقشة الكتاب المذكور الذي ظهر في تونس، وذكر أن صاحب الكتاب ادعى أنه من أنصار المرأة، وأن الإسلام ظلم المرأة، وذكر من ذلك: تعدد الزوجات، وجعل الطلاق في يد الرجل، وجعل نصيب المرأة من الإرث نصف نصيب الرجل، ونحو ذلك مما قرره الإسلام، وعرفت العقول السليمة حكمتها وموافقها لما تقتضيه الحياة الراقية.

ثم بين أن ما ادعاه الكاتب إنما هو باطل من القول لغط به نفر من غير المسلمين في الشرق؛ فوقع في آذان أحداث تونس، ولم يجد لديهم من متانة العقيدة، وقوة البصيرة ما يدفع عنهم خبثه؛ فأساغوه، ورددوا صوته محاكاة لأولئك النفر. وأوضح أن المحاكاة أدل على قصر النظر من ابتكاره، ولكن المستعدين للتقليد فيما تشقى به الأمة لا يفقهون^(٢).

٤. أوضح الشيخ أن هذا الكتاب لما ظهر قابلته الأمة التونسية بالإنكار، وقامت الصحف هنالك بواجبها، فنقدته من الوجهتين: الدينية، والاجتماعية، وكتب بعض العلماء مقالات في بيان ما فيه من جهالة وغواية.

كما لقي من ناحية أخرى احتفاءً عند أفراد يموهون باطله ويروجون زيفه؛ فأقاموا الصحابه حفلة تكريم، ولفقوا مقالات حملوا فيها على العلماء، وأرباب الصحف الذين نقدوا الكتاب بعقل.

وبين أن الفرنسيين كانوا بجانب صاحب الكتاب يدافعون عنه، وينقدون سلوك الصحافة التونسية في الرد عليه^(٣).

١ - انظر المرجع السابق ص ١٦٨ .

٢ - انظر المرجع السابق ص ١٦٨-١٦٩ .

٣ - المرجع السابق ص ١٦٩-١٧٠ .

٥. أورد بعض ما قرر أهل العلم في تونس حيال ذلك الكتاب كالشيخ أحمد بيم الذي قال عن الكتاب: « يخالف الشريعة الإسلامية في كثير من المواقف، كمسألة تعدد الزوجات، ومسألة الميراث، ومسألة الحجاب»^(١).

وكالشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي قال عن الكتاب إنه: «يشتمل على مخالفات كثيرة لأحكام الشريعة الإسلامية تعد ضلالات، وقد بثت اللجنة رأيها الذي يحوم حول هذا»^(٢).

وبعد أن ساق الشيخ الخضر جملة من أقوال علماء تونس في الكتاب المذكور شرع بالرد عليه، وتفنيد حججه بنفَس علمي، وبأدلة عقلية ونقلية، وبمجج ساطعة كعادة الشيخ في ردوده؛ حيث فند آراءه في مسألة ميراث الأثني، وفي تعدد الزوجات. ثم تعرض لتفنيد دعوة الكاتب إلى السفور، وإلى أن يجمع الناس بين نسائهم، وفتيانهم، وأصدقائهم للمحادثة^(٣).

٦. ختم الشيخ الخضر بعد ذلك كلامه بقوله: «ونحن ممن يدعو إلى تعليم البنات وتهذيبن، وإكرام الزوجات ورعاية حقوقهن، والرفق بالنساء لضعفهن، ولكننا ننكر هذا الذي يدعو إليه الكاتب من الإغضاء عنهن إلى حد الاختلاط برجال ليسوا بمحارم لهن، فإن ذلك مما نهت عنه الشريعة، وأرتنا المشاهد رأي العين أنه أقرب الوسائل إلى تلويث الأعراض، ونكد العيش، وهو إلى ابتذال المرأة أقرب منه إلى كرامتها، وإلى عنائها أقرب منه إلى راحة بالها؛ فالكاتب يعبث بحقوق المرأة المسلمة من وراء العبث بأحكام الشريعة، ويعمل لأن يفسد عليها دنياها قبل أن يفسد عليها آخرتها»^(٤).

١ - انظر المرجع السابق ص ١٧١-١٧٢.

٢ - المرجع السابق ص ١٧٢.

٣ - انظر المرجع السابق ص ١٧٢-١٧٨.

٤ - انظر المرجع السابق ص ١٧٩-١٨٠.

ثانياً: رده المعنون بـ: (اختلاط الجنسين في نظر الإسلام): الذي رد به على أستاذ لم يذكر اسمه، وقد نشر ذلك الرد في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء السادس من المجلد الثالث عشر، ويقع في إحدى عشرة صفحة.

وأصل هذا الرد محاضرة ألقاها الشيخ، ثم نشرت بعد ذلك.

وفيما يلي عرض موجز لأهم ما جاء في ذلك الرد:

١. استهل الشيخ رده ببيان أن أحد الأساتذة ألقى محاضرة تعرض فيها لاختلاط الفتیان بالفتيات في الجامعة، وأبدى استحسانه لهذا الاختلاط، ووقف منه موقف الدفاع عنه.

وأبدى الشيخ أسفه على تلك المحاضرة؛ إذ كان ينتظر من ذلك الأستاذ أن يملي على أبنائنا وبناتنا كلمات يتلقونها على أنها آراء أحكمتها التجارب، فيستنبطون بها في حياتهم المحفوفة بالأخطار من كل جانب.

ثم بين الشيخ غرضه من هذا الرد، ومنهجه فيه، فقال: «وغرضنا من هذه المحاضرة نقدُ كلمات وردت في محاضرة الأستاذ، وإنما نقدها على طريقة آداب البحث، وما تقتضيه قوانين المنطق، ثم انظروا ماذا ترون.

وما كان لي ولا للأستاذ - وقد أخذنا نبحث في شأن اجتماعي - أن نهمل وجهة الدين الإسلامي في هذه المسألة الهامة، فإذا نحن حققنا النظر فيها من حيث اتجاه الدين الإسلامي، وأعقبناه بالنظر في حكمة هذا الاتجاه - استطعنا أن نحكم على ما يقال في اختلاط الفتیان والفتيات بين جدران الجامعة أو حول جدرانها، ونحن على بينة من أمر هذا الحكم»^(١).

٢. شرع في نقد بعض ما جاء في تلك المحاضرة؛ فبدأ بعرض قول المحاضر: «ويتصل بخطأ الجمهور في فهم رسالة الجامعة: مسألة قبول الفتيات المصريات طالبات في الجامعة»^(٢).

١ - محاضرات إسلامية ص ١٨٨-١٨٩ .

٢ - المرجع السابق ١٨٩ .

ثم عقب الشيخ الخضر على ذلك ببيان أن المحاضر يريد بخطأ الجمهور: إنكارهم لما صنعتها الجامعة من قبولهن، وخلطهن بالفتيان في حجرات التدريس.

ثم بين «أن الجمهور لم يخطئ، وأن الجامعة هي التي أخطأت في هذا الخلط؛ ذلك أن جمهور الأمة المصرية يستضيء في حياته بدين قامت لديه الأدلة القاطعة على أنه وحي سماوي، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ فإذا عرضت له مسألة اجتماعية؛ كالجمع بين الفتيان والفتيات على الوجه الذي يقع في الجامعة أقبل يستفتي دينه الحق، فإن وجده قد أذن في ذلك سكت عنه، ورضي به، وإن وجده قد نهى عنه بادر إلى إنكاره»^(١).

ثم أوضح وجه تحريم الاختلاط فقال: «وتحريم الدين لاختلاط الجنسين على النحو الذي يقع في الجامعة معروف لدى عامة المسلمين، كما عرفه الخاصة من علمائهم، وأدلة المنع واردة في الكتاب والسنة، وسيرة السلف الذين عرفوا بآبَ الدين، وكانوا على بصيرة من حكمته السامية»^(٢).

ثم شرع في ذكر الأدلة من الكتاب والسنة، بتفصيل، وشرح أصل فيه لهذه المسألة تأصيلاً شرعياً أكد من خلاله حرمة اختلاط الرجال بالنساء.

ولم يكتف بذلك، بل ذكر أمثلة من السيرة، وشواهد من التجارب والمشاهدات التي دلت على أن في الاختلاط فساداً لا يستهان به، وأن من أنكر أن يكون لهذا الاختلاط آثار مقبوحة فإما أن يكون غائباً عن شؤون المجتمع لا يرقبها من قريب ولا من بعيد.

وإما أن يكون قد نظر إلى هذا الاختلاط وآثاره بعين لم تنتبه إلى وجهة استقبحه، ووجوب العمل على قطع دابره^(٣).

٣. انتقل إلى قول المحاضر عن مسألة الاختلاط: «وهي مسألة كانت قليلة

الأنصار في الرأي العام».

١ - المرجع السابق ص ١٨٩ .

٢ - المرجع السابق ص ١٨٩ .

٣ - المرجع السابق ص ١٨٩-١٩٥ ، وانظر في آثار الاختلاط إلى: اختلاط الجنسين في مدارسنا،

عثمان محمد عثمان، دار الاعتصام، والمرأة بين الفقه والقانون د. مصطفى السباعي ص ١٤٨-١٦٥ .

فقال الشيخ معقباً: « يريد أن قبول الطالبات في الجامعة لم يرض عنه فيما مضى إلا قليل من الناس.

والواقع أن الذين يرضون عن هذا الاختلاط لا يزال عددهم قليلاً إذا نظر إليهم إزاء من ينكروه ، ويشكون من سوء مغبته.

ولو استفتيت الأمة استفتاءً صحيحاً لظهر أن أنصاره لا يزالون في قلة»^(١).

ثم يضيف الشيخ قائلاً: « على أن المسائل الاجتماعية إنما يرجع الحكم فيها إلى الأدلة القائمة على رعاية ما يترتب عليها من مصالح أو مفسد.

أما كثرة الأنصار ، فلا تجدي أمام النصوص الشرعية ، والأدلة المؤيدة بالتجارب ولو مثقال ذرة»^(٢).

٤. يذكر بعد ذلك قول المحاضر: « بعد عشر سنوات من قبول هؤلاء الطالبات

قامت ضجة تنكر علينا هذا الاختلاط ، فلم نأبه له؛ لأن التطور الاجتماعي معنا ، والتطور لا غالب له»^(٣).

فيعقب عليه الشيخ بأنه « ليس هناك تطور يعرض للاجتماع في نفسه ، وإنما تطور الاجتماع أثر أفكار وأذواق وميول نفسية ، وربي هذا التطور أو انحطاطه يرجع إلى حال تلك الأفكار والأذواق والميول ، فإن غلب على الناس جودة الفكر ، وسلامة الذوق ، وطهارة ميولهم النفسية - كان التطور الاجتماعي راقياً ، وهذا هو الذي لا تنبغي معارضته ، ويصح أن يقال فيه : إنه تطور لا غالب له»^(٤).

إلى أن يقول: « أما إذا غلب على الناس انحراف الأفكار في تصور الشؤون الاجتماعية ، أو تغلبت أهواؤهم على عقولهم - كان التطور الاجتماعي في

١ - المرجع السابق ص ١٩٥ .

٢ - المرجع السابق ص ١٩٥ .

٣ - المرجع السابق ص ١٩٥ .

٤ - المرجع السابق ص ١٩٥ .

المخطاط، وهذا هو الذي تجب معارضته، وأقل دعوة تقوم لإصلاحه يمكنها أن تقوم عوجه، وترد جماحه»^(١).

وهكذا يمضي في إيراد حججه، ويبين أنه إذا كان اختلاط الجنس من قبيل التطور الاجتماعي فهو من نوع ما ينشأ عن تغلب الأهواء، وتقليد الغربيين في غير مصلحة.

ويضرب المثل بحالة العرب في الجاهلية، وأنها كانت تطوراً اجتماعياً، وقد قام النبي ﷺ بحارب هذا التطور، فقضى عليه في أعوام غير كثيرة.

ثم ضرب المثل بفرنسا قبل الحرب، وما كان فيها من تهتك، وأنه لو قام بعض عقلائهم محاولاً التخفيف من شر ذلك الاستهتار - لوجد من يقول له: هذا التهتك تطور اجتماعي لا غالب له^(٢).

ثم يتساءل قائلاً: فهل يرضى الأستاذ المحاضر أن يسكت دعاة الإصلاح عما يغلب على الناس من الفساد ويأسوا من إصلاحه بدعوى أنه تطور اجتماعي، والتطور الاجتماعي لا غالب له؟!^(٣).

ثم يقرر ما يراه من أن الإصلاح يسود بالرعاية الحكيمة، وقد يسود بقوة السلطان. ثم ينعى على دعاة الاختلاط عدم أخذهم العبرة من فرنسا عندما سقطت بعد الحرب، فيعودوا عن دعوتهم، ويأخذوا بأدب الإسلام من تستر المرأة بثياب العزة وحياتها عن مواقف الابتذال ومواطن الاختلاط.

ويُظهر أسفه على أن رجال فرنسا تنبهوا لهذا الأمر قبل أن يتنبه له كثير من رجالنا؛ فرجال فرنسا أخذوا عبرة من سقوط دولتهم، وهي أن سبب ضعف فرنسا، وانهيار بنائها هو انحلال أخلاق شبابها، وإغراقهم في الملذات، والشهوات.

١ - المرجع السابق ص ١٩٥ .

٢ - المرجع السابق ص ١٩٥-١٩٦ .

٣ - المرجع السابق ص ١٩٦ .

ولا إغراق في ذلك أكثر من تخلية السبيل للنساء يخالطن الرجال ، ويتبرجن أمامهم دون غيرة حامية من أحد محارمهن .

ثم يقرر أن للمرأة أن تطلب من العلوم ما في وسعها أن تطلبه ، ولكن على أساس الصيانة^(١) .

٥. يختم كلامه بتقرير أن أنصار اختلاط الجنسين لا يؤيدهم تطور اجتماعي صحيح ، ولا يناصرهم العدل بين الأخ وأخته في تحصيل كل منهما أسباب كماله الخاص ، ولا تقف بجانبهم مصلحة الأمة في حال ، وليس معهم إلا أنهم فعلوا ذلك ، ففتحوا أبواب الجامعة للطالبات ، وكان منكرو هذا الاختلاط -على كثرتهم- في تفرق؛ فلم يصدعوا بإنكارهم ، واقتصروا على أن يرددوا هذا الإنكار في مجالسهم ، وربما كتب أحدهم مقالة في صحيفة ، أو قال كلمة في محاضرة^(٢) .

ويرى أنه « لو عقد دعاة الإصلاح مؤتمراً أخلاقياً ، ونظروا في شأن اختلاط الجنسين نظراً خالياً من كل هوى ، وبسطوا القول في وجوه مفسده - لكان لقرارهم شأن ، وكان لرجال السياسة الرشيدة في أمر الفتيات رأي يجمع بين إعطائهن حظهن من التعليم ، وصيانتهم من مواضع الفتنة والابتذال »^(٣) .

ثالثاً: إصداره الفتاوى ، والبيانات : ونحو ذلك مما يدور في فلك (قضية تحرير المرأة).

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

١- بيانه (حكم اختلاط الجنسين في التعليم) : وهذا عنوان نشره في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء السابع من المجلد التاسع .

وقد بين من خلاله الرد على من ادعى في هذا العصر أن الكتاب والسنة لا يمنعان من اختلاط الفتيان والفتيات في معاهد التعليم .

١ - انظر المرجع السابق ص ١٩٦-١٩٨ .

٢ - المرجع السابق ص ١٩٩ .

٣ - انظر المرجع السابق ص ١٩٩ .

فبيّن « أن دلائل أحكام الشريعة وآدابها غير مقصورة على نصوص الكتاب والسنة ، بل للشريعة أصول وقواعد يدركها المجتهدون بالنظر في تلك النصوص ، والغوص على مقاصدها ، وعلل أحكامها ، فيطبقون تلك الأصول والقواعد على الوقائع التي لم يرد فيها نص صريح ، ويكون الحكم المستنبط من طريقها في وجوب العمل به بمنزلة الأحكام المصرح بها.

ومن هذه الأصول الشاهدة بكمال حكمة التشريع: قاعدة: سد الذرائع المفضية إلى فساد ، وليس من شك في أن اختلاط الفتیان والفتيات في الدروس ذريعة إلى عواقب غير محمودة»^(١).

ثم شرع في تفصيل ذلك ، وذكر الأدلة عليه من السنة النبوية ، وخلص إلى أنه « لم يحدث بعد عهد النبوة إلى عصرنا هذا ما يدعو إلى اختلاط الفتیان والفتيات في معاهد التعليم ، بل الذي حدث: هو أن الخطر الذي بنى عليه الشارع المنع من هذا الاختلاط قد اتسعت دائرته إلى حد بعيد ، وفائدة الفتيات العلمية غير موقوفة على هذا الاختلاط؛ إذ يمكن الاحتفاظ بها كاملة مع الفصل بينهن وبين الفتیان في معاهد التعليم»^(٢).

٢- إنكاره إقامة معهد للتمثيل والرقص: كما جاء في بيانه الصادر من جمعية الهداية الإسلامية إلى وزير المعارف ذلك البيان الذي استنكر فيه: إقامة معهد للتمثيل والرقص ، وفتح باب اختلاط الفتیان بالفتيات.
وقد نشر في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء الحادي عشر والثاني عشر من المجلد الثالث^(٣).

٣- إنكاره الدعوة إلى التبرج والاختلاط: كما في مقاله (الجمعيات الإصلاحية) الذي بيّن من خلاله ما يقوم به الملاحدة والمنصرون من أعمال مشبوهة ، حيث قال عنهم:

١ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص ٢٧٥ .

٢ - المرجع السابق ص ٢٧٦ .

٣ - الهداية الإسلامية ص ٢١٠-٢١١ .

«وهؤلاء هم الذين دعوا المرأة إلى خلع لباس الحشمة، ونزع ما كانت تتحلى به من حياء وصيانة، وحثوا الفتيات على الاختلاط بالفتيان، ولو في حال خلوة، وزعموا أن الدين لا يمنع من هذا الاختلاط.

وكيف لا يمنعه الشارع الحكيم وقد دلت المشاهدات والتجارب على أنه لا يأتي إلا بأشنع المنكرات، وأسوأ العواقب؟!»^(١).

٤- البحث في الشُّبه التي يثيرها دعاة تحرير المرأة: ومن الأمور التي بحثها في ذلك: تعدد الزوجات؛ حيث ألقى فيه محاضرة، عنوانها (حكم تعدد الزوجات في الإسلام) ونشرها في مقال مطول بين من خلاله حكمة شرع الزواج، وتعدد الزوجات، وفُتد الشبه المثارة حول هذه المسألة، وعرَّج على من ينكرون هذا الحكم، أو يتذمرون منه^(٢)، وختمه بقول: «فالأمر من قبيل ما يعرفه المسلمون بالضرورة، وحكم ينص عليه القرآن الكريم والسنة الصحيحة، ويجري عليه عمل الصحابة والتابعين - لا ينبغي لمسلم أن ينكره، أو يترك نفسه تتردد في حكمته، ولا يجوز لذي قوة أن يمنع من تعدد الزوجات بإصدار قانون عام، فإن فعل، فهو حاكم بغير ما أنزل الله، ومن لا يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون»^(٣).

ومن الأمور التي بحثها في هذا الشأن: المرأة والقضاء^(٤)، والمرأة وممارسة السياسة^(٥)، وهل للمرأة أن تباشر الوظائف العامة^(٦)، إلى غير ذلك مما بحثه في ذلك الشأن.

فهذه هي أهم معالم موقف الشيخ الخضر من قضية تحرير المرأة.

١ - هدى ونور ص ٨٠ .

٢ - انظر محاضرات إسلامية ص ١٦٨٧-١٦٩٩ .

٣ - المرجع السابق ص ٢٦١٥ .

٤ - انظر المرجع السابق ص ٢٧٣-٢٧٤ .

٥ - انظر أحاديث في رحاب الأزهر ص ١٤٨-١٥٠ .

٦ - انظر المرجع السابق ص ٤٧-٥٤ .

الخاتمة

- الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبعد :
- ففي خاتمة البحث هذا ملخص لأهم ما ورد فيه ، وذكر لبعض التوصيات :
- أولاً : ملخص لأهم ما ورد في البحث :
- ١- الشيخ محمد الخضر حسين جزائري الأصل ، تونسي المولد والنشأة؛ فتونس مسقط رأسه ، ومنشأ تعلمه ، وتعليمه ، وتربيته ، والشام مهاجره ، ومصر مستقر نواه؛ ولهذا ارتأى الدارسون لسيرته تقسيم حياته إلى ثلاث مراحل :
 - الأولى : حياته في البلاد التونسية ، ويمكن تسميتها : مرحلة التعلم والتكوين ، والثانية : حياته في البلاد السورية ، ويمكن أن يطلق عليها : مرحلة التنقل والترحال ، والثالثة : حياته في البلاد المصرية ، ويمكن أن تسمى : مرحلة المجد الثقافي والعلمي .
 - ٢- عاش الشيخ الخضر مرحلة مفصلية من حياة الأمة الإسلامية ، شهدت كثيراً من التغيرات والصراعات الفكرية .
 - ٣- تحلى الشيخ الخضر بأخلاق عالية ، وصفات حميدة ، قلَّ أن يدانيه فيها أحد في العصور المتأخرة .
 - ٤- اتخذ الشيخ من كتابة المقالات ، وإلقاء الدروس والمحاضرات وتأليف الكتب وسيلة أساساً للتبليغ ، والدعوة ، والتصدي للانحرافات العقيدية والفكرية .
 - ٥- كان الشيخ غزير الكتابة ، مطواع القلم ، كثير البحث ، متنوع المعارف ، دائب النشاط ، قريب الصلة بالصحافة؛ لذا كان إنتاجه العلمي غزيراً متنوعاً .
 - وهذا أمر نادر بين أقرانه ومعاصريه من العلماء الذين قلَّ أن تجد لبعضهم أدنى كتابة أو تأليف .
 - ٦- سار الشيخ الخضر سيرة علماء السلف في التلقي والاستدلال ، وتقرير العقيدة ، والرد على المخالفين فيها؛ من جهة اعتماده الكتاب والسنة والإجماع ،

والعقل السليم، والفطرة القويمية، ومن جهة إجراء النصوص على ظواهرها، ورفض التأويل المذموم الذي يصرفها عن ذلك، ومن جهة إخلاص التوحيد، ونفي الشرك، ومحاربة البدع، وتعظيم أئمة السلف الصالح.

٧- وقع الشيخ في بعض التأويلات في باب الصفات؛ بحكم نشأته في بيئة كلامية، غير أن ذلك لا يغض من شأنه؛ إذ كان متأولاً، مجتهداً، راغباً في الوصول إلى الحق.

٨- استخدم الشيخ في ردوده على المخالفين وسائل عدة؛ حيث استخدم وسائل الإعلام، وتأسيس الجمعيات، وتأليف الكتب، واستعمال وسيلتي الحوار والشعر.

٩- للشيخ الخضر منهج متميز في الرد على المخالفين؛ فبعبريته الفذة تتجلى أعظم التجلي في الردود؛ فهو يتمثل أدب الرد من جهة أخذه بأخلاق المحاورة والمناقشة، والنقد، ومن جهة لزوم الإخلاص، والأمانة، والإنصاف، وطهارة المنطق، ونزاهة القلم، ومقابلة الإساءة بالإحسان.

١٠- جاءت ردود الشيخ الخضر على درجة عالية من الأساليب البيانية؛ فهي ممتعة بالجلال، والروعة، والجمال، والجزالة، ومراعاة مقتضيات الأحوال، والبعد عن التكلف، والسلامة من الإثقال والإملال.

ويمكن إجمال ذلك فيما يلي: أ. جمال العرض: وذلك بإبراز مادة الرد في حُلة قشبية، وقالب منظم، واحتوائه على عنصر التشويق، والعناية باختيار عنوانات الرد، وبراعة الاستهلال، وعنونة الأفكار، واستعمال أسلوب التلخيص، وتوظيف الثقافة والمعارف؛ لخدمة الموضوع، والعناية بحسن الختام.

ب. جودة البيان وإحكام صناعة الكتابة، ويتلخص ذلك بعنايته بالألفاظ، والتركيب، وطرائق الكلام، وملاءمته، وإعطاء كل مقام حقه.

١١- سارت ردود الشيخ الخضر على وفق أساليب منهجية متمسكة بالاطراد، والشمولية، والواقعية، والتوجه للأفكار دون الأشخاص.

كما اتسمت بإحكام النقض ، وقوة الإبطال ، والاستقراء ، والتبعية ، والاستقصاء ، والتمحيص ، والتدقيق ، وقوة الملاحظة ، وقراءة ما بين السطور .
كما اتسمت بمحاصرة الخصم بالحجج ، وإلزامه ، ومطالبته بأرضية لحسم الخلاف ، وإظهار تناقضه ، ومناقشته في إخلاله بالأمانة العلمية ، ونقد المنهج الذي يستقي منه ، ومطالبته بصحة الدليل ، وصدق الدعوى ، وإظهار جهله بالمسألة المثارة ، وتهوين شبه الخصم ، وترك المناقشة لبعضها ، والأخذ بالشدة ، واستعمال النقد اللاذع أحياناً .

١٢- للشيخ مواجهات كثيرة مع الفرق والدعاوى الضالة ، كمواجهاته للبايية والبهائية ، والقاديانية ، والتنصير ، والروحية الحديثة -دعوى تحضير الأرواح- .

١٣- للشيخ مواقف ومواجهات للانحرافات العقديّة تبين من خلال موقفه من الفلسفة ، والتصوف ، والتشيع ، ومواجهته للشرك ، والبدع ، والإلحاد .

١٤- للشيخ مواقف من كبريات القضايا الفكرية المعاصرة تبين من موقفه من العلمانية ، وموقفه من قضية الحرية ، وقضية التغريب ، وقضية تحرير المرأة .
فهذا مجملٌ لأهم ما ورد في البحث .

ثانياً: التوصيات: من خلال عملي في هذا البحث ، وقراءتي لجميع ما نشر من مؤلفات الشيخ محمد الخضر حسين ، ومتابعتي لما يصدر له منذ ما يزيد على عشرين سنة أودُّ الإشارة إلى عدد من التوصيات والمقترحات سواء في موضوع التخصص أو غيره مما أرى أن الحاجة تمس إلى مزيدٍ من البحث فيه ، وذلك من خلال ما يلي :

١- ما هو في باب التخصص :

- أ- موقف الشيخ الخضر من التأويل ؛ ففي ذلك مادة تستحق الدراسة والبحث .
- ب- التلازم بين الشريعة والعقيدة عند الشيخ الخضر ؛ فتلك سمة بارزة في آثاره .

ج- العلاقة بين علم العقيدة وعلم المقاصد وعلم الاجتماع عند الشيخ الخضر؛ فهو موضوع جدير بالبحث.

٢- ما هو في غير باب التخصص: وذلك في الموضوعات الأخرى، غير باب العقيدة، وأهم ما في ذلك ما يلي:

- أ- جهود الشيخ محمد الخضر في القضاء.
- ب- جهود الشيخ محمد الخضر في القرآن وعلومه.
- ج- جهود الشيخ الخضر في السنة النبوية.
- د- جهود الشيخ الخضر في السيرة النبوية.
- هـ- الشيخ محمد الخضر فقيهاً، وأصولياً، ومقاصدياً، واجتماعياً، وإصلاحياً.
- و- جهود الشيخ محمد الخضر في السياسة الشرعية.
- ز- التضمين والاقْتباس في آثار الشيخ محمد الخضر.
- ح- الآراء البلاغية في آثار الشيخ الخضر.
- ط- الشيخ الخضر ناقدًا وأديبًا.
- ي- آراء الشيخ محمد الخضر النحوية والصرفية.
- ك- منهجه في الكتابة والتأليف.
- ل- جهوده في إصلاح التعليم.
- م- منهج الشيخ الخضر في التربية.
- ن- منهج الشيخ الخضر الأخلاقي.

فهذا هو أهم ما يوصى به في هذا المقام، ويمكن أن يشقق من تلك العناوين موضوعات أخرى، جديرة بالبحث والدراسة، وخليقة أن تضفي الجدة، وتضيف الجديد إلى عالم المعرفة.

وأخيراً أمل تبني بعض الجامعات، أو المجامع العلمية، أو كراسي البحث دراسة آثار الشيخ، والعناية بما يصدر حوله من بحوث.

وختاماً أسأل الله -بأسمائه الحسنى وصفاته العلى- أن أكون قد وفقت في إخراج هذا البحث إلى ما أصبو إليه من تحري العدل، والوصول إلى الحق، وإبراز منهج الشيخ الخضر، وسيرته مع المخالفين.

كما أسأله -تعالى- أن يتقبل هذا العمل، وينفع به، ويجعله خالصاً لوجهه؛ إنه سميع قريب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الفهارس

- أ- فهرس الآيات القرآنية.
- ب- فهرس الأحاديث النبوية.
- هـ - فهرس الأعلام المترجم لهم.
- و - فهرس المصادر والمراجع.
- ز - فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

الصفحة	آيات سورة الفاتحة
٣٦٥-٢٨٨	﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ٣
٢٨٨	﴿عَبْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ٧
	آيات سورة البقرة
٣٥٢	﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ البقرة: ٧
٣٥٢	﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ١٠
٢٨٩	﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ ١٥
٧٦١-٢١٣	﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ ٢٢
٣٥٤	﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ ٢٦
٣٠٢	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ﴾ ٣٠
	﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ٣٠
٣٠٢	
٣٠٣	﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٣٠
٣٠٣	﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ ٣٢
٣٠٨	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ ٣٤
٣٥٧	﴿وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةً﴾ ٤٨
٢٩٠	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ ٥٥

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰرِئَ وَالصَّٰبِغِينَ مَنَ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٦٢
- ٣٦٠-٣٦١
- ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ٧٤
- ٣٦٥
- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ٨٩
- ٣٦٠
- ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ٩٨
- ٣٠٨-٣٠٥
- ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ ١٢٨
- ٣٥٦
- ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٣١
- ٢٨٣
- ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ١٣٣
- ٣٤٨
- ﴿لَا تُفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ ١٣٦
- ٣٢٢
- ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ١٤٦
- ٣١٣
- ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ١٦٣
- ٢٧٨
- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٦٤
- ٢٧٩

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ

- بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿ ١٦٦ ٦٠١
- ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
- وَالنَّبِيِّينَ ﴿ ١٧٧ ٣٣٢
- ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿ ١٧٩ ٩٠٠
- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا
- الْوَصِيَّةَ ﴿ ١٨٠ ٢١٣
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴿ ١٨٣ ٢١٣
- ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ ﴿ ٢٢٨ ٩٥٣
- ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ
- ءَالُ مُوسَىٰ وَعَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴿ ٢٤٨ ٣٠٨
- ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿ ٢٥٥ ٣٥٨

آيات سورة آل عمران

- ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
- ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ ٣١ ٧٨٣
- ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴿ ٤٦ ٤٠٥
- ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴿ ٥٤ ٢٨٩
- ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
- الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿ ١١٠ ٣٧٢

- ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
 أُنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا
 وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ١٤٤
- ٣٧٥
- ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ ١٥٩
- ٢٨٧
- ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ١٥٩
- ٨٩٣
- ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ ١٥٩
- ٣٣٧
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ١٥٩
- ٢٩٠
- ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
 آيَاتِهِ وَيُرَكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ
 قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ١٦٤
- ٩١٢
- ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ١٧٥
- ٧٣٠
- آيات سورة النساء
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾
- ٣٥١
- ٤٨
- ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا
 يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ٦٥
- ٤٠٠
- ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
 وَالصَّالِحِينَ ﴾ ٦٩
- ٥٥٦
- ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ٨٢
- ٢٠٩
- ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ ٩٣
- ٣٥١

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ ﴾

٨٤٦

النساء: ١٠٥

﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ

٣٣٧

وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ ﴾ ١٠٢

١٩٦

﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ ١١٣

٢٥٨

﴿ أَيَبْنَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ ١٣٩

آيات سورة المائدة

٧٨٧

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ ٣

٩٠٢

﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾ ٥

٢٥٠

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾ ٥

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ

٩٢١

أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا تَرْضَوْنَ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ٢٠

٩١٤

﴿ فَأَذْهَبَ آتَاكَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ٢٤

٢٢٥

﴿ فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ ٣٨

٨٧١

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ٤٤

٩٠١

﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ٤٢

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ

٣١٠-١٩٣

وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ ٤٨

﴿ وَإِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ عَنِ

٤٠٠

بَعْضُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ المائدة: ٤٩

- ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ﴿ ٥٠ ٥٣٥
- ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ ﴿ ٦٤ ٢٩٦-٢٩٤
- ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ﴿ ٨٧ ٧٨٨
- ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيْ
إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ
لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ
مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ ﴿ ١١٦ ٢١٧
- آيات سورة الأنعام
- ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ الأنعام: ٣٨ ٨٣٩
- ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ؕ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ﴿ ١٥٣ ٧٨٣
- آيات سورة الأعراف
- ﴿ إِنَّهُ يَرْبِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ ﴿ ٢٧ ٦٦٦-٣٠٦
- ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿ ٣١ ٧٩٨
- ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ﴿ ٩٩ ٢٨٩
- ﴿ قَالَ رَبِّ ارْنِي إِلَيْكَ ﴾ ﴿ ١٤٣ ٢٩٠
- ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا
يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا
بِعَايَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ﴿ ١٤٦ ٥٣٤

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ١٥٧

٣١٣

آيات سورة الأنفال

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ ٤١
﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ
اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ ٦٠

٥٩٨

٣٣٧

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُفْخِرَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ٦٧

٨٩٣

آيات سورة التوبة

﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ ٢٩
﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ ﴾ ٤١

٥٩٨

٥٩٨

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي

٦٠١

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ ٥٥
﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ
قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِيِّنَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ۗ فَرِيضَةً
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ٦٠

٣٦٩

٧٩٧-٧٩١

﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ ٦٢

٥٩٨

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ ١٠٣

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ
فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ
تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رُءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ١١٧

٧٥٦

آيات سورة يونس

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا

٦٠٣-٦٠٠

يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿ ١٧

٢٣٧

﴿ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ ٣٦

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ
تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ

١٩٣

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٣٧

٣٥٣

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ٦٢

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿ ٦٣ ﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

٣٩١

الْعَظِيمُ ﴿ ٦٣-٦٤

٦٠٣-٦٠٠

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ ٦٩

آيات سورة هود

٦٠٠

﴿ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ، فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُخْتَرُونَ ﴾ ٣٥

آيات سورة يوسف

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿ ٤

٦٠٤

- ٧٥٤ ﴿ فَلَنْ أُنْبِرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ ٨٠
- ٢٧٦ ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ ١٠٦
- ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
- ١٩٣ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ١١١

آيات سورة الحجر

- ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ٩
- ١٩٥-١٩٦
- ٢٣٨-٤٠٠
- ٥٣٤
- ٣١٨ ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ٤٩

آيات سورة النحل

- ﴿ فَتَشَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لِتَعْمُرُوا ﴾ ٤٣
- ٨٩٢
- ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ٤٤
- ١٩٦-١٩٧
- ٤٢٩
- ٦٣٧ ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ اللَّجَالِ بُيُوتًا ﴾ ٦٨
- ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ ١٢٥
- ٥٠٥-٥٤٢
- ٣٧٣ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ ١٢٨

آيات سورة الإسراء

- ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ
- ٤٠٥ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ. ﴾ ١
- ٣٥٩ ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ١٥

﴿ أَفَأَصْفَكَمُ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتِثًا ﴾ ٤٠ ٣٠٦

آيات سورة الكهف

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ٤٥ ٥٩٦

آيات سورة مريم

﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ ١٧ ٣٠١

آيات سورة طه

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ٥ ٢٩٢

﴿ وَأَجْعَل لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾ ١١ هَلْرُونَ أَخِي ﴿ ٣١ أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي

﴿ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴾ ٢٩-٣٢ ٢٥٥

﴿ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ ٥٠ ٢٨٢

﴿ لَا تَقْرَأُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا يُسْحِكُهُمْ عَذَابٌ وَفَدَّ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴾ ٦١ ٦٢٠-٦٢٠

﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَن أَدْنَى لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ ١٠٩ ٣٥٨

آيات سورة الأنبياء

﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ ٢٣ ٢٧٨

﴿ أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾ ٣٠ ٢٨٢

آيات سورة النور

﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ النور: ٤٠ ٨٢٥

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ

﴿ أَلِيمٌ ﴾ ٦٣ ٨٧٠

آيات سورة الشعراء

- ﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ٧٤
 ٤٩٨
 ﴿ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُرُ عَلَّمْتُمْوُا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ١٩٧
 ٣١٤

آيات سورة النمل

- ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ٦٤
 ٢٧٦

آيات سورة القصص

- ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ٥٠
 ٧٨٣
 ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَّا بِهِ ءِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ ٥٣-٥٢
 ١٩٣

آيات سورة العنكبوت

- ﴿ إِنِ اتَّكَلَفْتُمُ الْعَمَلُ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ ٤٥
 ٣٦٨
 ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ ٦٩
 ٦٤٣

آيات سورة الأحزاب

- ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ ٤
 ٩٣٤
 ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ٢١
 ١٩٥
 ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ ٢٥
 ٣٩٩-٥٢٣

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ
النَّبِيِّينَ ﴾ ٤٠
٦٣٧-٣٢٩

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِنَا
ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَّا لِمَنَّا كَبِيرَا ﴾ ٦٧ - ٦٨
٦٠١

آيات سورة سبأ

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكِيَّةِ أَهْتُولَاءِ إِنَّا كُنَّا كَانُوا
يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ
الْحَيَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ ٤٠-٤١
٣٠٧

آيات سورة فاطر

﴿ جَاعِلِ الْمَلَكِيَّةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مِّثْلِي وَتِلْكَ وَرُبَعٌ ﴾ ١
٣٠٨

آيات سورة يس

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ
أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم
مُّرْسَلُونَ ﴾ ١٣-١٤
٢٥٥

﴿ مَن يُحِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ ٧٨
٣٣٣

﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ ٧٩
٣٣٣

آيات سورة ص

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَخْنُثْ ﴾ ٤٤
٢٠٦

﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ ﴿٧٥﴾ ﴾ ٧٥
٢٩٤

آيات سورة الزمر

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ ٢٣

٢٠٩

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ٣٠

٣٧٥

آيات سورة غافر

﴿ وَإِنْ يَكَادُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ﴾ ٢٨

٦٠٣-٦٠٠

آيات سورة فصلت

﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ مَوْلَى حِمِيمٌ ﴾ ٣٤

٥٠٦

آيات سورة الشورى

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ١١

٢٩٦-٢٧٨

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ ٣٨

٣٨٦

آيات سورة الدخان

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ

٢٣٠

أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤-٣﴾

آيات سورة الحجرات

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا يَجْهَلُونَ

٥٠٨

فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ تَتَدَمَّرُونَ ﴿٦﴾

٧٢٨

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ١٠

٨٩٤

﴿ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَمَّكُمْ ﴾ ١٣

آيات سورة الطور

٢٨٣

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ ٣٥

آيات سورة الرحمن

﴿ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ٢٧

٢٩٢

آيات سورة الحشر

ج

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا ﴾ ٧

٢٢٧

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجَبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ٩

٣٧٤

آيات سورة الممتحنة

﴿ لَا يَنْهَكَمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنَّا لَكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ

٢٥٨

تَبَرَّوهُمْ وَتَقَسَّطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ٨

آيات سورة المنافقون

﴿ وَاللَّهُ الْمِرَّةُ وَالرَّسُولُ وَاللْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٨

٥٣٤-٣٩٩

آيات سورة التحريم

﴿ تَبَّأْنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ ٣

٣١٩

آيات سورة الملك

﴿ ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ ١٦

٢٩٦

آيات سورة القلم

﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

٥٣٣-٣٩٩-

٦٠١

وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿ ٤٤ - ٤٥

آيات سورة الحاقة

﴿ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾

٦٢٠-٦٠٠

٤٤-٤٦

آيات سورة نوح

﴿ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٧﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ

٣٤١

﴿ مِدْرَارًا ﴿١٠-١١﴾

آيات سورة الجن

٦٦٦

﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٣٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ

٦٦٥

﴿ رَسُولٍ ﴿٢٦-٢٧﴾

آيات سورة المزمل

٣٣٥

﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

آيات سورة القيامة

٢٩٠

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٣٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٢-٢٣﴾

آيات سورة التكوير

٦٢٢

﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾

﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

٣٣٦

﴿ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨-٢٩﴾

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث
٣٨٥	- إذا بويح لخليفتين ، فاقتلوا الآخر منهما
٣٢٩	- أرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون
	- افتقرت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفرقت النصرارى
٧٤٦	على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة
٨٠٠	- اللهم إني أستخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك
٧٨٩	- اللهم رب هذه الدعوة التامة
٧٦١	- إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر
٣٢٩	- إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي
٧٦١	- إن الرقى والتمايم والتولة شرك
	- إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم ، من كان حالفاً ، فليحلف بالله ، أو
٧٧٣	ليصمت
٩٠٢	- إن المسلمين يسعى بذمتهم أدناهم
	- إن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة ، وتفرق أمتي ثلاثاً
	وسبعين ملة ، كلهم في النار إلا واحدة) ، قالوا: من هي يا رسول الله؟
٧٤٦	قال: (من كان على ما أنا عليه وأصحابي
٤١١	- أنتم أعلم بأمور دنياكم
	- أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن
٢٧٢	بالقدر خيره وشره
٣٢٦	- انشقاق القمر حتى رآه المشركون بمكة رأي العين

- ١٩٥ - إنما الأعمال بالنيات
- إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة
- ٧٤٦
- ٣٨٥ - إن هذا الأمر في قریش ما أقاموا الدين
- ٤٦٢ - إن هذا وإدبه شیطان
- ٨٩٧ - إني لم أؤمر بالرهبانية
- ٣٢٦ - تكثير الطعام القليل وإشباعه نحواً من سبعين رجلاً
- ٤١٢ - تلزم جماعة المسلمين وإمامهم
- حنين الجذع الذي كان يخطب عليه عندما اتخذه - عليه الصلاة والسلام - منبراً
- ٣٢٦
- ٧٩٥ - خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل، فتعجزوا عنها
- سكوته ﷺ عن لعب الحبشة في الحراب في المسجد، وعدم إنكاره عليهم
- ١٩٥
- السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة
- ٣٩٠
- ٧٦٥ - قد عافاني الله، فكرهت أن أثور على الناس فيه شراً
- قد رأيتُ الذي صنعتُم، ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أنني خشيت أن تُفرض عليكم
- ٧٩٥
- ٨٠٠ - كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن
- ٧٦٦ - كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن
- ٧٤٧ - كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار

- ٧٨٥ - كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة
- ٧٦٨ - كنا في مسير لنا على حي من أحياء العرب
- لا تصدقوا أهل الكتاب ، ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل
- ٣١١ إلينا ، وما أنزل إليكم
- ٨٩٧ - لا رهبانية في الإسلام
- ٧٧٥ - لا عدوى ولا طيرة
- ٦٣٨ - لا نبي بعدي
- ٤٦٢ - لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا
- ٤٠٥ - لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة
- ٣٩٠ - ما من عبد يسترعيه الله رعية ، فلم يحطها بنصحه ، إلا لم يجد ريح الجنة
- ٧٨٤ - من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد
- ٧٧٢ - من حلف ، فقال في حلفه : باللات والعزى ، فليقل : لا إله إلا الله
- ٧٨٤ - من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد
- ٣٥٨ - من قام رمضان إيماناً واحتساباً ، غُفر له ما تقدم من ذنبه
- ٢٣٣ - من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار
- ٧٨١ - من تعلق تميمة فقد أشرك
- ٧٨١ - من تعلق تميمة فلا أتم الله له
- ٧٨١ - من تعلق شيئاً وكل إليه
- ٧٢٨ - المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً
- ٣٢٦ - نبع الماء بين أصابعه الشريفة
- ٣٠١ - هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم
- ٧٦٨ - هي من عمل الشيطان

- والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ،
 ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به - إلا كان من أصحاب النار
 ٣٥٩
- وإنما الشؤم في ثلاثة: المرأة، والفرس، والدار
 ٧٧٥
- يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم، ثم أوفيكم أياها؛ فمن وجد
 خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه
 ٣٥٥
- يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
 ٢٢٩
- يمين الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاًء الليل والنهار، أرايتم ما أنفق
 منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغيض ما في يمينه
 ٢٩٤

فهرس الأعلام المترجم لهم

- ٨١ - أحمد أمين
- ٥٠ - أحمد تيمور باشا
- ٩٤٨ - أحمد فارس الشدياق
- ٧١٩ - بوذا
- ٨١٩ - تروتسكي
- ٩٤٦ - رفاعة الطهطاوي
- ٥٩ - سالم بوحاجب
- ٧٣٢ - سلامة موسى
- ٤٩ - طه حسين
- ٥٩ - عمر بن الشيخ
- ٧٨ - عبدالمجيد اللبان
- ٤٣ - علي عبد الرازق
- ٤٤ - قاسم أمين
- ٧٤ - محب الدين الخطيب
- ٦٠ - محمد الطاهر بن عاشور
- ٦٤ - محمد الفاضل بن عاشور
- ٦١ - محمد رشيد رضا
- ٥٩ - محمد النجار
- ٨٢ - محمد فريد وجدي
- ٨١ - محمود شلتوت
- ٧٤ - مصطفى المراغي

فهرس المراجع والمصادر

«أ»

- ١- الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٠هـ.
- ٢- الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ، دار المعرفة، لبنان.
- ٣- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د. محمد الخضر حسين ط ٨، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م.
- ٤- آثار ابن باديس، إعداد وتصنيف د. عمار الطالبي، دار الغرب الإسلامي، ط ٤، ٢٠٠٨م.
- ٥- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٧م
- ٦- الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء دراسة تحليلية، د. عبدالرزاق البدر، مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، العدد ١١١، السنة ٣٣، ١٤٢١هـ.
- ٧- أحاديث في رحاب الأزهر: للشيخ محمد الخضر حسين، إعداد علي الرضا الحسيني، ط ١، ١٤١٤هـ.
- ٨- أحاديث في رحاب الأزهر: للشيخ محمد الخضر حسين، عني به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م
- ٩- أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام لمحمد بن حنبل المطيعي طبع ونشر جمعية الأزهر العلمية بمصر، ط ١، ١٣٨٥هـ.
- ١٠- أحكام القرآن لابن العربي، راجعه وعلق عليه محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ.

- ١٠- الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم، قدم له إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م
- ١١- الإحكام في أصول الأحكام للأمدي، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة
- ١٢- الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي، ط ٣، ١٣٩٣هـ، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة
- ١٣- أخبار الآحاد في الحديث النبوي، للشيخ د. عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين، دار طيبة، الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م
- ١٤- آداب الحرب في الإسلام، للشيخ محمد الخضر حسين، أعده علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ط ٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م
- ١٥- الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح المقدسي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة
- ١٦- الأدب الحديث لعمر الدسوقي، دار الفكر، ط ٨، ١٩٧٣م.
- ١٧- الأدب اليوناني القديم، ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي د. علي عبدالواحد وافي دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة
- ١٨- الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط ١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م
- ١٩- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد للشيخ د. صالح الفوزان، دار الذخائر، الدمام، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م
- ٢٠- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني تحقيق محمد يوسف موسى، وعلي عبدالحميد، مكتبة الخانجي مصر، ومكتبة المثنى بغداد، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م.

- ٢٢- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني، المطبعة الأميرية الكبرى، ط٧، ١٣٢٣هـ.
- ٢١- الاستقامة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، توزيع مكتبة السنة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ.
- ٢٢- أسرار التنزيل: جمعه وحققه ونشره علي الرضا التونسي، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م
- ٢٣- أسرار التنزيل: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م
- ٢٤- الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية - دراسة حول كتاب: النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة لشيخ الإسلام مصطفى صبري - تقديم ودراسة د. مصطفى حلمي، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
- ٢٥- الإسلام قوة الغد العالمية، باول شمتز، نقله إلى العربية د. محمد شامة، مكتبة وهبة
- ٢٦- الإسلام وأصول الحكم، بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، تأليف الشيخ علي عبدالرازق، تقديم السفير ممدوح عبدالرازق، ط١، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م.
- ٢٧- الإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي، لجنة التأليف والنشر، ط٣، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ٢٨- الإسلام والحضارة الغربية د. محمد محمد حسين، المكتب الإسلامي، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- ٢٩- أصول الحوار، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وحدة الدراسات والبحوث، ط٣، ١٤٠٨-١٩٨٨م.
- ٣٠- أصول الدين للبغدادي ط١، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م، استانبول، طبعة مصورة عنها عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار الكتب العلمية بيروت.
- ٣١- أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، عرض ونقد د.ناصر القفاري، ط١، ١٤١٤هـ.
- ٣٢- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار السلام - دار سحنون، تونس - القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م
- ٣٣- إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي، دراسة وتحقيق محمد ملكاوي، دار الوطن، الرياض، دار أولي النهى.
- ٣٤- الاعتصام للشاطبي، نشر دار المعرفة، بيروت ط١٤٠٢هـ.
- ٣٥- الاعتقاد على مذهب السلف - أهل السنة والجماعة - للبيهقي، السلام العالمية للطبع والنشر والتوزيع.
- ٣٦- أعلام السنة المشهورة لاعتقاد الطائفة المنصور للشيخ حافظ الحكمي خرج أحاديثه وعلق عليه مصطفى أبو النصر الشلبي، ط١، ١٤٠١هـ، مكتبة السوادي بجدة.
- ٣٧- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد عبدالسلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.
- ٣٨- الأعياد وأثرها على المسلمين د. سليمان السحيمي، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، الجامعة الإسلامية.
- ٣٩- الإقناع في مسائل الإجماع لابن القطان الفاسي، تحقيق أ.د. فاروق حمادة، دار القلم دمشق، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، طبعة وزارة الأوقاف في دولة قطر.

٤٠- الإمام محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

٤١- الإمام محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر: للإمام محمد الخضر حسين، جمعه علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

٤٢- الإمام الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

٤٣- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة د. عبدالله الدميحي، دار طيبة، الرياض، ط ٢، ١٤٠٩هـ

٤٤- الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة، لعلي بن بحيث الزهراني، دار الرسالة للنشر والتوزيع، مكة.

٤٥- الإيمان، للإمام ابن منده، حققه، وعلق عليه وخرج أحاديثه د. علي بن محمد الفقيهي، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

«ب»

٤٦- البايبة عرض ونقد، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، باكستلن، لاهور، ط ٣، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

٤٧- الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة، تقديم وتعليق تحقيق عثمان أحمد عنبر، دار الهدى، ط ١، ١٣٩٨هـ.

٤٨- باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي نقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات، د. محمد خليل هراس، مكتبة الصحابة، طنطا، ١٤٠٥هـ، ط٢.

٤٩- بحث أثر الدعوة المحمدية في الحرية والمساواة لابن عاشور في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء التاسع والعاشر من المجلد السادس ربيع الأول والآخِر ١٣٥٣هـ.

٥٠- البحث الصريح في أيما الدين الصحيح للشيخ زيادة بن يحيى الراسي، تحقيق د. سعود بن عبدالعزيز الخلف، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عمادة البحث العلمي، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م

٥١- البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق أحمد عبدالوهاب فتوح، دار زمزم، الرياض ١٤١٤هـ، وط دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠٧هـ، تحقيق أحمد أبو ملحم وزملائه.

٥٢- البدع والنهي عنها لابن وضاح القرطبي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.

٥٣- البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، بيروت، لساطع الحصري.

٥٤- بلاغة القرآن: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م

٥٥- بلاغة القرآن: للإمام محمد الخضر حسين، جمعه وحققه علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية عام ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م

٥٦- بلاغة القرآن: للإمام محمد الخضر حسين، المكتبة التعاونية بدمشق عام ١٩٧١م

- ٥٧- البهائية، عبدالله الحمودي، مكتبة السروات، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٥٨- البهائية، محب الدين الخطيب، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٥٩- البهائية من الدعوات الضالة لأنور الجندي، دار الاعتصام
- ٦٠- البهائية نقد وتحليل، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط ٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م
- ٦١- بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أو نقض تأسيس الجهمية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، بتصحيح وتكميل وتعليق الشيخ محمد ابن عبدالرحمن بن قاسم، ط ٢، ١٤٢١هـ، دار القاسم.
- ٦٢- البيان في علوم القرآن، د. محمد بن علي الحسن، و د. سليمان القرعاوي، مؤسسة بيسان والبدر، دبي
- «ت»
- ٦٣- تاريخ الأديان دراسة وصفية د. محمد خليفة حسن
- ٦٤- التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٦٥- تاريخ الدولة العثمانية العلية لإبراهيم حليم، مؤسسة الكتب الثقافية ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٦٦- تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان، ترجمة نبيه أمين فارس، ومدير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٦٨م.
- ٦٧- تاريخ مصر الحديث لجورجي زيدان، مطبعة الهلال، ط ٣، ١٩٢٥م.
- ٦٨- التأويل: خطورته وآثاره د. عمر الأشقر، دار النفائس، الأردن، عمان، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٦٩- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٧٠- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدينوري، شرحه ونشره أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت.

٧١- التبرك أنواعه وأحكامه، د. ناصر بن عبدالرحمن الجديع، مكتبة الرشد، الرياض، ط٥، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٧٢- التبيان في أقسام القرآن لابن القيم، تحقيق محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.

٧٣- تحطيم الصنم العلماني جولة جديدة في معركة النظام السياسي في الإسلام، للشيخ محمد ابن شاکر الشريف، ص٢٥، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٧٤- التدمرية، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد بن عودة السعوي، ط١، ١٤٠٥هـ.

٧٥- تراجم الرجال: للإمام محمد الخضر حسين، أخرجه الأستاذ علي الرضا التونسي، المطبعة التعاونية عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م

٧٦- تراجم الرجال: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

٧٧- الشيع والشيعة لأحمد الكسروي تحقيق د. ناصر القفاري، ود. سلمان العودة، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

٧٨- التصوف في ميزان البحث والتحقيق والرد على ابن عربي الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبدالقادر بن حبيب الله السندي.

- ٧٩- التصوف: المنشأ والمصادر لإحسان إلهي ظهير، الناشر إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م
- ٨٠- التعريفات، للجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤١٦هـ- ١٩٥٥م.
- ٨١- التعليقات على متن لمعة الاعتقاد، للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن ابن جبرين، دار الصمعي، ط ١، ١٤١٢هـ.
- ٨٢- تفسير التحرير والتنوير، تأليف العلامة محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس
- ٨٣- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار الجليل، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- ٨٤- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري الأندلسي، تحقيق أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط ٣، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- ٨٥- تنبيه ذوي الأبواب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة، تأليف الشيخ سليمان بن سمحان، دار العاصمة، الرياض
- ٨٦- التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة للعلامة عبدالرحمن السعدي، مع تعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، تخريج الشيخ: علي بن حسن بن عبدالحميد، دار ابن القيم، ط ١، ١٤٠٩هـ

٨٧- تهذيب الآثار، وتفصيل معاني الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار،
لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق د. ناصر الرشيد، وعبدالقيوم عبد رب النبي،
مطابع دار الصفا، ١٤٠٢هـ

٨٨- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد أحمد الأزهري، تحقيق عبدالسلام
محمد هارون، مكتبة الخانجي

٨٩- توضيح الكافية الشافية للشيخ عبدالرحمن السعدي، المطبعة السلفية،
القاهرة، ١٣٦٨

٩٠- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم
الموسومة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لأحمد ابن إبراهيم بن
عيسى، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٦هـ

٩١- التوكل على الله، وعلاقته بالأسباب د. عبدالله بن عمر الدميحي، دار
الوطن، ط٢، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م

٩٢- تونس وجامعة الزيتونة: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي
الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م

٩٣- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان ابن عبدالله
ابن محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الثامنة ١٤٠٩هـ، المكتب الإسلامي.

٩٤- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لابن سعدي، ط٢،
١٤٠٩هـ، مكتبة الأقصى عينية.

« ج »

٩٥- جامع الرسائل لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، مطبعة المدني،

ط١، ١٤٠٥هـ

- ٩٦- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، عام ١٩٦٦م.
- ٩٧- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٩٨- جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م
- ٩٩- جذور البلاء لعبدالله التل، دار الإرشاد، بيروت، ط ١، ١٣٩٠هـ
- ١٠٠- جذور العلمانية د. السيد أحمد فرج، دار الوفاء، المنصورة، ط ٥، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م
- ١٠١- الجواب الباهر في زوار المقابر لشيخ الإسلام ابن تيمية شرحه وقدم له د. محمد مطرجي، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
- ١٠٢- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٤هـ، تحقيق د. علي حسن ناصر وزميليه
- ١٠٣- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، أو الداء والدواء، لابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق عامر بن علي ياسن، دار ابن خزيمة، الرياض، ط ١.
- «ح»
- ١٠٤- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح للعلامة ابن القيم، تقديم السيد صبيح المدني، مكتبة المدني ومطبعتها، جدة.
- ١٠٥- الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

- ١٠٦- الحججة في بيان المحجة، وشرح عقيدة أهل السنة، إملاء الحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن محمد بن الفضل الأصبهاني، تحقيق ودراسة د. محمد بن ربيع المدخلي، ومحمد أبورحيم، ط١، ١٤١١هـ، دار الراية
- ١٠٧- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها، وحكم الإسلام فيها د. محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، دار عالم الكتب، الرياض، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ١٠٨- الحركة الأدبية والفكرية بتونس للشيخ محمد الفاضل بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٢م.
- ١٠٩- حسن المقصد في عمل المولد، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- ١١٠- الحق الواضح المبين للشيخ عبدالرحمن السعدي، المطبعة السلفية، القاهرة
- ١١١- حقيقة البابية والبهاية د. محسن عبدالحميد، دار الصحوة للنشر، ط٥، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م
- ١١٢- حكم الاشتراكية في الإسلام، للشيخ عبد العزيز البدري، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط٥، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م
- ١١٣- الحكم بغير ما أنزل الله أحواله وأحكامه، د. عبدالرحمن المحمود، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م
- ١١٤- الحوادث والبدع للطرطوشي تحقيق محمد الطالب المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ١٩٥٩.
- ١١٥- الحرية في الإسلام الإمام محمد الخضر حسين، إعداد وضبط علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ط٣، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م
- ١١٦- الحرية في الإسلام، شيخ الأزهر محمد الخضر حسين، دار الاعتصام.

- ١١٧- حياة ابن خلدون ومُثلُّ من فلسفته الاجتماعية، الإمام محمد الخضر حسين، الدار الحسينية للكتاب، ط٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ١١٨- حياة اللغة العربية، للشيخ محمد الخضر حسين، أعده علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م
- «خ»
- ١١٩- الخطابة - أصولها - تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي
- ١٢٠- خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، عبدالله التل، دار القلم، بيروت، ١٩٦٥م
- ١٢١- الخطط المقرزية (المسمى المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) لتقي الدين أحمد بن علي المقرزي، دار صاور، بيروت.
- ١٢٢- الخلافة وسلطة الأمة، نقله عن التركية عبدالغني سني بك، تقديم د. نصر حامد أبو زيد، الناشر دار النهر للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٢٤م، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م، القاهرة.
- ١٢٣- خواطر الحياة: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م
- ١٢٤- خواطر الحياة: للإمام محمد الخضر حسين، حققه وعلق عليه علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م
- ١٢٥- الخيال في الشعر العربي، ودراسات أدبية: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

١٢٦- الخيال في الشعر العربي ، ودراسات أدبية : للإمام محمد الخضر حسين ،
المطبعة الرحمانية على نفقة وعناية المكتبة العربية في دمشق في شعبان عام
١٣٤٠هـ

١٢٧- الخيال في الشعر العربي ، ودراسات أدبية : للإمام محمد الخضر حسين ،
نشره الأستاذ علي الرضا التونسي سنة ١٩٧٢م

«د»

١٢٨- درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ،
ط ١ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٢٩- دراسات في الشريعة الإسلامية : للإمام محمد الخضر حسين ، اعتنى به
علي الرضا الحسيني ، مؤسسة دار النوادر ، ط ١ ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

١٣٠- دراسات في العربية وتاريخها : للإمام محمد الخضر حسين ، اعتنى به
علي الرضا الحسيني ، مؤسسة دار النوادر ، ط ١ ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

١٣١- دراسات في العربية وتاريخها : للإمام محمد الخضر حسين ، الدار
الحسينية للكتاب ، عام ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

١٣٢- دراسات في العربية وتاريخها : للإمام محمد الخضر حسين ، المكتب
الإسلامي ، ومكتبة دار الفتح عام ١٣٧٩هـ

١٣٣- دراسات في اللغة : للإمام محمد الخضر حسين ، اعتنى به علي الرضا
الحسيني ، مؤسسة دار النوادر ، ط ١ ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

١٣٤- دراسات في الفرق : الشيعة - النصيرية - الباطنية - الصوفية - الخوارج ،
د. صابر طعيمة ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

١٣٥- الدعوة إلى الإصلاح للشيخ محمد الخضر حسين تعليق الشيخ علي
حسن عبد الحميد ، دار الراية ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٧هـ

- ١٣٦- الدعوة إلى الإصلاح: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م
- ١٣٧- الدعوة إلى الإصلاح، الإمام محمد الخضر حسين، حققه علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ط ٣، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م
- ١٣٨- الدعوة إلى الإصلاح: للشيخ محمد الخضر حسين، المطبعة السلفية في القاهرة، ١٣٤٦هـ
- ١٣٩- الدعوة إلى الإصلاح: للشيخ محمد الخضر حسين، بالمطبعة الرسمية في تونس، ١٣٢٨هـ
- ١٤٠- الدعوة إلى الإصلاح: للشيخ محمد الخضر حسين، تحقيق وتخرىج إبراهيم الحازمي، دار الشريف، الرياض، ط ١، ١٤١٤هـ
- ١٤١- دلائل الإعجاز في علم المعاني، تأليف عبدالقاهر الجرجاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
- ١٤٢- دلائل الخيرات للجزولي، دار إحياء الكتب العربية، لصاحبها عيسى الحلبي، وشركاه
- ١٤٣- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، وثق أصوله وخرّج أحاديثه وعلّق عليه د. عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
- ١٤٤- الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط د. علي الصلابي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ١٤٥- الديانات والعقائد لأحمد عبدالغفور عطار، ط ١، ١٤٠١هـ، طبع بإشراف دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان

- ١٤٦- الرجل الصنم كمال أتاتورك، أول كتاب عن حياة كمال أتاتورك بالتفصيل، تأليف ضابط تركي سابق، ترجمة عبدالله عبدالرحمن، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ١٤٧- الرحلات: لفضيلة الإمام الأكبر محمد الخضر حسين، جمعه وحققه علي الرضا التونسي، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م
- ١٤٨- الرحلات: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م
- ١٤٩- الرد على البكري لابن تيمية مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٧هـ..، تحقيق محمد علي عجال
- ١٥٠- الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع ونشر إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط ٢، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- ١٥١- الرد على من قال بفناء الجنة والنار، وبيان الأقوال في ذلك لشيخ الإسلام ابن تيمية، دراسة وتحقيق د. محمد بن عبدالله السمهري، دار بلنسية، الرياض، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٥٢- رسائل ابن عزوز العلامة محمد المكي بن عزوز، جمع وتحقيق علي الرضا التونسي، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١٥٣- رسائل الإصلاح: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م
- ١٥٤- رسائل الإصلاح: للإمام محمد الخضر حسين، دار الإصلاح، الدمام، المملكة العربية السعودية
- ١٥٥- رسائل في العقيدة للشيخ محمد بن عثيمين، دار طيبة، ط ٢، ١٤٠٦هـ.

١٥٦- الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي
جمع وتحقيق الشيخ محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت -
لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٥٧- الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٣،
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

١٥٨- الروحية الحديثة دعوة هدامة - تحضير الأرواح وصلته بالصهيونية
العالمية، د. محمد محمد حسين، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،
ط٢، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

١٥٩- الرياض الناضرة، والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة
الفاخرة، للشيخ عبدالرحمن السعدي، مؤسسة قرطبة، صححه واعتنى به
أشرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم

«ز»

١٦٠- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، ط٤،
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

«س»

١٦١- السحر بين الحقيقة والخيال د. أحمد بن ناصر الحمد، مكتبة التراث
بمكة، ط١، ١٤٠٨م

١٦٢- السعادة العظمى: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا
الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

١٦٣- السعادة العظمى: للإمام محمد الخضر حسين، الشركة التونسية
للتثقيف والترفيه عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

- ١٦٤- السلطان عبدالحميد الثاني د. محمد حرب، دار القلم، دمشق، ط ١،
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ١٦٥- سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، أنور الجندي،
دار الجيل، بيروت، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٥هـ -
١٩٨٥م.
- ١٦٦- سنن ابن ماجة، دار الدعوة، دار سحنون، ترقيم محمد عبد الباقي،
ط ٢.
- ١٦٧- سنن أبي داود، دار الدعوة، دار سحنون، ط ٢.
- ١٦٨- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي، مكتبة
دار المعرفة، القاهرة، ط ١، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.
- «ش»
- ١٦٩- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، تحقيق: د. أحمد
بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض.
- ١٧٠- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي البقاء العكبري، ضبطه وصححه
ووضع فهارسه: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار
المعرفة، بيروت، لبنان.
- ١٧١- شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية، حققه سعيد ابن
نصر بن محمد، مكتبة الرشد الرياض، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ١٧٢- شرح العقيدة الطحاوية، حققها وراجعها: جماعة من العلماء، خرج
أحاديثها: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٨،
١٤٠٤هـ

١٧٣- شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف الشيخ محمد خليل الهراس، ضبط نصه وخرج أحاديثه: الشيخ علوي السقاف، ط١، ١٤١١هـ، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، الثقبه.

١٧٤- شرح العقيدة الواسطية، للشيخ صالح الفوزان، ط٥، ١٤١١هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٧٥- شرح عقيدة أهل السنة، إملاء الحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل ابن محمد بن الفضل الأصبهاني، تحقيق ودراسة د. محمد بن ربيع المدخلي، ومحمد أبو رحيم، ط١، ١٤١١هـ، دار الراية

١٧٦- شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد بن عثيمين، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

١٧٧- شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.

١٧٨- شرح منتهى الإرادات، للشيخ منصور البهوتي، دار عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

١٧٩- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

١٨٠- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، لفضيلة الإمام الأكبر محمد الخضر حسين، أشرف على طبعه ونشره علي الرضا التونسي، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م

- ١٨١- الشعر الصوفي إلى مطلع القرن التاسع للهجرة، د. محمد بن سعد ابن حسين، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- ١٨٢- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن قيم الجوزية، تحرير الحساني حسن عبدالله، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- ١٨٣- الشفاعة، للشيخ مقبل بن هادي الوادعي، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، مطبعة المدني.
- ١٨٤- الشوقيات ديوان أحمد شوقي دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١١، ١٤٠٦-١٩٨٦م.
- ١٨٥- شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره د. بلقاسم الغالي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ١٨٦- الشيخ عبدالرحمن السعدي وجهود في توضيح العقيدة د. عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م
- ١٨٧- الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي - حياته - وجهوده العلمية والدعوية وآثاره الحميدة، تأليف محمد بن أحمد سيد أحمد، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٨هـ
- ١٨٨- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير د. هيا العلي، دار الثقافة قطر، الدوحة، ١٩٩٤م.
- «ص»
- ١٨٩- الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية، حققه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت
- ١٩٠- صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلشندي، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٥هـ

- ١٩١- الصحاح لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق د. إميل بديع ود. محمد نبيل طريف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م
- ١٩٢- صحيح البخاري، للإمام البخاري، بيت الأفكار الدولية، عناية أبي صهيب الكرمي، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١٩٣- صحيح البخاري، للإمام البخاري، دار سحنون، دار الدعوة، ط ٢
- ١٩٤- صحيح سنن الترمذي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي، الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٩٥- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، دار الفكر
- ١٩٦- صحيح مسلم، عناية أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١٩٧- صحيح مسلم، للإمام مسلم، من منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، وطبعة دار الدعوة ودار سحنون، بترقيم عبد الباقي
- ١٩٨- الصناعتين: الكتابة والشعر، تصنيف أبي الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، تحقيق علي بن محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
- ١٩٩- الصوفية في نظر الإسلام، دراسة وتحليل سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
- ٢٠٠- الصوفية نشأتها وتطورها لمحمد العبد، وطارق عبد الحليم، دار الأرقم، برمنجهام، بريطانيا، ط ٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

- ٢٠١- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، تحقيق د. محمود الطناحي،
وعبدالفتاح الحلو، ط ١، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- ٢٠٢- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، ضبط نصه
وخرج أحاديثه عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، ط ١، ١٤٠٩هـ.

«ع»

- ٢٠٣- عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي لابن العربي المالكي، إعداد
هشام سمير البخاري، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٥هـ.
- ٢٠٣- عالم الملائكة الأبرار د. عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، دار النفائس،
الكويت، ط ٦، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٢٠٤- العبودية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي، ط ٣٢،
١٣٩٢هـ
- ٢٠٥- عبودية الكائنات لرب العالمين، فريد إسماعيل التونسي، مكتبة الضياء،
جدة، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م
- ٢٠٦- العقل والنقل عند ابن رشد، د. محمد أمان الجامي، ط ٣، ١٤٠٤هـ،
الجامعة الإسلامية.
- ٢٠٧- عقيدة الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية دراسة في ضوء الكتاب والسنة
د. علي السالوس، دار الاعتصام، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م
- ٢٠٨- عقيدة أهل السنة في الصحابة د. محمد الوهبي، المنتدى الإسلامي،
لندن
- ٢٠٩- عقيدة ختم النبوة د. أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، الرياض،
ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- ٢١٠- عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية، د. أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
- ٢١١- العلمانية نشأتها، وتطورها، وآثارها في الحياة الإسلامية د. سفر الحوالي، الدار السلفية للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ٢١٢- العلمانية وتطبيقاتها في الإسلام إيمان ببعض الكتاب وكفر ببعض الآخر، د. محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٢١٣- العلمانيون والقرآن الكريم د. أحمد الطعان، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٢١٤- العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده لابن رشيق القيرواني، دار الجيل، بيروت، لبنان، حققه، وفصله، وعلق على حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد.

«غ»

- ٢١٥- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١.
- ٢١٦- غريب الحديث لابن الجوزي، توثيق وتعليق عبدالمعطي قلقجي، ط١، ١٤٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
- ٢١٧- غياث الأمم في التياث الظلم للجويني، تحقيق د. مصطفى حلمي ود. فؤاد عبدالمنعم، ط١، ١٤٠٠هـ، دار الدعوة، الإسكندرية

«ف»

- ٢١٨- الفتاوى السعدية للشيخ عبدالرحمن السعدي، مطبعة الكيلاني، الناشر السعيدية، الرياض
- ٢١٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤٠٧هـ.

- ٢٢٠- فتح رب البرية بتلخيص الحموية للشيخ محمد بن صالح العثيمين،
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ٤، ١٤١٠هـ.
- ٢٢١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، للإمام
محمد بن علي الشوكاني، عالم الكتب، وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت،
لبنان، تحقيق عبدالرزاق المهدي، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٢٢٢- الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية، دراسة وتحقيق د. حمد
التويجري، دار الصمعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢، ١٤٢٥هـ -
٢٠٠٤م.
- ٢٢٣- الفرق بين الفرق، لعبدالقاهر البغدادي، مطبعة المدني، حقق أصوله
وضبط مشكله وعلق عليه محمد محي الدين عبدالحميد
- ٢٢٤- فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، للقاضي
أبي الوليد محمد بن أحمد بن رُشد، قدم له، وعلق عليه د. البير نصري نادر،
ط ٢، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان.
- ٢٢٥- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي،
مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١٤، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
- ٢٢٦- الفكر الشرقي القديم، تأليف: جون كولر، ترجمة كامل يوسف
حسين، مراجعة د. إمام عبدالفتاح إمام، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية
شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨،
بإشراف أحمد مشاري العدوان.
- ٢٢٧- الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تأليف: إ.م. بوشنسكي، ترجمة د.
عزت قرني، عالم المعرفة

«ق»

- ٢٢٨- القاديانية والبهائية: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م
- ٢٢٩- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
- ٢٣٠- قرارات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي من دورته الأولى حتى الثامنة
- ٢٣١- قصة الفلسفة اليونانية لأحمد أمين، ود. زكي نجيب محمود
- ٢٣٢- القضاء والقدر، د. عمر الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٠هـ.
- ٢٣٣- القضاء والقدر، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة أسام، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٢٣٤- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، ومذاهب الناس فيه، د. عبدالرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن، ط ٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٣٥- قلاع المسلمين مهددة من داخلها وخارجها د. محمد هنادي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، العزيزية، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- ٢٣٦- قواعد الاستدلال عند أهل السنة، د. عثمان علي حسن، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٣هـ.
- ٢٣٧- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخ محمد بن صالح العثيمين، خرج أحاديثه وعلق عليه أشرف بن عبدالمقصود، أضواء السلف، أصدقاء المجتمع، بريدة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٢٣٨- القول السديد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبدالرحمن ابن سعدي، دار الوطن، ط ١، ١٤١٢هـ.

- ٢٣٩- القول الفصل في حكم الاحتفال بخير الرسل للشيخ إسماعيل الأنصاري، طبع ونشر الرئاسة العامة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٥هـ.
- ٢٤٠- القول المفيد في حكم السلطان عبدالحميد، لمحمد وحيد، دار الوراق، دار النيرين، بيروت، الرياض، دمشق، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م
- ٢٤١- القياس في اللغة العربية، للشيخ محمد الخضر حسين، عني به علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م
- ٢٤٢- القيامة الكبرى د. عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م

«ك»

- ٢٤٣- كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م
- ٢٤٤- كتابة البحث العلمي صياغة جديدة أ.د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان، مكتبة الرشد ناشرون ط٩، ١٤٢٣هـ.
- ٢٤٥- الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، محمد عبدالرؤوف القاسم، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط٢، ١٤١٣هـ
- ٢٤٦- الكليات - معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، قابله على نسخة خطية، وأعدده للطبع ووضع فهارسه د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

«ل»

- ٢٤٧- لامية العرب للشنفرى، عنى بها د. صلاح الدين الهواوى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م
- ٢٤٨- لسان العرب، لابن منظور الأفرىقى، دار الفكر.
- ٢٤٩- لوامع الأنوار البهية، وسواطع الأسرار الأثرية، شرح الدررة المضية فى عقيدة الفرقة المرضية، تأليف العلامة محمد بن أحمد السفارنى، المكتب الإسلامى، بيروت، مكتبة أسامة، الرياض، ط٢، ١٤٠٥هـ.

«م»

- ٢٥٠- مباحث فى عقيدة أهل السنة والجماعة، د. ناصر العقل، دار الوطن، الرياض، ط١
- ٢٥١- مجرد مقالات الشىخ أبى الحسن الأشعري لابن فورك تحقيق دانيال جيمارىه، ط دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.
- ٢٥٢- مجلة البحوث الفقهية المعاصرة عدد ١١
- ٢٥٣- مجلة المصور المصرية عدد الأسبوع الأخير من شهر سبتمبر سنة ١٩٥٢م.
- ٢٥٤- مجلة المنار مصر.
- ٢٥٥- مجموع فتاوى شىخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد
- ٢٥٦- مجموعة الرسائل الكبرى لشىخ الإسلام ابن تيمية، ط١، ١٣٢٢هـ، المطبعة العامرة الشرقية بمصر
- ٢٥٧- مجموعة الرسائل والمسائل لشىخ الإسلام ابن تيمية، توزيع دار لبنان، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

- ٢٥٨- محاضرات إسلامية: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط ١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م
- ٢٥٩- محاضرات إسلامية: للإمام الأكبر محمد الخضر حسين، جمعها وحققها علي الرضا التونسي، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م
- ٢٦٠- محبة الرسول ﷺ بين الإتياع والابتداع، عبد الرؤوف عثمان، مكتبة الضياء، ط ١، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م
- ٢٦١- محمد بهجة البيطار- بهجة الإسلام-، أعده علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م
- ٢٦٢- محمد الخضر حسين حياته وآثاره لمحمد مواعده، الدار الحسينية للكتاب ط ٢، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
- ٢٦٣- محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط ١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م
- ٢٦٤- محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ: للإمام محمد الخضر حسين، إعداد وضبط علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ط ٣، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م
- ٢٦٥- محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ: للإمام محمد الخضر حسين، عناية الأستاذ علي الرضا الحسيني، وطبع الدار الحسينية عام ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م
- ٢٦٦- المختصر الوجيز في علوم الحديث، تأليف د. محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- ٢٦٧- المخططات الماسونية العالمية، د. محمد أحمد دياب، دار المنار، القاهرة، ط ١، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م

٢٦٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، تحقيق وتعليق المعتصم بالله البغدادي، توزيع دار النفائس، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ.

٢٦٩- مدارك الشريعة الإسلامية وسياستها، للشيخ محمد الخضر حسين، أعده علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ط ٣، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م
٢٧٠- المدرسة الفلسفية في الإسلام بين المشائية والإشراقية أ.د. محمد إبراهيم الفيومي ضمن أبحاث ندوة (نحو فلسفة إسلامية معاصرة).

٢٧١- المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، د.عبدالرحمن عميرة، دار اللواء الرياض، ط ٥، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٢٧٢- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر القفاري، دار طيبة، ط ١، ١٤١٢هـ.

٢٧٣- المستدرك على الصحيحين للحاكم، الناشر مكتبة النصر الحديثة، الرياض

٢٧٤- المستصفي من علم الأصول، لأبي حامد الغزالي، تحقيق د. حمزة بن زهير حافظ

٢٧٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الدعوة، دار سحنون، ط ٢
٢٧٦- المسند للإمام أحمد بن حنبل، شرحه وصنع فهارسه الشيخ أحمد محمد شاكر، مكتبة دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، ط ٢

٢٧٧- مشاهد برلين، للشيخ محمد الخضر حسين، أعده علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م

٢٧٨- مشكلة الفلسفة د. إبراهيم زكريا، الناشر مكتبة مصر، شارع كامل صدقي، الفجالة.

- ٢٧٩- مصرع التصوف، أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد للبقاعي، تحقيق وتعليق الشيخ عبدالرحمن الوكيل، ط١، ١٣٧٢هـ- ١٩٥٣م، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة
- ٢٨٠- مصر العثمانية لجورجي زيدان، دار الهلال، عدد ٥١٧، رجب يناير ١٩٩٤م.
- ٢٨١- المعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنة منها، د. عواد ابن عبدالله المعتق، دار العاصمة، الرياض، النشرة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ٢٨٢- معجم البلدان لياقوت الحموي، دار بيروت للطباعة، دار صادر، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٩م
- ٢٨٣- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، قام بإخراج هذه الطبعة د. إبراهيم أنيس زملاؤه، عني بها عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، مطابع قطر الوطنية على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر.
- ٢٨٤- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، بتحقيق وضبط عبدالسلام هارون، طبعة دار الجليل، ط١، ١٤١١هـ.
- ٢٨٥- المغني عن الحفظ والكتاب للإمام الحافظ ضياء الدين أبي حفص عمر ابن بدر بن سعيد الموصلي الحنفي: تقديم وتعليق الإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م
- ٢٨٦- المغني عن الحفظ والكتاب للإمام الحافظ ضياء الدين أبي حفص عمر ابن بدر بن سعيد الموصلي الحنفي: تقديم وتعليق الشيخ محمد الخضر حسين، أعده علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م
- ٢٨٧- مفهوم عقيدة أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة د. ناصر العقل، دار الوطن، ط١

- ٢٨٨- مقدمات في الاعتقاد د. ناصر القفاري، دار الوطن، ط ١، ١٤١٣هـ.
- ٢٨٩- مقدمة الإجماع لابن المنذر، تحقيق: أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
- ٢٩٠- ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط ١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
- ٢٩١- الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.
- ٢٩٢- المنار المنيف في الصحيح والضعيف للإمام ابن القيم الجوزية، حققه العلامة عبدالرحمن المعلمي، أعده وأخرجه منصور بن عبدالعزيز السماري، دار العاصمة، ط ٢، ١٤٢٩هـ- ١٩٩٨م.
- ٢٩٣- مناهج الجدل في القرآن الكريم د. زاهر الألمعي، ط ٣، ١٤٠٤هـ.
- ٢٩٤- مناهج الشرف، للشيخ محمد الخضر حسين، نشره الأستاذ علي الرضا الحسيني، ط ٤، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، الدار الحسينية للكتاب.
- ٢٩٥- منزلة السنة، وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الدار السلفية، الكويت، ط ٣، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
- ٢٩٦- من أعلام العصر د. محمد رجب البيومي الدار المصرية اللبنانية ط ١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- ٢٩٧- من أوراق ومذكرات الإمام محمد الخضر حسين - رسائل الخضر -: جمعه الأستاذ علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ط ١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

- ٢٩٨- من أوراق ومذكرات الإمام محمد الخضر حسين - رسائل الخضر -:
للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار
النوادر، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م
- ٢٩٩- منهاج السنة النبوية لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلام، ط ١، ١٤٠٦هـ
- ٣٠٠- منهج الأشاعرة في العقيدة، د. سفر الحوالي، الدار السلفية،
الكويت، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- ٣٠١- منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة لتامر متولي، دار ماجد
عسيري، المملكة العربية السعودية، جدة، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٣٠٢- مهرجان ابن عاشور ل: بلقاسم حسن مقالات، وأبحاث، تونس
١٩٨٤م.
- ٣٠٣- الموجز في المذاهب والأديان المعاصرة، للشيخ: د. ناصر العقل،
د. ناصر القفاري، دار الصمعي، ط ١، ١٤١٣هـ.
- ٣٠٤- موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي لسعدي أبو جيب، دار الفكر،
دمشق، ط ٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٣٠٥- موسوعة التاريخ الإسلامي لأحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية
ط ١٠، ١٩٩٢م.
- ٣٠٦- موقف ابن تيمية من الأشاعرة د. عبد الرحمن الحمود، مكتبة الرشد،
الرياض ط ٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

- ٣٠٧- النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دراسة وتحقيق محمد عبدالرحمن عوض، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.، وط أضواء السلف، تحقيق د. عبدالعزيز الطويان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- ٣٠٨- نظرات في الإسلام وأصول الحكم الإمام محمد الخضر حسين إعداد وتحقيق علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م
- ٣٠٩- نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام د. سارة بنت عبدالمحسن بن جلوي آل سعود، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م
- ٣١٠- نقد أصول الشيوعية، للشيخ صالح بن سعد اللحيان
- ٣١١- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم: للإمام محمد الخضر حسين، حققه علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية ١٤١٧هـ-١٩٩٧م
- ٣١٢- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م
- ٣١٣- نقض كتاب في الشعر الجاهلي: تأليف السيد محمد الخضر حسين، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة
- ٣١٤- نقض كتاب في الشعر الجاهلي: للإمام محمد الخضر حسين، حققه علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية، ط٣، ١٤١٠هـ
- ٣١٥- نقض كتاب في الشعر الجاهلي: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م
- ٣١٦- النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزواوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.
- ٣١٧- نواقض الإيمان القولية والعملية، د. عبدالعزيز بن محمد عبداللطيف، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١٥هـ

٣١٨- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، للعلامة محمد بن علي الشوكاني، تقديم وتقرىظ د. وهبة الزحيلي، توزع دار الصمعي، الرياض، ودار الخير، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م

«هـ»

٣١٩- الهداية الإسلامية: للشيخ محمد الخضر حسين، جمعه علي الرضا التونسي، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م

٣٢٠- الهداية الإسلامية: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م

٣٢١- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية، دار الريان، تقديم وتحقيق د. أحمد حجازي السقا، دار المطبعة السلفية.

٣٢٢- هدى ونور: للإمام محمد الخضر حسين، اعتنى به علي الرضا الحسيني، مؤسسة دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م

٣٢٣- هدى ونور: للإمام محمد الخضر حسين، جمعه الأستاذ علي الرضا الحسيني، ط عام ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، الدار الحسينية للكتاب

٣٢٤- هذه هي الصوفية، تأليف الشيخ عبدالرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٩٨٤م.

«و»

٣٢٥- الوجود والنظائر في القرآن الكريم دراسة وموازنة د. سليمان القرعاوي، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٣٢٦- ومضات فكر للشيخ محمد الفاضل بن عاشور، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٢م.

فهرس الموضوعات

٣	- المقدمة :
٢٣	تمهيد : عصر الشيخ محمد الخضر
٢٣	- مدخل : مراحل حياة الشيخ الخضر
٢٥	المطلب الأول : حال العالم الإسلامي
٣٢	المطلب الثاني : حال البلاد التونسية
٣٩	المطلب الثالث : حال البلاد المصرية
٤٥	الباب الأول : الشيخ محمد الخضر : حياته ومؤلفاته
٤٩	الفصل الأول : حياة الشيخ محمد الخضر
٤٩	المبحث الأول : نشأته
٤٩	المطلب الأول : اسمه ومولده ونسبه
٥٥	المطلب الثاني : تلقيه العلم
٦٣	المبحث الثاني : أعماله
٦٤	المطلب الأول : أعماله في المرحلة التونسية
٦٨	المطلب الثاني : أعماله في المرحلة السورية
٧٢	المطلب الثالث : أعماله في المرحلة المصرية
٨٣	المبحث الثالث : أخلاقه وصفاته
١٠٣	الفصل الثاني : مؤلفات الشيخ محمد الخضر
١٠٣	تمهيد : ملحوظات حول علمية الشيخ ومؤلفاته
١٠٩	مؤلفاته : عرض وتعريف ودراسة
١٠٩	الأول : أسرار التنزيل
١١١	الثاني : بلاغة القرآن

- ١١٦ الثالث: دراسات في الشريعة الإسلامية
- ١١٧ الرابع: محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ
- ١٢٤ الخامس: تراجم الرجال
- ١٢٥ السادس: الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان
- ١٢٧ السابع: محاضرات إسلامية
- ١٣٠ الثامن: رسائل الإصلاح
- ١٣٤ التاسع: الدعوة إلى الإصلاح
- ١٣٩ العاشر: دراسات في العربية وتاريخها
- ١٤٥ الحادي عشر: دراسات في اللغة
- ١٤٧ الثاني عشر: الخيال في الشعر العربي، ودراسات أدبية
- ١٥٣ الثالث عشر: ديوان: خواطر الحياة
- ١٥٩ الرابع عشر: نقض كتاب في الشعر الجاهلي
- ١٦٤ الخامس عشر: نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم
- ١٦٦ السادس عشر: جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية
- ١٦٧ السابع عشر: القاديانية والبهاية
- ١٦٨ الثامن عشر: الهداية الإسلامية
- ١٧٠ التاسع عشر: أحاديث في رحاب الأزهر
- ١٧١ العشرون: تونس وجامعة الزيتونة
- ١٧٣ الحادي والعشرون: من أوراق ومذكرات الإمام محمد الخضر حسين -رسائل الخضر-
- ١٧٤ الثاني والعشرون: الرحلات
- ١٧٥ الثالث والعشرون: هدى ونور
- ١٧٧ الرابع والعشرون: السعادة العظمى
- الخامس والعشرون: تقديم وتعليق على كتاب: المغني عن الحفظ والكتاب للإمام
- ١٨٢ الحافظ ضياء الدين أبي حفص عمر بن بدر بن سعيد الموصلي الحنفي

- ١٨٣ السادس والعشرون: الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين
- ١٨٥ السابع والعشرون: كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين
- ١٨٦ الثامن والعشرون: الإمام محمد الخضر حسين بأفلام نخبة من أهل الفكر
- ١٨٦ التاسع والعشرون: ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر
- ١٨٧ الثلاثون: الإمام الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي
- ١٨٩ **الباب الثاني: منهج الشيخ محمد الخضر في إثبات العقيدة**
- ١٩١ **الفصل الأول: منهج الشيخ محمد الخضر في تلقي العقيدة وإثبات أهميتها**
- ١٩٢ المبحث الأول: منهجه في التلقي والاستدلال
- ١٩٢ المطلب الأول: منهجه في تلقي العقيدة
- ١٩٩ المطلب الثاني: منهجه في الاستدلال
- ٢٠٦ المبحث الثاني: مصادره في تلقي العقيدة
- ٢٠٧ المطلب الأول: المصدر الأول: القرآن الكريم
- ٢٠٧ أولاً: تعظيمه للقرآن، وإثباته أنه كلام الله، واعتقاده عصمته:
- ٢٠٨ ثانياً: عنايته بالإعجاز البياني للقرآن
- ٢١١ ثالثاً: دراسته لموضوعات وردت في القرآن الكريم
- ٢١٢ رابعاً: عنايته بالتفسير
- ٢١٤ خامساً: كثرة استشاده بالقرآن الكريم، ورجوعه إليه
- ٢١٥ سادساً: تعرضه لمسألة نقل معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية
- ٢١٥ سابعاً: نقضه لآراء حديثة في تفسير القرآن
- ٢١٨ ثامناً: مواجهته للانحرافات في تأويل القرآن
- ٢٢٥ المطلب الثاني: المصدر الثاني: السنة النبوية
- ٢٢٥ أولاً: تجليله لمفهوم السنة، وكثير من مصطلحاتها
- ٢٢٦ ثانياً: بيانه لمنزلة السنة، وحجيتها
- ٢٢٩ ثالثاً: كثرة استشاده بالحديث، وعنايته بالعزو والتصحيح والتضعيف

- ٢٣٢ رابعاً: عنايته بمسألة الوضع في الحديث
- ٢٣٥ خامساً: احتفاؤه بكتب السنة
- ٢٤١ سادساً: عنايته البالغة بألفاظ الحديث النبوي
- ٢٤٥ سابعاً: وقوفه في وجوه المؤولين والمحرفين للأحاديث النبوية
- ٢٤٨ المبحث الثالث: منهجه في إثبات أهمية العقيدة
- ٢٤٨ تمهيد: في مفهوم العقيدة
- ٢٥٢ مظاهر منهجه في إثبات أهمية العقيدة
- ٢٥٢ أولاً: كثرة ذكره للعقيدة، وعنايته بها
- ٢٥٢ ثانياً: تنويهه بشأن العقيدة، وتعداده لمزاياها
- ٢٥٤ ثالثاً: يرى أن أمر العقيدة أعظم وأولى ما يدعى إليه
- ٢٥٦ رابعاً: رده المزاعم التي تزري بالعقيدة وتقدم غيرها عليها
- ٢٥٦ خامساً: تحذيره البالغ من التهاون بشأن العقيدة
- ٢٥٧ سادساً: غيرته الشديدة على العقيدة
- ٢٥٩ سابعاً: اعتزازه بالسلف الصالح
- ٢٦٠ ثامناً: تعظيمه لأئمة السلف الذين نهضوا بالعقيدة
- ٢٦١ تاسعاً: اعتزازه بالعقيدة الإسلامية
- ٢٦٢ عاشراً: أنه يرى ضرورة التربية على العقيدة
- ٢٦٤ حادي عشر: تحذيره من زيغ العقيدة، وعزوه كثيراً من الانحرافات إليه
- ٢٦٩ **الفصل الثاني: منهج الشيخ محمد الخضر في إثبات أصول العقيدة**
- ٢٧١ تمهيد
- ٢٧٣ المبحث الأول: منهجه في إثبات الوجدانية لله
- ٢٧٣ المطلب الأول: منهجه في إثبات الإيمان بالله
- ٢٧٣ أولاً: مفهوم الإيمان بالله عند السلف
- ٢٧٤ ثانياً: مفهوم الإيمان بالله ومعرفته عند الأشاعرة

- ٢٧٦ ثالثاً: منهج الشيخ الخضر في إثبات الإيمان بالله
- ٢٨٤ المطلب الثاني: منهجه في إثبات الأسماء والصفات
- ٢٨٦ أولاً: قوله في صفة الكلام
- ٢٨٧ ثانياً: قوله في صفة الرحمة
- ٢٨٨ ثالثاً: قوله في صفة الغضب
- ٢٨٩ رابعاً: قوله في صفة الاستهزاء
- ٢٨٩ خامساً: قوله في صفة المكر
- ٢٩٠ سادساً: قوله في صفة المحبة
- ٢٩٠ سابعاً: قوله في الرؤية
- ٢٩٢ المطلب الثالث: إشكالات في بعض التأويلات
- ٢٩٩ المبحث الثاني: منهجه في إثبات الإيمان بالملائكة والكتب
- ٢٩٩ المطلب الأول: منهجه في إثبات الإيمان بالملائكة
- ٢٩٩ مدخل: في مفهوم الإيمان بالملائكة
- ٣٠١ منهجه في الملائكة
- ٣٠٢ أولاً: تطرقه لتعريف الملائكة
- ٣٠٢ ثانياً: تقريره أن الملائكة لا يعلمون الغيب
- ٣٠٣ ثالثاً: استخلاصه العبر من مراجعة الملائكة للرب -جل وعلا-
- ٣٠٥ رابعاً: إثباته كفر من أنكر الملائكة أو عاداهم
- ٣٠٥ خامساً: بيانه لحقيقة إبليس
- ٣٠٦ سادساً: إثباته أن الملائكة عباد لله ، وإنكاره على من عبدهم من دونه
- ٣٠٧ سابعاً: رده على الانحرافات في تأويل الملائكة
- ٣١٠ المطلب الثاني: منهجه في إثبات الإيمان بالكتب
- ٣١١ أولاً: يقرر أن الإيمان بالقرآن يستلزم الإيمان بجميع الكتب المنزلة
- ٣١١ ثانياً: يقرر أن الكتب السماوية تفاضل

- ٣١٢ ثالثاً: يثبت أن الشرائع سماوية ووضعية
- ٣١٣ رابعاً: التعرض لما في الكتب السماوية من البشارات
- ٣١٥ خامساً: رده على شبهة أن للقرآن مصادر من اليهودية والنصرانية
- ٣١٨ المبحث الثالث: منهجه في إثبات الإيمان بالرسول، واليوم الآخر، والقدر
- ٣١٨ المطلب الأول: منهجه في إثبات الإيمان بالرسول
- ٣١٨ مدخل: مفهوم الإيمان بالرسول: أولاً تعريف النبوة والرسالة في اللغة:
- ٣١٨ ١- تعريف النبوة في اللغة
- ٣١٩ ٢- تعريف الرسالة في اللغة
- ٣١٩ ثانياً: تعريف النبوة والرسالة في الشرع
- ٣١٩ ثالثاً: الفرق بين النبي والرسول
- ٣٢٠ رابعاً: حقيقة الأنبياء والرسول
- ٣٢١ خامساً: ما يتضمنه الإيمان بالرسول
- ٣٢١ معالم منهجه في إثبات الإيمان بالرسول
- ٣٢١ أولاً: إيضاحه مفهوم الإيمان بالرسول وما يتضمنه
- ٣٢٢ ثانياً: عنايته ببعثة الأنبياء والرسول، وأخبارهم، وقصصهم مع أقوامهم
- ٣٢٣ ثالثاً: عنايته بدراسة دلائل النبوة
- ٣٢٨ رابعاً: إثباته لعقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية
- ٣٣٠ خامساً: عنايته بالسيرة النبوية عموماً
- ٣٣١ سادساً: دفاعه عن مقام النبوة
- ٣٣٢ المطلب الثاني: منهجه في إثبات الإيمان باليوم الآخر
- ٣٣٢ أولاً: بيانه معنى الإيمان باليوم الآخر، ومفهومه
- ٣٣٣ ثانياً: بيانه ثمرات الإيمان باليوم الآخر
- ٣٣٣ ثالثاً: إيضاحه حكم من أنكر اليوم الآخر
- ٣٣٣ رابعاً: إثباته أن النعيم والعذاب الأخروي شامل للروح والبدن

- ٣٣٤ خامساً: إثباته أبدية الجنة والنار
- ٣٣٤ سادساً: رده على من أنكر البعث، والجزاء، والحساب
- ٣٣٥ المطلب الثالث: منهجه في إثبات الإيمان بالقدر
- ٣٣٥ أولاً: إثباته القدر، ومشية العبد واختياره
- ٣٣٦ ثانياً: تقريره لمفهوم التوكل، وأنه لا ينافي فعل الأسباب
- ٣٣٨ ثالثاً: إيضاحه لبعض الإشكالات المثارة في القدر
- ٣٤٠ رابعاً: إثباته الحكمة والتعليل في أفعال الله، وردة على من أنكرها
- ٣٤٤ خامساً: تعرضه لنشأة القول بالقدر
- ٣٤٥ **الفصل الثالث: منهج الشيخ محمد الخضر في إثبات المسائل المتعلقة بالعقيدة**
- ٣٤٧ تمهيد
- ٣٤٨ المبحث الأول: منهجه في باب الإيمان
- ٣٤٨ أولاً: تطرقه للفرق بين الإسلام والإيمان
- ٣٤٩ ثانياً: تطرقه لمسألة الصغائر والكبائر
- ٣٥٢ ثالثاً: تعرضه لبعض مسائل أسماء الدين
- ٣٥٤ رابعاً: تعرضه لبعض موانع إنفاذ الوعيد
- ٣٥٩ خامساً: تطرقه لمسألة بلوغ الدعوة، وقيام الحجّة
- ٣٦٢ المبحث الثاني: منهجه في باب العبادة:
- ٣٦٣ أولاً: بيانه لمفهوم العبادة
- ٣٦٣ ثانياً: إثباته شروط قبول العبادة
- ٣٦٤ ثالثاً: إثباته أركان العبادة
- ٣٦٥ رابعاً: عنايته بأعمال القلوب
- ٣٦٧ خامساً: عنايته بأمهات العبادات
- ٣٧١ المبحث الثالث: منهجه في بابي الصحابة والإمامة
- ٣٧١ المطلب الأول: منهجه في باب الصحابة

- ٣٨٣ المطلب الثاني : منهجه في باب الإمامة والخلافة
- ٣٩٣ الباب الثالث : منهج الشيخ محمد الخضر في الرد على المخالفين
- ٣٩٥ الفصل الأول : مصادر الشيخ محمد الخضر ووسائله في الرد على المخالفين
- ٣٩٧ المبحث الأول : مصادره في الرد على المخالفين
- ٣٩٨ المطلب الأول : المصدر الأول : القرآن الكريم
- ٣٩٨ أولاً : إيراد الآيات في بداية الردود و ختامها
- ٤٠٠ ثانياً : الاستشهاد بالقرآن لتأييد ما يذهب إليه
- ٤٠٠ ثالثاً : إبطال ما يذهب إليه المخالف من الاستدلال بالقرآن
- ٤٠٢ المطلب الثاني : المصدر الثاني : الحديث النبوي
- ٤٠٢ أولاً : اعتماده المصادر الأصلية في الحديث
- ٤٠٤ ثانياً : استدلاله بالحديث النبوي على تأييد التأويل الصحيح لما جاء في القرآن الكريم
- ٤٠٦ ثالثاً : استدلاله بالحديث على إبطال المزاعم الكاذبة
- ٤٠٨ رابعاً : نعيه على من يعتمد في الاستدلال بالأحاديث النبوية على غير الكتب الأصلية
- ٤١١ خامساً : إبطاله استشهاد المخالف بالحديث النبوي على معنى فاسد
- ٤١٢ سادساً : رجوعه إلى شروح الحديث في بيان معنى بعض الأحاديث التي يسوقها لتأييد ردوده
- ٤١٤ سابعاً : اعتناؤه في ردوده بصحة الأحاديث وبيان درجتها
- ٤١٧ المطلب الثالث : المصدر الثالث : الإجماع
- ٤١٨ أولاً : إثباته حجية الإجماع
- ٤٢١ ثانياً : استناده على الإجماع في مسألة نصب الإمام
- ٤٢٢ ثالثاً : رده الشبهة المثارة حول الإجماع
- ٤٢٥ رابعاً : استناده على الإجماع في منازلاته و ردوده
- ٤٢٧ المطلب الرابع : المصدر الرابع : الكتب المؤلفة
- ٤٢٨ أولاً : رجوعه بكثرة إلى مؤلفين معينين
- ٤٢٨ ١. شيخ الإسلام ابن تيمية

- ٤٣٢ ٢. ابن قيم الجوزية
- ٤٣٣ ٣. أبو بكر بن العربي
- ٤٣٥ ٤. الشاطبي
- ٤٣٥ ثانياً: مصادره الأخرى بحسب الكتب المؤلفة في شتى الفنون
- ٤٣٦ ١. مصادره في التفسير وعلوم القرآن
- ٤٣٧ ٢. مصادره في الحديث وشروحه
- ٤٣٧ ٣. مصادره في العقائد والفرق
- ٤٣٧ ٤. مصادره في الفقه وأصوله، ومقاصد الشريعة
- ٤٣٧ ٥. مصادره في اللغة، والنحو، والبلاغة
- ٤٣٨ ٦. مصادره في الأدب
- ٤٣٨ ٧. مصادره في التواريخ، والتراجم، والسياسة، والاجتماع
- ٤٤٠ المبحث الثاني: وسائله في الرد على المخالفين
- ٤٤٠ تمهيد
- ٤٤١ المطلب الأول: وسائل الإعلام
- ٤٤١ أولاً: تأسيس المجالات
- ٤٤٣ ثانياً: نشر المقالات والتعليقات والردود
- ٤٤٤ ثالثاً: إجابة المستفتين والسائلين عبر الصحف
- ٤٤٥ رابعاً: إلقاء الأحاديث الإذاعية
- ٤٤٨ المطلب الثاني: إلقاء المحاضرات
- ٤٤٨ أشهر تلك المحاضرات: الأولى: محاضرة (الحرية في الإسلام)
- ٤٥٠ الثانية: محاضرة (العظمة)
- ٤٥٠ الثالثة: محاضرتان في (نقد آراء الأستاذ فريد وجدي من الناحية الدينية والاجتماعية)
- ٤٥٠ الرابعة: محاضرة (حياة اللغة العربية)
- ٤٥٠ الخامسة: محاضرة (التصوف في القديم والحديث)

- ٤٥١ المطلب الثالث: تأسيس الجمعيات
- ٤٥١ أولاً: مشاركته في تأسيس الجمعيات
- ٤٥٢ ثانياً: تأسيس الجمعيات الإصلاحية
- ٤٥٢ ثالثاً: أسباب تأسيسه للجمعيات وأهدافها
- ٤٥٦ رابعاً: أعمال الجمعيات، وجهودها في الرد على المخالفين
- ٤٦٠ المطلب الرابع: تأليف الكتب واستعمال وسيلتي: الحوار والشعر
- ٤٦٠ أولاً: تأليفه الكتب في الرد على المخالفين
- ٤٦١ ثانياً: وسيلة الحوار
- ٤٦٤ ثالثاً: وسيلة الشعر
- ٤٧٣ الفصل الثاني: أساليب الشيخ محمد الخضر في الرد على المخالفين
- ٤٧٥ تمهيد
- ٤٧٦ المبحث الأول: أساليبه الأدبية
- ٤٧٧ المطلب الأول: لزوم الإخلاص والأمانة والإنصاف
- ٤٧٧ أولاً: إخلاص النية، وسلامة المقاصد في الردود
- ٤٨٠ ثانياً: الأمانة العلمية
- ٤٨٤ ثالثاً: لزوم الإنصاف
- ٤٩٥ المطلب الثاني: طهارة المنطق ونزاهة القلم ومقابلة الإساءة بالإحسان
- ٤٩٥ أولاً: طهارة المنطق، ونزاهة القلم
- ٤٩٧ ثانياً: مقابلة الإساءة بالإحسان أو الإغضاء
- ٥١٢ المبحث الثاني: أساليبه الأدبية
- ٥١٢ مدخل: المقصود بالأساليب البيانية
- ٥١٥ المطلب الأول: جمال العرض
- ٥١٥ أولاً: العناية باختيار عنوانات الردود
- ٥١٨ ثانياً: براعة الاستهلال

- ٥٣٠ ثالثاً. عنونة الأفكار
- ٥٣٠ رابعاً: استخدام أسلوب التلخيص
- ٥٣١ خامساً: توظيف الثقافة والمعارف لخدمة الموضوع
- ٥٣٢ سادساً: العناية بحسن الختام
- ٥٣٦ المطلب الثاني: جودة البيان، وإحكام صناعة الكتابة
- ٥٤٩ المبحث الثالث: أساليبه المنهجية
- ٥٤٩ المطلب الأول: مفهوم أساليبه المنهجية وميزاتها
- ٥٤٩ أولاً: مفهوم أساليبه المنهجية
- ٥٥٠ ثانياً: ميزات أساليبه المنهجية
- ٥٥٠ ١- الاطراد
- ٥٥١ ٢- الشمولية
- ٥٥١ ٣- الواقعية
- ٥٥٢ ٤- التوجه إلى الأفكار دون الأشخاص
- ٥٥٥ ٥- إحكام النقص وقوة الإبطال
- ٥٦٠ المطلب الثاني: أسلوب الاستقراء والتتبع والاستقصاء
- ٥٦٢ أولاً: التمهيص والتدقيق
- ٥٦٥ ثانياً: قوة الملاحظة، وقراءة ما بين السطور
- ٥٧٠ ثالثاً: حلُّ الالتباس، وتصحيح الخطأ
- ٥٧٢ المطلب الثالث: أسلوب محاصرة الخصم بالحجج
- ٥٧٢ أولاً: إلزام الخصم
- ٥٧٣ ثانياً: مطالبة الخصم بأرضية لحسم الخلاف
- ٥٧٤ ثالثاً: إظهار تناقض الخصم
- ٥٧٧ رابعاً: مناقشة الخصم في إخلاله بالأمانة العلمية
- ٥٨٠ خامساً: رد البضاعة إلى أصحابها

- ٥٨٢ سادساً: نقد المنهج الذي يستقي منه الخصم
- ٥٨٤ سابغاً: مطالبة الخصم بصحة الدليل ، وصدق الدعوى
- ٥٨٥ ثامناً: إظهار جهل المخالف بالمسألة المثارة
- ٥٨٦ تاسعاً: تهوين شبه الخصم وإرهابه
- ٥٨٨ عاشراً: ترك المناقشة لبعض الشبه
- ٥٨٩ المطلب الرابع: الأخذ بالشدة ، وطول النفس
- ٥٨٩ أولاً: الأخذ بأسلوب الشدة ، والنقد اللاذع
- ٥٩٩ ثانياً: الأخذ بأسلوب النفس الطويل
- ٦٠٧ الباب الرابع: مواجهات الشيخ محمد الخضر للفرق والدعاوى الضالة ، والانحرافات العقيدية
- ٦٠٩ الفصل الأول: مواجهات الشيخ محمد الخضر للفرق والدعاوى الضالة في عصره
- ٦١١ المبحث الأول: مواجهته لفرقتي البابية والبهائية
- ٦١١ مدخل: نبذة عن البابية والبهائية:
- ٦١١ أولاً: البابية
- ٦١٥ ثانياً: البهائية
- ٦١٧ مواجهة الشيخ الخضر للبابية والبهائية
- ٦١٨ المطلب الأول: تعريفه بهم ، وأصولهم
- ٦١٨ أولاً: يقرر أن البهائية نسبة إلى بهاء الله ميرزا حسين علي
- ٦١٨ ثانياً: يقرر الشيخ الخضر أنه بعد قتل الباب وقع الخلاف فيمن ينوب عنه
- ٦١٩ ثالثاً: إثباته علاقة البابية والبهائية بالباطنية
- ٦٢٣ رابعاً: يرى أن البهائية أخلاط من عدة مذاهب
- ٦٢٥ المطلب الثاني: دراسته لتعاليمهم ، وعقائدهم ، وعدائهم للمسلمين
- ٦٢٦ أولاً: تطرقه لمزاعمهم في نسخ شريعة الإسلام
- ٦٢٦ ثانياً: تعرضه لاعتقادهم في الحشر ، والجنة ، والنار
- ٦٢٧ ثالثاً: تعرضه لاعتقادهم بنبوة محمد ﷺ

- ٦٢٧ رابعاً: بيانه عداؤهم للإسلام والمسلمين
- ٦٢٨ خامساً: تحذيره منهم وبيانه الواجب نحوهم
- ٦٣١ المبحث الثاني: مواجهته لفرقة القاديانية
- ٦٣١ مدخل: نبذة في القاديانية
- ٦٣٣ مواجهة الشيخ الخضر للقاديانية
- ٦٣٥ أولاً: تقريره خطورة ادعاء النبوة
- ٦٣٦ ثانياً: بيانه الدافع له على التأليف في القاديانية
- ٦٣٧ ثالثاً: إثباته أن القاديانية وليدة الباطنية
- ٦٣٧ رابعاً: تعرضه لدراسة مؤسس القاديانية
- ٦٣٨ خامساً: تكذيبه لدعاوى القادياني في زعمه أن له آيات تدل على صدقه
- ٦٣٩ سادساً: إنكاره على القادياني غروره وتفضيله نفسه على رسل الله
- ٦٤٠ سابعاً: إثباته أن القادياني يُكفر من لا يؤمن برسالته
- ٦٤١ ثامناً: بيانه أن القاديانية فرقتان
- ٦٤١ تاسعاً: تفنيده شبه القاديانية، ونقضه شبهتهم
- ٦٤٢ عاشراً: إيجابه مقاومة القاديانية، والتحذير من دعايتهم
- ٦٤٣ حادي عشر: احتفاؤه بالتائبين المتبرئين من القاديانية
- ٦٤٦ المبحث الثالث: مواجهته للتنصير
- ٦٤٦ مدخل: نبذة في التنصير
- ٦٤٧ مواجهة الشيخ الخضر للتنصير
- ٦٤٨ المطلب الأول: مواجهته العامة للتنصير
- ٦٤٨ أولاً: مواجهة التنصير عبر الجمعيات، والمجلات
- ٦٤٩ ثانياً: إطلاقه النداءات المحذرة من جهود المنصرين
- ٦٤٩ ثالثاً: مواجهة التنصير عن طريق تأليف الكتب في السيرة النبوية
- ٦٥١ المطلب الثاني: مواجهته للمدارس الأجنبية

- ٦٥١ أولاً: تحذيره من المدارس الأجنبية
- ٦٥٢ ثانياً: نصحه لأولياء الأمور بالألّا يلحقوا أبناءهم بتلك المدارس
- ٦٥٣ ثالثاً: إنكاره على من يلحق أولاده بالمدارس الأجنبية
- ٦٥٥ رابعاً: سوقه الشواهد والقصاص على الآثار الوخيمة لتلك المدارس
- ٦٥٥ خامساً: حثه على إخراج من التحق بتلك المدارس
- ٦٥٨ المبحث الرابع: مواجهته للروحية الحديثة (دعوى تحضير الأرواح)
- ٦٥٨ تمهيد: مفهوم الروحية الحديثة
- ٦٦٠ مواجهة الشيخ الخضر لهذه الدعوة
- ٦٦٠ أولاً: يرى الشيخ الخضر أن هذه الدعوة داخلية في قبيل الشعوذة
- ٦٦١ ثانياً: أبان الشيخ أن هذه الدعوة محل إنكار حتى عند غير المسلمين
- ٦٦١ ثالثاً: يستشهد على بطلان هذه الدعوة بأقوال بعض المنكرين لها
- ٦٦٣ رابعاً: إيراده أقوال بعض من يثبتون صحة تلك الدعوة
- ٦٦٥ خامساً: إثباته بطلان تلك الدعوى
- ٦٦٧ **الفصل الثاني: مواجهات الشيخ محمد الخضر للانحرافات العقدية**
- ٦٦٩ المبحث الأول: موقفه من الفلسفة
- ٦٦٩ مدخل: نبذة في الفلسفة
- ٦٧٦ موقف الشيخ الخضر من الفلسفة
- ٦٧٧ المطلب الأول: بيانه لموقف الإسلام من الفلسفة
- ٦٧٨ أولاً: بيانه مبدأ نشأة الفلسفة، ومفهومها، وتطورها
- ٦٧٩ ثانياً: يرى أن الإسلام لا يعارض بعض قضايا الفلسفة
- ٦٨٠ ثالثاً: يرى أن علماء الإسلام بحثوا في الفلسفة، ووزنوها بميزان الشرع
- ٦٨١ رابعاً: إثباته ما يوجد في بعض آراء الفلسفة والفلاسفة من تناقض
- ٦٨١ خامساً: يرى أن توضع الفلسفة في إطارها الصحيح
- ٦٨١ سادساً: إنكاره على من يتخذ الفلسفة مطية للطعن في الدين

- ٦٨٢ سابعاً: يقرر أن الدين حاكم على الفلسفة
- ٦٨٢ ثامناً: تعرضه لموقف الفلسفة من المعجزات
- ٦٨٥ المطلب الثاني: تعرضه لبعض آراء الفلاسفة
- ٦٨٥ أولاً: نقدُه بعض الآراء لقدماء الفلاسفة
- ٦٨٧ ثانياً: تعرضه لمنهج ابن سينا في البحث
- ٦٨٩ ثالثاً: تطرقه للفلسفة عند علماء الأندلس
- ٦٩٠ رابعاً: بحثه في آراء الفلاسفة في السعادة
- ٦٩٥ خامساً: تعرضه لمناهج بعض الفلاسفة المُحدَثين
- ٦٩٦ المطلب الثالث: تعرضه لصلة الفلسفة بالتصوف والباطنية والشعر
- ٦٩٦ أولاً: بيانه صلة الفلسفة بالتصوف
- ٦٩٧ ثانياً: بيانه علاقة الفلسفة بالباطنية
- ٧٠١ ثالثاً: تعرضه للعلاقة بين الفلسفة والشعر
- ٧٠٦ المبحث الثاني: موقفه من التصوف
- ٧٠٨ المطلب الأول: دراسته العامة للتصوف
- ٧٠٨ أولاً: ما جاء في بحثه (التصوف في القديم والحديث)
- ٧١٦ ثانياً: ما جاء في بحثه: (التصوف)
- ٧٢٤ المطلب الثاني: دراسته الخاصة لبعض قضايا التصوف
- ٧٢٤ أولاً: بحثه في طرق الصوفية والإصلاح
- ٧٣٢ ثانياً: تعرضه لبعض بدع الصوفية
- ٧٣٤ ثالثاً: تعرضه لبعض المصطلحات الصوفية
- ٧٤٣ المبحث الثالث: موقفه من التشيع
- ٧٤٣ مدخل: نبذة في مفهوم التشيع
- ٧٤٥ المطلب الأول: موقفه من التشيع عموماً
- ٧٥٣ المطلب الثاني: موقفه من بعض قضايا التشيع

- ٧٥٣ أولاً: التفسير الباطني ، وصلته بالتشيع
- ٧٥٤ ثانياً: ادعاء المهديّة عند الشيعة
- ٧٥٥ ثالثاً: تعرضه لطنن الشيعة في الصحابة
- ٧٥٦ رابعاً: تعرضه لكذبهم ووضعهم في الحديث
- ٧٥٩ المبحث الرابع: مواجهته للشرك والبدع
- ٧٥٩ مدخل
- ٧٦٠ المطلب الأول: مواجهته للشرك
- ٧٦٠ تمهيد في مفهوم الشرك
- ٧٦١ مواجهة الشيخ الخضر للشرك
- ٧٦١ أولاً: مفهوم الشرك والتحذير منه
- ٧٦٣ ثانياً: الشرك الذي وقعت فيه الأمم
- ٧٦٤ ثالثاً: السحر
- ٧٦٩ رابعاً: الغلو في النبي ﷺ
- ٧٧٠ خامساً: الرياء
- ٧٧١ سادساً: الاعتقاد بتصرف الجن
- ٧٧٢ سابعاً: الاستسقاء غير المشروع
- ٧٧٢ ثامناً: الحلف بغير الله
- ٧٧٣ تاسعاً: الطيرة والتطير
- ٧٧٩ عاشراً: الاستقسام بالأزلام
- ٧٨٠ حادي عشر: التمام
- ٧٨٤ المطلب الثاني: مواجهته للبدع
- ٧٨٦ أولاً: دراسته للبدع عموماً
- ٧٩٤ ثانياً: دراسته الخاصة لبعض مسائل البدع
- ٨٠٩ المبحث الخامس: مواجهته للإلحاد

- المطلب الأول: دراسته ظاهرة الإلحاد ٨١١
- المطلب الثاني: دراسته لبعض قضايا الإلحاد ٨١٦
- المطلب الثالث: ردوده على من يسوغ الإلحاد ٨٢٣
- الباب الخامس: موقف الشيخ محمد الخضر من القضايا الفكرية المعاصرة ٨٢٧
- تمهيد ٨٢٩
- الفصل الأول: موقف الشيخ محمد الخضر من العلمانية ٨٣١
- تمهيد: مفهوم العلمانية ٨٣٣
- المبحث الأول: معاصرتة لظهور العلمانية في بلاد الإسلام ٨٣٦
- المبحث الثاني: إثباته صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان ٨٥٦
- أولاً: دراساته المستقلة في إثبات صلاحية الشريعة ٨٥٧
- ثانياً: إجابته عن الأسئلة الواردة في مراعاة التشريع الإسلامي لظروف الزمان والمكان ٨٦١
- ثالثاً: إثباته أن الإسلام جاء بنظام شامل كامل للحكم ٨٦٣
- رابعاً: بحثه في مسائل كثيرة في التشريع الإسلامي وصلاحيته ٨٦٤
- المبحث الثالث: مواجهته للعلمانية ٨٦٧
- المطلب الأول: مواجهته لأكابر المنظرين للعلمانية، أو بعض مسائلها ٨٦٨
- أولاً: الشيخ علي عبدالرازق ٨٦٨
- ثانياً: الدكتور طه حسين ٨٧٠
- ثالثاً: محمد أبو زيد الدمنهوري ٨٧٠
- رابعاً: الشيخ عبدالمتعال الصعيدي ٨٧١
- خامساً: الأستاذ فريد وجدي ٨٧٢
- سادساً: الشيخ محمود شلتوت ٨٧٢
- سابعاً: صاحب مقالة (داء الشرق ودواؤه) ٨٧٣
- ثامناً: صاحب مقالة: (من محام عاقل) ٨٧٣
- المطلب الثاني: تقسيمه لدعاة العلمانية، وبيانه آثارها ٨٧٤

- أولاً: تقسيمه لدعاة العلمانية ٨٧٤
- ثانياً: دَحْضُهُ المزاعم التي تدعي فوائد العلمانية ٨٧٥
- ثالثاً: بيانه الآثار المترتبة على العلمانية ٨٧٥
- الفصل الثاني: موقف الشيخ محمد الخضر من قضية الحرية** ٨٧٩
- المبحث الأول: جهوده في التأسيس لقضية الحرية** ٨٨١
- المبحث الثاني: مفهوم الحرية عنده** ٨٨٩
- المطلب الأول: معالم الحرية** ٨٩٠
- أولاً: تعريف الحرية وحدودها: ١- تعريفها في الأصل الوضعي اللغوي ٨٩٠
- ٢- تعريف الحرية باصطلاح الصوفية ٨٩٠
- ٣- الحرية في الاصطلاح المعاصر ٨٩١
- ٤- الحرية فضيلة وسط ٨٩١
- ثانياً: خصال الحرية ٨٩١
- ثالثاً: قاعدتا الحرية ٨٩٢
- المطلب الثاني: أنواع الحرية** ٨٩٦
- أولاً: الحرية في الأموال ٨٩٦
- ثانياً: الحرية في الأعراض ٨٩٨
- ثالثاً: الحرية في الدماء ٨٩٩
- رابعاً: الحرية في الدين ٩٠١
- خامساً: الحرية في خطاب الأمراء ٩٠٣
- سادساً: حرية الدعوة ٩٠٤
- سابعاً: حرية البحث والاستقصاء ٩٠٦
- المبحث الثالث: موقفه من الحرية الحققة وحرية الفوضى** ٩٠٨
- المطلب الأول: وقوفه مع الحرية الحققة** ٩٠٩
- أولاً: مطالبته الحكومة بالعناية بالحرية ٩١٢

- ٩١٢ ثانياً: بيانه الآثار الحميدة المترتبة على الحرية الفاضلة
- ٩١٣ ثالثاً: بيانه الآثار السيئة المترتبة على الاستبداد وكَبَتِ الحريات
- ٩١٥ رابعاً: تأسيس الجمعيات المطالبة بالحرية، المناوئة للاستعمار
- ٩١٨ خامساً: تحذيره من الركون إلى الاستعمار والثقة به
- ٩٢٠ المطلب الثاني: وقوفه ضد حرية الفوضى
- ٩٢٠ أولاً: تقريره أن الحرية الحققة وسط بين طرفين
- ٩٢٠ ثانياً: تصحيح المفهومات الخاطئة عن الحرية
- ٩٢٢ ثالثاً: تنديده بمن يسمون الطعن في الدين والفضيلة حرية
- ٩٢٢ رابعاً: إظهاره تناقض دعاة الحرية
- ٩٢٥ **الفصل الثالث: موقف الشيخ محمد الخضر من قضية التغريب وقضية تحرير المرأة**
- ٩٢٧ **المبحث الأول: موقفه من قضية التغريب**
- ٩٢٩ **المطلب الأول: دراسته العامة للتغريب: وذلك من خلال:**
- ٩٢٩ **البحث الأول: (محاكاة المسلمين للأجانب)**
- ٩٣٤ **البحث الثاني: (التقليد والمحاكاة في نهضتنا المعاصرة)**
- ٩٣٧ **المطلب الثاني: دراسته لبعض مسائل التغريب**
- ٩٣٧ أولاً: علاقة الذوق بمحاكاة الأجانب
- ٩٣٨ ثانياً: الشباب وتأثرهم بما عند الغرب
- ٩٣٨ ثالثاً: الدعوة إلى مسابقة أوروبا
- ٩٣٩ رابعاً: تغريب التعليم
- ٩٤٠ خامساً: الزرابة على التنكر للهوية وعلى مَنْ يُكَبِّرُ جميع ما عند الغرب
- ٩٤٢ سادساً: العدل مع الغرب، والاعتدال فيما يؤخذ منه
- ٩٤٥ **المبحث الثاني: موقفه من قضية تحرير المرأة**
- ٩٤٥ **المطلب الأول: تعريف بقضية تحرير المرأة**
- ٩٤٥ أولاً: الحملة الفرنسية على مصر

- ٩٤٦ ثانياً: حركة الابتعاث
- ٩٤٩ ثالثاً: ما قام به قاسم أمين
- ٩٥٣ المطلب الثاني: ردوده على دعاة تحرير المرأة
- ٩٥٣ أولاً: رده على الطاهر الحداد التونسي
- ٩٥٦ ثانياً: رده المعنون بـ: (اختلاط الجنسين في نظر الإسلام)
- ٩٦٠ ثالثاً: إصداره الفتاوى ، والبيانات
- ٩٦٣ **الخاتمة**
- ٩٧١ **فهرس الآيات**
- ٩٨٧ **فهرس الأحاديث النبوية**
- ٩٩١ **فهرس الأعلام**
- ٩٩٣ **فهرس المصادر والمراجع**
- ١٠٢٧ **فهرس الموضوعات**